مقدمة الناشر

دأبت مؤسسة الرسالة منذ نشأتها على الاهتمام بالتاريخ الإسلامي، وقد أولت عناية خاصة للفترات التي تمتاز فيه بأهمية بالغة، ويكتنفها ظلال من الغموض، كأن تواجه الأمة الإسلامية فيها خياراً صعباً، أو محنة قاسية.

وقد كان للمؤسسة ـ ضمن هذه الرؤيا ـ شرف إصدار «كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية» لمؤلفه أبي شامة، الذي كشف فيه بأسلوب موثق، وإحاطة شاملة تاريخ حكم سُلْطانين حكما بلاد الشام ومصر في فترة حرجة تداعى فيها الصليبيون على بلادنا اغتصاباً لأرضنا ومقدساتنا، وقتلاً لأهلنا، ونهباً لثرواتنا، هما نور الدين محمود بن زنكي، وصلاح الدين يوسف ابن أيوب، وما كان من جهودهما في التصدي إليهم حتى أثمرت انتصاراً عظيماً في حطين، وعودة بيت المقدس إلى أهله، وقد غدا الكتاب بحق مصدراً مهماً لا يستغني عنه باحث في تأريخ تلك الفترة..

وإتماماً للصورة ومتابعة للحدث نقدم للقارئ الكريم كتاب أبي شامة الثاني «المذيل على الروضتين»، وقد تابع فيه سرد الوقائع التي جرت بعد وفاة صلاح الدين، وما كان من خلفائه من نزاعات حتى سقوط الدولة الأيوبية التي أسسها تحت سنابك خيل التتار، وبداية عهد حكم الظاهر بيبرس في دولة المماليك.

وتنبع أهمية هذا الكتاب من أن أبا شامة كان شاهد عيان لكثير من حوادثه، عاش مرارة بعضها، واكتوى بنار بعضها الآخر.

كل هذا يدعوني للفخر حقاً بنشر هذا السفر القيم الذي أتمنى أن يجد فيه

المؤرخون مادة بريئة من العلل تكون مِعْواناً لهم وهم يجهدون في تقديم تاريخنا الإسـلامـي وفـق أســس الـبـحـث الـعـلـمـي ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾

مدير مؤسسة الرسالة

رضوان دعبول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وبه ثقتي

حين خطر لأبي شامة، وكان في نحو الخامسة والعشرين من عمره، أن يدون ذات يوم من آخر عام ٦٢٤هـ كتاباً في التأريخ لوقائع عصره، ألف هذا التاريخ، وافتتحه بأهم حدثين وقعا في سنة ٦٢٠هـ، وهما فجيعة الناس فيها بوفاة إمامين كبيرين من أئمة دمشق، شيخ الشافعية فخر الدين ابن عساكر، وشيخ الحنابلة موفق الدين ابن قدامة، ثم راح يدون ما جرى بعدهما من الوقائع مما هو مستحضره حتى آخر عام ٦٢٤هـ.

وابتداءً من عام ٦٢٥هـ أطلق لقلمه العنان في وصف ما يشاهده من وقائع وأحداث لحظة وقوعها، ظل هذا دأبه على مر السنين، يفزع إلى تاريخه هذا كلما ألمَّ بدمشق حدث، مدوناً فيه ما يقع شهراً بعد شهر، وسنة بعد سنة، ولم يضع له عنواناً يعرِّفه به، ولا غايةً يصل إليها، إنما هو مدونات شهرية، وأحياناً يومية، يكاد يكتبها لنفسه، مِدادُ قلمه فيه أنفاسه، فلن ينتهي منه قبل أن تنتهي.

وقد كتب له مقدمة ذكر فيها باعثه على تأليفه، قال فيها: «فإنه عَنَّ لي بمشيئة الله تعالى أن أورِّخ ما جرى في زماني مما عاينته، أو بلغني مما استثبته، لأن في ذكر التواريخ معتبراً .. وبدأت بالتاريخ من موت السلطان عيسى بن أبي بكر بن أيوب بن شاذي، الملقب بالملك المعظم صاحب دمشق وأعمالها، والبيت المقدس وأعماله بعد أبيه العادل، لأن بعده جرت أمور شاهدتها،

وأحوال عرفتها، وهو الوقت الذي خطر لي فيه تدوين التاريخ، وأذكر من قبل هذا ما أنا مستحضر له»[(١)].

وكان في أثناء تدوينه لهذا التاريخ قد اختصر تاريخ دمشق للحافظ أبي القاسم ابن عساكر اختصارين: الأكبر وهو في خمسة عشر مجلداً، والأصغر في خمسة مجلدات، ثم ساقه هذا الاختصار مع بواعث أخرى إلى تأليف تاريخه المشهور «كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية»، مفتتحاً له بمناقب نور الدين محمود بن زنكي، وهي تحكي عن ورعه وزهده وحُسْن سياسته، ثم متتبعاً للأحداث قبل ولايته حلب سنة ٥٤١هـ، عارضاً باختصار سيرة أبيه عماد الدين زنكي، وما أصَّله من سياسة في محاربة الصليبيين وتوحيد بلاد الشام، ثم متمماً لأخبار حكم نور الدين على السنين، وما حققه من انتصارات على الصليبيين حتى وفاته بدمشق سنة ٥٦٩هـ، ثم أردفه بأخبار صلاح الدين بدقة واستقصاء، وهو يكمل سياسة سلفه نور الدين، والتي أفضت أخيراً إلى نصر حطين، وفتح بيت المقدس، وإزالة أوضار الصليبيين منه، حتى وفاته بدمشق سنة ٥٨٩هـ، مختتماً له بمناقبه.

وعلى الرغم من أنه لم يكن من شرطه في «كتاب الروضتين» أن يذكر فيه ما جرى من أحداث بعد وفاة صلاح الدين، غير أن تتابع الوقائع شدَّه لسوق ما جرى من منازعات بين أولاد صلاح الدين: الأفضل والعزيز والظاهر وأخيه العادل. فراح يسردها حتى بلغ فيها إلى سنة ٥٩٢هـ[(٢)].

فلما فرغ من تأليفه، وكان ذلك نحو سنة ٦٤٩هـ، جلس بجامع دمشق

(١) ستأتي مقدمة أبي شامة هذه ص ٢٣ من هذا التقديم، وانظر حاشيتنا رقم ٢ ص ٣٩٩ من هذا الجزء من الكتاب.

(٢) كتاب الروضتين: ٤/ ٤٣٣.

بحلقته عند رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام يُسْمعه للناس، حتى أتمه إسماعاً في السنة نفسها[١].

وقد شعر بعد إسماعه أن صورة ما جرى بعد وفاة صلاح الدين لم تكتمل فصولاً، فزاد فيه ما جرى من أحداث بين سنتي ٥٩٣هـ و ٥٩٧هـ[٢].

وظلت رغبته في تأريخ ما جرى بعد وفاة صلاح الدين تعتمل في نفسه على تطاول السنين، حتى كانت سنة ٦٥٩[٣]، وقد أتم من عمره الستين، فنظر في تاريخه هذا، فوجد أوراقه قد احتشدت بوقائع تسع وثلاثين سنة، منذ أن ابتدأه من سنة ٦٢٠هـ، وهنا لاح له خاطر، لِمَ لا يستدرك في هذا التاريخ ما فاته ذكره من الوقائع التي أعقبت وفاة صلاح الدين، ويجعله مذيلاً لكتابه الروضتين؟ وبذلك تكتمل الصورة للأجيال المقبلة، صورةُ الأمل الذي عاشه الناس في الروضتين، وقد أزهرتا بحكم ملكين عادلين نور الدين وصلاح الدين، وصورة هذا الواقع الآسن الذي عاشه صراعاً بين الإخوة وأبناء العم على الثريد الأعفر، متناسين الصليبيين، هذا الخطر الجاثم على القلوب، والذين راحوا يمسحون من أرض الواقع في غفلة من المسلمين فتوحات صلاح الدين، بل إن هؤلاء الإخوة الأعداء في صراعهم المستميت فيما بينهم راحوا يستقوون بالصليبيين على الأخ وابن العم، باذلين لهم البلاد، فأعطوهم فيما أعطوا بيت المقدس دُرَّةَ فتوحات صلاح الدين، ومهوى أفئدة المسلمين، وقد ظلوا في صراعهم يعمهون حتى أتى أخيراً طوفان التتار من الشرق، فأغرق البلاد بالدماء وأغرقهم..

---

(١) انظر ص ١٠٠ من الجزء الثاني من هذا الكتاب. (٢) كتاب الروضتين: ٤/ ٤٣٤.

(٣) أكثر أبو شامة من الإشارة إلى ذلك في غير ما موضع من مذيله، انظر ص ١٤٣ من هذا الجزء.

ومن ثَمَّ كرَّ أبو شامة على تاريخه هذا يستدرك فيه ما فاته تدوينه منذ سنة ٥٩٠ هـ ـ وهي السنة التي أعقبت وفاة صلاح الدين ـ حتى سنة ٦١٩هـ، ثم راح يوسع ما كتبه من سنة ٦٢٠هـ إلى سنة ٦٢٤هـ، معتمداً في كثير من أخباره على من سبقه من المؤرخين ممن عاصر أحداث تلك السنين كسبط ابن الجوزي، وعز الدين محمد بن تاج الأمناء ابن عساكر، وقد كتب لاستدراكه هذا مقدمة جديدة، جعلها فاتحة كتابه، وسماه فيها «المذيل على الروضتين»(١).

ولما أتم استدراكه هذا عاد يكمل تدوين ما كان يعيشه من وقائع بعد سنة ٦٥٩هـ حتى كبا قلمه ـ وقد اعتُديَ عليه بالضرب المبرِّح ـ قبل نحو شهر من وفاته سنة ٦٦٥هـ.

فكان هذا الكتاب أول مؤلفات أبي شامة التاريخية، وآخرها.

* * *

(١) جعل أبو شامة هذه المقدمة الجديدة، وما استدركه من سنوات ٥٩٠هـ ـ ٦١٩هـ، وما زاده في حوادث سنة ٦٢٠هـ ـ ٦٢٤هـ المجلد الأول من كتابه.

وأبقى مقدمته الأولى، وما كتبه من وقائع سنة ٦٢٠ ـ ٦٢٤هـ مختصرة في أول المجلد الثاني من كتابه، والذي يضم كذلك وقائع سنة ٦٢٥هـ حتى آخر الكتاب.

وقد احتفظت لنا نسخة المتحف البريطاني في جزئها الثاني بهذه المقدمة الأولى وبالسنوات الأربع المختصرة، ونص ناسخها على أنها بداية المجلد الثاني من الأصل، وكذلك احتفظت بهذه المقدمة وبالسنوات الأربع نسختا كوبنهاجن وعارف حكمة. وقد آثرت انتزاعها من موضعها، وإثباتها في آخر هذه المقدمة، حفاظاً على تسلسل حوادث هذا التاريخ على السنين دون انقطاع قد يوهم القارئ المتعجل أن ثمة خللاً في الكتاب، مقتدياً في انتزاعها بما جاء في نسختي برلين وباريس.

وانظر حاشيتنا رقم ١ ص ٢٣ من هذه المقدمة.

طبعة الكتاب

طبع هذا المذيل في القاهرة سنة ١٩٤٧م تحت عنوان «تراجم القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين»، وعرَّف بالكتاب، وترجم للمؤلف، وصححه الشيخ محمد زاهد الكوثري؛ وكيل المشيخة الإسلامية في الخلافة العثمانية سابقاً، وعُني بنشره، وراجع أصله، ووقف على طبعه السيد عزت العطار الحسيني.

واعتمدا في إخراجه على نسخة خطية في دار الكتب المصرية، كتبت سنة ٩٦٧هـ، كما جاء في آخر المطبوع منه، وسعيهما مشكور في نشره، بيد أنهما اعتمدا على نسخة وحيدة في إخراجه، ويبدو أنها نسخة سقيمة فشا فيها التصحيف والتحريف، وقد حاولت تتبع أخطائها حتى تعذر عليَّ إحصاؤها، وكان بعضها ـ وهو غير قليل ـ مما أخطأ الشيخ محمد زاهد الكوثري في قراءته، والفن ليس بفنه، بل إن فيها زيادات ليست من أبي شامة أدخلها الناسخ خطأ في متن الكتاب، ولم يتنبه لها، وقد سقط منها أخبار في حوادث سنة ٦٦٤هـ، المعتُ إليها، واضطربت أوراقها في آخره مما جعل أحداث السنوات ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥هـ تتداخل فيما بينها، فذُكرتْ في غير سنتها التي وقعت فيها، ولم أجد كبير فائدة في الإشارة إلى هذه الأخطاء لكثرتها إلا مالا مندوحة عنه[١]، ومن أراد تتبعها يمكنه ذلك بمقابلة طبعتنا هذه بتلك الطبعة، وبخاصة أنني وضعت أرقام صفحاتها على هامش طبعتنا.

* * *

(١) تتبع د. مصطفى جواد بعض أخطائها، ونشرها في مقالين في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد ٢٣، ص٦١٨ ـ ٦٣١، والمجلد ٢٤، ص ١٥٣ ـ ١٥٨.

تجزئة الكتاب

حافظت في إخراجه على تجزئة أبي شامة له، وقد أشارت إلى ذلك نسخة المتحف البريطاني[١].

١ ـ الجزء الأول: يبدأ من أول الكتاب إلى آخر سنة ٦٢٤هـ.

٢ ـ الجزء الثاني: يبدأ من سنة ٦٢٥هـ إلى آخر الكتاب.

* * *

وصف النسخ الخطية

اعتمدتُ في تحقيقه على خمس نسخ خطية، هي:

١ ـ نسخة المتحف البريطاني: وهي في جزأين:

أ ـ الجزء الأول: يبدأ من أول الكتاب، وينتهي في أول أخبار سنة ٦١٥هـ.

وهي نسخة نفيسة، متقنة الخط، تقع في (١٢٨) ورقة، أرجح أنها كتبت في أواخر القرن السابع الهجري أو أوائل الثامن، وقد قوبلت بنسخة بخط علم الدين القاسم بن محمد البِرْزالي، المتوفى سنة (٧٣٩هـ)، وهو الذي ذيل على تاريخ أبي شامة هذا بكتاب سماه «المقتفي لتاريخ أبي شامة»[٢].

وهذه النسخة ـ على إتقانها ـ لم تخل من عيب، إذ أصابها خَرْمٌ في آخرها، أتى على تتمة أخبار سنة ٦١٥هـ، وذهب باسم ناسخها وتاريخ النسخ[٣].

وفي صفحة غلافها إسناد بسماعها من القاضي ابن جماعة، وكان أبو شامة قد أجازه في شعبان سنة ٦٤٦هـ، ولابن جماعة نحو من سبع سنين[٤].

---

(١) انظر ص ١٥ من هذه المقدمة.

(٢) اشتهر بتاريخ البرزالي، ومخطوطته عسيرة القراءة لما أصابها من الرطوبة، يسر الله لها من يزيل شكاتها وينشرها.

(٣) انظر حاشيتنا رقم ١ ص ٢٩٨ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٤) مشيخة ابن جماعة: ١/ ٣٠١.

ب ـ الجزء الثاني: يبدأ من أول أخبار سنة ٦١٦هـ إلى آخر الكتاب.

وهي كذلك نسخة نفيسة، متقنة الخط، تقع في (١٥٨) ورقة، ويبدو أنها قد نسخت عن أصل المؤلف، إذ جاء في صفحة غلافها: «وليس هذا أول الثاني في الأصل، وإنما أوله الخطبة التي في أثناء الكتاب التي تتلو الصفحة البيضاء في خامس كراس، فليعلم».

ثم جاء في آخر أخبار سنة ٦٢٤هـ: «هذا آخر المجلد الأول في أصله، وأول المجلد الثاني في أصله الخطبة التي تتلو الصفحة البيضاء يُسْرته».

وهذه الخطبة التي أشار إليها الناسخ هنا، هي خطبة أبي شامة الأولى للكتاب كما بينتُ[١].

ومن هذه الإشارة استفدت تجزئة أبي شامة لكتابه.

ويبدو أن هذه النسخة قد تعاور ناسخان على كتابتها، انتهى الأول عند قول أبي شامة في ترجمة الدَّوْلعي: ودفن بجيرون في مدرسة أنشأها[٢].

ثم يبدأ خط الناسخ الآخر، وهو ـ كما في آخر النسخة ـ محمد بن علي بن عثمان التَّنوخي الحِمْيري، وقد فرغ من نسخها في تاريخ ثالث عشر الأول من شهور سنة تسعين وست مئة، يعني ١٣ محرم، أي بعد وفاة أبي شامة بنحو خمس وعشرين سنة.

وقد اتخذت هذه النسخة بجزأيها لنفاستها أصلاً لي في تحقيق الكتاب، فإياها أعني حين أقول: في الأصل.

٢ ـ نسخة برلين:

وهي نسخة نفيسة، متقنة الخط، تقع في (١٧٨) ورقة، أرجح أنها كتبت في القرن الثامن الهجري، وهي مقابلة بنسخة أخرى، دلت على ذلك حواشيها،

(١) انظر ص ٩ ـ ١٠ من هذه المقدمة.

(٢) انظر ص ٤١ من الجزء الثاني.

وتفردت بزيادات ليست في غيرها من النسخ، وكذلك سقطت منها أخبار، وقد ألمعتُ إلى ذلك كله في الحواشي، ولأمرٍ ما كُشِطَ من آخرها اسم ناسخها وتاريخ النسخ.

وقد رمزت لها بالحرف (ب).

٣ ـ نسخة كوبنهاجن:

وهي نسخة جيدة متقنة، تقع في (١٩٠) ورقة بيد أنها كتبت على مرحلتين، الأولى قبل سنة ٦٩٠هـ، إذ جاء في هامش الورقة (١٣٧ب) حين ذكرت المدرسة الأتابكية في أخبار سنة ٦٤٠هـ، مطالعة بخط عمر بن مُسَلَّم الشهير بالقرشي الشامي، وهي: يقول كاتب هذه الأحرف عمر بن مسلم الشهير بالقرشي الشامي، لطف الله تعالى به: طالعتُ هذه الأوراق بشباك مدرستها على نهر يزيد سادس عشري شهر جمادى الآخرة سنة تسعين وست مئة، وأنا يومئذ ساكن بها زمن ولايتي تدريسها»[1].

ثم جاء في آخرها ورقة مفردة فيها قصيدة من نظمه، ونبذة عن حياته، والمدارس التي درَّس فيها.

ويبدو أن هذه النسخة التي طالع عمر بن مُسَلَّم أوراقاً منها، إما أنها لم تكن كاملة، أو أن أوراقاً ضاعت منها فيها تتمة أخبار سنة ٦٥٥هـ حتى آخرها، فأكملها من بعد ناسخ آخر بادئاً فيها من الورقة (١٥٧/أ)، وفيها أول القصيدة التي مدح بها أبو شامة زوجته ست العرب[2]، إذ يتغير الخط هنا بعض التغير لا يخفى على المتأمل فيه، وهذا القسم الأخير يفرغ ناسخه من نسخه نهار الاثنين رابع عشر شهر جمادى الأولى سنة ثمانٍ وعشرين وسبع مئة، كما جاء في آخرها، وتبقى الورقة المفردة التي كتب فيها عمر بن مسلم قصيدته هي من بقايا الأوراق الضائعة من النسخة الأولى، والله أعلم.

---

(١) انظر حاشيتنا رقم ٢ ص ٥٩ من الجزء الثاني من هذا الكتاب.

(٢) يوافق ذلك ص ١٢٠ من الجزء الثاني من هذا الكتاب.

ويبدو كذلك أن هذه النسخة في قسمها الأول قد نسخت عن أصلٍ للمؤلف، إذ بقيت فيها مقدمة أبي شامة الأولى للكتاب مع أخبار السنوات الأربع مختصرة، غير أنه قد جاء فيها قبل هذه المقدمة مرثياتٌ وأشعار لأبي شامة وغيره، وأسماء من ترجم لهم بين سنوات ٦٢٠هـ ـ ٦٤٣هـ، وكأن أبا شامة كان قد كتب ذلك في أوراق مفردة بنسخته، فجاء الناسخ فأضافها إلى هذا الموضع من الكتاب[1]، والله أعلم.

وقد أصاب هذه النسخة في قسمها الثاني خَرْمان، كلٌّ منهما بمقدار ورقة، يبدأ الأول من الورقة (١٦٣/ب)[2]، ويبدأ الثاني من الورقة (١٦٩/ب)[3].

ورمزت لهذه النسخة بالحرف (ك).

٤ ـ نسخة عارف حكمة:

وهي نسخة خزائنية جيدة، تقع في (١٨٥) ورقة، وعلى صفحة غلافها كُتِبَ اسم ناسخها، وهو محمد بن عثمان بن نعمة الله بن أبي الوفاء بن العزازي، وقد ترجم له الصفدي في «الوافي بالوفيات»: ٤/٨٨ـ٨٩، والحافظ ابن حجر في «الدرر الكامنة» ٥/٢٩٦، ووفاته في أواخر سنة ٧٣٠هـ بدمشق، عن أربع وستين سنة، فيكون قد كتب هذه النسخة إما في أواخر القرن السابع الهجري، أو أوائل الثامن.

وقد أصاب هذه النسخة خَرْمان، الأول يقع في تسع ورقات يبدأ من الورقة (١٠/أ) ـ (١٩/ب)[4]، وقد استدرك بخط مغاير، والثاني يبدأ من الورقة (١٨٢/أ)[5] إلى آخر الكتاب، وقد استدرك بخط مغاير كذلك.

---

(١) وكذلك انتزعتُ هذه الأشعار والأسماء من موضعها هذا، وأثبتُها في آخر هذه المقدمة ص ٢٩.

(٢) انظر حاشيتنا رقم ٢ ص١٤٣، وحاشيتنا رقم ١ ص ١٤٦ من الجزء الثاني من هذا الكتاب.

(٣) انظر حاشيتنا رقم ١ ص ١٦٣، وحاشيتنا رقم ٢ ص ١٦٧ من الجزء الثاني من هذا الكتاب.

(٤) انظر حاشيتنا رقم ١ ص٨٧، وحاشيتنا رقم ١ ص١٢٢ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٥) انظر حاشيتنا رقم ٣ ص ٢٢٠ من الجزء الثاني من هذا الكتاب.

وقد وافقت هذه النسخةُ نسخةَ كوبنهاجن في مواطن كثيرة، بما فيها المقدمة الأولى للكتاب، والسنوات الأربع المختصرة، وكذلك أشعار أبي شامة، وأسماء من ترجم لهم بين سنتي ٦٢٠هـ ـ ٦٤٣هـ، مما يدل على أن هذه النسخة قد نسخت عنها، أو أنهما نُسختا عن أصل واحد، والله أعلم.

ورمزت لهذه النسخة بالحرف (ع).

٥ ـ نسخة باريس:

وهي نسخة سقيمة متأخرة، فشا فيها التصحيف والتحريف، وتقع في (٢٦٢) ورقة، وهي تتفق في كثير من أخطائها وتصحيفاتها مع نسخة دار الكتب المصرية التي اعتمد عليها الشيخ محمد زاهد الكوثري في نشرته للكتاب، مما يدل على أنهما منسوختان عن أصل واحد، أو إن إحداهما نسخت عن الأخرى.

وتنفرد هذه النسخة عن سائر النسخ بتسمية هذا الكتاب بـ«الذيل على الروضتين»، ولم يكتب فيها اسم ناسخها ولا تاريخ النسخ، وأرجح أنها كُتبت في القرن العاشر الهجري.

وقد اطلعتُ على مصورتها التي في مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق، وكان قد أهداها إليها العلامة أحمد تيمور باشا، ووصفها الأستاذ الرئيس محمد كرد علي[1].

ورمزت لها بالحرف (س).

منهج التحقيق

لم يتح لأبي شامة، وموضوع كتابه مفتوح على تأريخ وقائع عصره وما يجدُّ منها أن ينتهي منه عند واقعة لا يتعدَّاها، ومن ثم تركه حين مات على مسودته، وكان يستدرك فيه ما فاته من أخبار في أوراق مفردة، يضعها حسب سنواتها على أمل أن يضمها إلى متن الكتاب حين تبييضه، وأحياناً كان يترك بياضاً في بعض الأخبار على أمل أن يسدَّه حين يقع له ما غاب عنه.

(١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد ٥/ ج٣/ ص١٤١ ـ ١٤٤.

ثم إن بعض من قرأ الكتاب بعد أبي شامة من العلماء وطلبة العلم كان يعنُّ له أن يستدرك عليه تصحيحاً، أو تعقيباً، ومادة الكتاب تغري بذلك. ومن ثم اختلطت هذه الزيادات مع ما استدركه أبو شامة في أوراقه المفردة، ويبدو أن بعضها قد ضاع مع مرور الزمن. ولم يأتِ للكتاب ناسخ نبيه ينزل أوراق أبي شامة منازلها في الكتاب، ويفرق بينها وبين ما زاده بعض قرائه، بل إنه جمع بينها، وضمنها متن الكتاب، وسد ما في بعض أخباره من بياض دون أن ينبه عليه، فاضطربت بعض الأخبار، وأضيف إلى الكتاب ما ليس منه. وقد تفاوتت حظوظ النسخ في ذلك حسب ما وقع لناسخها من هذه الزيادات والاستدراكات.

وبعد دراسة متأنية لها، وجدت نسخة المتحف البريطاني أقربها إلى الصواب، لاقتصارها غالباً على ما استدركه أبو شامة فحسب. أما نسخة برلين فيبدو أن ناسخها قد أهمل هذه الأوراق المفردة، أو أنها لم تقع له، ففاتتها كثير من الأخبار، وأما نسخة كوبنهاجن وعارف حكمة وباريس فهي متقاربة فيما أثبتت من استدراكات أبي شامة وتعقيبات بعض القراء. وقد ألمعت إلى ذلك كله في الحواشي.

ولتقديم نص أقرب ما يكون لما أراده أبو شامة لكتابه، فقد نهجتُ النَّهْج التالي في تحقيقه:

١ ـ اتخذت من نسخة المتحف البريطاني أصلاً لي في تحقيق الكتاب، واعتمدت ما في نسخة برلين، فما اتفقت عليه هاتان النسختان هو المعتمد عندي، وإن خالفتهما بقية النسخ.

٢ ـ وقد كان في النسخ زيادات عما في الأصل كما ذكرت:

أ ـ فما انفردت به نسخة برلين من هذه الزيادات أثبته في الحواشي، أما ما اتفقت به مع سائر النسخ فقد أثبته في المتن إذا كان ثابت النسبة لأبي شامة.

ب ـ ما انفردت به نسخ كوبنهاجن وعارف حكمة وباريس من زيادات عما في الأصل ونسخة برلين، فقد أثبته في الحواشي إلا إذا دلت القرائن أنها من أبي شامة.

جـ ـ ثمة زيادات من نُسَّاخ أو قُرَّاء ضُمِّنَتْ خطأً في متن الكتاب في غير نسخة الأصل، أنزلتها إلى الحواشي، ونبهت عليها، إذ إن طبيعة الكتاب تغري كثيرين بالزيادة عليه إيضاحاً أو استدراكاً.

٣ ـ أهملت الإشارة إلى ما وقع في الأصل من تصحيف إذا اتفقت النسخ كلها على الصواب.

٤ ـ ذكرت في الحواشي كثيراً مما في نسخة باريس من تصحيف أو تحريف، لأنها توافق في مواطن كثيرة ما وقع في المطبوع من خطأ، حتى يعلم القارئ الكريم منشأ هذا الخطأ، وأشرت أحياناً إلى بعض ما وقع في المطبوع من أخطاء انفرد بها.

٥ ـ في نسخة باريس تعقيبات من قارئ، وبعضها جانبه الصواب فيها، أشرت إليها في الحواشي، ونبهت على ما وقع فيها من خطأ.

٦ ـ وثقت الأخبار من مواردها التي ألمع إليها المؤلف، والتي أمكنني الوقوف عليها، ونبهت على بعض ما وقع فيها من تصحيف أو تحريف لا يحسن السكوت عنه، أو خطأ في تعليق محقق حتى لا يظن أنني أوافقه فيما ذهب إليه.

٧ ـ توسعت ما أمكنني في إيراد مصادر ترجمة من ترجم له أبو شامة حتى يكون هذا الكتاب ـ إن شاء الله ـ مرجعاً في تاريخ تلك الفترة.

٨ ـ ثمة تراجم انفرد أبو شامة بها، وليس لها من الشهرة ما تغري غيره بالكتابة عنها، تركتُ الإشارة فيها إلى أنني لم أهتد إلى مظان ترجمتها.

٩ ـ لم أترجم لشيوخ المترجمين ولا لأصحابهم لشهرة أكثرهم، إلا إذا دعت

ضرورةٌ إلى ذلك، رفعاً للَبْسٍ أو إيضاحاً لمُشْكل، وقد أوضحت ما غمض من أسمائهم في فهرس الأعلام، تيسيراً للاهتداء إلى مظان ترجمتهم.

١٠ ـ نبهتُ على الأوهام التي ندَّت عن أبي شامة، أو تابع فيها من تقدمه من المؤرخين.

١١ ـ أبقيت لغة الحوار على حالها دون تغيير ـ كما تركها أبو شامة من قبل ـ وإن كان فيها تساهل لغوي أو نحوي، أو فيها كلمات عامية ـ وقد أشرت إليها ـ لأنها تمثل أسلوب ذلك العصر من بعض جوانبه.

١٢ ـ صنعت فهرساً شاملاً للكتاب، يضم فهرسة الآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة، والشعر، والأعلام، والأماكن، والمصطلحات، والكتب الواردة في الكتاب، والوقائع والأحداث، وأسماء المترجمين.

١٣ ـ أثبت في الهامش أرقام صفحات طبعة الشيخ محمد زاهد الكوثري لشهرتها، ولتسهيل الرجوع إلى طبعتنا لمن كانت عنده تلك الطبعة.

١٤ ـ كنت قد وعدت القارئ الكريم في مقدمتي لكتاب الروضتين بدراسة عن أبي شامة ومؤلفاته التاريخية تكون فاتحة تحقيق هذا المذيل، وقد شرعت فيها غير أن القول اتسع لدي حتى غدت بكتاب أليق، أرجو أن أنشرها قريباً، إن شاء الله تعالى.

ولك أيها القارئ الكريم أن تجتزئ بما كتبه أبو شامة في ترجمته التي عقدها لنفسه في مذيله هذا، في أخبار سنة ٥٩٩هـ[١]، وهي سنة ولادته، فستجد فيها ـ على وَجازتها ـ مالا تجده في كتب من ترجم له.

وبعد ...

فقد كانت خدمة كتاب الروضتين ومذيله لأبي شامة حلماً من أحلامي،

(١) انظر ص ١٣٦ ـ ١٥٣ من هذا الجزء من هذا الكتاب.

ومن مِنَنِ الله عليَّ ـ وهي لا تحصى ـ أنْ وفقني لتحقيقه، وما كان ليوطَّأ العمل لي فيهما لولا جهود مباركة من صديقي الأستاذ الباحث بسام عبد الوهَّاب الجابي، الذي ما ونى في تأمين مصورات لي لمخطوطاتهما من مكتبات أوربة وغيرها، مراسلةً ومتابعةً، فجزاه الله خيراً كِفاءَ ما أنعم به وتفضل.

وللأستاذ رضوان دعبول؛ صاحب مؤسسة الرسالة عميق شكري وتقديري أنْ هيأ لي أسباب العمل فيهما، ثم تفضل فأخرجهما هذا الإخراج المتقن الجميل.

وختاماً ..

فإن أحسنت، فإنني حقاً لم أدخر جهداً، وإن أخطأت فحسبي أنني نلتُ أجر من اجتهد فأخطأ، والحمد لله على آلائه.

إبراهيم الزيبق

دمشق في ٢٦ ذي القعدة ١٤٢٥هـ

٦ كانون الثاني ٢٠٠٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت

الحمد لله[١] الذي بإرادته تتغيَّرُ الأحوال، وعلى وَفْق مشيئته تتصرف[٢] الأفعال، الذي انفرد بالبقاء، وكتب على غيره الزَّوال، وجعل الدُّنيا متنقِّلة لا تدومُ على حال، وقضى على أهلها بالإدبار والإقبال، فكم ممن يؤمِّلُ الآمال، فتخترمه دونها الآجال، وكم ممن يفجأه النَّوال، ولم يكن يخطر له ببال، فالحمد لله الكبير المتعال، ذي المعارج والطَّوْل والإكرام والجلال، وصلى الله على نبيِّه ورسوله، وصفِيِّه وخِيْرته من خَلْقه وخليله وحبيبه المِفْضال، سَيِّدنا أبي القاسم محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه خيرِ صَحْبٍ وآل، وبعد:

فإنَّه عَنَّ لي بمشيئة الله تعالى أن أورِّخ ما جرى في زماني مما عاينته، أو بلغني مما استثبته، لأن في ذكر التواريخ معتبراً، وفيها عن الغرور بالدنيا مُزْدَجراً، لاسيما إذا ذُكِرَ من مات في كلِّ سنةٍ من المعارف والإخوان، والأقارب والجيران، وذوي الثَّرْوة والسُّلْطان، فإنَّ ذلك مما يزهِّدُ ذوي البصائر في الدُّنيا، ويرغِّبهم في الحياة العُلْيا، والاستعداد لما هم ملاقوه، والإقلاع عما هم عن قليل[٣] مفارقوه.

---

(١) هذه هي المقدمة الأولى التي كتبها أبو شامة لتاريخه هذا في تأليفه الأول له في آخر سنة ٦٢٤هـ، مع السنوات الأربع المختصرة، وقد أثبتُّها من نسخة المتحف البريطاني، وقابلتها بنسختي كوبنهاجن وعارف حكمة، انظر حاشيتنا رقم ١ ص ١٢ من مقدمتي للكتاب.

(٢) في (ك) و (ع): تعتبر.

(٣) عن قليل، ليست في (ك) و (ع).

وكان مِمَّا حَدَاني إلى ذلك كثرةُ من يموتُ من المعارف، فأردتُ إثباتَهم لعلَّ بمطالعتهم أَجِدُ قلباً على الإقبال على الآخرة يُسَاعف، ولقد بلغني أنَّ بعضَ الوعاظ وَعَظَ ببلد المغرب، فقال كلاماً معناه: أيها الناس، كيف حالكم لو أنَّ السُّلْطان نادى فيكم أنه يقتل منكم كل يوم جماعة، أمَا كانتِ الأرضُ تضيق عليكم بما رَحُبَتْ[1]، وحَسِبَ كلُّ أحدٍ أنه في غدٍ[2] من ذلك الفريق؟ فكيف [لا تقلقون][3]، وهذا الموتُ يأخذ منكم ما تشاهدون؟ وأنتم في غفلة، أفلا تبصرون؟ قال: فما رُئِيَ باكٍ أكثر من يومئذٍ.

وبدأتُ بالتاريخ من موتِ السُّلْطان عيسى بن أبي بكر بن أيوب بن شاذي، الملقَّب بالملك المعظَّم[4]، صاحبِ دمشق وأعمالها، والبيت المقدس وأعماله بعد أبيه العادل، لأنَّ بعده جَرَتْ أمورٌ شاهدتُها، وأحوالٌ عَرَفْتُها، وهو الوقتُ الذي خَطَرَ لي فيه تدوين التَّاريخ، وأذكر من قبلِ هذا ما أنا مستحضرٌ له[5].

* * *

لما كان سنة عشرين وست مئة فُجِعَ النَّاسُ فيها بوفاة إمامين كبيرين، شيخي مذهبيهما، أحدهما شيخ الشافعية في وقته علماً وعملاً، أبو منصور عبد الرحمن ابن محمد بن الحسن، المعروف بفخر الدِّين ابن عساكر، توفي آخر يوم الأربعاء عاشر شهر رجب، ودفن من الغد بالشَّرَفِ القِبْلي قبل الوصولِ إلى مقابر الصوفية، على يسار الخارج إليها بالقُرْب من قبر الإمام مسعود النَّيسابوري، المعروف بالقُطْب، وقبره ثَمَّ ظاهرٌ معروف.

---

(١) بما رحبت، ليست في (ك) و (ع).

(٢) في غد، ليست في (ك) و (ع).

(٣) ما بين حاصرتين من (ك) و (ع).

(٤) توفي الملك المعظم عيسى في آخر ذي القعدة سنة ٦٢٤هـ، كما سيأتي ص ٢٨ من هذه المقدمة.

(٥) في (ك) و (ع): ما أنا مختصر له.

وكان الذين شَهِدُوا جِنازته خَلْقاً كثيراً، لما أُتيَ بها إلى الجامع كان النَّاس فيه كيوم الجمعة، وصلَّى عليه أخوه زين الأُمناء الحسن بن محمد.

وكنتُ قد سمعتُ عليه شيئاً من كتب الحديث، وسألته مسائل من العلم، لكن لم تَطُلْ مُدَّةُ صحبتي له، وأجاز لي جميع رواياته نظماً، وما أعلم فعل ذلك مع غيري[1]، فقال:

أجزتُ له[2] وفَّقَ اللهُ قَصْدَهُ ... وأسْعَدَه بالعِلْمِ يوم مَعَادِهِ

روايةَ ما أرويه عن كلِّ عالمٍ ... بصيرٍ بما فيه طريق سَدَادِهِ

فهنَّاه ربي بالعلوم وجَمْعِها ... وبلَّغه فيها سنيَّ مُرَادِهِ

وفي البيت الأول زِحافٌ[3].

وأخبرني من أصحابه مَنْ حضر وفاته، قال: صلى الظهر يوم توفي، ثم سأل عن العصر، فقيل له: لم يقرب حضورها. فدعا بماءٍ فتوضأ، ثم تشهَّد وهو جالس، وقال: رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً، لقنني الله حُجَّتي، وأقالَ عَثْرتي، ورَحِمَ غُرْبتي، وآنسَ وَحْدتي، ثم قال: وعليكم السلام. ثم انقلب على قفاه ميتاً، رحمه الله.

وغسَّله فخر الدين ابن المالكي، ومعه عبد الوهَّاب[4] بن زين الأُمناء وغيره، وكان قد استملك المكان الذي دُفِنَ فيه من مستحقيه، وحُفِرَ له القبر وهو حيٌّ، وكان مرضه بالإسهال.

وكان العادل لما عَزَلَ الزَّكي عن القضاء أرسل إليه ليوليه[5]، فأبى، فأرسل

---

(١) وما أعلم فعل ذلك مع غيري، ليست في (ك) و (ع).

(٢) في نسخة المتحف البريطاني ضبة فوق «له»، وانظر حاشيتنا رقم ١ ص٣٦٣ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٣) وفي البيت الأول زحاف، ليست في (ك) و (ع).

(٤) في (ك) و (ع): ابن عبد الوهاب، وهو خطأ.

(٥) في (ك) و (ع): أن يتولاه.

إليه ليحضر عنده، فحضر ليلاً، وجلس إلى جانبه، ومُدَّ السِّماط فلم يأكل منه شيئاً، فسأله في توليه القضاء، وكثَّر عليه القول، فآخر ما قال: حتى استخير الله تعالى. فلما رجع إلى بيته، وبات يتضرع ويبكي إلى الفجر، فخرج إلى الجامع، فصلى الصبح بالكلاسة(١)، ثم مضى إلى مقصورة الصحابة، رضي الله عنهم، فصلَّى بها، ودخل بيته الصغير [الذي](٢) في الحائط، [وهو الباب الذي كان يخرج منه خلفاء بني أمية وأمراؤها إلى الصلاة من لدن معاوية بن أبي سفيان إلى زمن الوليد بن عبد الملك بن مروان](٢)، فلما طلعت الشمس إذا رُسُل العادل قد جاؤوا إليه في ذلك: الجمال المِصْري، وقاضي العسكر خليل، فردَّهم، وأصر على الامتناع، وأشار بتولية الجمال ابن الحَرَسْتاني، وتجهَّز ليخرج من البلاد إلى ناحية حلب، وسارت المحاير، فقيل للعادل: احمد الله أنَّ في بلادك من امتنع من ولاية القضاء دِيْناً وزُهْداً.

والثاني شيخ الحنابلة موفق الدين، أبو محمد، عبد الله بن أحمد بن محمد ابن قدامة، المقدسي، من علماء المسلمين وعُبَّادهم، وتوفي يوم السبت يوم عيد الفطر، ودفن من الغد بجبل قاسيون، خلف الجامع في مقبرتهم المشهورة، وكانت جِنازته أيضاً ذات جمع وافر، امتدَّ الناس في طرق الجبل، فملؤوها. وسمعتُ عليه من كتب الحديث، وأجاز لي [بكل](٢) ما يرويه.

وفيها توفيت والدتي، رحمها الله.

ولما كانت سنة إحدى وعشرين [وست مئة](٢) حججت فيها مع والدي،

---

(١) في (ك) و (ع): فأبى، فطلب حضوره عنده ليلاً، فجاءه، فالتقاه، وأقعده إلى جانبه، فجلس محتبياً مستوفزاً، فأحضر الطعام، فلم يمد يده إليه، ولم يأكل منه شيئاً، فسأله أن يتولى القضاء وكثَّر عليه القول في ذلك، فقال: حتى استخير الله تعالى، فأخبرني من كان معه ملازماً له، قال: فلما رجع إلى بيته جدد الوضوء، ووقف يصلي ويتضرع ويبكي إلى الفجر، فلما أصبح خرج إلى الجامع، فصلى الصبح بالكلاسة.

(٢) ما بين حاصرتين من (ك) و (ع).

وهي أول السنين التي وجِدَ الحج فيها هنياً مرياً، من رُخْصِ الأسعار والأمْنِ بالطريق وبمكة، وفتح البيت دوام مقام الحاج.

وكان أمير الحاج الشامي تلك السنة شجاع الدين ابن السَّلار، ولم يزل يتولى إمارة الحاج إلى أن انقضى حجُّ سنة أربع وعشرين.

واجتمعتُ في هذه السنة بمكة بالشيخ حجة الدين[1] أبي طالب عبد المحسن بن أبي العميد بن خالد بن عبد الغفَّار، الخفيفي، الأَبْهري. وسمعتُ عليه بالمسجد الحرام، وأجاز لي جميع مروياته، ثم إنه تولى إمامة المقام بمكة، وتوفي بها، رحمه الله.

وفي سنة إحدى وعشرين [أيضاً][2] في المحرم منها توفي الشيخ عبد الرحمن اليمني الذي كان مجاوراً بالمنارة الشرقية بجامع دمشق، ودفن بمقابر الصوفية، رحمه الله، وهو[3] أحد المشايخ القوالين للحق عند الملوك وغيرهم، ولقد أنكر على العادل أبي بكر بن أيوب سنة خرجت الفرنج على بلاد المسلمين، فحضر عنده للإنكار عليه في حفظ ثغور المسلمين الفخر ابن عساكر، والحَصِيْري، وهذا اليمني، فكان هو أبلغ الجماعة[4] كلاماً.

* * *

ولما كانت سنة اثنتين وعشرين حججتُ أيضاً، فنحن بعرفات وقد جاءنا الخبر بوفاة الخليفة النَّاصر لدين الله أبي العبَّاس أحمد، وكانت وفاته في أواخر رمضان، وأقام في الخلافة مالم يقم أحد قبله من أهل بيته، سبعاً وأربعين سنة، وتولى بعده ولده الظَّاهر بأمر الله أبو نصر محمد، فأظهر العدل، وأحسن السيرة، رحمه الله.

---

(١) في (ك) و (ع): فخر الدين عبد المحسن.

(٢) ما بين حاصرتين من (ك) و (ع).

(٣) في (ك) و (ع): وكان أحد ..

(٤) في (ك) و (ع): من الجميع.

ولما كان سنة ثلاث وعشرين توفي في آخر ربيع الأول قاضي القضاة بدمشق جمال الدين يونس بن بدران بن فيروز المِصْري، ودفن في داره، وكان وكيل بيت المال في زمن العادل، ودرَّس بمدرسة ابن عبد في سنة ثمان وتسعين، ثم بالمدرسة الأمينية سنة اثنتين وست مئة.

وتولى بعده شمس الدين أحمد بن الخليل بن سعادة الخُوَيِّي.

وفي شهر رجب توفي الخليفة الظاهر بأمر الله، وولي بعده ابنه المستنصر بالله أبو جعفر المنصور، فأزال كثيراً من المظالم، وأقرَّ ما فعله والده من العدل، وزاد عليه، وبنى ببغداد المدرسة [المشهورة][(١)] المستنصرية.

وفي شهر رجب أيضاً ـ أو شعبان ـ كانت وفاة الشيخ تقي الدين خَزْعَل بن عسكر بن خليل الشنائي المِصْري [النَّحْوي][(١)] ، ودفن بباب الصغير.

* * *

ثم دخلت سنة أربع وعشرين

ففي أواخر شعبان منها سافرتُ إلى البيت المقدس زائراً صحبة الفقيه عبد العزيز بن عبد السلام.

وفي آخر ذي القعدة منها كانت وفاة السُّلْطان عيسى بن أبي بكر، و[قد][(١)] كان كثير الاشتغال بالعلم؛ بالنحو وفِقْه أبي حنيفة، وحصَّلَ منهما طرفاً جيداً، وكان عديم الالتفات إلى ما يرغب فيه الملوك من الأُبَّهة، والتعظيم والمدح وغير ذلك، وكان جميل الصحبة لأصحابه، أنشدني المحب الحجازي:

لئنْ غُودرتْ تلك المحاسن في الثَّرى بوالٍ فما وَجْدي عليك ببالِ
ومُذْ غِبْتَ عني ما ظَفِرْتُ بصاحبٍ أخي ثقةٍ إلا خطرتَ ببالي

---

(١) ما بين حاصرتين من (ك) و (ع).

وولي بعده ابنه الناصر داود بن عيسى، فشرع في إزالة بعض المظالم، وتبطيل بعض المنكر[١].

* * *

وكان قد جاء في نسختي كوبنهاجن وعارف حكمة أوراق قبل هذه المقدمة فيها أشعار لأبي شامة[٢] وغيره، وذِكْرٌ لأسماء من ترجم لهم بين سنتي ٦٢٠هـ ـ ٦٤٣هـ وهو أشبه بالفهرسة، ولعل أبا شامة كان قد كتب ذلك في أوراق مفردة، ثم أضافها ناسخ إلى هذا الموضع من الكتاب، وقد آثرتُ كذلك انتزاعها من موضعها، وذكرها هاهنا، وهي:

مرثيات وغيرها من سنة عشرين وست مئة

إمامٌ محبٌّ ناشيءٌ متصدِّقٌ ... وباكٍ مُصَلٍّ خائفٌ سطوةَ الباسِ

يظلهم الله الجليل بظله ... إذا كان يوم العَرْض لا ظِلَّ للناسِ

أشرت بألفاظ تدلُّ عليهمُ ... فيذكرهم بالنَّظْمِ مَنْ بعضَهُمْ ناسِ

وفي المعنى:

وقال النبيُّ المُصْطَفى إنّ سبعةً ... يُظِّلِهُمُ الله العظيم بظِّلهِ

محبٌّ عفيفٌ ناشيء متصدِّقٌ ... وباكٍ مصلٍّ والإمامُ بعَدْلِهِ

ومنه:

يا من نراه وسيلَةْ ... لحوز كلِّ فضيلَةْ

ومن مدى الدهر يسعى ... فيما يَسُرُّ خليلَهْ

ما زال يتعب صبٌّ ... يهوى وِصَال العقيْلَةْ

فطالبُ العلمِ يهوى ... كثيره وقليلَهْ

---

(١) إلى هنا آخر ما تركه أبو شامة في تأليفه الأول للكتاب قبل تعديله، وانظر حاشيتنا رقم ١ ص ٢٣ من هذه المقدمة.

(٢) ذكر أبو شامة من بعد أكثر أشعاره هذه في «مذيله» مع اختلاف في بعض ألفاظها في ترجمته التي عقدها لنفسه ص ١٤٩ ـ ١٥٣ من هذا الجزء من هذا الكتاب. وانظر ص ١٧ من مقدمتي لهذا الكتاب.

ومنه:

أنا في عِزِّ القناعَةْ رافِلٌ في كلِّ ساعَةْ
رَبِّ أتممها بخيرٍ في معافاةٍ وطاعَةْ

ومنه:

بدمشقٍ سقى الإله رُباها وحَمَاها ذكرى أُولي الألبابِ
وعجيبٌ أشجارُها حين تبدو مزهراتٍ تشيبُ قبل الشَّبابِ

ومنه:

قال ابنُ أدهم قولَ النَّاصحين لنا العُجْبَ والحِرْصَ ثم السُّخْطَ فاجتبنوا
ثلاثة حجبت عن اليقين فلو بنا فلا بُدَّ من أن ترفع الحُجُبُ
نُسَرُّ بالمَدْح والموجود يفرحنا والقلبُ سخطاً من المفقود يضطربُ

للفقيه عبد المنعم الغَسَّاني:

يا طالبَ العِلْمِ من كتابٍ ومن حديثٍ طِلابَ مُسْلمْ
بدون هذا تُرى فقيهاً فوسِّعِ الثوبَ ثم عمِّمْ
والبسْ من الشرب طَيْلساناً واعقده في المنكبين واختمْ
واقعدْ مع القوم في جدالٍ لا بالبخاري ولا بمُسْلمْ
إلا صياحاً ونَقْضَ كُمٍّ وقول لا لا وجمع لِمْ لِمْ
فما أرى عندهُمْ علوماً أكثرَ مِنْ ما ولا أُسَلِّمْ

آخر:

الثوبُ واللقمة والعافيةْ لقانعٍ من عَيْشه كافيةْ
وما يزد فالنَّفس ليست به وإن تكنْ مملكةً راضيةْ

آخر

إذا كنتَ في أرضٍ وعقَّك أهلُها ولم تكُ مقبولاً بها فتغرَّبِ

قلت:

إذا شئتَ أنْ تَرْقى وتَنْبُلَ في الورى وتعلو محلاً فارتحلْ وتغرَّبِ

فإنَّ رسولَ الله لم يستقمْ له بمكَّةَ أمرٌ واستقام بيثربِ

مما نُسِبَ إلى أبي بكر الصِّدِّيق، رضي الله عنه:

وما مِنْ صباحٍ مرَّ إلا مؤدِّبٌ لأهل العقول النَّافذات البصائرِ

إذا كنتَ في الدُّنيا بصيراً فإنما بلاغُكَ منها مثل زادِ المسافرِ

إذا أبقتِ الدُّنيا على المرء دينَه فما فاته منها فليس بضائرِ

إذا أنت لم تُؤثِرْ رِضا الله وَحْدَه على كلِّ ما تهوى فلستَ بصابرِ

مما قلته في رمضان سنة أربعٍ وخمسين وست مئة:

أردتُ راحةَ سِرِّي مما يضيِّقُ صَدْري

لما أُلاقي من الخَلْـ ـقِ من جفاءٍ وغَدْرِ

وَحَسَدٍ واغتيابٍ فيا ضياعَ العُمْرِ

فاخترتُ أن أتنحَّى وأستقلَّ بأمري

فلستُ أمشي إلى مَنْ يُرى خطيرَ القَدْرِ

لأجلِ دنيا فمشيي إليه بالعِلْم يُزري

لكنْ إلى عالمٍ أو شيخٍ نبيهِ الذِّكْرِ

في الدِّين يُقْصَدُ للعِلْـ ـم والتُّقى لا الفَخْرِ

أمَّا إذا أحْوَجَتْني ضرورةٌ من فَقْرِ

ولا تكونُ، فَرَبِّي يمنُّ فيها بصَبْرِ

يا ربِّ فاشرحْ صدري للخير واشدُدْ أزْري

ولا تكلني إلى الخَلْـ ـقِ، أنت حَسْبي وذُخْري

هَبْ لي مدى الدَّهْرِ سِتْراً حتى أوسَّدَ قَبْري

واختِمْ بخيرٍ وأعظِمْ ... مِنْ جَنَّةِ الخُلْدِ أَجْري

وفي أيام العجوز السبعة[١]:

سأذكر أيام العجوز مرتَّباً ... لأسمائها نَظْماً صحيحاً ليستمِرْ

فصِنٌّ وصِنَّبْرٌ ووَبْرٌ مُعَلِّلٌ ... ومُطْفِئُ جَمْرٍ آمِرٌ ثُمَّ مُؤْتَمِرْ

مفرد:

يا مَنْ رأى قَصْرَ الوفاءِ ضرورةً ... كُنْ قاصداً مدَّ الجفاءِ لذاكا

وقلت في مرضتي الأخيرة، وكانت في شهر رمضان سنة اثنتين وخمسين وست مئة، وهي خامس مرضةٍ توالت كل سنة في رمضان منها إلا واحدةً كانت في آخر السنة، والكل مرضٌ واحد:

نزهتُ نفسي وعِرْضي ... وصُنْتُ هذي البقيهْ

لما انعزلتُ ببيتي ... قولاً وفِعلاً ونيَّهْ

وبَقِيَتْ[٢] عُلَقٌ بالـ ... ـمدارس الشّافعيَّهْ

وسوف أخلص منها ... حقاً وربِّ البريَّهْ

إنيَ عبدٌ ضعيفٌ ... أخاف بَغْتَ المنيَّهْ

ولستُ أرضى لنفسي ... دوام هذي البليَّهْ

إلى الممات فربي ... يعينُ[٣] منًّا عليَّهْ

بعِلْم معرفة اللـ ... ـه النِّعمة الأخرويَّهْ

أنالُها بانشراحٍ ... رضيَّةً مرضيَّهْ

---

(١) هي سبعة أيام شديدة البرد بين شهري شباط وآذار.

(٢) في(ك) و (ع): وقد بقيت، ولا يتزن بها البيت، وقد جاءت على الصواب في النسخ كلها في «المذيل» ص١٥٠.

(٣) هكذا هي في (ك) و (ع) في هذا الموضع، وجاءت في نسخ المذيل ما عدا (ب): معين، وقد كتبها ناسخ (ب) على صورة تحتمل القراءتين.

وقلت فيما ينبغي أن يكون عليه من يصلّي:

ألقِ سمعاً واحْضُرْ بقلبٍ وعقلٍ   يا مُصَلِّي ورَتِّلِ القرآنا
وتدبّرْ آياتِهِ وتفكّرْ   واجمعِ الهمَّ مقبلاً يقظانا

أي مقبلاً عليه متيقظاً.

آخر:

لا تَقُمْ في مدينةٍ ليس فيها   خمسةٌ إنْ أردتَ دارَ قَرَارِ
قَهْرُ مَلْكٍ وعَدْلُ قاضٍ وطَبٌّ   حاذقٌ مَعْ سوقٍ ونَهْرٍ جارِ

وآخر:

فلا تَحْفَلْ بمن يغتابُ شخصاً   ويحسُدُهُ فيذكُرُ من هَنَاتِهْ
فمن حسناتِهِ يَهْدِي إليه   فإنْ نَفِدَتْ تحمَّلَ سيئاتِهْ

آخر:

يا رائد الظَّعْنِ بأكنافِ الحِمى   بلِّغْ سلامي إنْ وصلتَ لَعْلَعا
وحيِّ جُذْرانًا بتلات الغضا   عهدتُ فيهِ قمراً مبرقعا[1]

للفاضل:

وغريبةٍ قد جئتُ فيها أولاً   ومن اقتفاها كان بعدي الثاني
فرسوليَ السُّلْطانُ في إيصالها   والناسُ رُسْلُهُمُ إلى السُّلْطانِ

وله:

يا لمعةَ البَرْقِ بل يا نسمةَ الرِّيحِ   رُوحي بروحي إلى مَنْ عندهم روحي
خُذْي لهمْ من سلامي عنبراً عبقاً   وأوقديهِ بنارٍ مِنْ تَبَاريحي

* * *

(١) البيتان ليسا في (ك).

سنة عشرين وست مئة: توفي الفخر ابن عساكر، والموفق الحنبلي، ووالدتي.

سنة إحدى وعشرين: فيها حججت، وتوفي عبد الرحمن اليمني.

سنة اثنتين وعشرين: حججت أيضاً، وتوفي أمير المؤمنين الناصر، والبرهان بن أبي جعفر(١).

سنة ثلاث وعشرين: توفي أمير المؤمنين الظاهر بن الناصر، والقاضي جمال الدين المِصْري، والشيخ تقي الدين خزعل.

سنة أربع وعشرين: سافرت إلى القدس، وفيها مات الملك المعظم عيسى بن أبي بكر بن أيوب.

سنة خمس وعشرين: توفي هندولا، والشريف البهاء، والشمس بن القوَّاس، وخليل بن زويزان، والمحب اللَّبْلي، والضياء بن عبد الكافي، والتقي الجزائري، والقاضي عبد الرحيم، والجمال بن القَفْصي، وعبد المحسن الحنبلي، وغيرهم.

سنة ست وعشرين وست مئة: توفي الظَّهير عبد الغني، والزين الفَرْغاني، والفخر التركي، والجمال الشاطبي، ومحمد السَّبْتي، ومحمد الغُماري، وأقسيس، وأبو الحسن القلِّيني، وغيرهم.

سنة سبع وعشرين: توفي زين الأمناء ابن عساكر، وفيها كسر الأشرف الخوارزمية.

سنة ثمانٍ وعشرين: سافرتُ إلى مصر، وفيها توفي ابن معطي النحوي بمصر، والزين الكردي المقرئ بدمشق.

سنة تسع وعشرين: فيها مات العماد المحلِّي، والقاضي ابن المَوْصلي، والعلم بن النحاس، والشيخ ابن عيسى بالإسكندرية، وغيرهم.

(١) كذا قال هنا، وهو سبق قلم، وسيذكر وفاته على الصحيح سنة إحدى وثلاثين وست مئة.

سنة ثلاثين وست مئة: فيها توفي صاحب إربل، والعزيز بن العادل وابنه، وابن المغيث بن العادل وغيرهم، وأنشئت دار الحديث الأشرفية.

سنة إحدى وثلاثين: مات السيف الآمدي، والشيخ القرطبي، والنجم التفليسي، والبرهان بن أبي جعفر، والزين بن قفرجل، والنجم بن الخبَّاز بحلب، وعبد الله الأرمني.

سنة اثنتين وثلاثين: مات البهاء ابن شداد، والشهاب ابن عصرون، والشيخ شهاب الدين السَّهْرَوَرْدي، والنشو بن صبَّاح، والتقي بن باسوية، والصَّفي المدني.

سنة ثلاث وثلاثين: توفي أبو الخطاب بن دحية، والبهاء الأَرَّاني، وأبو الطاهر المحلِّي بمصر.

سنة أربع وثلاثين: مات النَّاصح ابن الحنبلي، وأبو عمرو[1] بن دحية، والعزيز صاحب حلب، وعلاء الدين ملك الروم، وَوُلِدَ ابني محمد.

سنة خمس وثلاثين: مات الأشرف، والكامل، والخطيب الدَّوْلعي، وابن الشيرازي وابن سني الدولة القاضيين، وابن الأستاذ الزَّيْن، والعز بن الماسح[2]، وابن رزمين النحوي.

سنة ست وثلاثين: مات الحصيري، وجعفر الهَمْدَاني، والعماد بن شيخ الشيوخ، وابن جرير الوزير، والزكي البِرْزالي، وابن التاجي[3].

سنة سبع وثلاثين: مات أبو طالب بن سيِّدة، والقاضي الخُوَيِّي، وشيركوه صاحب حمص، والفصيح العجلي، والعلم العطار[4]، والصفي بن المركب، والتقي بن طَرْخان.

---

(١) في (ك) و (ع): ابن عمرو، وهو خطأ.

(٢) في (ك) و (ع): الناسخ، وهو خطأ، وانظر ترجمته ص ٤٣ من الجزء الثاني.

(٣) لم يترجم له أبو شامة في «المذيل».

(٤) في (ك): القطان.

سنة ثمان وثلاثين: مات والدي، وابن العربي، والقاضي النجم الحنبلي، والشيخ سالم المغربي.

سنة تسع وثلاثين: مات العفيف بن يسار، والعفيف عرب، والمجد سليمان، والبدر المعلم، وإسماعيل بن ظفر، والشمس بن الخباز والكمال بن يونس، كلاهما بالموصل.

سنة أربعين: مات العز بن الدجاجية، والزكي بن الخشوعي، والزين أبو زكريا، والكمال بن شيخ الشيوخ، والإمام المستنصر بن الظاهر بن الناصر.

سنة إحدى وأربعين: مات ابنا شيخنا الشمس والعز، والشيخ ميمون الضرير، وكريمة، والتقي الصريفيني، والمخلِّص ابن هلال، وقبض على القاضي الرفيع وأصحابه.

سنة اثنتين وأربعين: مات التاج شيخ الشيوخ، والتاج ابن الشيرازي، والكمال مسعود بن الحَوْراني[(١)]، والجمال سليمان، والشمس البُرْجي، وكسر الفرنج.

سنة ثلاث وأربعين: مات ابن الصلاح، وابن أبي جعفر، والمنتجب الهَمَذاني، والشرف بن الجوهري، والعز ابن عساكر، والعز بن الخيسي، والتاج الأبهري، والكمال الدِّزْماري، والعلم السخاوي، وأبو سليمان الحنبلي، والتقي ابن كثير[(٢)]، والقوام الأصبهاني، والمعين[(٣)] الأرموي، والبدر بن أخت الخُوَيِّي[(٤)]، وحسن الصِّقِلِّي، والصفي الحلبي، وغيرهم[(٥)].

---

(١) في (ك) و (ع) في هذا الموضع: البخاري، وجاءت في نسخ المذيل مجوَّدة ما عدا (ب) الحوراني، وفي (ب) الحواري.

(٢) لم يترجم له أبو شامة في «المذيل».

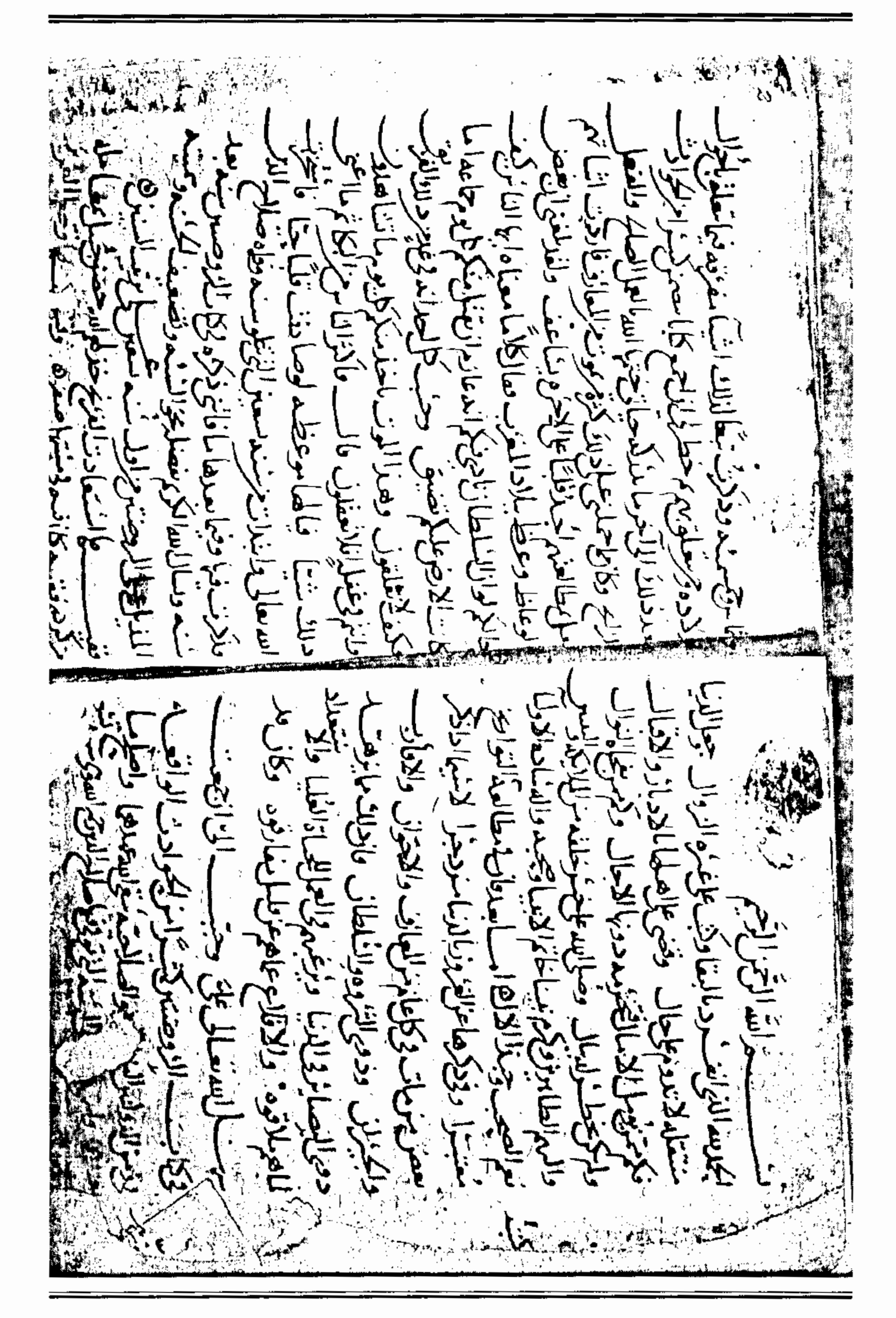
(٣) في (ك) و (ع) في هذا الموضع: العز، وهو خطأ، والمثبت من ترجمته في «المذيل» ص ٦٧ من الجزء الثاني.

(٤) لم يترجم له أبو شامة في «المذيل».

(٥) إلى هنا ينتهي ما جاء في (ك) و (ع) في هذا الموضع.



صفحة غلاف الجزء الأول من نسخة المتحف البريطاني



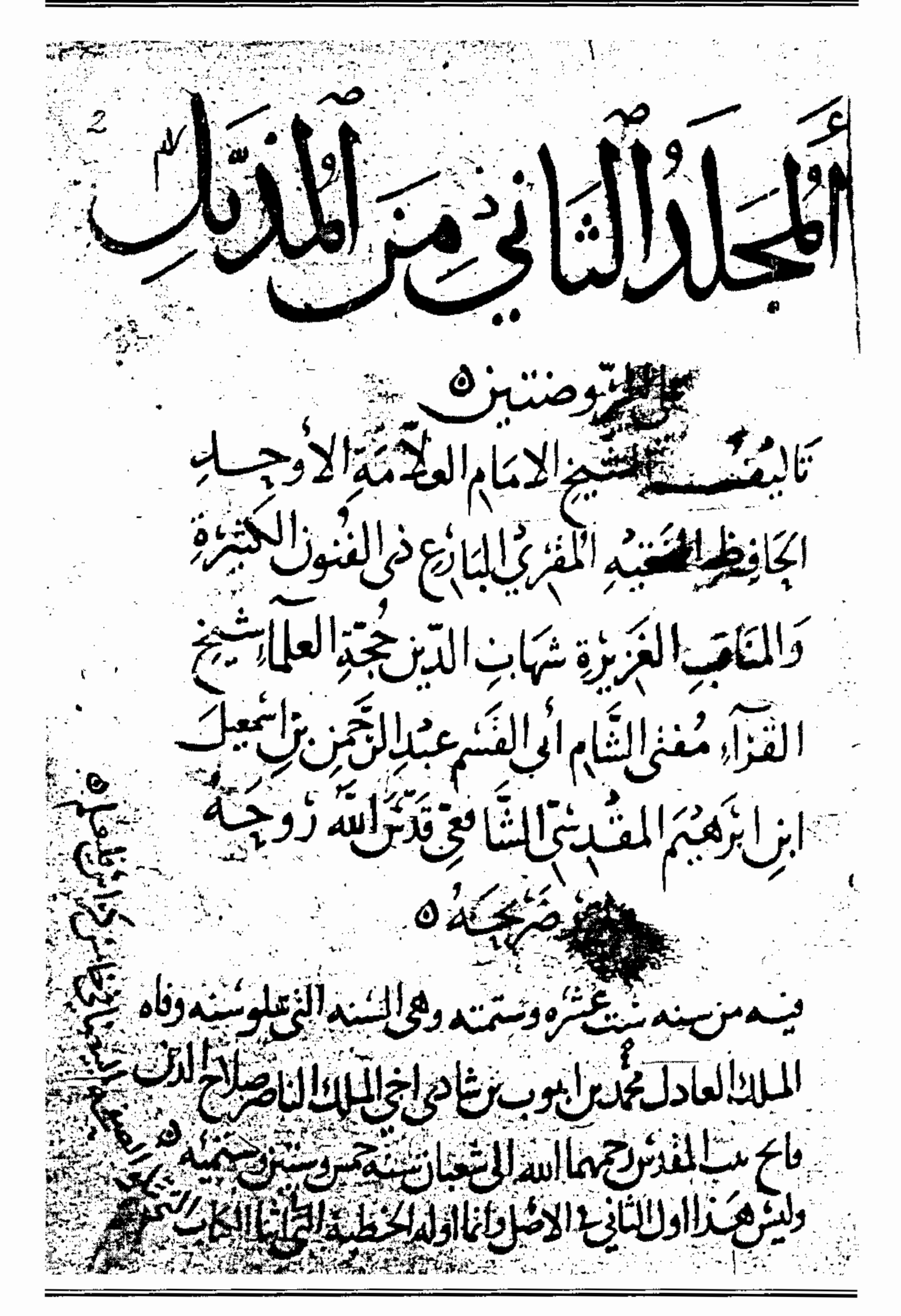
الورقة الأولى من الجزء الأول من نسخة المتحف البريطاني

وهي لجزيناته وفاةً واسفل ما خلفته من الاملاك الى الوقف
المشهور عن اختها الكبرى بنت العضيبه ٥ وفيها توفي
الشجاع محمود المعروف بالدماغ في ذي القعده وكان من
اصدقا العادل في زمن الشبيبه وبقي معه في زمن السلطنه
مضحكا له وحصلت له ثروه عظيمه وداره بدمشق جعلتها
زوجته عايشه مدرسه للفريقين الحنفيه والشافعيه
بحضره باب الفرج ٥ ثم دخلت سنه خمس عشره
وستميه ٥ فيها نزلت الفرنج على دمياط في ربيع الاول
وكان العادل بمرج الصفر فبعث بالعساكر التي كانت عنده
الى مصر الى ابنه الكامل بمقابله الفرنج واقام المعظم
بالساحل بعسكر الشام في مقابله الفرنج ٥ وفيها اشتد على
العادل ولده المعظم وقال له قد بنيت هذا الطور وقد
يكون سببا لخراب الشام وقد سلم الله من كان فيه من ابطال
المسلمين والذخاير واني من المصلحه خرابه ليتوفر من فيه
من المسلمين والعدد على حفظ دمياط وانا اعوضك
فتوقف المعظم وبقي اياما لا يدخل الى العادل فبعث اليه

End of the vol.

مدرسة بباب الفرج للحنفيه والشافعيه

الصفحة الأخيرة من الجزء الأول من نسخة المتحف البريطاني



المجلد الثاني من المذيل

على الروضتين

تأليف الشيخ الإمام العلامة الأوحد

الحافظ الفقيه المقرئ البارع ذي الفنون الكثيرة

والمناقب الغزيرة شهاب الدين حجة العلماء شيخ

القراء مفتي الشام أبي القسم عبد الرحمن بن اسمعيل

ابن ابرهيم المقدسي الشافعي قدس الله روحه

ضريحه

فيه من سنه ست عشره وستمئه وهي السنه التي تلو سنه وفاه

الملك العادل محمد بن ايوب بن شادي اخي الملك الناصر صلاح الدين

فاتح بيت المقدس رحمهما الله الى شعبان سنه خمس وستين وستمئه

وليس هذا اول الثاني في الاصل وانما اوله الخطبة التي اثبتها الكاتب

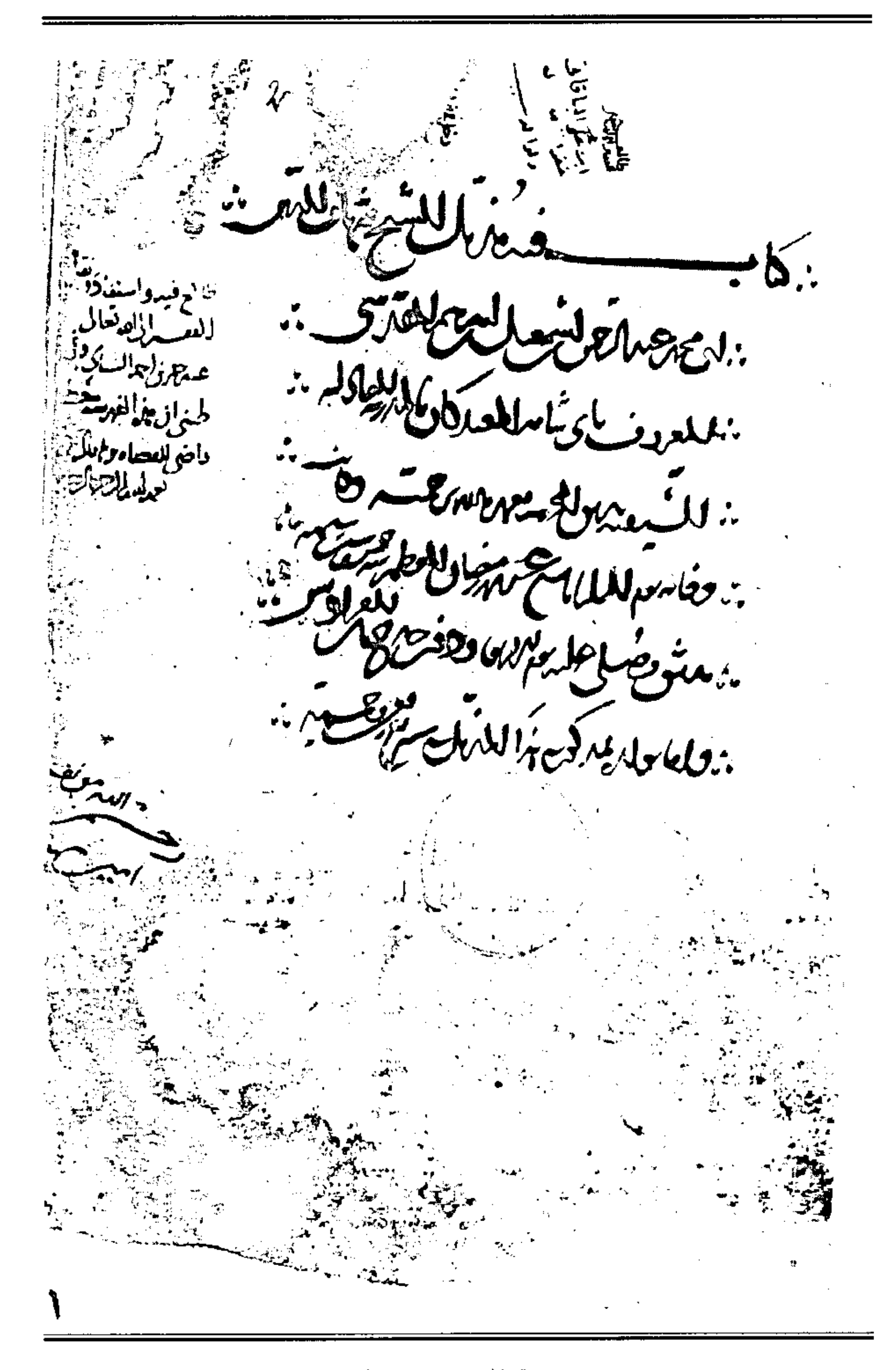
صفحة غلاف الجزء الثاني من نسخة المتحف البريطاني

الورقة الأولى من الجزء الثاني من نسخة المتحف البريطاني

فيها العدو وأغير عنا خرج عليهم من وراءهم فقتل وأسر وضربت
البشائر بدمشق بذلك وجاءنا الخبر من مصر بوفاة قاضيها تاج
الدين عبد الوهاب بن خلف المعروف بابن بنت الأعز في السابع
والعشرين من رجب توفي ليلة الأحد الثامن والعشرين
من رجب ومولده في سنة أربع وستمائة وهو تاج الدين أبو محمد
عبد الوهاب بن خلف بن محمود بن بدر العلائي مولده بالقاهرة ودفن
بالقرافة رحمه الله تعالى وفي يوم الأحد ثامن عشر شعبان توفي كمال
محمد بن عمر النابلسي وكان رجلاً صالحاً رحمه الله توفي ببستانه
بزملكا ودفن بمقابر باب كيسان عند أبيه تم بحمد الله وعونه
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم على يد أفقر العباد وأحوجهم
إلى عفو الله محمد بن علي بن عثمان السعدي الحنفي
[illegible]

الصفحة الأخيرة من الجزء الثاني من نسخة المتحف البريطاني

المقدمة الأولى لأبي شامة من نسخة المتحف البريطاني (الجزء الثاني)



صفحة غلاف نسخة برلين

الورقة الأولى من نسخة برلين

الورقة الأخيرة من نسخة برلين

الورقة الأولى من نسخة كوبنهاجن

الورقة الأخيرة من نسخة كوبنهاجن



صفحة غلاف نسخة عارف حكمة

الورقة الأولى من نسخة عارف حكمة

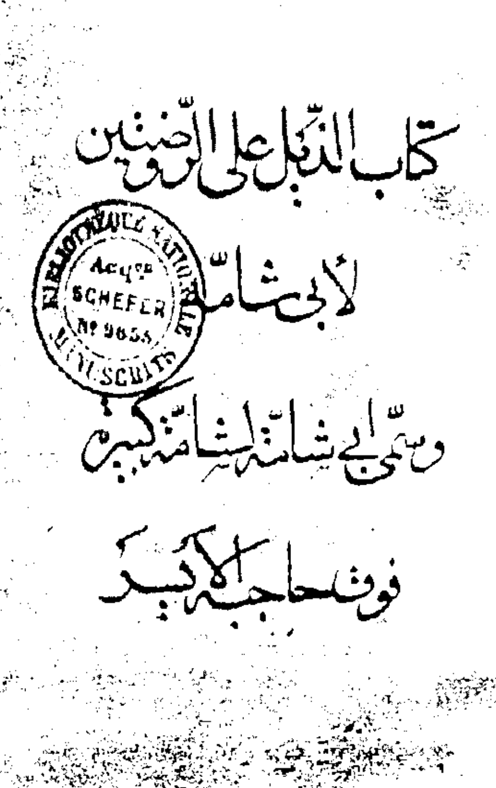
حصر السلطان الظاهر بيبرس خندقا لقلعة صفد وعمل فيه بنفسه وعسكره وفي بعض
تلك الايام بلغه ان جماعة من الفرنج بعكا تخرج منها غدوة وتبقى ظاهرها الى ضحوة فسرى
ليلة ببعض عسكره وكمن لهم في تلك الاودية فلما ابعدوا عن عكا خرج من ورائهم فقتل وأسر
وضربت البشائر بدمشق بذلك وجاءنا الخبر من مصر بموت قاضيها تاج الدين عبد الوهاب
ابن خلف المعروف بابن بنت الاعز في السابع والعشرين من رجب وقيل توفي ليلة الاحد ثامن عشرين
من رجب ومولده في سنة اربع وستمائة مستهل رجب وهو تاج الدين ابو محمد عبد الوهاب بن خلف
ابن محمود بن بدر العلامي مولده بالقاهرة ودفن بالقرافة رحمه الله تعالى وتوفي يوم الاحد ثامن

عشر شعبان توفي الجمال محمد بن نعمة النابلسي وكان رجلا
صالحا رحمه الله توفي بغتة ودفن بمقابر باب كيسان عند ابيه

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين



الصفحة الأخيرة من نسخة عارف حكمة


كتاب الذيل على الروضتين

لأبي شامة

وسمي أبي شامة لشامة كبيرة

فوق حاجبه الأيسر

صفحة الغلاف من نسخة باريس

الورقة الأولى من نسخة باريس

الورقة الأخيرة من نسخة باريس

٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[رَبِّ يَسِّرْ بلطفك][١]

الحمد لله الذي انفرد بالبقاء، وكَتَبَ على غيره الزَّوال، وجعل الدُّنيا منتقلة لا تدوم على حال، وقضى على أهلها بالإدبار والإقبال، فكم ممن يُؤَمِّلُ الآمالَ فتخترمه دونهما الآجال، وكم ممن يفجأه النَّوَال، ولم يكن يخطر له ببال. وصلى الله على خير خَلْقه من الملائكة والنَّبيين، وآلهم الطَّاهرين، وكَرَّم نبينا خاتم الأنبياء، وصحبه وآله سادة الأولياء، نِعْمَ الصَّحْبُ وحَبَّذا الآل.

أما بعد، فإنَّ في مطالعة كُتُب التواريخ مُعتبراً، وفي ذكرها عن الغرور بالدنيا مزدجراً، لاسيما إذا ذُكِرَ بعضُ من مات في كلِّ عام من المعارف والإخوان، والأقارب والجيران، وذوي الثروة والسُّلْطان، فإنَّ ذلك مما يزهِّد ذوي البصائر في الدُّنيا، ويرغبهم في العمل للحياة العُلْيا، والاستعداد لما هم ملاقوه، والإقلاع عمّا هم عن قليلٍ مفارِقُوه.

وكان قد سَهَّل الله تعالى عليَّ، وحَبَّب إليَّ أنْ جمعتُ في «كتاب الرَّوْضتين»، كثيراً من الحوادث الواقعة في زمن الدَّوْلتين النورية والصَّلاحية ـ سقى الله عهدَهما، وأصلَحَ ما بعدَهما ـ وانتهى ذلك إلى السَّنة التي توفي فيها صلاحُ الدِّين رحمه الله تعالى، وهي سنةُ تسعٍ وثمانين وخمس مئة، وذكرتُ تبعاً لذلك أشياء مفرَّقة فيما يتعلق بأحوال أولاده، ومن يتعلَّق بهم.

ثم خطر لي أن أجمع كتاباً يتضمَّنُ كثيراً من الحوادث بعد ذلك إلى آخر ما تدركه حياتي ـ خَتَمَها الله بالعمل الصَّالح والفعل الرَّابح ـ وكان مما حملني

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

على ذلك كثرةُ من يموت من المعارف، فأردتُ إثباتهم لعلي بمطالعتهم أجدُ قلباً على الآخرة يُساعِف.

ولقد بلغني أن بعضَ الوعَّاظ ببلاد المغرب وَعَظَ فقال كلاماً معناه: أيها النَّاس، كيف حالكم لو أن السلطان نادى فيكم أنه عازم [على][1] أن يقتل منكم كل يوم جماعة، أما كانت الأرض عليكم تضيق؟ وحَسِبَ كل أحد أنه في غدٍ من ذلك الفريق؟ فكيف لا تقلقون[2]؟ وهذا الموت يأخذ منكم كل يوم ما تشاهدون، وأنتم في غفلةٍ، أفلا تعقلون؟ قال: فأكثَرَ النَّاسُ من البكاء، ثم ما أغنى ذلك شيًّا، فيالها موعظة لو صادفتْ قلباً حَيًّا.

فاستخرتُ الله تعالى، وابتدأتُ من سنة تسعين التي تتلو سنة وفاة صلاح الدين، فذكرتُ فيها وفيما بعدها ما فاتني ذكره في «كتاب الروضتين» سنة بعد سنة.

ونسألُ اللهَ الكريمَ بفَضْلِهِ مَحْوَ السَّيِّئة وتضعيفَ الحَسَنَة، وسمَّيْتُه «المُذَيَّل[3] على الرَّوْضتين» من أول سنة تسعين على ترتيبِ السنين.

[سنة تسعين وخمس مئة][4]

٦ ففيها استعادت الفرنج ـ خذلهم الله ـ حِصْن جُبيل بمعاملة من كردي فقيه كان فيه في مستهل صفر.

وفيها وصل العزيز بن صلاح الدين من مِصْر لأخذ الشَّام[5]، ووصل العادل

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و(س).

(٢) في (س): لا تعقلون.

(٣) انفردت نسخة (س) وهي نسخة سقيمة بتسميته «الذيل على الروضتين».

(٤) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا للإيضاح.

(٥) في (س) زيادة: وأقام يحاصرها عشرة أشهر، وقطع الماء عنها.

قلت: وهي زيادة لا تصح، إذ لم يستمر حصارها إلا نحو شهرين، انظر «كتاب الروضتين» ٤/ ٤٢٢، و«مفرج الكروب» ٣/ ٢٩ ـ ٣٠.

من الشَّرْق، واجتاز بحلب، وصَعِدَ إلى قلعتها، وبات بها، واستخلص دُلْدُرُم[١] وبني عمه كبراء الياروقية من اعتقال الظَّاهر صاحبها. ثم سار إلى دمشق مُعيناً لأخيه الأفضل، فأصلح بينهما على أن للعزيز من بَيْسان إلى أُسوان. وقدم الظَّاهر من حلب أيضاً، ثم عاد كلٌّ إلى بلاده، وتزوج العزيز بابنة عمه العادل[٢].

وفيها كانت محنة الشيخ أبي الفَرَج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي الواعظ، وُشي به إلى الخليفة النَّاصر أحمد بن المستضيء بأمرٍ[٣] اختلفوا فيه، وكان الزمان صيفاً. فبينا هو جالسٌ في السِّرْداب يكتب، جاءه[٤] من أسمعه غليظَ الكلام، وختم على كتبه وداره، وشتَّت عِيالَهُ. فلما كان أول الليل حملوه في سفينة، وحَدَرُوه إلى واسط، فأقام خمسة أيام ما أكل طعاماً إلى واسط ـ وكان قد قارب ثمانين سنة ـ فأقام في دارٍ بدرب الدِّيوان، وعلى بابه بوَّاب، فكان يَخْدُمُ نَفْسَه؛ يغسل ثوبه، ويطبخ ويستقي الماء من البئر، ولم يدخلِ الحمامَ مُدَّة خمس سنين مُقامَهُ بواسط. ولما عاد إلى بغداد كان يقول: قرأتُ بواسط مُدَّة مُقَامي كل يوم ختمة ما قرأت فيها سورة يوسف من حُزْني على ولدي يوسف. وكان يكتب إلى بغداد أشعاراً كثيرة[٥].

---

(١) في الأصل و(ع) و(ك) و(س) ولديه، وهو تحريف، والمثبت من (ب)، وانظر «كتاب الروضتين» ٤/ ٤٢٥.

(٢) في (س) زيادة: وأخذ الملك الأفضل من الفرنج في هذه السنة جبلة واللاذقية.

قلت: وهي زيادة لا تصح كذلك، إذ إن جبلة واللاذقية كانتا من فتوح صلاح الدين سنة (٥٨٤هـ)، انظر «كتاب الروضتين» ٤/ ١٧ ـ ٢٥.

(٣) في الأصل و(ع): بأمر الله، وهو سبق قلم، والمثبت من (ب) و(س).

(٤) هو الركن عبد السلام بن عبد الوهاب بن عبد القادر، وسيأتي ذكره في حوادث سنة (٦٠٣ هـ).

(٥) «مرآة الزمان» (حوادث سنة ٥٩٠ هـ).

وفيها توفي القزويني الواعظ، واسمه أحمد بن إسماعيل بن يوسف، وكنيته أبو الخير الشَّافعي[(١)].

تفقَّه بنيسابور على محمد بن يحيى صاحب الغزَّالي، وسَمِعَ بها وبغيرها الحديث من أبي عبد الله الفُراوي، وأبي القاسم الشَّحَّامي، وأبي محمد البيهقي وغيرهم. وكان عالماً بالتفسير والفقه، متعبِّداً، وكان يَخْتِمُ القرآن كلَّ يوم مرَّة.

ولد بقزوين سنة اثنتي عشرة وخمس مئة، وقدم بغداد حاجّاً سنة خمس وخمسين وخمس مئة فوعظ بالنظامية، ومال إلى مذهب الأشعري رحمه الله، وجلس يوم عاشوراء، فقيل له: العن يزيدَ بنَ معاوية. فقال: ذاك إمام مجتهد. فجاءه الآجُرُّ، فكاد يُقتل، فسقط عن المِنْبر، وأُدخل بيتاً في النظامية، ثم أخرجوه إلى قَزْوين[(٢)]، فمات بها في المحرَّم[(٣)].

وفيها قُتِلَ السُّلْطان طُغْرِيل شاه بن أرسلان شاه بن طُغريل شاه بن محمد بن مَلِكْشاه[(٤)].

---

(١) له ترجمة في الأنساب للسمعاني ٨/ ١٧٨ ـ ١٧٩، رحلة ابن جبير: ٢٦٩ ـ ٢٧١، اللباب لابن الأثير: ٢/ ٢٦٩، مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٠ هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٢٠٠ ـ ٢٠٢، مشيخة النعال: ١١٦ ـ ١١٨، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ١٩٠ ـ ١٩٣، العبر للذهبي: ٤/ ٢٧١ ـ ٢٧٢، المختصر المحتاج إليه: ١/ ١٧٤ ـ ١٧٦ (وفيه وفاته سنة ٥٨٩ هـ، نقلاً عن ابن النجار)، والوافي بالوفيات: ٦/ ٢٥٣ ـ ٢٥٥ (وفيه وفاته سنة ٥٨٩ هـ)، طبقات الشافعية للسبكي: ٦/ ٧ ـ ١٣، البداية والنهاية (وفيات سنة ٥٩٠ هـ)، غاية النهاية: ١/ ٣٩، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٣٤، طبقات المفسرين للداودي: ١/ ٣١ ـ ٣٢، شذرات الذهب: ٤/ ٣٠٠ ـ ٣٠١.

(٢) ساق نحو هذا الخبر الموفق عبد اللطيف البغدادي ـ وهو ممن قرأ عليه ـ ونقله عنه الذهبي في السير ٢١/ ١٩٣، قال فيه: فالتمس العامة منه على المنبر يوم عاشوراء أن يلعن يزيد، فامتنع، فهموا بقتله مرات، فلم يُرَع ولا زل، وسار إلى قزوين.

(٣) يفهم من سياق هذا الخبر أنه بقي في بغداد إلى ما قبل وفاته بقليل، والصحيح أنه رجع إلى بلده قزوين سنة (٥٨٠ هـ)، فأقام بها حتى وفاته هذه السنة. انظر «المختصر المحتاج إليه»: ١/ ١٧٥.

(٤) له ترجمة في الكامل لابن الأثير: ١٢/ ١٠٦ ـ ١٠٨، مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٠ هـ)، سير =

وهو آخر الملوك السَّلْجوقية سوى صاحب الرُّوم، وهو الذي كان كسر عسكر الخليفة على هَمَذَان؛ وكان طغريل قد بعث إلى الخليفة يطلب السَّلْطنة، فأرسل إليه جيشاً مقدَّمه وزيره ابن يونس، فكسرهم طغريل، ومزَّقهم كل ممزَّق، وأُخذ ابنُ يونس وكان محلوق الرأس، فأحضروه بين يدي السُّلْطان، وألبسوه طُرْطوراً أحمر فيه جُلاجل[1]، وجعل يضحك عليه، وذلك سنة أربعٍ وثمانين وخمس مئة، فهابه الملوك.

ثم إنَّ خوارزم شاه سار إليه في عساكره، فالتقيا على الرَّي، فقتل، وقُطع رأسه، وبعث به إلى بغداد، فدخلوا به في جمادى الأولى على خشبةٍ، وكوساتُهُ مشقَّقة وسَنْجقه وراءه مكسور منكس ـ وكان من أحسن الناس صورةً ـ [وعُلِّق رأسه بباب النوبي][2]، ثم رُدَّ إلى خزانة الرؤوس، فجاءت فأرة فأكلت أنفه وأذنيه، وبقي الرأس إلى سنة إحدى وست مئة، فوقع حريقٌ في خزانة الرؤوس، فاحترق الجميع.

وكان عِدَّة الملوك السلجوقية نيفاً وعشرين ملكاً، أولهم طُغْرُلْبَك الذي أعاد القائم إلى بغداد، وآخرهم هذا. ومُدَّة ملكهم مئة وستون سنة[3].

= أعلام النبلاء: ٢١/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨، العبر للذهبي: ٤/ ٢٧٢، الوافي بالوفيات: ١٦/ ٤٥٦ ـ ٤٥٧، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٣٤ ـ ١٣٦، شذرات الذهب: ٤/ ٣٠١.

(١) الجلاجل: الجرس الصغير. «معجم متن اللغة»: ١/ ٥٥٩.

(٢) ما بين حاصرتين من مرآة الزمان: وهي زيادة ضرورية لفهم سياق الخبر.

(٣) انفردت نسخة (ب) عقب هذا الخبر بزيادة: «ذكر شيخنا عز الدين بن الأثير في «تاريخه» [١٢/ ١٠٧ ـ ١٠٨] في سنة تسع وثمانين وخمس مئة في الفصل المتضمن قتل السلطان طغرل، وملك خوارزم شاه الري، ووفاة أخيه سلطان شاه، قال: فلما دخلت سنة تسعين وخمس مئة قصد السلطان طغرل بلد الري، فأغار على من به من أصحاب خوارزم شاه، فقصده خوارزم شاه من نيسابور إلى جهة الري، وكانت عساكر طغرل متفرقة، فلم يقف ليجمعها، بل سار إليه فيمن معه، فقيل له: إن الذي تفعله ليس برأي، والمصلحة أن تجمع العساكر. فلم يقبل، وكان فيه شجاعة، بل تمم مسيره، فالتقى العسكران، فاحتاطوا به، =

٧ **وفيها** في جمادى الآخرة توفي بالقاهرة الشيخ الشَّاطبي[(١)]، العالم الزَّاهد، ناظم القصيدة في القراءات السَّبْع رحمه الله، ودُفِنَ بالقَرَافة بالقُرْب من التُّرْبة الفاضلية بساريةٍ[(٢)]، وقد زرتُ قبره. وشاطبة المنسوب هو إليها مدينةٌ بالمغرب شرق الأندلس.

أخبرني شيخنا أبو الحسن علي بن محمد[(٣)] رحمه الله، أن سبب انتقاله من بلاده إلى الدِّيار المِصْرية أنه أُريد على أن يتولَّى الخطابة بها، فاحتجَّ بأنه قد وجب عليه الحج، وأنه عازمٌ عليه، فتركها ولم يرجع إليها تورعاً مما كان

= وألقوه عن فرسه، وقتلوه في الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة تسعين وخمس مئة.
قلت: وهذا خوارزم شاه وهو علاء الدين تكش والد السلطان محمد».

قال إبراهيم عفا الله عنه: هذه الزيادة هي من أحد العلماء الذين قرؤوا المذيل، ضمنها الناسخ في المتن، والذي يقطع بذلك انفراد نسخة (ب) في إيرادها، ثم إن أبا شامة لم يذكر أنه سمع من ابن الأثير، ولم يذكره في شيوخه حين ترجم له في وفيات سنة (٦٣١ هـ)، بل إنه لم يقتبس من «كامله» أي خبر في كتابه هذا، وانظر ص ٢٠٧ من هذا الجزء.

ثم إن كاتبها تعقب أبا شامة في الحاشية رقم ٢ ص٢٠ من الجزء الثاني، معتمداً في تعقبه على شيخه ابن الأثير، مما يقطع أن هذه الزيادة ليست من أبي شامة.

(١) هو أبو القاسم وأبو محمد القاسم بن فِيْرُّه بن خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي، وقال الذهبي في «السير» ٢١/ ٢٦٢: من كناه أبا القاسم كالسخاوي وغيره لم يجعل له اسماً سواها، والأكثرون على أنه أبو محمد القاسم.

وقد ولد سنة (٥٣٨ هـ)، ودخل مصر سنة (٥٧٢ هـ).

وله ترجمة في معجم الأدباء: ١٦/ ٢٩٣ ـ ٢٩٦، وإنباه الرواة: ٤/ ١٥٤ ـ ١٥٦، التكملة للمنذري: ١/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨، وفيات الأعيان: ٤/ ٧١ ـ ٧٣، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٢٦١ ـ ٢٦٤، العبر للذهبي: ٤/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤، معرفة القراء الكبار: ٣/ ١١١٠ ـ ١١١٥، الوافي بالوفيات: ٢٤/ ١٤٦ ـ ١٤٨، نكت الهميان: ٢٢٨ ـ ٢٢٩، طبقات الشافعية للسبكي: ٧/ ٢٧٠ ـ ٢٧٢، البداية والنهاية: (وفيات سنة ٥٩٠ هـ)، الديباج المذهب: ٢/ ١٤٩ ـ ١٥١، غاية النهاية: ٢/ ٢٠ ـ ٢٣، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٣٦، حسن المحاضرة: ١/ ٤٩٦ ـ ٤٩٧، بغية الوعاة: ٢/ ٢٦٠، وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٣٩ ـ ٤٢، نفح الطيب: ٢/ ٢٢ ـ ٢٥، شذرات الذهب: ٤/ ٣٠١ ـ ٣٠٣.

(٢) سارية، اسم التربة. انظر «إنباه الرواة»: ٤/ ١٥٦.

(٣) هو علم الدين السخاوي.

يلزمون به الخطباء من ذكرهم على المنابر بأوصافٍ لم يرها سائغة شرعاً. وصبر على فقرٍ شديد، وسمع بالإسْكندرية على الحافظ أبي طاهر السِّلَفي، ثم قدم القاهرة، فطلبه القاضي الفاضل للإقراء بمدرسته، فأجاب بعد شروط اشترطها عليه على ما كان فيه من الفقر. وقدم بيت المقدس زائراً قبل موته بثلاث سنين، فصام به شهر رمضان، واعتكف عند الصخرة. قال لي الشيخ أبو الحسن: سمعته وقد جاءه رجلٌ يودِّعه، والرجل عازمٌ على المسير إلى القدس، فقال ذَكَرَ اللهُ ذلك الموضع عنا بخير. وقال: ما أعلم موضعاً أقرب إلى السماء منه بعد مكة والمدينة. قال الشيخ: فَعَلِمْتُ أنه رُزِقَ ثَمَّ قبولاً. وقال: أقطع بأنه كان مكاشفاً، وأنه سأل الله تعالى كتمانَ حاله، ما كان أحدٌ يعلم أيَّ شيء هو.

قلتُ: وقد ذكرتُ طرفاً صالحاً من أخباره وأوصافه في أوّلِ شَرْحي الكبير[1] لقصيدته الكبرى، وأخبرني عنه جماعةٌ من أصحابه، رحمهم الله تعالى.

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين [وخمس مئة][2]

ففيها قَدِمَ العزيزُ بنُ صلاح الدِّين إلى الشَّام مرَّةً ثانية، فنزل على الفَوَّار في شهر رمضان، ثم رحل منه إلى مِصْر لمّا سمع بقدوم العساكر مع عمه العادل وأخيه الأفضل، فرحل عائداً إلى مصر، وتبعاه إلى القاهرة، وخرج الفاضل فأصلح الحال، فدخل العادلُ مِصْرَ مع العزيز، ورجع الأفضل إلى الشَّام.

(١) شرح أبو شامة قصيدة الشاطبي «حرز الأماني» شرحين: شرحه الكبير وهو الذي يشير إليه هنا، ولم يتمه، وقد بلغ فيه باب الهمزتين من كلمة، وقد جاء في نحو مجلدة، ثم فكر في قصور الهمم، فشرع في اختصاره، وسماه «إبراز المعاني من حرز الأماني»، وهو المطبوع بمصر في مكتبة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م بتحقيق إبراهيم عطوة عوض، ولم يورد فيه أبو شامة إلا خبراً موجزاً عن الشاطبي لا يعدو ذكر ولادته ووفاته، انظر المقدمة منه ص ٨.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا للإيضاح.

يلزمون به الخطباء من ذكرهم على المنابر بأوصافٍ لم يرها سائغة شرعاً. وصبر على فقرٍ شديد، وسمع بالإسْكندرية على الحافظ أبي طاهر السِّلَفي، ثم قدم القاهرة، فطلبه القاضي الفاضل للإقراء بمدرسته، فأجاب بعد شروط اشترطها عليه على ما كان فيه من الفقر. وقدم بيت المقدس زائراً قبل موته بثلاث سنين، فصام به شهر رمضان، واعتكف عند الصخرة. قال لي الشيخ أبو الحسن: سمعته وقد جاءه رجلٌ يودِّعه، والرجل عازمٌ على المسير إلى القدس، فقال ذَكَرَ اللهُ ذلك الموضع عنا بخير. وقال: ما أعلم موضعاً أقرب إلى السماء منه بعد مكة والمدينة. قال الشيخ: فَعَلِمْتُ أنه رُزِقَ ثَمَّ قبولاً. وقال: أقطع بأنه كان مكاشفاً، وأنه سأل الله تعالى كتمانَ حاله، ما كان أحدٌ يعلم أيَّ شيء هو.

قلتُ: وقد ذكرتُ طرفاً صالحاً من أخباره وأوصافه في أوّلِ شَرْحي الكبير[1] لقصيدته الكبرى، وأخبرني عنه جماعةٌ من أصحابه، رحمهم الله تعالى.

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين [وخمس مئة][2]

ففيها قَدِمَ العزيزُ بنُ صلاح الدِّين إلى الشَّام مرَّةً ثانية، فنزل على الفَوَّار في شهر رمضان، ثم رحل منه إلى مِصْر لمّا سمع بقدوم العساكر مع عمه العادل وأخيه الأفضل، فرحل عائداً إلى مصر، وتبعاه إلى القاهرة، وخرج الفاضل فأصلح الحال، فدخل العادلُ مِصْرَ مع العزيز، ورجع الأفضل إلى الشَّام.

(1) شرح أبو شامة قصيدة الشاطبي «حرز الأماني» شرحين: شرحه الكبير وهو الذي يشير إليه هنا، ولم يتمه، وقد بلغ فيه باب الهمزتين من كلمة، وقد جاء في نحو مجلدة، ثم فكر في قصور الهمم، فشرع في اختصاره، وسماه «إبراز المعاني من حرز الأماني»، وهو المطبوع بمصر في مكتبة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م بتحقيق إبراهيم عطوة عوض، ولم يورد فيه أبو شامة إلا خبراً موجزاً عن الشاطبي لا يعدو ذكر ولادته ووفاته، انظر المقدمة منه ص ٨.

(2) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا للإيضاح.

وفيها حجَّ بالنَّاس من بغداد سنجر النَّاصري، ومن الشام سراسُنْقُر، وأيبك فطيس الصَّلاحيان، ومن مِصْر الشريف إسماعيل بن ثعلب الجَعْفري، من ولد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.

وفيها كانت بالمغرب وقعةُ الزلاقة[1]، وكانت وقعة عظيمة بين يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وبين الفنش ملك طُلَيْطُلة، وكان الفنش قد استولى على جزيرة الأندلس، وقَهَرَ ولاتها، وكان يعقوب ببرِّ العُدْوة مشغولاً عن نُصْرتهم بالخوارج الخارجين عليه، وبينه وبين الأندلس زُقاق سَبْتَة، وعَرْضُه ثلاثة فراسخ، ويحتاج في عبوره إلى مشقَّةٍ عظيمة، وطمع الفنش في المسلمين بهذا السبب، وكتب الفنش إلى يعقوب ينخيه في الدخول إليه[2]، فسار إلى زُقاق سبتة، فنزل عليه، وجمع الشَّواني، والمراكب، وعَرَضَ جُنْده فكانوا مئتي ألف مقاتل، مئة ألف يأكلون الديوان، ومئة ألف مطوعة، وعبر الزقاق إلى مكانٍ يقال له الزلاقة، وجاءه الفنش في مئتي ألف وأربعين ألفاً من أعيان الفرنج والمقاتلة، والتقوا، فنصر الله المسلمين، وهرب الفنش في نفرٍ يسير إلى طُلَيْطُلة، وغَنِمَ المسلمون ما كان في عسكره، فكان عِدَّةُ من قُتِلَ من الفرنج مئة ألف وستةً وأربعين ألفاً، وعِدَّةُ الأسارى ثلاثون ألفاً، ومن الخيام مئة ألف خيمة وخمسون ألفاً، ومن الخيل ثمانون ألفاً، ومن البغال مئة ألف، ومن ٨

---

(١) كذا قال، وهو وهم منه تابع فيه سبطَ ابن الجوزي في «مرآة الزمان»، والصواب أنها وقعة الأَرَك، أما الزلاقة فهي وقعة أخرى كانت سنة (٤٧٩ هـ)، وبطلها يوسف بن تاشفين، وهما أختان فيما ألحقتاه من هزيمة منكرة بجيوش النصارى في الأندلس.
انظر عن معركة الأرك: المعجب: ٤٠٤ ـ ٤٠٦، والكامل: ١٢/ ١١٣ ـ ١١٦، وعصر المرابطين والموحدين لعبد الله عنان: القسم الثاني ص ١٩٧ ـ ٢١٤.
وعن معركة الزلاقة: المعجب: ١٩٥ ـ ١٩٩، والكامل: ١٠/ ١٥١ ـ ١٥٥، وكتاب دول الطوائف لعبد الله عنان: ٣٢٠ ـ ٣٣٢.

(٢) في (س): في العبور إليه.
وانظر كتاب الفنش إلى يعقوب في «مرآة الزمان» (حوادث سنة ٥٩١ هـ) بتحقيقي.

الحمير أربع مئة ألف حمار، تحمل أثقالهم لأنهم لا جِمالَ عندهم، ومن الأموال والجواهر والثياب ما لا يُعَد[1] ولا يحصى، وبيع الأسير بدِرْهم، والسيف بنصف درهم، والحصان بخمسة دراهم، والحمار بدرهم. وقسم يعقوب الغنائم بين المسلمين على مقتضى الشريعة، فاستغنوا إلى الأبد.

ووصل الفنش طليطلة على أقبح حال، فحلق رأسه ولحيته، ونكسَّ صليبه، وآلى أن لا ينام على فراش، ولا يقرب النساء، ولا يركب فرساً ولا دابةً حتى يأخذ بالثأر، وأقام يجمع من الجزائر والبلاد ويستعد.

وقيل: إنما كانت هذه الواقعة في سنة تسعين وخمس مئة، والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين [وخمس مئة][2]

ففيها نُقِلَ تابوتُ صلاح الدين رحمه الله من القلعة إلى التربة المستجدَّة له شمالي الجامع.

وفيها قدم العزيز إلى الشَّام مرة ثالثة مع العادل، ونزلا على جسر الخشب، وانفصل الحال على أن خرج الأفضل منها إلى صَرْخَد، وتسلَّمها العزيز، وسلَّمها إلى عمه العادل، وأسقط مكوسها، والخُطْبةُ والسِّكَّة باسم العزيز. وأُخذت قلعة بُصْرى من الظافر خضر بن صلاح الدين، ورجع العزيز إلى مصر.

وفيها حَجَّ من مصر الشريف ابن ثعلب وجماعةٌ من الأعيان، وأنفق أموالاً كثيرة.

وفيها بعد خروج الحاج من مكة هَبَّت ريح سوداء عَمَّتِ الدُّنيا، ووقع على الناس رملٌ أحمر، ووقع من الرُّكْن اليماني قطعةٌ، وتجرَّد[3] البيتُ الحرام مراراً.

---

(١) في (س): ما لا يحد.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا للإيضاح.

(٣) في «مرآة الزمان»: وتحرك.

الحمير أربع مئة ألف حمار، تحمل أثقالهم لأنهم لا جِمالَ عندهم، ومن الأموال والجواهر والثياب ما لا يُعَد[1] ولا يحصى، وبيع الأسير بدِرْهم، والسيف بنصف درهم، والحصان بخمسة دراهم، والحمار بدرهم. وقسم يعقوب الغنائم بين المسلمين على مقتضى الشريعة، فاستغنوا إلى الأبد.

ووصل الفنش طليطلة على أقبح حال، فحلق رأسه ولحيته، ونكسَّ صليبه، وآلى أن لا ينام على فراش، ولا يقرب النساء، ولا يركب فرساً ولا دابةً حتى يأخذ بالثأر، وأقام يجمع من الجزائر والبلاد ويستعد.

وقيل: إنما كانت هذه الواقعة في سنة تسعين وخمس مئة، والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين [وخمس مئة][2]

ففيها نُقِلَ تابوتُ صلاح الدين رحمه الله من القلعة إلى التربة المستجدَّة له شمالي الجامع.

وفيها قدم العزيز إلى الشَّام مرة ثالثة مع العادل، ونزلا على جسر الخشب، وانفصل الحال على أن خرج الأفضل منها إلى صَرْخَد، وتسلَّمها العزيز، وسلَّمها إلى عمه العادل، وأسقط مكوسها، والخُطْبةُ والسِّكَّة باسم العزيز. وأُخذت قلعة بُصْرى من الظافر خضر بن صلاح الدين، ورجع العزيز إلى مصر.

وفيها حَجَّ من مصر الشريف ابن ثعلب وجماعةٌ من الأعيان، وأنفق أموالاً كثيرة.

وفيها بعد خروج الحاج من مكة هَبَّت ريح سوداء عَمَّتِ الدُّنيا، ووقع على الناس رملٌ أحمر، ووقع من الرُّكْن اليماني قطعةٌ، وتجرَّد[3] البيتُ الحرام مراراً.

---

(١) في (س): ما لا يحد.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا للإيضاح.

(٣) في «مرآة الزمان»: وتحرك.

وفيها في غُرَّة شعبان كَسَرَ عسكرٌ لخوارزم شاه الأحول والد علاء الدين محمد ـ وكان مقدمه مملوكاً له ـ عسكراً للخليفة في عشرين ألفاً مقدمه ابن القَصَّاب وزير الخليفة أشنع من كسرة ابن يونس؛ عادوا إلى بغداد عرايا جياعاً، وقطع رأس الوزير، وبعث به وبأعلام الخليفة والخزائن. وكانت الكسرة على باب هَمَذَان.

وكان خوارزم شاه قد قطع جيحون في خمسين ألفاً، ثم وصل هَمَذَان، وشحن على البلاد إلى باب بغداد، وبعث إلى الخليفة يطلب السلطنة، وإعادة دار السلطنة إلى ما كانت، ويجيء إلى بغداد، ويكون الخليفة من تحت يده كما كانت السَّلْجوقية، فانزعج الخليفة وأهل البلد، وغلتِ الأسعار.

وقيل: إن خوارزم شاه توفي في هذه السنة، وقيل: في سنة ستٍّ وتسعين كما سيأتي.

وفيها كانت وقعة أُخرى ليعقوب بن يوسف مع الفنش، وكان الفنش قد جَنَّد وجمع جمعاً أكثر من الأول، والتقوا، فهزمه يعقوب، وساق خلفه إلى طُلَيْطُلة، وضربها بالمجانيق، وضيَّق عليها، ولم يبق إلا فَتْحُها، فخرجت إليه والدة الفنش وبناتُهُ ونساؤه وأهلهُ، وبكين بين يديه، وسأَلْنَهُ إبقاء البلد عليهن. فَرَقَّ لهنَ، ومَنَّ عليهن به، ووهَبَ لهنَّ المال والجواهر، وَرَدَّهُنَّ مُكَرَّماتٍ بعد القُدْرة، ولو فتح طليطلة لفتح إلى مدينة النحاس[1]. وعاد إلى قرطبة، فأقام شهراً يقسم الغنائم، وجاءته رسل الفنش يسأله الصُّلْح، فصالحه مُدَّة، وأَمِنَ أهلُ الأندلس.

---

(١) هي مدينة خيالية، ذكرها المسعودي في «مروج الذهب»، وذكر أن موسى بن نصير قد فتحها، بيَّن ذلك ونقضه ابن خلدون في «المقدمة»: ١/ ٣٣٠، وانظر ما ساقه القصاص في أخبارها في «ألف ليلة وليلة»: ٣/ ١٤١ (طبعة بولاق)، وفي إيراد سبط ابن الجوزي لها، ومتابعة أبي شامة له ما يدل على أنها كانت شائعة حتى عصرهما!

وقيل: إن هذه الوقعة كانت سنة إحدى وتسعين.

وفيها توفي عبد الله[1] بن المُظَفَّر بن هبة الله بن رئيس الرؤساء، ويلقب بالأثير، وَجدُّه هبة الله هو الوزير الذي قتلته الباطنية وهو خارج إلى الحج في أيام المستضيء[2]، وكان عبد الله فاضلاً عاقلاً، ومن شِعْره:

إنْ حاولَ الدَّهْرُ إخفائي فإنَّ له   في حبسيَ الآن سِرّاً سوف يُبْديهِ
أعدَّني للعُلا ذُخْراً ومَنْ ذَخَرَتْ   يداه في الدَّهْرِ شيئاً فَهْوَ يُخْفيهِ[3]

وفيها توفي محمد بن أحمد بن يحيى، أبو منصور، ويعرف بابن ناقة[4]، ٩ ولد بالكوفة سنة ثلاثين وخمس مئة، واشتغل بالأدب، ومات ببغداد، وحمل إلى الكوفة.

وكان أبوه فاضلاً أيضاً[5]، فمن شِعْر أبيه:

وكم شامتٍ بي إنْ هَلَكْتُ بزَغْمِهِ   وجاذبِ سَيْفٍ عند ذِكْرِ وَفاتي
ولو عَلِمَ المسكينُ ماذا يُصيبه   من الذُّلِّ بَعْدِي ماتَ قَبْلَ مماتي

---

(١) في النسخ الخطية: عبيد الله ـ بالتصغير ـ وهو تحريف.
وله ترجمة في خريدة القصر، قسم شعراء العراق ج٢ / ١٥٠ ـ ١٦٢، ومرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٢ هـ)، والتكملة للمنذري: ١/ ٢٤٤، ويقال: إنه توفي ٥٩٣، المختصر المحتاج إليه: ٢/ ١٦٩ ـ ١٧٠، الوافي بالوفيات: ١٧/ ٦٢٦ ـ ٦٢٧.

(٢) كذا قال، وهو وهم، والصواب أن وزير المستضيء المقتول هو أبو الفرج محمد بن عبد الله ابن هبة الله بن مظفر ابن الوزير الكبير أبي القاسم بن المسلمة، وقد قتل سنة (٥٧٣ هـ)، انظر «كتاب الروضتين»: ٢/ ٤٨١.

(٣) البيتان في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ٢/ ١٥٧.

(٤) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٢ هـ)، والتكملة للمنذري: ١/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠، والمختصر المحتاج إليه: ١/ ١٥ (وعندهما وفاته سنة ٥٩٣ هـ).
وهو منسوب إلى بني مُسْلِية، وهي إحدى محال الكوفة، نزلها بنو مسلية القبيلة المشهورة من مَذْحِج، فَنُسبت إليهم. انظر «التكملة»: ١/ ٢٨٠.

(٥) توفي والده سنة (٥٥٩ هـ)، له ترجمة في الوافي بالوفيات: ٨/ ٢٣١ ـ ٢٣٢.

وفيها قُتِلَ الوزير ابنُ القَصَّاب المقدَّم ذكره، وهو أبو الفَضْل محمد بن علي بن أحمد، ولقبه مُؤَيَّد الدين[١]، أصلهُ من شيراز، وقدم بغداد سنة أربعٍ وثمانين، واستخدم في ديوان الإنشاء، ثم ترقَّى إلى الوزارة، وقرأ الأدب على أبي السَّعادات بن الشَّجَري. وكان داهيةً، له خِبْرَةٌ بأمور الحرب، وفَتْحِ البلاد، وكان النَّاصر الخليفة يثني عليه، ويقول: لو قبلوا من رأيه ما جرى ما جرى. ولقد أتعب الوزراء بعده.

وكان الخليفة قد سَلَّم إليه ابنَ يونس أستاذ الدار لما قَبَضَ عليه، فسلَّمه ابنُ القَصَّاب إلى ولده أحمد. ولما خرج عن بغداد كتب الوزير إلى ابنه أحمد، وهي له:

يا خازنَ النَّار خُذْ إليك أبا السَّـ ـائب جِلْفَ الفُضُول والحُمُقِ
ولا تَكِلْهُ إلى زبانيةٍ يأخُذُهُمْ بالخِدَاع والمَلَقِ
فلستَ تدري أيّ ابنِ زانية عندكَ ملقًى في القِدِّ والحَلَقِ

وقيل: إن رأس المُؤَيَّد بن القصَّاب دفن بالرَّي بعد أن طافوا به البلاد.

ومن العجائب أنه وصل خبره مع الركابية إلى بغداد يوم الجمعة رابع عشر شعبان، وقد اجتمع على باب ولده شمس الدين أحمد أربابُ الدولة ليعبروا في خدمته إلى تربة الخِلاطية نيابةً عن أبيه، فجاء خادمٌ من عند الخليفة فَرَدَّ بابه، وصرف أرباب الدولة عن بابه، ونقل ابنه من دار الوزارة التي تقابل باب النوبي، وأسكنها ناصر بن مهدي.

---

(١) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ١٢٤، مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٢ هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٢٦٢، الفخري: ٣٢٤، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤، المختصر المحتاج إليه: ١/ ٩٦، الوافي بالوفيات: ٤/ ١٦٨ ـ ١٦٩، البداية والنهاية (وفيات سنة ٥٩٢ هـ)، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٣٩، شذرات الذهب: ٤/ ٣١١.
وذكر سبط ابن الجوزي في «المرآة» أنه مات قبل المعركة على باب همذان، وانظر سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٣٢٤.

وفيها توفي أبو شجاع محمد بن علي بن شُعَيْب بن الدَّهَّان، الفَرَضي، الحاسب، البغدادي[1]، كان فاضلاً، وصنَّف تاريخاً من سنة عشر وخمس مئة إلى هذه السنة، وكانت وفاته بالحِلَّة السَّيْفية.

وكان قَدِمَ الشَّام، ومَدَحَ الشَّيخ تاج الدين الكِنْدي ـ واسمه زيد بن الحسن ـ رحمهما الله بأبياتٍ حسنة، فقال:

يا زيدُ زادكَ ربي مِنْ مواهِبِهِ نعماءَ يَقْصُرُ عن إدراكِها الأَمَلُ[2]

لا بدَّلَ الله حالاً قد حَبَاك بها ما دار بين النُّحاةِ الحالُ والبَدَلُ

النحو أنتَ أَحَقُّ العالمين به أليسَ باسْمِكَ فيه تُضْرَب المُثُلُ

وفيها في رجب توفي ابنُ المعلِّم الشَّاعر، واسمه أبو الغنائم محمد بن علي ابن فارس الهُرْثيُّ[3] ـ والهُرْث بضم الهاء وسكون الرَّاء وآخره ثاء مثلثة: قرية تحت واسط في نهر جعفر بينها وبين واسط عشر فراسخ ـ توفي ابنُ المعلِّم بها، وأصله منها.

---

(١) له ترجمة في خريدة القصر، قسم شعراء العراق: ١/ ٣١٢ ـ ٣١٧، مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٢ هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٢١٤ ـ ٢١٥، طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة: ٦٥٩، وفيات الأعيان: ٥/ ١٢ ـ ١٣، العبر للذهبي: ٤/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥، الوافي بالوفيات: ٤/ ١٦٤ ـ ١٦٥، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٣٦ ـ ١٣٩، شذرات الذهب: ٤/ ٣٠٤، وانظر «كتاب الروضتين»: ٣/ ٢٣٠.

(٢) هذا البيت ليس في (ع) و(ك) و(س).

(٣) له ترجمة في خريدة القصر، قسم شعراء العراق مج٢ ج٤/ ٤٣٠ ـ ٤٤٩، معجم البلدان: ٥/ ٣٩٧، الكامل: ١٢/ ١٢٤، التكملة للمنذري: ١/ ٢٥٩، وفيات الأعيان: ٥/ ٥ ـ ٩، العبر للذهبي: ٤/ ٢٧٩، المختصر المحتاج إليه: ١/ ٩٥ ـ ٩٦، الوافي بالوفيات: ٤/ ١٦٥ ـ ١٦٨، البداية والنهاية (وفيات سنة ٥٩٢ هـ)، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٤٠، شذرات الذهب: ٤/ ٣١٠ ـ ٣١١.

وذكر العلامة مصطفى جواد في تعليقه على «المختصر المحتاج إليه» أن له ديوان شعر في مكتبة المتحف البريطاني، وفي خزانة الأستاذ كوركيس عواد قطعة منه.

وكان رقيق الشِّعْر، مليحَ المعاني، أكثر في الغَزَل، ووَصَفَ المحبة والشَّوق والصَّبابة فمالتِ القلوبُ إليه، ومولده سنة إحدى وخمس مئة، ومَدَح الأمراء والرؤساء والأعيان، وديوانه مشهور، ومِنْ شعره:

يا نازلين الحِمَى رِفْقاً بقَلْبِ فتًى ... إنْ صاحَ للبَيْنِ داعٍ باحَ مُضْمَرُهُ
لا تحسِبُوا الصَّدَّ عن عَهْدِي يُغَيِّرني ... غيري ملازمةُ البلوى تُغَيِّرُهُ
وما ذكرْتكُمُ إلا وَهِمْتُ جَوًى ... وآفةُ المُبْتَلَى فيكم تَذَكُّرُهُ
يزدادُ في مَسْمَعِي تكْرَارُ ذِكْرِكُمُ ... طِيْباً ويَحْسُنُ في عيني مُكَرَّرُهُ

وقال ابنُ المعلم: اجتزتُ ببغداد بباب بَدْر تحت منظرة الخليفة، وقد ازدحم النَّاس، فقلت: ما هذا؟ قالوا: الشيخ أبو الفرج بنُ الجوزي جالس. فزاحمتُ النَّاسَ حتى شاهدتُهُ وهو يَعِظ، فاستشهد بهذا البيت:

يزداد في مَسْمَعي تكرارُ ذِكْرِكُمُ

ثم قال: لقد أحسن ابنُ المعلم حيث يقولُ هذا البيت. فَعَجِبْتُ حيث اتفقَ حضوري وإنشاد الشيخ هذا الشِّعْر، ولم يعرفني هو ولا أحدٌ من الحاضرين.

وفيها في ثالث صفر توفي الفَخْر النُّوقاني[1] الشَّافعي، واسمه محمد بن أبي علي.

ولد سنة عشر وخمس مئة[2]، وتفقَّه على محمد بن يحيى صاحب الغَزَّالي،

(١) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ١٢٤، والتكملة للمنذري: ١/ ٢٤٠ ـ ٢٤١، وتكملة إكمال الإكمال لابن الصابوني: ٣٥١ ـ ٣٥٢، تلخيص مجمع الآداب: ٤/ترجمة ٢٣٨٩، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩، المختصر المحتاج إليه: ١/ ١٦٥، الوافي بالوفيات: ٤/ ١٧١، طبقات الشافعية للسبكي: ٧/ ٢٩، طبقات الشافعية للإسنوي: ٢/ ٤٩٩ ـ ٥٠٠، البداية والنهاية (وفيات سنة ٥٩٢ هـ)، توضيح المشتبه: ١/ ٤٦١، طبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٢١٢، والنوقاني، بضم النون وفتحها نسبة إلى إحدى مدينتي طوس.

(٢) كذا في النسخ الخطية، والذي في مصادر ترجمته أنه ولد سنة ست عشرة وخمس مئة، وهو الصواب.

وقدِمَ بغداد فاستوطنها، وولي تدريس مدرسة أم الخليفة المجاورة لتربتها عند قبر معروف[1]، وكان فاضلاً مناظراً، وله تصانيف وجدل. خَرَجَ حاجاً، وعاد إلى الكوفة وهو مريضٌ، فتوفي بها، ودفن بمشهد أمير المؤمنين.

وفيها توفي الصَّدْر ابنُ الخُجَنْدِي، واسمه محمد بن عبد اللطيف بن محمد، أبو بكر[2]، رئيس أصبهان وابن رئيسها، وبيتُهُ مشهور بالرِّياسة والتقدُّم والجاه العظيم.

قدم بغداد في سنة ثمانٍ وثمانين، فأنْعَمَ عليه الخليفة إنعاماً كثيراً، وقرَّبه، وخَلَعَ عليه واحترمه، وولاّه تدريس النِّظامية وأوقافها. فلما خرج الوزير ابنُ القَصَّاب إلى هَمَذَان خرج معه، ودخل معهم إلى أصبهان، وولَّى ابنُ القَصَّاب سُنْقُر الطويل أصبهان. وكان ابن الخُجَنْدي ليس على يدِهِ يَدٌ، فحسده سُنْقُر الطَّويل على مكانته، فَجَرَتْ بينهما مُنَافرة، وقيل: اتهموه بمكاتبة خوارَزْم شاه، فذبحوه.

وفيها توفي المُجِير مدرس النِّظامية، واسمه محمود بن المبارك بن علي بن المبارك، أبو القاسم[3].

---

(١) يعني معروف الكرخي، وهو من كبار زهاد عصره، انظر ترجمته في السير: ٩/ ٣٣٩ ـ ٣٤٥.

(٢) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ١٢٤، مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٢ هـ)، والتكملة للمنذري: ١/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣، المختصر في أخبار البشر: ٣/ ٩١ ـ ٩٢، البداية والنهاية (وفيات سنة ٥٩٢ هـ).
والخجندي، نسبة إلى خجند، بضم الخاء وفتح الجيم وسكون النون، وآخرها دال مهملة: مدينة كبيرة على طرف سيحون، ويقال لها خجندة أيضاً بزيادة تاء التأنيث. انظر التكملة للمنذري: ١/ ٢٥٣.

(٣) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ١٢٤، التكملة للمنذري: ١/ ٢٦٧، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦، العبر للذهبي: ٤/ ٢٨٠، المختصر المحتاج إليه: ٣/ ١٨٤، الوافي بالوفيات: ٢٥/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠، طبقات الشافعية للسبكي: ٧/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨، طبقات الشافعية للإسنوي: ١/ ٢٧١، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: ٢/ ٦٠ ـ ٦٢، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٤٠، الدارس: ١/ ٢٢٦، شذرات الذهب: ٤/ ٣١١، منادمة الأطلال: ٩٤. =

ولد في رمضان سنة سبع عشرة وخمس مئة، واشتغل بالأصولين والمذهب وعلم النَّظَر، والحساب، وبَرَعَ فيها، وقرأ على أبي الفتوح الإسفراييني وغيرِه، وسمع الحديث، وكان يتفقَّه أولاً على مَذْهب أحمد ابن حنبل، ثم انتقل إلى مذهب الشَّافعي رضي الله عنهما، وأُعطي تدريس النظامية، وخَرَجَ إلى هَمَذَان، فتوفي بها في ذي القَعْدَة، سمع قاضي المارَسْتان، وأبا القاسم بن السَّمَرْقَنْدِي، والأنماطي وغيرهم، وكان صالحاً دَيِّناً ثِقَةً.

وفيها توفي زعيم الدين بن النَّاقد، واسمه نَصْر بن علي ابن محمد، أبو طالب[1].

ولي حِجْبة الباب، ثم ولي صاحب ديوان [الإنشاء][2]، ثم ولي المخزن، وهو الملقَّب بقَنْبَر، وقيل: إنما لقب بقنبر لأنه صاد ولده قنبراً، وخبأه إلى جانب مسنده، فخرج القنبر، فصاح: قنبر قنبر، فلقب به. وكان إذا بلغه أن

= ونقل السبكي في «طبقات الشافعية» ٧/ ٢٨٧ عن ابن النجار أنه أعاد بالنظامية وهو شاب في أيام أبي النجيب السهروردي، ثم سافر إلى الشام، وأقام بدمشق مدة يدرس في عدة مواضع، ثم عاد إلى بغداد.

ونقل الذهبي في «السير» ٢١/ ٢٥٦ عن الموفق عبد اللطيف البغدادي، أنه بنيت له بدمشق المدرسة الجاروخية.

قال إبراهيم عفا الله عنه: لعله قدم دمشق نحو سنة ٥٣٨ هـ، وله واحد وعشرون سنة، وبنيت له الجاروخية نحو سنة ٥٣٩ هـ، ودرس بها إلى سنة (٥٤١ هـ) ثم عاد إلى بغداد، لأن أبا الفتح المصيصي درس بها بعده، وقد توفي سنة (٥٤٢ هـ)، ومن ثَمَّ فما قاله الشيخ عبد القادر بدران في «منادمة الأطلال»: ص ٩٤: والذي يظهر لي أن بناء الجاروخية كان في حدود التسعين وخمس مئة، هو غلط بيِّن.

وكانت الجاروخية شمالي جامع دمشق، فيما يعرف الآن بحارة السبع طوالع، وقد درست، وأصبحت داراً للسكنى، ولم يبق منها سوى حجارة يسيرة في أساس جدارها.

(١) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٢ هـ)، والتكملة للمنذري: ١/ ٢٥٨، والوافي بالوفيات: ٢٧/ ٧٣ ـ ٧٤.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

أحداً لقبه قنبر يسعى في هلاكه. وقيل: إنه كان يميل إلى التشيع، وكانت عمامته طويلة، فلقبه أهل باب الأزَج[1] قنبر ـ وهو ذَكَرُ العصافير ـ وكان إذا ركب صاحوا: قنبر قنبر. وقَرُبَ العيد، فأمره الخليفة بالركوب في صَدْر الموكب، فجمع العوام قنابر كثيرةً، وعزموا على أن يرسلوها حوله في الموكب، وقيل للخليفة: إن وقع هذا بقي الموكب هُتَكَة، فعزله، وولى أبا سعيد بن المعوج.

وفيها في جمادى الآخر وصل الخبر بوفاة سابق الدين عثمان صاحب شَيْزَر بها إلى دمشق، وعُمِلَ عَزَاؤه بالكَلَّاسة، وهو أحد أولاد الدَّاية الأربعة[2]، وأُمهم داية نور الدين بن زَنْكي، رحمه الله.

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين [وخمس مئة][3]

ففيها فَتَحَ الملك العادل يافا في شَوَّال بالسَّيْف، واستولى على مَنْ فيها قتلاً ونَهْباً وسَلْباً، ثم أمر بهدمها، فرميت حجارتها في البحر في ميناها.

ومن عجيب ما بلغني أنه كان في قلعتها من الخَيَّالة أربعون فارساً من الفرنج الغُرْب البحرية، فلما تحقَّقوا نَقْبَ القلعة وأَخْذَها دخلوا إلى كنيستها، وأغلقوا عليهم بابها، وتجالدوا بسيوفهم بعضُهم لبعض إلى أن هلكوا جميعاً، وكسر المسلمون الباب وهم يَرَوْن أنَّ الفرنج ممتنعون، فألفوهم قتلى عن آخرهم، فعَجِبُوا من حالهم. ١١

وفيها عاد الأُسطول المِصْري إلى القاهرة غانماً سبعين فارساً، بُذِلَ أحدُهم في فدائه ثمانين ألف دينار.

---

(١) في الأصل: الكرخ، وهو تحريف. وباب الأزج محلة كبيرة شرقي بغداد. «معجم البلدان»: ١/ ١٦١.

(٢) كذا قال، والصواب أنهم خمسة، عثمان هذا، وشمس الدين علي، وبدر الدين حسن، وبهاء الدين عمر، ومجد الدين وهو الأكبر. انظر «كتاب الروضتين»: ٢/ ٤٥.

(٣) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا للإيضاح.

أحداً لقبه قنبر يسعى في هلاكه. وقيل: إنه كان يميل إلى التشيع، وكانت عمامته طويلة، فلقبه أهل باب الأزَج[١] قنبر ـ وهو ذَكَرُ العصافير ـ وكان إذا ركب صاحوا: قنبر قنبر. وقَرُبَ العيد، فأمره الخليفة بالركوب في صَدْر الموكب، فجمع العوام قنابر كثيرةً، وعزموا على أن يرسلوها حوله في الموكب، وقيل للخليفة: إن وقع هذا بقي الموكب هُتَكَة، فعزله، وولى أبا سعيد بن المعوج.

وفيها في جمادى الآخر وصل الخبر بوفاة سابق الدين عثمان صاحب شَيْزَر بها إلى دمشق، وعُمِلَ عَزَاؤه بالكَلَّاسة، وهو أحد أولاد الدَّاية الأربعة[٢]، وأُمهم داية نور الدين بن زَنْكي، رحمه الله.

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين [وخمس مئة][٣]

ففيها فَتَحَ الملك العادل يافا في شَوَّال بالسَّيْف، واستولى على مَنْ فيها قتلاً ونَهْباً وسَلْباً، ثم أمر بهدمها، فرميت حجارتها في البحر في ميناها.

ومن عجيب ما بلغني أنه كان في قلعتها من الخَيَّالة أربعون فارساً من الفرنج الغَرْب البحرية، فلما تحقَّقوا نَقْبَ القلعة وأَخْذَها دخلوا إلى كنيستها، وأغلقوا عليهم بابها، وتجالدوا بسيوفهم بعضُهم لبعض إلى أن هلكوا جميعاً، وكسر المسلمون الباب وهم يَرَوْن أنَّ الفرنج ممتنعون، فألفوهم قتلى عن آخرهم، فعَجِبُوا من حالهم. ١١

وفيها عاد الأُسطول المِصْري إلى القاهرة غانماً سبعين فارساً، بُذِلَ أحدُهم في فدائه ثمانين ألف دينار.

---

(١) في الأصل: الكرخ، وهو تحريف. وباب الأزج محلة كبيرة شرقي بغداد. «معجم البلدان»: ١/ ١٦١.

(٢) كذا قال، والصواب أنهم خمسة، عثمان هذا، وشمس الدين علي، وبدر الدين حسن، وبهاء الدين عمر، ومجد الدين وهو الأكبر. انظر «كتاب الروضتين»: ٢/ ٤٥.

(٣) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا للإيضاح.

وفيها استعادت الفرنج ـ خذلهم الله ـ قلعة بيروت من نوَّاب سامة.

وفيها قَدِمَ حسامُ الدين أبو الهَيْجاء السَّمين بغداد، وخَرَجَ الموكب للقائه في زِيٍّ عظيم، رَتَّبَ الأطلاب على ترتيب الشَّام، وكان في خدمته عِدَّةٌ من الأمراء، وكان معه ولدا أخيه عِزّ الدين كر والغَرْس، وكان رأسه صغيراً، وبطنه كبيراً جداً بحيث كان على رقبة البغلة، وكان قد رآه عند الحَرْبية رجلٌ كَوَّاز، فَعَمِلَ في ساعته كوزاً من طين على شكله، وَسَبَقه، فعلَّقه في السُّوق، فلما اجتاز به ضَحِكَ، وعمل بعد ذاك أهلُ بغداد كيزاناً وسمُّوها أبا الهيجاء السَّمين على صورته. وأنزله الخليفة بدار العميد غربي بغداد بعد أن عَبَرَ إلى الجانب الشَّرْقي، وقَبَّل عَتَبَة باب النوبي، وأكرمه الخليفة، وقام له بالضِّيافات، ثم أمره أن يجرِّدَ جماعةً من أصحابه مع عسكر الخليفة إلى هَمَذَان، فجرَّد جماعةً، فلما بَعُدوا عن بغداد نهبوا خزانة الخليفة، وقتلوا جماعةً من عسكره، ومَضَوْا إلى المَوْصِل والجزيرة، وعاد عسكر الخليفة إلى بغداد وقد جُرِحُوا، فنقله الخليفةُ إلى الجانب الشرقي إلى دار عند النِّظامية كانت لسلطان دمشق قَبْلَ نور الدين بن زَنْكي، وهو مجير الدين أبق[1]، ووكَّل به، ثم خلع عليه بعد ذلك الجُبَّة والفَرَجية والعِمامة السَّوداء والقَبَاء الأسود، وبين يديه الخيلُ بمراكب الذَّهب، وسار إلى هَمَذَان.

وفي عاشر المحرَّم توفيت السّت عَذْراء بنت شاهِنْشاه بن أيوب[2]، أُخت عز الدين فَرُّخْشاه، وهي التي تنسب إليها المدرسة العذراوية بدمشق بحضرة باب النصر، وفيها دفنت.

---

(١) انظر كتاب الروضتين: ١/ ٣٠٧.

(٢) لها ترجمة في وفيات الأعيان: ٢/ ٤٥٣، الوافي بالوفيات: ١٩/ ٥٣٧ ـ ٥٣٨، البداية والنهاية (وفيات سنة ٥٩٣ هـ)، الدارس: ١/ ٣٧٣ ـ ٣٧٦، مختصر تنبيه الطالب: ٥٩ ـ ٦٠، منادمة الأطلال: ١٢٨.

وفي تاسع عشر شَوَّال توفي عَمُّها سيفُ الإسلام طُغْتِكِين[١] بن أيوب بموضع يعرف بالحمراء باليمن[٢] وولي اليمن بعده ابنُه إسماعيل، فسفَك الدِّماء، ثم ادَّعى الخلافة، وانتسب إلى بني أمية، فَقُتِلَ[٣].

وفي ثاني عشر ذي الحِجَّة[٤] توفيت والدة الملك العادل[٥] بدارها من دمشق المجاورة لدار أسد الدين شِيْركُوه.

وفيها حَجَّ عِزُّ الدين سامة من الشَّام، وله آثار بمدينة النبيِّ ﷺ من القَنَاة، وعمارة القُبَّة على قبر أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه.

وفيها توفي أحمد بن عيسى الهاشمي[٦] من ولد الواثق بالله، ويعرف بابن الغريق، من أهل الحريم الطاهري[٧]، وكان شاعراً فاضلاً، فمن شِعْره ما اعتذر به عن الاكتحال يوم عاشوراء:

---

(١) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ١٢٩ ـ ١٣٠، مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٣ هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠، كتاب الروضتين: ٤/ ٤٣٩، وفيات الأعيان: ٢/ ٥٢٣ ـ ٥٢٥، مفرج الكروب: ٢/ ١٠٥ ـ ١٠٦، المختصر في أخبار البشر: ٣/ ٩٣، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٣٣٣، العبر للذهبي: ٤/ ٢٨١، البداية والنهاية (وفيات سنة ٥٩٣ هـ)، السلوك للمقريزي ج١/ ق١/ ١٧٠، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٤١ ـ ١٤٢، شفاء القلوب: ١٩٨ ـ ٢٠٠، شذرات الذهب: ٤/ ٣١١ ـ ٣١٣، وانظر «طبقات فقهاء اليمن» للجعدي: ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٦.

(٢) اختلف في الموضع الذي مات فيه، فقد ذكر العز ابن عساكر فيما نقله عنه ابن خلكان في «وفيات الأعيان»: ٢/ ٥٢٤ أنه مات بالحمراء، ونقل عن أبي الغنائم فيما ذكر في كتابه «جمهرة الإسلام» أنه مات بتعز، وقال ابن خلكان: إنه مات بالمنصورة، وهي مدينة اختطها باليمن.

(٣) وذلك سنة (٥٩٨ هـ) انظر «وفيات الأعيان»: ٢/ ٥٢٤، و«كتاب الروضتين»: ٢/ ٢٥٠ ـ ٢٥١.

(٤) في (ب): سادس عشر ذي الحجة.

(٥) لها ترجمة في الوافي بالوفيات: ١٣/ ٢٣٧، الدارس: ١/ ٥٠٦ ـ ٥٠٧.

(٦) هو أحمد بن علي بن عيسى بن هبة الله بن محمد بن الواثق، له ترجمة في الكامل: ١٢/ ٢٥ (وقد ساق له أبياتاً من شعره)، مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٣ هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٢٩١، المختصر المحتاج إليه: ١/ ١٩٧، الوافي بالوفيات: ٧/ ٢٠٦، ٢٧٤، لسان الميزان: ١/ ٥٥٢.

(٧) الحريم الطاهري ـ بالطاء المهملة ـ محلة كانت في الجانب الغربي من بغداد، نسبة إلى حريم آل طاهر بن الحسين الخزاعي. انظر «التكملة للمنذري»: ١/ ٢٦٨.

لـم أكـتـحِـلْ فـي صـبـاح يـومٍ أُريـقَ فـيـه دَمُ الـحـسـيـنِ
إلا لِـحُـزنـي وذاك أنـي سَـوَّدْتُ حـتـى بَـيَـاضَ عَـيْـنـي

وكانت وفاته في ذي القَعْدَة عن ثمانين سنة، ودُفِنَ بباب حَرْب.

وفيها توفي الحسن بن علي بن حمزة، أبو محمد ابن الأَقْساسي[1]، النقيب الطَّاهر، نقيب العلويين ببغداد. كان فاضلاً أديباً، وقال: نمتُ ليلة عن صلاتي، فرأيتُ أميرَ المؤمنين علياً عليه السَّلام في جامع الكوفة وحولَهُ جماعة، فسلَّمت عليه، فلم يَرُدَّ علي، ودفعني بيده، فَخَطَر لي أنه بسبب نومي عن الصَّلاة.

وفيها توفي صَنْدَل بن عبد الله الخادم المُقْتَفَوي، ويُلَقَّب عماد الدين[2]، كان أكبر الخدم وأعقلهم، أرسله الخليفة الناصر إلى صلاح الدِّين مراراً. وكان كثيرَ الصَّدقات والخير، وولي ناظراً بواسط، ومدحه ابنُ المعلِّم الشَّاعر بقصائد، ودفن بالتربة التي أنشأها عند الجامع غربي بغداد.

١٢ **وفيها** توفي ابنُ الباقِلاني المقرئ، واسمه عبد الله بن منصور بن عمران، أبو بكر[3].

---

(١) له ترجمة في خريدة القصر، قسم شعراء العراق: مج١/ج٤/ ٢٦٦ ـ ٢٧٤، مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٣ هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨، المختصر المحتاج إليه: ٢/ ١٩، الوافي بالوفيات: ١٢/ ١٢٨ ـ ١٢٩، البداية والنهاية (وفيات سنة ٥٩٣ هـ).
والأقساسي: نسبة إلى موضع بين الحلة المزيدية والكوفة، يعرف بالأقساس، وقيل: قرية كبيرة بالكوفة. انظر «معجم البلدان»: ١/ ٢٣٦، والتكملة للمنذري: ١/ ٢٨٨.

(٢) له ترجمة في الكامل: ١١/ (حوادث ٥٦٧ هـ)، مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٣ هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٢٧٦، كتاب الروضتين: ٢/ ٢٠٧، الوافي بالوفيات: ١٦/ ٣٣٣ ـ ٣٣٥.
والمقتفوي: نسبة إلى الخليفة المقتفي لأمر الله، المتوفى سنة (٥٥٥ هـ)، انظر ترجمته في «المنتظم»: ١٠/ ١٩٧، وسير أعلام النبلاء: ٢٠/ ٣٩٩.

(٣) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ١٣٠، مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٣ هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٢٤٦ ـ ٢٤٨، معرفة القراء الكبار: ٣/ ١٠٩٦ ـ ١١٠٠، ميزان الاعتدال: ٢/ ٥٠٨، العبر للذهبي: ٤/ ٢٨١، المختصر المحتاج إليه: =

ولد سنة خمس مئة، وقرأ بواسط على أبي العِزّ محمد بن الحسين بن بُنْدَار القَلانِسي وغيره، وانفرد بالرِّواية في القراءات العَشْر عن القلانسي، وقَدِمَ بغداد، فقرأ على أبي محمد عبد الله بن علي سِبْط أبي منصور الخَيَّاط وغيره. وكان حسنَ التِّلاوة، وكان قدومه إلى بغداد في سنة عشرين وخمس مئة وبعدها، وآخر ما قَدِمَها سنةَ ستٍّ وسبعين وخمس مئة، وكانت وفاته بواسط سَلْخ ربيع الآخر، ودُفِنَ عند أبيه بمقبرة المُصَلَّى، وكان يوماً مشهوداً، ورآه بعضُ الأعيان في المنام، فقال له: ما فَعَلَ الله بك؟ فقال: قد صلَّى عليَّ سبعون ألفاً من الأبدال. سَمِعَ أبا القاسم ابن الحُصَيْن، وابنَ السَّمَرْقَنْدِي، وقاضي المارَسْتان، وغيرَهم.

وفيها توفي عبد الوهَّاب بن الشيخ عبد القادر الجِيْلي[1].

ولد سنة اثنتين وعشرين وخمس مئة، وتفقَّه، ووَعَظ، وكان ذكياً، ولَّاه الخليفة المظالم وتربة الخِلاطية[2]. وكانت مجالسُ وعظه تمضي في الهَزْل والمجون، قيل له يوماً: ما تقول في أهل البيت؟ فقال: قد أعموني. وكان أعمش، والسَّائل إنما سأل عن أهل بيت رسولِ الله ﷺ، فأجاب عن أهل بيت

= ٢/ ١٧٢ ـ ١٧٣، الوافي بالوفيات: ١٧/ ٦٤٠ ـ ٦٤١، غاية النهاية: ١/ ٤٦٠ ـ ٤٦١، لسان الميزان: ٥/ ٢٣، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٤٢، شذرات الذهب: ٤/ ٣١٤.

(١) له ترجمة في ذيل تاريخ بغداد لابن النجار: ١/ ٣٤٧ ـ ٣٤٨، مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٣ هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٢٨٩، مشيخة النعال البغدادي: ١٣٢ ـ ١٣٣، ذيل طبقات الحنابلة: ١/ ٣٨٨ ـ ٣٩٠، الدليل الشافي: ١/ ٤٣٣، المقصد الأرشد: ٢/ ١٥٢، المنهج الأحمد: ٤/ ٥ ـ ٦، شذرات الذهب: ٤/ ٣١٤.

(٢) الخلاطية: هي سلجوقي خاتون بنت قليج رسلان بن مسعود، زوج الخليفة الناصر، توفيت سنة (٥٨٤ هـ)، وبنى على قبرها تربة بالجانب الغربي من بغداد، وإلى جانب التربة بنى الخليفة رباطاً للصوفية، ووقف عليه وعلى التربة أوقافاً عظيمة.
انظر ترجمتها في الكامل: ١٢/ ٢٦، ومرآة الزمان (وفيات سنة ٥٨٤ هـ)، والتكملة للمنذري: ١/ ٨٨، ومختصر التاريخ لابن الكازروني: ٢٤٦ ـ ٢٤٧، والوافي بالوفيات: ١٥/ ٢٩٦.

نفسه. وقيل له: بأي شيء يبين المحق من المبطل؟ فقال: بليمونة، أراد من يَخْضِب يزول خِضَابُه بليمونة. وكانت وفاته في شوال، ودُفِنَ بالحلبة[١]. سَمِعَ أباه، وأبا القاسم ابن الحُصَين، وابن السَّمَرْقَنْدِي، وأبا الوَقتْ، وغيرهم.

وفيها توفي الوزير أبو المُظَفَّر عبيدُ الله بن يونس بن أحمد الحَنْبلي، ولقبه جلال الدين[٢].

كان في بَدْء أمره أحدَ العدولِ ببغداد، ثم خَدَمَ في ديوان الأبنية. ولما مات أبوه يونس توكَّل لأم الخليفة، ثم ولي صاحب ديوان، ثم استوزره الخليفة وبعثه إلى طُغْريل، فكُسِرَ على ما ذكر[٣]، وعاد إلى بغداد، فولاه الخليفة الدِّيوان والمخزن، ثم ولاه أستاذ دار، ثم عزله.

وكان قد قرأ القرآن على صَدَقة بنِ الحَدَّاد وغيرِهِ، وتفقَّه على أبي حكيم النَّهرواني، وسمع أبا الوقت وغيره. ولما سافر إلى هَمَذَان سمع من أبي العلاء الحافظ الهَمَذَاني.

وكان فاضلاً في الأصولين، والحساب، والهندسة، وله تصنيفٌ في الأصول غير أنه شان فَضْلَه بمقاصده السيئة، ورأيه الفاسد، وحِقْدِه وحَسَدِه، ولَجَاجِه، وكَسَرَ عسكر الخليفة بلَجَاجه ومخالفته للأمراء، وكونه استعجل على لقاء طُغْريل، وأَخْرَبَ بيتَ الشيخ عبد القادر، وشتَّت أولاده، ويقال: إنَّه بعث في الليل من نَبَشَ الشيخ عبد القادر، ورمى عظامه في اللُّجَّة، وقال: هذا وقف ما يحلُّ أن يُدْفَنَ فيه أحد.

---

(١) في النسخ ما عدا الأصل: الحلة، وهو خطأ، انظر «التكملة»: ١/ ٢٨٩.

(٢) له ترجمة في ذيل تاريخ بغداد لابن النجار: ٢/ ١٦٩ ـ ١٧٢، مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٣هـ)، الفخري: ٣٢٣، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠، المختصر المحتاج إليه: ٢/ ١٨٣ ـ ١٨٤، الوافي بالوفيات: ١٩/ ٤٢٠ ـ ٤٢١، ذيل طبقات الحنابلة: ١/ ٣٩٢ ـ ٣٩٥، لسان الميزان: ٥/ ٣٤٨ ـ ٣٤٩، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٤٢، المنهج الأحمد: ٣/ ٣٢٣ ـ ٣٢٧، شذرات الذهب: ٤/ ٣١٣ ـ ٣١٤.

(٣) انظر ص ٥٩ من هذا الجزء.

ولما اعتقله الخليفة كتبَ فتوى بأنه كان سببَ هزيمة عسكر الخليفة. وذكروا أشياء أُخَر، فأفتَوْا بإباحة دمه، فَسُلِّم إلى أحمد بن الوزير ابن القَصَّاب، فبقي في داره، فلما مات ابنُ القَصَّاب اعتقل في التَّاج، وأُخرج في سابع عشر صفر ميتاً، ودفن بالسِّرْداب.

وأما صَدَقه بنُ الحدَّاد الذي قرأ عليه ابنُ يونس القرآن فهو صدقة بن الحسين بن الحسن[1]، أبو الفَتْح النَّاسخ الحَنْبلي، يعرف بابن الحَدَّاد، حَفِظَ القرآن، وتفقَّه، وأفتى وناظر، لكنه قرأ «الشِّفاء» لابن سينا، وكُتُبَ الفلاسفة فتغيَّر اعتقاده. وكان يَبْدُر من فَلَتاتِ لسانه ما يدلُّ على سوء عقيدته، وتارةً يسقِّف[2] من جِنْس ابن الرَّاوَنْدي، وتارةً يُشير إلى عدم بَعْثِ الأجساد، وتارةً يعترض على القضاء والقدر، وله أشعارٌ تتضمن شيئاً من ذلك، توفي سنة ثلاثٍ وسبعين وخمس مئة.

وفيها توفي يحيى بن أسعد بن يحيى بن بَوْش، أبو القاسم الخَبَّاز، البغدادي[3].

١٣ سمع الكثير، وكان قد افتقر في آخر عمره، فكان يأخذ على التسميع أُجرة. جلس ليلة الأربعاء ثالث ذي القَعْدة يأكل خُبْزاً، فغصَّ بلُقْمة، فمات فجأة. سمع قاضي المارَسْتان، وأبا العِز ابن كادش، وابنَ الطُّيوري، وأبا طالب ابن يوسف، وهو آخر مَنْ روى عن أبي طالب، وكان ثِقَةً.

---

(١) له ترجمة في المنتظم: ١٠/ ٢٧٦، ومرآة الزمان (وفيات سنة ٥٧٣ هـ)، وسير أعلام النبلاء: ٢١/ ٦٦ ـ ٦٧، وذيل طبقات الحنابلة: ١/ ٣٣٩، والوافي بالوفيات: ١٦/ ٢٩٢ ـ ٢٩٤.

(٢) كأنها من عامية ذلك العصر، بمعنى يجدِّف، وانظر «الوافي بالوفيات»: ١٦/ ١٣٥.

(٣) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٣ هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٢٩٠ ـ ٢٩١، مشيخة النعال: ١٣٣ ـ ١٣٥، تكملة إكمال الإكمال لابن الصابوني: ١١٠، ٢٣١، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤، العبر للذهبي: ٤/ ٢٨٣، المختصر المحتاج إليه: ٣/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩، توضيح المشتبه: ١/ ٦٥٠، شذرات الذهب: ٤/ ٣١.

ثم دخلت سنة أربع وتسعين وخمس مئة

ففيها نَزَلَ الفرنج على تِبْنين، وأنفذ العادل القاضي محيي الدِّين بن الزَّكي إلى العزيز بمصر مستصرخاً، فأرسلَ العساكر، وقَدِمَ بنفسه، فرحل الفرنج خائبين لما تحقَّقوا من قوة العسكر الإسلامي بعد أن أقاموا عليها شهرين وسبعة أيام، وأطمعتهم أنفسُهم بأَخْذِها، ورجع العزيز إلى مِصْر والعادل إلى دمشق بعد أن تقرَّرتِ الهُدْنة مع الفرنج لمدَّة خمس سنين وثمانية أشهر، أولها رابع عشر شعبان سنة أربع وتسعين وخمس مئة[1].

وفيها عاد الأسطول المِصْري من الغزو بعد أن اجتاز ببلاد ابن لاون، ووصل معه إلى مِصْر من السَّبْي أربع مئة وخمسون أسيراً.

وفيها حجَّ بالنَّاس من الشَّام زين الدِّين قَرَاجا مملوك صلاح الدِّين.

وفيها توفي جُرْديك النُّوري[2]، وكان من أكابر أمراء نور الدين، وخَدَمَ صلاح الدين في جميع غَزَواته، وهو الذي قَتَلَ شاور بمصر وابنَ الخَشَّاب بحلب، وكان شجاعاً جَوَاداً، وولَّاه صلاح الدين القُدْس.

وفيها توفي الشيخ أبو علي الحسن بن مُسَلَّم الزَّاهد الفارسي[3]، من قريةٍ بنهر عيسى يقال لها الفارسية.

كان من الأبدال، لازماً لطريق السَّلف، أقام أربعين سنة لم يكلِّم أحداً من النَّاس، وكان صائم الدَّهر، قائم الليل، يقرأ كلَّ يومٍ وليلة خَتْمة.

---

(١) ذكر ابن واصل في «مفرج الكروب»: ٣/ ٧٨ أن مدة الهدنة ثلاث سنين، وتابعه على ذلك المقريزي في السلوك ج١/ ق١/ ١٧٢، وهو وهم، والصواب ما ذكره أبو شامة، لأن حرب العادل لم تتجدد مع الفرنج إلا في سنة (٦٠٠ هـ)، وهو تاريخ انتهاء هذه الهدنة.

(٢) له ترجمة في الوافي بالوفيات: ١١/ ٦٨، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٤٣، شذرات الذهب: ٤/ ٣١٦، وأخباره في «كتاب الروضتين».

(٣) له ترجمة في معجم البلدان: ٢/ ٣١٨، ٣/ ٢٢٨، الكامل: ١٢/ ١٣٨ ـ ١٣٩، مرآة الزمان (وفيات =

ذكره أبو الفرج ابنُ الجَوْزي في كتاب «صفوة الصَّفوة» وقال: كان زاهد زمانه، وكانت السِّباع تأوي إلى زاويته، وكان الخليفة وأرباب الدولة يمشون إلى زيارته، وكانت وفاته يوم عاشوراء، ودفن في رباطه بالفارسية[1].

وحكى عنه جماعةٌ من مشايخ القرية أنَّ السِّباع كانت تنام طول الليل حولَ زاويته، وإذا خرج أحدٌ من القرية في الليل إلى نهر عيسى لم تتعرَّض له، وأنَّ فقيراً نام في الزَّاوية في ليلةٍ باردة، فاحتلم، فنزل إلى النهر ليغتسل، فجاء السَّبُع، فنام على جُبَّته، فكاد الفقير يموت من البرد والخوف، فخرج الشيخ حسن، وجاء إلى السَّبُع، وضربه بكُمِّه، وقال: يا مبارك، قد قلنا لك لا تتعرض لضيفنا. فقام السَّبُع يهرول. سمع قاضي المارَسْتان، وابن الحُصَين، وابنَ الطُّيوري، وغيرهم.

وفيها توفي في المحرَّم بسِنْجار صاحِبُها عماد الدين زَنكي[2] بن مودود بن زَنْكي ابن أخي نور الدين وخَتَنُه على ابنته، وكان عاقلاً جَوَاداً، ولم يزل مع صلاح الدين في غَزَواته مجاهداً، وكان ميمون النقيبة. وكان صلاح الدين يحترمه مثلما كان يحترم نور الدين، ويعطيه الأموال والهدايا والتُّحَف الكثيرة. ولما توفي صلاح الدين خَرَجَ مع أخيه عِزِّ الدين إلى لقاء العادل، فلما عاد عِزُّ الدين إلى المَوْصِل صالح عمادُ الدين العادِلَ. ولما احتُضِرَ أوصى إلى أكبر أولاده وهو قُطْبُ الدين محمد، ويلقب بالمنصور.

= سنة ٥٩٤ هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٣٠٠ـ٣٠١، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٣٠١ـ٣٠٢، العبر للذهبي: ٤/ ٢٨٣، المختصر المحتاج إليه: ٢/ ٢٦، الوافي بالوفيات: ١٢/ ٢٧٠، ذيل طبقات الحنابلة: ١/ ٣٩٥ـ٣٩٧، توضيح المشتبه: ٢/ ٥٣٣، ٧/ ١٠، ٨/ ١٥٢، المقصد الأرشد: ١/ ٣٣٩، المنهج الأحمد: ٤/ ٧ـ٨، شذرات الذهب: ٤/ ٣١٦.

(١) لم أجده في مطبوع «صفوة الصفوة».

(٢) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٤ هـ)، وفيات الأعيان: ٢/ ٣٣٠ ـ ٣٣١، الوافي بالوفيات: ١٤/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٤٤، الدارس: ١/ ٦١٧، وأخباره في «كتاب الروضتين».

وفيها توفي أبو الحسن علي بن جابر بن زهير، قاضي البطائح[(١)].

ولد سنة تسعٍ وعشرين وخمس مئة، وقَدِمَ بغداد، فسمع بها الحديث من أبي الوقت، وابن ناصر، وابن الجَوَاليقي، وغيرِهم، وخرج إلى رَحْبة مالك بن طَوْق، فقرأ الفِقْه والأدب على أبي عبد الله ابن المُتَقَّنة[(٢)]، وعاد إلى البطائح، فولي القضاء بالعراق، ثم عاد إلى بغداد، فأقام بها، ثم انحدر إلى البطائح، فتوفي بطريق واسط، وكان ثِقَةً صالحاً. وقال: أنشدني القاسم بن علي صاحب «المقامات» لنفسه[(٣)]: ١٤

لا تَخْطُوَنَّ إلى خِطْءٍ ولا خَطَأ ... مِنْ بَعْدِ ما الشَّيْبُ في فَوْدَيْكَ قد وَخَطَا

فأيُّ عُذْرٍ لمنْ شابَتْ ذَوَائِبُهُ ... إذا سعى في ميادينِ الصِّبا وخَطَا

وفيها توفي أبو المجد علي بن علي ابن ناصر، السيد العلوي، مدرس الحنفية ببغداد[(٤)].

---

(١) له ترجمة في معجم البلدان: ٣/ ١٧٢، ذيل تاريخ بغداد لابن النجار: ٣/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥، مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٤ هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٣١٦، المختصر المحتاج إليه: ٣/ ١٢٠، البداية والنهاية (وفيات سنة ٥٩٤ هـ)، وفي معجم البلدان والنهاية: علي بن رجاء، وهو خطأ.

(٢) هو محمد بن علي بن محمد بن الحسن، فقيه شافعي، وهو صاحب الأرجوزة في علم الفرائض، المسماة «بغية الباحث»، والمشهورة بالرَّحْبية، توفي سنة (٥٧٧ هـ) على الأرجح، انظر ترجمته في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٢/ ٢٤١ ـ ٢٤٢، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٦/ ١٥٦.

(٣) في (ب) بخط مغاير: وهو الحريري.

قال إبراهيم عفا الله عنه: ولا يصح ذلك، لأن القاسم بن علي صاحب المقامات توفي سنة (٥١٦ هـ)، وولد علي بن جابر سنة (٥٢٩ هـ)، أي بعد وفاة الحريري بنحو ثلاثة عشر عاماً، انظر ترجمة الحريري في «السير»: ١٩/ ٤٦٠ ـ ٤٦٥.

(٤) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ١٣٩، مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٤ هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٣٠٣، المختصر المحتاج إليه: ٣/ ١٣٠، الوافي بالوفيات: ٢١/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩، الجواهر المضية: ٢/ ٥٨٤ ـ ٥٨٥، (وفيه وفاته سنة ٥٩٩ هـ)، وهو خطأ.

ولد سنة خمس عشرة وخمس مئة، وتفقَّه وأفتى وناظر، وكان المستنجد الخليفة قد حَبَسه وطالبه بمالٍ، فرأى النبيَّ ﷺ في المنام، فقال له: يا يوسف، استوصِ بولدي خيراً، فهو وديعتي عندك. فانتبه الخليفة مرعوباً، وأحضره وخاطبه، وقال: اجعلني في حِلٍّ، فقد شَفَعَ فيك من لا يمكنني رَدّه، وأحسنَ إليه.

وكانت وفاته في ربيع الأول، ودُفِنَ عند مشهد عبيد الله شرقيّ بغداد[١]، وكان صالحاً شريفاً على الحقيقة. سمع ابن الحُصَيْن، وقاضي المارَسْتان، وابنَ السَّمَرْقَنْدِي، وغيرهم.

وفيها توفي مجاهد الدِّين قايماز[٢] الخادم الزَّيْني[٣].

الحاكم على المَوْصِل الذي بنى الجامع المجاهدي والمدرسة والرِّباط والمارَسْتان بظاهر المَوْصل على دِجْلَة، ووقَفَ عليها الأوقاف، وكانت عليه رواتب كثيرة بحيث لم يَدَعْ في المَوْصِل بيتاً فقيراً إلا وأغنى أهله. وكان ديِّناً صالحاً، عادلاً كريماً، يتصدَّق كل يوم خارجاً عن الرَّواتب، بمئة دينار، وله حكاياتٌ مشهورة.

ولما مات عز الدين مسعود، وولي ابنهُ رسلان شاه حَبَسه وضَيَّق عليه

---

(١) في التكملة: ودفن من الغد عند السَّبْتي. قلت: فلعل عبيد الله هو السبتي، لأن مشهد السَّبْتي شرقي بغداد كذلك، انظر «خطط بغداد في القرن الخامس الهجري»: ص ٤٦، ٤٩.

(٢) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ١٥٣ ـ ١٥٤، مرآة الزمان (وفات سنة ٥٩٤ هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٣٢٣، كتاب الروضتين: ٢/ ٤٥٣ ـ ٤٥٤، وفيات الأعيان: ٤/ ٨٢ ـ ٨٤، مفرج الكروب: ٢/ ١٥٣ ـ ١٥٤، الوافي بالوفيات: ٢٤/ ١٧٦، البداية والنهاية (وفيات سنة ٥٩٥ هـ)، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٤٤، وللدكتور صادق أحمد داود جودة كتيب في سيرته، طبع في مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٩٨٥ م.

وفاته عندهم ما عدا «مرآة الزمان» و«النجوم الزاهرة» سنة (٥٩٥ هـ)، وهو الصواب.

(٣) في النسخ الخطية الرومي، وهو وهم تابع فيه أبو شامة سبطَ ابن الجوزي في «المرآة»، والصواب ما أثبتناه، وهو نسبة إلى زين الدين علي بن بكتكين، وكان عتيقه. وانظر «التكملة» للمنذري.

وآذاه، فتوفي في الحبس، فأُخرج ملفوفاً في كِسَاء، فلما وصل إلى باب البلد قال البوابون: قفوا حتى نستأذن له. فأُلقي على قارعة الطريق حتى أُذِن له.

وكان لعِزِّ الدين مسعود جاريةٌ يقال لها أقصرا أَوْلَدَها الجهة[1] الأتابكية التي تزوَّجها الملك الأشرف موسى بن العادل أبي بكر بن أيوب، وبَنَتْ في جبل قاسيون التُّربة، والمدرسة[2] والمِئْذنة المنسوبات إليها. وكان عز الدين قد زَوَّج مجاهد الدين هذا أُم الأتابكية أقصرا المذكورة.

وفيها توفي أبو طالب يحيى بن سعيد بن هبة الله بن زَبَادة الواسطي[3].

ولد سنة اثنتين وعشرين وخمس مئة، وقَدِمَ بغداد، واشتغل بالأدب فَبَرَعَ في الإنشاء والكتابة، وانتهت إليه الرِّياسة فيهما مع تخصُّصه بفنون العلم كالفقه، وعلم الكلام، والأصول، والحساب، والشعر، جَالَسَ أبا منصور بن الجواليقي، وقرأ عليه، وسمع أبا القاسم الصَّباغ وغيره، وولي للخليفة عِدَّة

---

(١) سترد ترجمتها في سنة وفاتها (٦٤٠ هـ). والجهة: لفظ يكنى به عن زوجة الخليفة أو الملك، انظر «الألقاب الإسلامية» د. حسن الباشا ص ٢٤٨ ـ ٢٥٠.

(٢) هي المدرسة الأتابكية، وفيها تربتها أيضاً. انظر «القلائد الجوهرية»: ١/ ١٦٥ ـ ١٦٧.

(٣) له ترجمة في معجم الأدباء: ٢٠/ ١٦ ـ ١٨، الكامل: ١٢/ ١٣٨، مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٤ هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٣١٥، وفيات الأعيان: ٦/ ٢٤٤ ـ ٢٤٩، مجمع الآداب: ٤/ ق٤/ ٨٧٠ ـ ٨٧٢، ذيل مرآة الزمان ١/ ٣٣٨ ـ ٣٤٠، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧، العبر للذهبي: ٤/ ٢٨٤، المختصر المحتاج إليه: ٣/ ٢٤٢ـ ٢٤٣، البداية والنهاية (وفيات سنة ٥٩٤ هـ)، توضيح المشتبه: ٤/ ٣٣٦، شذرات الذهب: ٤/ ٣١٨.

وقد ضبط المنذري في التكملة: زبادة، بفتح الزاي وبعدها باء موحدة مفتوحة، وبعد الألف دال مهملة، وتاء التأنيث.

وقال ابن خلكان في «وفياته»: زبادة هو القطعة من الزباد الذي يتطيَّب النسوان به، والله أعلم.

وهو الذي كتب عن الإمام الناصر رسالة إلى السلطان صلاح الدين يعتب فيها عليه أموراً صدرت عنه، انظر «الروضتين» ٣/ ٤٢١، وقد أورد الرسالة بتمامها وهي طويلة سبط ابن الجوزي في «المرآة» بتحقيقي.

خِدَم: حِجْبة الباب، ثم أُستاذية الدار، ثم كتابة الإنشاء في آخر أمره. وكانت وفاته في ذي الحِجَّة، ودفن في مقابر قريش. ومن شِعْره:

قد سَلَوْتُ الدُّنيا ولم يَسْلُها مَنْ ... عَلِقَتْ بي آمالُهُ والأراجي

وإذا ما صَرَفْتُ وَجْهيَ عنها ... قَذَفُوني في بَحْرِها العَجَّاجِ

يَسْتَضيئونَ بي وأَهْلِكُ وَحْدِي ... فكأنِّي ذُبَالةٌ في سِرَاجِ

وفيها توفي أبو الهيجاء السَّمين الكُرْدي، ولقبه حُسَام الدين[1]، وقد تقدَّم أنه قَدِمَ بغداد، وبعثه الخليفة إلى هَمَذَان، فلم يتمَّ له أمر، واختلفَ الأمراء عليه، وتفرَّق عنه أصحابه، فخاف من الخوارَزْمي، واستحيا أن يعود إلى بغداد، فسار يطلب الشَّام على دقوقا، فلما وصل إليها مَرِضَ، وأقام بها أياماً، فتوفي. وبلغني أنه كان نازلاً على تلٍّ، فقال: ادفنوني فيه. فحفروا له قبراً على رأس التَّلِّ، فظهرت بلاطةٌ عليها اسم أبيه، فدفنوه عليه. وقيل: كانت وفاته في أواخر السنة الثالثة والتسعين.

ثم دخلت سنة خمس وتسعين [وخمس مئة][2]

ففيها استدعى الخليفةُ ضياءَ الدِّين ابنَ الشَّهْرُزُوري إلى بغداد، وولاه القضاءَ بها.

وحَجَّ بالنَّاس مظفَّرُ الدِّين وجه السَّبُع.

وفيها أُفرج عن الشيخ أبي الفرج ابن الجَوْزي، فَقَدِمَ بغداد في شعبان، وخُلِعَ عليه، وجلس عند تُرْبة أُم الخليفة، وكانت تتعصَّب له، وساعدت في خلاصه. وأنشد بيتَ الرَّضي الموسوي:

---

(١) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٤ هـ)، والنجوم الزاهرة: ٦/ ١٤٥، شذرات الذهب: ٤/ ٣١٧.

وقد سلفت بعض أخباره في سنة (٥٩٣ هـ)، وانظر أخباره في «كتاب الروضتين».

(٢) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا للإيضاح.

خِدَم: حِجْبة الباب، ثم أُستاذية الدار، ثم كتابة الإنشاء في آخر أمره. وكانت وفاته في ذي الحِجَّة، ودفن في مقابر قريش. ومن شِعْره:

قد سَلَوْتُ الدُّنيا ولم يَسْلُها مَنْ عَلِقَتْ بي آمالُهُ والأراجي

وإذا ما صَرَفْتُ وَجْهِيَ عنها قَذَفُوني في بَحْرِها العَجَّاجِ

يَسْتضيئونَ بي وأَهْلِكُ وَحْدِي فكأنِّي ذُبَالةٌ في سِرَاجِ

وفيها توفي أبو الهيجاء السَّمين الكُرْدي، ولقبه حُسَام الدين[1]، وقد تقدَّم أنه قَدِمَ بغداد، وبعثه الخليفة إلى هَمَذَان، فلم يتمَّ له أمر، واختلفَ الأمراء عليه، وتفرَّق عنه أصحابه، فخاف من الخوارَزْمي، واستحيا أن يعود إلى بغداد، فسار يطلب الشَّام على دقوقا، فلما وصل إليها مَرِضَ، وأقام بها أياماً، فتوفي. وبلغني أنه كان نازلاً على تلٍّ، فقال: ادفنوني فيه. فحفروا له قبراً على رأس التَّلِّ، فظهرت بلاطةٌ عليها اسم أبيه، فدفنوه عليه. وقيل: كانت وفاته في أواخر السنة الثالثة والتسعين.

ثم دخلت سنة خمس وتسعين [وخمس مئة][2]

ففيها استدعى الخليفةُ ضياءَ الدِّين ابنَ الشَّهْرُزُوري إلى بغداد، وولاه القضاءَ بها.

وحَجَّ بالنَّاس مظفَّرُ الدِّين وجه السَّبُع.

وفيها أُفرج عن الشيخ أبي الفرج ابن الجَوْزي، فَقَدِمَ بغداد في شعبان، وخُلِعَ عليه، وجلس عند تُرْبة أُم الخليفة، وكانت تتعصَّب له، وساعدت في خلاصه. وأنشد بيتَ الرَّضي الموسوي:

---

(1) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٤ هـ)، والنجوم الزاهرة: ٦/ ١٤٥، شذرات الذهب: ٤/ ٣١٧.

وقد سلفت بعض أخباره في سنة (٥٩٣ هـ)، وانظر أخباره في «كتاب الروضتين».

(2) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا للإيضاح.

إنْ كـانَ لـي ذَنْـبٌ ولـم آتـهِ ... فاستأنف العَفْوَ وَهَبْ ما مَضَى[(١)]

وأنشدَ أيضاً:

شَقِيْنا بالنَّوَى زمناً فلمَّا ... تلاقَيْنَا كأنَّا ما شَقِيْنا

سَخِطْنا عند ما جَنَتِ اللَّيالي ... فما زالتْ بنا حتى رَضِيْنَا

سَعِدْنا بالوِصَالِ وكم شُقِيْنا ... بكاساتِ الصُّدودِ وكم ضنينا

فَمَنْ لم يحيَ بعدَ الموتِ يوماً ... فإنَّا بعدما مُتْنا حَيِيْنا

وفيها توفي القاضي العَبَّاسي؛ وهو أبو جعفر محمد بن جعفر بن أحمد[(٢)]، وقيل: أبو الحسن، ويلقب [فخر الدين و][(٣)] عماد الدين.

ولد سنة أربعٍ وعشرين وخمس مئة. وتفقه على أبي الحسن ابن الخَلِّ، وسمع الحديث الكثير، وولي قضاء بغداد سنة أربعٍ وثمانين وخمس مئة ـ وولي قضاء مكَّة والخَطَابة[(٤)] ـ ثم عُزِلَ في جمادى الآخرة سنة ثمانٍ وثمانين بحضرة الوزير عبيد الله بن يونس بسبب أنه حَكَمَ بكتاب مزوَّر. وكانت وفاته في جُمادى الآخرة، ودفن بمقبرة العَطَّافية عند جده النَّقيب أبي جعفر العَبَّاسي. سمع أبا الوقت وغيرَه.

---

(١) ديوان الشريف الرضي: ١/ ٥٧٥ (طبعة دار صادر).

(٢) له ترجمة في رحلة ابن جبير: ٢١٤ ـ ٢١٥، التكملة للمنذري: ١/ ٣٢٧، المختصر المحتاج إليه: ١/ ٣٠ ـ ٣١، البداية والنهاية (وفيات سنة ٥٩٥ هـ)، العقد الثمين: ١/ ٤٣٧ ـ ٤٣٩.

(٣) ما بين حاصرتين من (ع) و(ك) و(س)، وفي (ب) فخر الدين بن عماد الدين، وهو خطأ، وقد لقبه ابن جبير بتاج الدين.

قلت: ولم تغنه ألقابه عن انتقاد ابن جبير له!

(٤) وذلك سنة (٥٧٩ هـ)، انظر «المختصر المحتاج إليه»: ١/ ٣٠.

وقد وصفه ابن جبير، وكان قد سمع خطبة له بمسجد الخيف بمنى، فقال: وهذا الخطيب جديد، وصل مع الأمير العراقي، مقدماً من عند الخليفة للخطبة والقضاء بمكة على ما يذكر، ويعرف بتاج الدين، وظاهر حاله البلادة والبله، لأن خطبته أعربت عن ذلك، ولسانه لا يقيم الإعراب.

وابنه جعفر بن محمد العَبَّاسي[١] قَدِمَ دمشق، وسمع بها كثيراً وببغداد من مشايخهما. ومولده سنة سبعين وخمس مئة[٢]، وتوفي بحماة[٣] في ذي الحِجَّة سنة ثمانٍ وتسعين وخمس مئة، وعمره ثمانٍ وعشرون سنة، رحمه الله.

وفيها في ذي الحِجَّة توفي تقي الدِّين طَرْخَان بن ماضي بن جَوْشَن بن علي بن مُعَافى[٤]، الضَّرير الشَّاغُوري الشَّافعي.

وكان إماماً للملك العادل نور الدين محمود بن زَنْكي ـ رحمهما الله ـ مُدَّة طويلة، ودُفِنَ خارج باب الصغير، ومولده بدمشق سنة ثماني عَشْرة وخمس مئة.

وفيها توفي ابنُ فَضْلان مدرِّس النِّظامية، وهو أبو القاسم يحيى بن علي بن الفَضْل[٥].

ولد سنة خمس عشرة وخمس مئة[٦]، وتفقَّه على محمد بن يحيى صاحب الغَزَّالي بنيسابور، وقَدِم بغداد، فناظر وأفتى ودَرَّس، وكان مقطوع اليد، وقع

---

(١) له ترجمة في التكملة للمنذري: ١/ ٤٣٦، وسير أعلام النبلاء: ٢١/ ٣٨٦، ميزان الاعتدال: ١/ ٤١٥، المختصر المحتاج إليه: ١/ ٢٧٣، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: ٢٠٥، الوافي بالوفيات: ١١/ ١٤٣، لسان الميزان: ٢/ ٤٧٣.

(٢) في «التكملة»، و«المستفاد»: سنة اثنتين وسبعين.

(٣) في التكملة: وذكر بعضهم أنه توفي بحلب.

(٤) له ترجمة في التكملة للمنذري: ١/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٣٣٠، نكت الهميان: ١٧٤.

(٥) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ١٥٤، مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٥ هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٣٣٠ ـ ٣٣١، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨، العبر للذهبي: ٤/ ٢٨٩، المختصر المحتاج إليه: ٣/ ٢٤٦، طبقات الشافعية للسبكي: ٧/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣، طبقات الشافعية للإسنوي: ٢/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠، البداية والنهاية (وفيات سنة ٥٩٥ هـ)، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٥٤، شذرات الذهب: ٤/ ٣٢١.

(٦) ذكر المنذري في «التكملة» ١/ ٣٣٠ أنه ولد في أواخر سنة (٥١٥ هـ) أو أوائل محرم سنة (٥١٦ هـ)، وقيل: إنه ولد سنة (٥١٧ هـ).

من الجَمَل، فعملت يدُه، فخيفَ عليه فَقُطِعَتْ، وانتفع به خلقٌ كثير ببغداد وغيرِها، وكانت وفاته في شعبان، وحمل الفقهاءُ جِنازته إلى الوَرْدِيَّة. سمع بنيسابور من محمد بن يحيى، وببغداد من ابن ناصر، وأبي الوقت، وغيرِهما.

وسُمِعَ منه ينشد:

وإذا أَرَدْتَ مَنَازِلَ الأشرافِ فعليكَ بالإسعافِ والإنصافِ

وإذا بغى باغٍ عليكَ فَخَلِّهِ والدَّهرَ فَهْوَ لهُ مُكافٍ كافِ

١٦ **وفيها** توفي خليفةُ المغرب أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن[(١)] الذي كَسَرَ الفنش عام الزَّلاقة[(٢)]. وكان قام بالمُلْك بعد أبيه أحسنَ قيام، نَشَرَ كلمة التوحيد، ورفع راية الجهاد، وأَمَرَ بالمعروف، ونهى عن المنكر، وأقام الحدود على عشيرته وغيرهم. وكان جَوَاداً، سَمْحاً، عادلاً، يُكْرِمُ العلماء، متمسِّكاً بالشَّرْع، يصلِّي بالنَّاس الصَّلوات الخمس، ويَلْبَسُ الصُّوف، ويقف للمرأة والضعيف، ويأخذ لهم بالحق، حافظاً للسانه.

وأوصى في مرض موته إلى ولده أبي عبد الله محمد، وأن يُدْفَنَ على قارعة الطريق ليترحَّم عليه مَنْ يمرُّ به. وتوفي في ربيع الأول، فكانت مُدَّة أيامه خمس عشرة سنة.

وهو الذي كتب إليه سُلْطانُ بلادِنا الملك النَّاصرُ صلاحُ الدِّين يوسف بن أيوب في سنة سبعٍ وثمانين يستنجده على الفرنج الخارجين عليه بساحل البلاد المُقدَّسة، ولم يخاطبه بأمير المؤمنين، فلم يجبه إلى ما طلب. وقد ذكرنا من

---

(١) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ١١٣ ـ ١١٦، ١٤٠ ـ ١٤٦، المعجب: ٣٦٨ وما بعدها، مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٥ هـ)، كتاب الروضتين: ٤/ ١٩٠ ـ ٢١١، وفيات الأعيان: ٧/ ٣ ـ ١٩، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٣١١ ـ ٣١٩، الوافي بالوفيات: ٢٩/ ٥ ـ ١٦، تاريخ ابن خلدون: ٦/ ٢٤١ ـ ٢٤٦، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٣٧ ـ ١٣٩، الاستقصا: ٢/ ١٥٨.

(٢) انظر حاشيتنا رقم ١ ص ٦٢ من هذا الجزء.

أخباره في «كتاب[1] الرَّوْضتين» في سنة سَبْعٍ وثمانين[2].

وبايع النَّاسُ بعده ولدَه محمداً، واستمرَّ على سيرة أبيه، ثم اختلفتِ الأهواء ودخل النَّقْصُ على البيت بموت يعقوب، رحمه الله.

وفيها كانت فتنة عبدِ الغني الحافظ الحَنْبلي، وذلك يوم الاثنين الرَّابع والعشرين من ذي القَعْدَة. ذكر العِزُّ ابنُ تاج الأُمناء أنه اجتمع الشَّافعية، والحنفية، والمالكية عند المُعظَّم عيسى، والصارم بُزْغُش والي القلعة، وكانا يجلسان بدار العدل للنظر في المظالم، فكان ما اشتهر من إحضار اعتقاد الحنابلة، وموافقة أولاد الفقيه نجم ابن الحنبلي للجماعة، وإصرار عبد الغني المَقْدِسي على لزوم ما ظهر من اعتقاده، وهو الجهة، والاستواء، والحَرْف، وإجماع الفقهاء على الفُتْيا بكفره، وأنه مبتدعٌ لا يجوز أن يترك بين المسلمين، ولا يحِلُّ لولي الأمر أن يمكنه من المُقَام معهم. فسأل أن يُمْهَلَ ثلاثة أيام لينفصل عن البلد، فأُجيب. ورُفِعَتْ جميعُ الخزائن والصَّناديق من الجامع، وبَطَلَتْ صلاةُ الحنابلة بالجامع الظُّهر، ومُنِعُوا منها، ثم أُذِنَ لهم، فَصَلُّوا العَصْر من ذلك اليوم.

قلتُ: وسيأتي ذكر هذه الفتنة أيضاً في أخبار سنة ست مئة، إنْ شاءَ الله تعالى[3].

ثم دخلت سنة ست وتسعين وخمس مئة

فيها توفي الملك العزيز [عثمان][4] بن صلاح الدين[5]، صاحب الدِّيار

(١) في (ع) يبدأ خرم من هنا وحتى ص ١٢٢، وقد استدرك بخط مغاير. انظر حاشيتنا رقم ١ ص ١٢٢ من هذا الجزء.

(٢) «كتاب الروضتين»: ٤/ ١٩٠ ـ ٢١١.

(٣) ص ١٥٥ من هذا الجزء.

(٤) ما بين حاصرتين من (س).

(٥) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ١٤٠، مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٥ هـ)، التكملة للمنذري: =

أخباره في «كتاب[1] الرَّوْضتين» في سنة سَبْعٍ وثمانين[2].

وبايع النَّاسُ بعده ولدَه محمداً، واستمرَّ على سيرة أبيه، ثم اختلفتِ الأهواء ودخل النَّقْصُ على البيت بموت يعقوب، رحمه الله.

وفيها كانت فتنة عبدِ الغني الحافظ الحَنْبلي، وذلك يوم الاثنين الرَّابع والعشرين من ذي القَعْدَة. ذكر العِزُّ ابنُ تاج الأُمناء أنه اجتمع الشَّافعية، والحنفية، والمالكية عند المُعظَّم عيسى، والصارم بُزْغُش والي القلعة، وكانا يجلسان بدار العدل للنظر في المظالم، فكان ما اشتهر من إحضار اعتقاد الحنابلة، وموافقة أولاد الفقيه نجم ابن الحنبلي للجماعة، وإصرار عبد الغني المَقْدِسي على لزوم ما ظهر من اعتقاده، وهو الجهة، والاستواء، والحَرْف، وإجماع الفقهاء على الفُتْيا بكفره، وأنه مبتدعٌ لا يجوز أن يترك بين المسلمين، ولا يحِلُّ لولي الأمر أن يمكنه من المُقَام معهم. فسأل أن يُمْهَلَ ثلاثة أيام لينفصل عن البلد، فأُجيب. ورُفِعَتْ جميعُ الخزائن والصَّناديق من الجامع، وبَطَلَتْ صلاةُ الحنابلة بالجامع الظُّهر، ومُنِعُوا منها، ثم أُذِنَ لهم، فَصَلُّوا العَصْر من ذلك اليوم.

قلتُ: وسيأتي ذكر هذه الفتنة أيضاً في أخبار سنة ست مئة، إنْ شاءَ الله تعالى[3].

ثم دخلت سنة ست وتسعين وخمس مئة

فيها توفي الملك العزيز [عثمان][4] بن صلاح الدين[5]، صاحب الدِّيار

---

(١) في (ع) يبدأ خرم من هنا وحتى ص ١٢٢، وقد استدرك بخط مغاير. انظر حاشيتنا رقم ١ ص ١٢٢ من هذا الجزء.

(٢) «كتاب الروضتين»: ٤/ ١٩٠ ـ ٢١١.

(٣) ص ١٥٥ من هذا الجزء.

(٤) ما بين حاصرتين من (س).

(٥) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ١٤٠، مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٥ هـ)، التكملة للمنذري: =

المِصْرية، وعمره سبع وعشرون سنة وثمانية أشهر وأيام، وتوجه أخوه الأفضل من صَرْخَد إلى مِصْر، فدخل القاهرة، ثم استصحب ولد العزيز على أنه أتابكه، وخرجا إلى الشَّام بالعساكر، فحصرا دمشق، وأُحرق جميع ما هو خارج باب الجابية من الفنادق، والحوانيت، وأحرق النيرب وأبواب الطَّواحين، وقُطِعَتْ الأنهار، وأُحرقت غَلَّة حرستا في بيادرها.

وفيها ظهر العَجَمي الدَّاعي بدمشق المدَّعي أنه عيسى ابن مريم، وأفسد جمعاً من العوام، فقبض عليه صارمُ الدين بُزْغُش العادلي، وصلبه بعد استفتاء الفقهاء في أمره ظاهر باب الفَرَج على الصفصاف المجاور لحمام العماد الكاتب على حافة بردى[1]، وقد خَرِبَ الحَمَّام وما يجاوره من العُمْران في هذا الزَّمان، وكان غربي جسر الصَّفي مقابل الطاحونة المستجدَّة خارج باب الفَرَج بين البابين.

وفيها كان قيام العامة على الشيعة، وخروجُهم إلى باب الصغير، ونَبْشُهم وثاب المرحل من قَبْره، وتعليقُهم رأسَهُ مع كلبين ميتين ثالث عشر ربيع الآخر بعد صَلْب العَجَمي بيومين.

١٧ **وفيها** توفي الأمير أبو الحسين أحمد بن حَيُّوس[2] الشَّاهد[3] ثامن عشر ذي القَعْدَة.

= ١/ ٣٢٠، كتاب الروضتين: ٤/ ٤٤٣، وفيات الأعيان: ٣/ ٢٥١ ـ ٢٥٣، مفرج الكروب: ٣/ ٨٢ ـ ٨٤، المختصر في أخبار البشر: ٣/ ٩٥، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٢٩١ ـ ٢٩٤، العبر للذهبي: ٤/ ٢٨٧، الوافي بالوفيات: ١٩/ ٥١٦ ـ ٥١٩، البداية والنهاية (وفيات سنة ٥٩٥ هـ)، السلوك للمقريزي: ج١/ ق١/ ١٤٣ ـ ١٤٤، شفاء القلوب: ٢٣٥ ـ ٢٥١، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٢٠ ـ ١٣١، الدارس: ١/ ٣٧٨، شذرات الذهب: ٤/ ٣١٩.
وقد وهم أبو شامة في ذكره في وفيات هذه السنة في كتابه هذا، وكان قد ذكر وفاته على الصواب في «كتاب الروضتين»: ٤/ ٤٤٣ وذلك في ٢٠ محرم سنة (٥٩٥ هـ).

(١) قوله: على حافة بردى، ليس في (س).

(٢) له ترجمة في التكملة للمنذري: ١/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧ في وفيات سنة ٥٩٥ هـ، وذكر أنه أجازه إجازة مطلقة في رجب سنة (٥٩٥ هـ).

(٣) في (ط) الشاعر: وهو تحريف!

(١) وفيها توفي الرئيس مؤيد الدين أبو العساكر ابن الصُّوفي[٢] رابع عشر ذي الحجة(١).

وفيها توفي خُوارَزْم شاه، واسمه تُكُش بن رسلان شاه بن أَتْسِز[٣]، من ولد طاهر بنِ الحسين.

كان شُجاعاً جواداً، ملك الدُّنيا من الصين[٤]، والهند، وما وراء النهر إلى خُرَاسان إلى باب بغداد، كان نوابه في حُلْوان. وكان في ديوانه مئة ألف مقاتل، وهو الذي كسر مملوكُه عسكرَ الخليفة، وأزال دولة بني سَلْجوق. وكان حاذقاً بعلم الموسيقى، يقال: لم يكن في زمانه ألعب منه بالعود.

وحُكيَ أنَّ الباطنية جهزوا إليه رجلاً ليقتله ـ وكان يحترسُ كثيراً ـ فجلس

(١ـ١) ما بينهما جاء في (ع) و(ك) و(س) بعد ذكر ابن العقادة بدر الدين عسكر.

(٢) تعاقبت أسرة ابن الصوفي على رياسة دمشق، وقد سلفت أخبار بعض أفرادها في «كتاب الروضتين».

(٣) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ١٥٦ ـ ١٥٨، مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٦ هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٣٦٢، كتاب الروضتين: ٤/ ٤٨٤، المختصر في أخبار البشر: ٣/ ٩٨ ـ ٩٩، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٣٣٠ ـ ٣٣٢، العبر للذهبي: ٤/ ٢٩٢، الوافي بالوفيات: ١٣/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩، الجواهر المضية: ١/ ٤٧٣، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٥٩.

وقد أفرد محمد بن أحمد النسوي أخبار ابنه علاء الدين محمد وحفيده جلال الدين في كتاب سماه «سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي»، نشره وحققه حافظ أحمد حمدي، وطبع في القاهرة بدار الفكر العربي سنة ١٩٥٣ م، وأعيد نشره في موسكو سنة ١٩٩٦، بتحقيق ضياء الدين موسى بونياروف.

وقد اختصره أبو شامة في كتاب «نزهة المقلتين في سيرة الدولتين العلائية والجلالية»، وعندي نسخة مصورة منه، أهدانيها صديقي الأثير الشيخ محمد بن ناصر العَجْمي، نفع الله بعلمه، ونوَّله مناه.

(٤) كذا في النسخ الخطية، وهو وهم، والصواب ما هو مثبت في «الوافي بالوفيات»: من السند.

ولم تدخل الصين في ملك الدولة الخوارزمية، انظر «سيرة السلطان جلال الدين» ص ٧١ ـ ٧٣. (طبعة القاهرة).

ليلة يلعب بالعود، وشرَّع الخيمة، فاتفق أنه غَنَّى بيتاً بالعجمية وفيه ما معناه: قد أبصرتك، وفهمه الباطني، فخاف منه وارتعد، وهرب، فأُخِذَ وحُمِلَ إليه، فقرَّره، فأقرَّ، فقتله.

وكان يباشر الحروبَ بنفسه حتى ذهبت إحدى عينيه في الحرب؛ وكان يقال: الملك إذا لم يباشر الحرب بنفسه لا يَصْلُحُ للمُلْك، لأنه يكون مِثْلَ المرأة.

وكان قد عَزَمَ على قَصْدِ بغداد، وجَمَعَ وحَشَدَ، فوصل إلى دِهِسْتان، فتوفي بها في رمضان؛ فَحُمِلَ في تابوت إلى خوارَزْم، فدفن عند أهله.

وقام ولده محمد مقامه، وهو الذي خرج عليه التاتار، وعلى ولده جلال الدين، وماتا في محاربتهم، كما سيأتي ذكره[١].

وفيها توفي عبد اللطيف بن إسماعيل[٢] بن شيخ الشيوخ أبي سَعْد، وكنيته أبو الحسن، ولقبه صفي الدين.

وهو أخو شيخ الشيوخ صدر الدين عبد الرحيم بن إسماعيل الذي قَدِمَ رَسولاً على صلاح الدين من بغداد مراراً، وتوفي بالرَّحبة سنة ثمانين[٣].

وأما عبد اللطيف فولد سنة ثلاث وعشرين وخمس مئة، وسمع الحديث من والده أبي البركات إسماعيل، ومن قاضي المارَسْتان؛ وابن السَّمَرْقَنْدِي وغيرهم، وكان صالحاً ثِقَةً، وكان شيخَ الرباط الذي بالمشرعة شرقي بغداد، وحَجَّ، ثم ركب البحر إلى مِصْر، وزار الشَّافعي والقُدْس؛ والخليل عليه السلام، وقدم دمشق، فتوفي بها في ذي القعدة[٤]، ودفن بمقابر الصوفية عند المُنَيْبِع، رحمه الله.

---

(١) اكتفى أبو شامة من بعد بما ذكره في كتاب «نزهة المقلتين» انظر ص ٣٢٨ من هذا الجزء.

(٢) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٦ هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٣٧٠ ـ ٣٧١، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥، العبر للذهبي: ٤/ ٢٩٣، المختصر المحتاج إليه: ٣/ ٦٣ ـ ٦٤، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٥٩، شذرات الذهب: ٤/ ٣٢٧.

(٣) انظر «كتاب الروضتين»: ٣/ ٢٠٩ ـ ٢١١.

(٤) كذا قال، وقد تابع فيه سبط ابن الجوزي، وفي مصادر ترجمته أنه توفي في رابع عشر ذي الحجة، وذكر المنذري في «التكملة» أن ولادته في ذي القعدة.

وفيها توفي الشيخ أبو جعفر أحمد بن علي بن أبي بكر بن إسماعيل، القُرْطبي[١]، إمام الكلّاسة، الزاهد العابد يوم الاثنين تاسع عشر شهر رمضان. قرأ بالمَوْصِل القرآن بالرِّوايات على يحيى بن سَعْدُون القُرْطُبي.

وفيها توفي القاضي الفاضل[٢]، وقايماز النَّجْمي[٣]. والشِّهاب الطُّوسي[٤]، وابن العقادة بدر الدين عسكر[٥].

وفيها في رجب توفي بالقُدْس الفقيه مجد الدين، أبو محمد، طاهر بن نصر الله بن جَهْبَل[٦]، الكلابي الحلبي الشَّافعي.

وكان فاضلاً في علم الوصايا والفرائض، ودَرَّس بالقدس الشريف، ومولده في حلب في نيف وثلاثين وخمس مئة، وهو والد الفقهاء بني جَهْبَل الذين كانوا

---

(١) له ترجمة في التكملة للمنذري: ١/ ٣٦١ ـ ٣٦٢، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤، معرفة القراء: ٣/ ١١١٧ ـ ١١١٩، العبر للذهبي: ٤/ ٢٩١، الوافي بالوفيات: ٧/ ٢٠٥، غاية النهاية: ٢/ ٢٠٥، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٥٨، شذرات الذهب: ٤/ ٣٠٣.
وهو الذي قرأ القرآن الكريم عند السلطان صلاح الدين وهو يحتضر، انظر «كتاب الروضتين»: ٤/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤.

(٢) أورد أبو شامة أخباره في «كتاب الروضتين»، ثم أفرد فصلاً في وفاته في الجزء الرابع ص ٤٨٣ منه، فأغنى عن ترجمته هنا. وانظر ترجمته في «مرآة الزمان» (وفيات سنة ٥٩٦ هـ) بتحقيقي.
وللباحثة هادية دجاني كتاب «القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني العسقلاني، دوره التخطيطي في دولة صلاح الدين وفتوحاته» نشرته مؤسسة الدراسات الفلسطينية سنة ١٩٩٣ م.

(٣) سلفت أخباره في «كتاب الروضتين»، وترجم له أبو شامة في ج٤/ ٤٦٤ ـ ٤٦٥، فأغنى عن إعادته هنا. وانظر ترجمته في «مرآة الزمان» (وفيات سنة ٥٩٦ هـ).

(٤) أورد أبو شامة ترجمته في «كتاب الروضتين»: ٤/ ٤٦٧ ـ ٤٦٨، وذكرت ثمة مصادر ترجمته، وانظر ص٩٤ من هذا الجزء.

(٥) كان رئيس الحنفية بدمشق، وذكره أبو شامة في «كتاب الروضتين»: ٣/ ٢٧٠، ٤/ ٤٦٩.

(٦) له ترجمة في بغية الطلب: ٢/ ٧٤٣، العبر للذهبي: ٤/ ٢٩٢، الوافي بالوفيات: ١٦/ ٤١١، طبقات الشافعية للإسنوي: ١/ ٣٧١ ـ ٣٧٢، البداية والنهاية (وفيات سنة ٥٩٦ هـ)، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: ٢/ ٣١، الدارس: ١/ ٢٣٠ ـ ٢٣٢، الأنس الجليل: ٢/ ١٠٢ ـ ١٠٣، شذرات الذهب: ٤/ ٣٢٤، وانظر «كتاب الروضتين»: ٣/ ١٧٠.

عندنا بدمشق بالمدرسة الجاروخية: بهاء الدين نصر الله، وتاج الدين إسماعيل، وقطب الدين.

١٨ **وفيها** توفي أبو الفَرَج عبد المنعم بن عبد الوَهَّاب بن صَدَقَة بن كُلَيْب الحَرَّاني[١]، راوي جُزْء ابن عَرَفة عن أبي علي بن نَبْهان ـ وهو آخر من حَدَّث عنه ـ وعن أبي القاسم ابن بَيَان، وأحمد بن علي بن بَدْران[٢] الحلواني. وكانت وفاته في ربيع الأول، ودُفِنَ بباب حَرْب، وله خمس وتسعون سنة، وكان ثِقَةً، صحيح السماع، وكان يأخذ على إسماعه جُزْءَ ابنِ عَرَفة ديناراً.

وفيها توفي كامل بن الفتح، أبو تمام بن سابور الضَّرير، ويلقب بالظَّهير النَّحْوي[٣]، بغدادي، اشتغل بالأدب والشعر فبَرَعَ فيهما، ومن شعره:

وفي الأوانس مِنْ نُعمان[٤] آنسةٌ ... لها من القَلْبِ ما تهوى وتختارُ

ساوَمْتُها نَفْثَةً مِنْ ريقها بدَمي ... وليس إلَّا خفيَّ الطَّرْفِ سِمْسَارُ

عند العذولِ اعتراضاتٌ ولائمةٌ ... وعند قلبي جواباتٌ وأعذارُ

وكانت وفاته في جُمادى الآخرة، ودفن بباب حرب.

---

(١) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ١٥٩، ذيل تاريخ بغداد لابن النجار: ١/ ١٦٦ ـ ١٧٢، التكملة للمنذري: ١/ ٣٤٨ ـ ٣٤٩، وفيات الأعيان: ٣/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨، (وفيه ولادته سنة ٥٠٥ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٢٥٨ ـ ٢٦٠، العبر للذهبي: ٤/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤، المختصر المحتاج إليه: ٣/ ٩٠ ـ ٩١، الوافي بالوفيات: ١٩/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣، البداية والنهاية (وفيات سنة ٥٩٦هـ)، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٥٩، المنهج الأحمد: ٤/ ٩، شذرات الذهب: ٤/ ٣٢٧.

(٢) في النسخ الخطية ما خلا (س): يزيد، وهو تحريف، والمثبت من ترجمته في «المنتظم»: ٩/ ١٧٥، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٣٨٠ ـ ٣٨١، وقد سقط اسم جده من (س).

(٣) له ترجمة في معجم الأدباء: ١٧/ ١٩، إنباه الرواة: ٣/ ٤١، التكملة للمنذري: ١/ ٣٥٦ـ٣٥٧، تكملة ابن الصابوني: ٢٦ـ٢٧، الوافي بالوفيات: ٢٤/ ٣١٣ـ٣١٤، نكت الهميان: ٢٣١، فوات الوفيات: ٣/ ٢١٧، توضيح المشتبه: ١/ ٣١٩، بغية الوعاة: ٢/ ٢٦٦.

(٤) في مصادر ترجمته: من بغداد.

وفيها توفي البَلْخي الواعظ، واسمه محمد بن عبد الله، ويلقب بالنظام وبابن الظريف[(١)].

ولد ببَلْخ سنة ستٍّ وعشرين وخمس مئة، وقدم بغداد، فوعظ بها في النظامية، وباب بدر، وجامع القَصْر، ومدرسة أبي النَّجيب، ودار ابن حديدة الوزير، وكان فصيحاً، مليح الصَّوْت، وكان متشيعاً، وأنشد يوماً في النظامية:

سَقَاهُمُ اللَّيْلُ كاساتِ السُّرى فَغَدَتْ ... منه سُكارَى كأنَّ الليلَ خَمَّارُ
وصَيَّرَ الشَّوْقُ أطواقاً عمائمهم ... لا يعقلونَ أقامَ الحيُّ أم ساروا
ونسمةُ الفَجْرِ إنْ مَرَّت بهم سَحَراً ... تمايلوا وبدا للسُّكْرِ آثارُ

فلم يبق في المجلس إلا مَنْ قام وصاح وتواجد. وأنشد أيضاً:

مددتُ يدي في الحبِّ نحوك سائلاً ... وقلتُ لجفني أَذْرِ دَمْعَك سائلا
تَفَقَّهْتُ في عِلْم الصَّبابة والهوى ... فمن شاء فَلْيُلْقِ عليَّ المسائلا

وحُكي أنه نُقِلَ إلى الخليفة عنه أنه يعاشر النِّساء، ويرتكب المحرَّمات، فأرسل إليه الوزير وهو على المنبر، فقال: قد رُسِمَ أن تخرج من البلد، فأنشد:

أبابِلُ لا وَادِيكِ بالجودِ مُفْعَمٌ ... لديَّ ولا ناديك بالرِّفْدِ آهِلُ
لئن ضِقْتِ عني فالبلادُ فسيحةٌ ... وحَسْبُكِ عاراً أنني عنكِ راحِلُ
وإن كنتِ بالسِّحْرِ الحَرَامِ مُدِلَّةً ... فعندي من السِّحْرِ الحلال دلائلُ
قوافٍ تُعِيْرُ الأعينَ النُّجْلَ حُسْنَها ... فأيُّ مكانٍ خُيِّمَتْ فَهْو بابلُ[(٢)]

وأُخرج إلى الجانب الغربي من بغداد، فمات، ودفن في مقابر قريش في صفر.

---

(١) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٦ هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٣٤٦، المختصر المحتاج إليه: ١/ ٦٠، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: ٩٥ ـ ٩٧، الوافي الوفيات: ٣/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤، لسان الميزان: ٧/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

(٢) الأبيات للأبيوردي في «ديوانه» ١/ ٣٧٧ .

وفيها توفي بمصر الفقيه شهاب الدين محمد الطُّوسي، مدرِّسُ منازل العِز، وقد ذكرته في آخر «كتاب الرَّوْضتين»[(١)].

قيل: كان لما قَدِمَ بغداد يركب بالسَّنْجَق والسيوف المُسَلَّلة، والغاشية المرفوعة، والطَّوْق في عُنُقِ البغلة، فمنع من ذلك، فسافر إلى مِصْر، ووعظ، وأظهر مذهب الأشعري، وتأذت[(٢)] الحنابلة، فكان يجري بينه وبين الزين ابن نُجَيَّة العجائب من السِّباب والتكفير. وبلغني أنه سُئِلَ: أيما أفضل دم الحسين، أم دم الحلاج؟ فاستعظم ذلك وقال: كيف يجوز أن يقال هذا؟! قطرة من دم الحسين رضي الله عنه أفضل من مئة ألف دم مثل دم الحلاج، فقال السائل: فَدَمُ الحلاج كَتَبَ على الأرض: الله، ولا كذلك دم الحسين. فقال الطوسي: المتهم يحتاج إلى تزكية. ١٩

قلتُ: وهذا جوابٌ في غاية الحُسْن في مثل هذا الموضع، على أنه لم يصحَّ ما ذكر عن دم الحلاج، والله أعلم.

وكانت وفاته في الحادي والعشرين من ذي القَعْدة، وكان يومه مشهوداً، ركب فيه الملك العادل، وكبراء الدولة، وخرج أهل مِصْر والقاهرة جميعاً مشيعين نعشه إلى حيث دُفِنَ من القَرَافة.

وفيها توفي الهُمَام العَبْدِي الشَّاعر، واسمه الحسن بن علي العبقسي البغدادي[(٣)].

---

(١) ج٤/ ٤٦٧، وانظر حاشيتنا رقم ٤ ص ٩١ من هذا الجزء.

(٢) في النسخ الخطية ما خلا الأصل: ثارت.

(٣) ترجم له أبو شامة في «كتاب الروضتين»: ٤/ ٤٧٠، وسماه هناك أبو الحسن علي بن نصر بن عقيل، وهو خطأ، تابع فيه سبطَ ابنَ الجوزي في «المرآة» في وفيات سنة (٥٩٦ هـ)، وانظر مصادر ترجمته ثمة.

وقد أورد ابنُ أبي أصيبعة قصيدتين له في «طبقات الأطباء»: ٤٠٠ ـ ٤٠١ يمدح فيهما جمال الدين أبا الحسن علي بن أبي الغنائم.

ذكر القُوصي في «معجمه» أنه دخل على قاضي القضاة محيي الدين محمد بن علي القُرَشي، وهو يملي رسالته المحيوية في التعزية الفاضلية. فأنشده:

ألا قُلْ لناعي الفاضل اقْصِرْ فإنَّني تَيَقَّنْتُ حقًّا أنَّ نَعْيَكَ باطِلُ
إذا كان محيي الدِّين في الدَّسْتِ جالساً فما ماتَ في الدُّنيا من النَّاس فاضِلُ[1]

وفيها توفي محمد بن عبد المنعم أبي الفضائل، الصُّوفي المِيْهَني[2]، شيخ رباط البِسْطامي، ويلقب بالركن.

كان جواداً سَمْحاً، لم يكن في أبناء جنسه من يضاهيه في الكرم، ما طلب منه أحدٌ شيئاً فمنعه، حتى كان يخرج وفي رِجْله مَدَاس، فيرجع حافياً، ويخرج وعليه ثوبان فيرجع عُرْياناً، وكانت له خلواتٌ ومحاضرات. وسمع الحديث من شُهْدَة وغيرِها، وتوفي في ذي الحِجَّة، ودفن في الشُّونيزية عند والده أبي الفضائل.

وفي هذه السنة كان الأفضل والظاهر ومن تابعهما على حَصْر دمشق، والعساكر جاثمة بمنزلتهم، وقد حفروا عليها خندقاً من أرض اللَّوان إلى أرض يلدا مشرقاً، احترازاً من مهاجمة مَنْ بدمشق لهم فيها. ثم رحل الأفضلُ والظَّاهر إلى رأس الماء وافترقا، فسار الأفضل إلى مِصْر، والظاهر إلى حلب تاسع ربيع الأول. وخرج العادل تابعاً للأفضل إلى مصر، فكسر عسكره بموضعٍ يعرف بالقَصْرين بين الغُرَابي والسَّانح، ودخل العادل القاهرة، ورجع الأفضل إلى صَرْخد.

(١) سلف بيتان من هذه القصيدة في «كتاب الروضتين»: ٤/ ٤٧٠.

(٢) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٦ هـ)، والتكملة للمنذري: ١/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧.

ثم دخلت سنة سبع وتسعين وخمس مئة

ففيها توفي بهاء الدين قَرَاقُوش الأسدي[١]، وقيل: إنَّه لم يكن مملوكاً لأسد الدين، وإنما كان لابن الطقطقي، فَصَحِبَ أسدَ الدين، وتقدَّم عنده بعد وفاة سيده.

وفيها كانت حوادثُ [كثيرة][٢] عظيمة، منها هبوطُ نيل مِصْرَ إلى أن بقي منه شيء يسير، واشتدَّ الغلاء والوباء بمصر، فهربَ النَّاس إلى المغرب والحجاز واليمن والشَّام تفرُّقَ أيدي سبأ، ومزِّقُوا كل ممزَّق أعظم من سنة اثنتين وستين وأربع مئة في أيام الملقب بالمستنصر بن الظَّاهر بن الحاكم أحد الخُلَفاء المِصْريين، فإنَّ النَّاسَ في هذه السنة كان الرَّجل يذبح ولده الصَّغير، وتساعده أمه على طبخه وَشَيِّه، وأحرق السلطانُ جماعةً فعلوا ذلك ولم ينتهوا. وكان الرجل يدعو صديقه وأحبَّ النَّاس إليه إلى منزله ليضيفه فيذبحه ويأكله، وفعلوا كذلك بالأطباء، كانوا يدعونهم ليبصروا المرضى فيقتلونهم ويأكلونهم، وفقدت الميتات والجيف من كثرة ما أكلوها. وكانوا يَخْطَفون الصِّبيان من الشَّوارع فيأكلونهم، وكَفَّن السُّلْطان في مُدَّة يسيرة مئتي ألف وعشرين ألفاً، وامتلأت طُرُقات المغرب والحجاز والشام برمم النَّاس، وصَلَّى إمام جامع الإسكندرية في يومٍ على سبع مئة جِنازة.

٢٠ قال العِز بن تاج الأمناء[٣]: كان اشتداد الغلاء والوباء بالديار المصرية من

---

(١) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٦ هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٣٨٩، كتاب الروضتين: ٤/ ٤٨٤ ـ ٤٨٥، وفيات الأعيان: ٤/ ٩١ ـ ٩٢، العبر للذهبي: ٤/ ٢٩٨، السلوك للمقريزي: ج١/ ق١/ ١٥٨، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٧٦ ـ ١٧٨، شذرات الذهب: ٤/ ٣٣١ ـ ٣٣٢، وقد سلفت أخباره في «كتاب الروضتين».

(٢) ما بين حاصرتين من (ع) و(ك) و(س).

(٣) في (ع) و(ك) و(س): تداخل قول العز بن تاج الأمناء مع قول سبط ابن الجوزي.

شهر رمضان بحيث بلغ ثمن الإِرْدَب[١] ستة دنانير مصرية، وجلا أهل الأعمال، وصار إلى بلاد الفرنج منهم جمع حُملوا إلى الجزائر البحرية، وأقرَّ كثير ممن تفرَّق في البلاد الإسلامية بالعبودية لمن يؤويه ويطعمه، وأشرفت الأعمال المصرية على الخراب الكلي لولا تدارك لطف الله تعالى بإجراء نيلها والإسعاد بما كان للملك العادل فيها من الغلال التي صرفها في تقاوي البلاد ومؤن أهلها إعانةً وصدقةً، فتماسك من كان مقيماً بها، وتراجع إليها من قدر على الرجوع من أهلها.

قال أبو المظفر: وجاءت في شعبان زلزلة[٢] هائلة من الصَّعيد، فعمَّتِ الدنيا في ساعةٍ واحدة هدمت بنيان مِصْر، فمات تحت الهدم خَلْقٌ كثير، ثم امتدَّت إلى الشَّام والسَّاحل، فهدمت مدينة نابلس فلم يبق فيها جدارٌ قائم إلا حارة السمرة، ومات تحتَ الهَدْم ثلاثون ألفاً، وهدمت عكَّا، وصور وجميع قلاع السَّاحل[٣]، وامتدَّتْ إلى دمشق، فَرَمَتْ بعض المنارة الشَّرْقية بجامع دمشق، وأكثر الكلَّاسة، والبيمارَسْتان النُّوري، وعامة دور دمشق إلا القليل،

(١) مكيال لأهل مصر، قيل: يضم أربعة وعشرين صاعاً. «اللسان» (ردب).

(٢) خبر الزلزلة هذه أوردها سبط ابن الجوزي في «المرآة» في حوادث سنة (٥٩٧ هـ) ـ وعنه نقل أبو شامة ـ وابن الأثير في «الكامل»: ١٢/ ١٧٠ ـ ١٧١، والذهبي في «العبر»: ٤/ ٢٩٦، وفي «السير»: ٢٢/ ٢٢٠ ـ ٢٢١.
وقد أعاد أبو شامة ذكرها في حوادث سنة (٥٩٨ هـ) نقلاً عن العز بن تاج الأمناء، وكذلك ذكرها في هذه السنة عبد اللطيف البغدادي في كتابه «الإفادة والاعتبار»: ٥٩ ـ ٦٠.
وقد خَطَّأ الذهبيُّ العِزَّ في ذكر الزلزلة في هذه السنة، فقال في «السير»: ٢٢/ ٢٢٢: وأرخ العز النسابة خبر الزلزلة فيها (يعني سنة ٥٩٨ هـ) فوهم.
وذِكْرُ أبي شامة خبرها في السنتين دليل على أنه لم يرجح أياً منهما.

(٣) نسب الذهبي في «السير»: ٢٢/ ٢٢٠ هذا الخبر خطأً لأبي شامة، وقال: وهذه مجازفة ظاهرة.
قلت: وليست هذه هي المرة الوحيدة التي ينسب الذهبي فيها أخباراً لأبي شامة، وهي لسبط ابن الجوزي، انظر حاشيتنا رقم ٣ ص ٨٣ من الجزء الثاني.

وهَرَبَ النَّاسُ إلى الميادين، وسقَطَ من الجامع ست عشرة شرفة، وتشقَّقَتْ قُبَّة النَّسْر، وتهدَّمت بانياس وهُونين وتِبْنين، وخرج قوم من بَعْلَبَكَّ يجنون الرِّيباس[1] من جبل لبنان، فالتقى عليهم الجبلان، فماتوا بأَسْرِهم، وتهدَّمت قلعة بعلبك مع عِظَم حِجارتها ووثيق عمارتها، وامتدَّت إلى حمص، وحماة، وحلب، والعواصم، وقطعتِ البحرَ إلى قُبرص، وانفرق البحر فصار أطواداً، وقذف بالمراكب إلى السَّاحل فتكسَّرت، ثم امتدَّت إلى خِلاط، وأرمينية، وأَذْرَبيجان، والجزيرة، وأُحصي مَنْ هَلَكَ في هذه السنة على سبيل التقريب فكان ألف ألف إنسان ومئة ألف إنسان، وكان قوة الزلزلة في مبدأ الأمر بمقدار ما يقرأ الإنسان سورة الكهف، ثم دامت بعد ذلك أياماً. نقلتُ جميعَ ذلك من تاريخ أبي المُظَفَّر سِبْط الجَوْزي رحمه الله[2].

قال: وفي مستهل ذي القَعْدَة حُوصرت دمشق؛ جاء الأفضل، والظَّاهر وكان[3] العادل بمِصْر، وجاء حُسام الدِّين بشارة من بانياس نجدةً لهما، فقاتلوا دمشق أياماً، وكان بها المُعَظَّم عيسى بنُ العادل، وبلغ العادل، فجاءه فنزل نابلس، وبَعَثَ فأصلح الأمراء، وزَحَف الأفضلُ والظَّاهرُ، فوصلوا إلى باب الفراديس، وأحرقوا فندق تقي الدِّين، وقاتلهم المعظم، وحَفِظَ البلد، فأقاموا نحو شهرين. وبعث العادل فأوقع الخُلْف بين الأخوين، فرحلوا سَلْخ ذي الحِجَّة، وجاء العادل فدخل دمشق، ومضى المعظم وشركس وقراجا، فحاصروا بانياس وبها حُسام الدِّين بشارة، فقاتلهم فَقُتِلَ ولدهُ، وأخرجوه من البلاد وتسلَّمها شركس، وتسلَّم قراجا صَرْخَد.

وحَجَّ بالنَّاس طاشْتِكِين، وكان الخليفةُ قد أفرج عنه، وردَّ إليه إقطاعه وماله[4].

---

(١) الريباس: نبت كانوا يتداون به من الحصبة. انظر «القاموس المحيط»: (ربس).

(٢) «مرآة الزمان» (حوادث سنة ٥٩٧ هـ).

(٣) من هنا اضطربت أوراق الأصل، وقد أعدناها إلى حاق موضعها.

(٤) مرآة الزمان (حوادث سنة ٥٩٧ هـ).

وفيها توفي عِزُّ الدين إبراهيم ابنُ المُقَدَّم[(١)]، وكان شجاعاً عاقلاً، وله قلعة بارين، وفامية، ومَنْبِج، والراوندان، ودُفِنَ بدمشق بمقبرته خارج العُقيبة، بمقبرة باب الفراديس. وكان له بناتٌ، وأبوه هو المقتول بعرفات[(٢)].

وفيها توفي ناظر نهر الملك ببغداد، واسمه إبراهيم بن محمد بن إبراهيم[(٣)] ـ وكان متزهداً يَلْبَس القُطْن الفوط، ويعدل في الرَّعية، ويحسنُ إليهم ـ أمر الخليفةُ النَّاصر بصَلْبه، فَصُلِبَ على كرسي جسر بغداد، وعليه القميص الفوط على جانب نهر عيسى، فمرَّ به الخليفةُ وهو مصلوبٌ في وسط الجِذْع. فقال: تَتَنَمَّسُ علينا، ارفعوه إلى رأس الجِذْع. وكان شيخاً مهيباً، وحَزِنَ النَّاسُ عليه.

وقبل ذلك في سنة ست وثمانين [جرت][(٤)] واقعة أبشع من هذه، كان ببغداد عبد الرَّشيد بن عبد الرَّزَّاق الكُرْجي[(٥)] ـ بالجيم ـ الصُّوفي يتفقَّه بدار ٢١ الذهب. وكان وَرِعاً عاملاً عابداً، وكان ببغداد صوفي يقال له النَّفيس، يضحك منه ويسخر به، وكان يدخل على الخليفة، فدخل يوماً مدرسة دار الذَّهب، فجعل يتمسخر، فقال له الكرجي: اتق الله، نحن نبحث في العلم، وأنت تَهْزِل؟ ما هذا موضعه. فدخل على الخليفة، وبكى بين يديه، وقال: ضربني الكُرْجي وعَيَّرني. فغضب الخليفةُ وأمر بصلبه، فأُخرج وعليه ثوب أزرق من ثياب الصُّوفية إلى الرَّحبة، ونصبوا له خشبةً ليصلبوه. فقال: دعوني أصلِّي ركعتين. فصَلَّى وصلبوه، فجاء خادمٌ من عند الخليفة فقال: لا تصلبوه. وقد فات، فلعن النَّاسُ النفيسَ الصُّوفي، وبقي أياماً لا يتجاسر يظهر ببغداد، ورأى

(١) له ترجمة في مرآة الزمان: (وفيات سنة ٥٩٧ هـ)، وكتاب الروضتين: ٤/ ٤٨٣ ـ ٤٨٤، والوافي بالوفيات: ٦/ ١٣٧.

(٢) انظر «كتاب الروضتين»: ٣/ ٤٢٣ ـ ٤٢٦.

(٣) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٧ هـ).

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

(٥) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٨٦ هـ).

الكرجيَّ بعضُ الصَّالحين في المنام، فقال: ما فعل الله بك؟ فقال: وقفني الحقُّ بين يديه، فقلتُ: يا إلهي، رضيتَ ما جرى عليَّ؟ فقال. أَوَ ما سَمِعْتَ ما قلتُ في كتابي ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾ الآية[1]. أي إني أردتُ أن تصل إلى مرتبة الشُّهداء.

وفيها توفي الشيخ أبو الفرج ابنُ الجَوْزي الواعظ، واسمه عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حُمَّادى بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي[2] بن عبد الله بن القاسم بن النَّضْر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، أبو الفرج بن أبي الحسن القُرَشي التَّيْمي. وجعفر الجَوْزي منسوبٌ إلى فُرْضة من فُرَضِ البَصْرة يقال لها جوزة. وفرضة النهر ثلمته التي يُسْتقى منها.

قال سِبْطه أبو المظفر: ولد جَدِّي ببغداد بدرب حبيب في سنة عشر وخمس مئة تقريباً، وتوفي أبوه وله ثلاث سنين. وكانت له عمةٌ صالحة، وكان أهله تجاراً في النُّحاس ـ ولهذا رأيتُ في بعض سماعاته: وكتبَ عبدُ الرحمن

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.

(٢) له ترجمة في خريدة القصر، قسم شعراء العراق: مج١/ج٣/ ٢٦٠ ـ ٢٦٥، رحلة ابن جبير: ٢٧١ ـ ٢٧٧، الكامل: ١٢/ ١٧١، مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٧ هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥، مشيخة النعال: ١٤٠ ـ ١٤٢، وفيات الأعيان: ٣/ ١٤٠ ـ ١٤٢، المختصر في أخبار البشر: ٣/ ١٠١، طبقات علماء الحديث: ٤/ ١١٩ ـ ١٢٢، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٣٦٥ ـ ٣٨٤، العبر للذهبي: ٤/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨، تذكرة الحفاظ: ٤/ ١٣٤٢، المختصر المحتاج إليه: ٢/ ٢٠٥ ـ ٢٠٨، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: ٢٨٤، الوافي بالوفيات: ١٨/ ١٨٦ ـ ١٩٤، البداية والنهاية (وفيات سنة ٥٩٧ هـ)، ذيل طبقات الحنابلة: ١/ ٣٩٩ ـ ٤٣٣، غاية النهاية: ١/ ٣٧٥، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٧٤ ـ ١٧٦، المقصد الأرشد: ٢/ ٩٣، المنهج الأحمد: ٤/ ١١ ـ ٤٢، طبقات المفسرين للداودي: ١/ ٢٧٠ ـ ٢٧٤، شذرات الذهب: ٤/ ٣٢٩ ـ ٣٣١.

الصَّفَّار[١] ـ فلمَّا ترعرع حَمَلَتْه عَمَّتُه إلى مسجد أبي الفَضْل بن ناصر، فاعتنى به، وأسمعه الحديث، وقرأ القرآن، وتفقه. وقد ذكر مِنْ مشايخه في «المشيخة»[٢] نيفاً وثمانين شيخاً. وعني بأمره شيخُه ابنُ الزَّاغوني، وعلَّمه الوعظ، واشتغل بفنون العلم، وأخذ اللغة عن أبي منصور الجواليقي، وصنَّف الكُتُبَ في فنون، قيل: بلغت مصنفاته نحو ثلاث مئة مصنف، وحضر مجالِسَهُ الخلفاءُ، والوزراء والأمراء، والعلماء، والأعيان، وأقلّ ما كان يحضر مجلِسَهُ عشرةُ آلاف، وربما حضر عنده مئة ألف. وأوقع الله له في القلوب القَبُول والهيبة. وكان زاهداً في الدُّنيا، متقلِّلاً منها. وسمعته يقول على المنبر في آخر عمره: كتبتُ بأصبعيَّ هاتين ألفي مجلَّدة، وتاب على يدي مئة ألف، وأسلم على يدي عشرة آلاف[٣] يهودي ونَصْرَاني، وكان يجلس بجامع القصر والرُّصافة، وجامع المنصور وباب بدر، وتربة أم الخليفة وغيرها، وكان يختم القرآن في كل سبعة أيام، ولا يخرج من بيته إلا إلى الجامع للجُمُعة وللمجلس، وما مازحَ أحداً قطُّ، ولا لعب مع صبي، ولا أكل من جهةٍ لا يتيقَّنُ حِلَّها، وما زال على ذلك الأسلوب حتى توفَّاه الله تعالى[٤].

وقد ذكرنا محنته[٥] التي شارك[٦] بها الأنبياء، والعُلَماء، والفُضَلاء، والأولياء، وتلقى ذلك بالصَّبْر والحمد والشُّكْر.

---

(١) قوله: ولهذا رأيت في بعض سماعاته: وكتب عبد الرحمن الصفار، هو من كلام أبي شامة.

(٢) طبعت المشيخة بتحقيق الشيخ محمد محفوظ، ونشرته الشركة التونسية للتوزيع سنة ١٩٧٧. وكان السبط قد أسمعها بروايته عن جده في جبل قاسيون بدمشق سنة (٦٤٩ هـ). انظر ثبت السماع للمشيخة ص ٤٤ ـ ٤٥.

(٣) في نسخ «مرآة الزمان» التي عندي: وأسلم على يدي عشرون ألفاً.

(٤) «مرآة الزمان» (وفيات سنة ٥٩٧ هـ).

(٥) سلفت ص ٥٧ من هذا الجزء.

(٦) في النسخ ما عدا الأصل: زاحم.

وقد أثنى عليه العلماء، فذكره أبو عبد الله محمد بنُ الدّبيثي في الذيل الذي ذَيَّله على تاريخ ابن السَّمعاني، فقال:

شيخنا الإمام، جمال الدين ابنُ الجوزي، صاحب التصانيف في فنون العِلْم من التَّفاسير، والفِقْه، والحديث، والتَّواريخ، وغير ذلك، وإليه انتهت معرفةُ الحديث وعلومه، والوقوف على صحيحه من سقيمه، وله فيه المصنَّفات من المسانيد والأبواب والرِّجال ومعرفة الأحاديث الواهية الموضوعة، والانقطاع ٢٢ والاتصال. وكان من أحسن النَّاس كلاماً، وأتمهم نظاماً، وأعذبهم لساناً، وأجودهم بياناً. تفقَّه على أبي بكر الدِّينوري، وقرأ الوعظ على الشريف أبي القاسم العَلَوي، وأبي الحسن ابن الزَّاغوني. وبورك له في عمره وعمله، فروى الكثير، وسمع النَّاس منه أكثر من أربعين سنة. وحدَّث بمصنفاته مراراً.

قال: وأنشدني بواسط لنفسه:

يا ساكِنَ الدُّنيا تأهَّـ ـبْ وانتظرْ يَومَ الفِرَاقِ
وأعِدَّ زاداً للرَّحيـ ـلِ فسوفَ يُحدَى بالرِّفاقِ
وابكِ الذُّنوبَ بأدْمُعٍ تَنْهَلُّ مِنْ سُحُبِ المآقي
يا مَنْ أضاعَ زمانَهُ أرَضِيتَ ما يفنى بباقِ

فصل
في نُتَفٍ من كلامه

قال له قائل: ما نمتُ البارحة من شوقي إلى المجلس. فقال: نَعَمْ، لأنَّك تريد أن تتفرَّج، وإنما ينبغي أن لا تنام الليلة لأجل ما سَمِعْتَ.

وقيل له: إن فلاناً أوصى عند الموت. فقال: طَيَّن سطوحه في كانون.

وقال له قائل: أيمَّا أفضل، أسبِّح أم أستغفر؟ فقال: الثِّياب الوَسِخة أحوج إلى الصَّابون من البخور.

وقال في قوله عليه السلام. «أعمارُ أُمتي ما بين الستين إلى السبعين»[١]: إنما طالت أعمارُ القدماء لطول البادية، فلما شارَفَ الركب بلدَ الإقامة قيل: حُثُّوا المَطِيَّ.

ووعظ الخليفة يوماً، فقال: يا أمير المؤمنين، إن تكلَّمْتُ خِفْتُ منك، وإن سكَتُّ خِفتُ عليك، فأنا أقدِّم خوفي عليك على خوفي منك لمحبتي لدوام أيامك، إنَّ قول القائل اتق الله خيرٌ من قول القائل إنكم أهلُ بيتٍ مغفورٌ لكم، وقد قال الحسن البَصْرِي: لئن تصحب أقواماً يخوفونك حتى تبلغ المأمن خيرٌ من أن تصحَبَ أقواماً يؤمنونك حتى تبلغ المخاوف. وكان عمر بنُ الخطاب يقول: إذا بلغني عن عامل ظالم أنه قد ظلم الرعية ولم أغيِّرْه فأنا الظالم، يا أمير المؤمنين، كان يوسف عليه السَّلام لا يِشبع في زمان القحط لئلا ينسى الجياع، وكان عمر يضرب بطنه عام الرَّمادة ويقول: قَرْقِرْ إنْ شِئْتَ أوْلا تقرقر، فوالله لا شبعتَ والمسلمون جياع. فتصدَّق الخليفة ـ وكان المستضيء ـ بصدقاتٍ كثيرة، وأشبع الجياع، وأطلق الحبوس.

وقال في قول فِرْعَوْن ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾[٢]: أيفتخر فرعونُ بنهرٍ ما أجراه، ما أجراه.

وقال في قصة الذين عبدوا العِجْل: لو أنَّ الله خار لهم ما خارَ لهم.

وذكر قصة معاذ بن جبل في القراءة فقال: طاب له ارتضاع ثدي التِّلاوة، فمرَّ على وجهه، فقيل له: أفتَّانٌ أنت[٣]؟ ليس الكل على طريقتك، الولد لا تعدُّ عليه الرَّضَعات إنما تعدُّ على الأجانب لإثبات نسب الرَّضَاع.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٥٠)، وابن ماجه (٤٢٣٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٥١.

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٥)، ومسلم (٤٦٥) (١٧٨) من حديث جابر رضي الله عنه، وهو في مسند الإمام أحمد (١٤١٩٠).

وقال يوماً وقد طَرِبَ أهلُ المجلس: فَهِمْتُم، فَهِمْتُم.

٢٣ وسئل عن قوله ﷺ: «لأعطينَّ الرّاية غداً رجلاً يحبُّ اللهَ ورسوله، ويحبّه اللهُ ورسولهُ»[1]. فأعطاها علياً، فأين كان أبو بكر؟ فقال: لما كان يوم بدر قام أبو بكر ليقاتل فقال له رسول الله ﷺ: «مَتِّعنا بنفسك»[2] ولما كان يوم خيبر سَلَّم الرَّاية إلى علي وقال له: اخرج. فقعود مَنْ قَعَدَ بالأمر كخروج من خرج بالأمر، ولكن في قوله: متعنا بنفسك، فضيلة.

وسئل: لِمَ لم ينصَّ النبيُّ ﷺ على خلافة أبي بكر؟ فأجاب: إنه قد جَرَتْ أشياء تجري مجرى النص، منها قوله: «مروا أبا بكر فَلْيُصَلِّ بالنَّاس»[3] و«اقتدوا باللذين مِنْ بعدي»[4] و«هلموا أكتب لأبي بكر كتاباً لئلا يختلف عليه المسلمون»[5] فهذه أحاديثُ تجري مجرى النص، فهمها الخصوص غير أنَّ الرَّافضة في إخفائها كاللصوص.

قال السائل: لما قال أقيلوني ما سَمِعْنا مِثْلَ جواب عليٍّ: والله لا أقلناك. فقال: لما غاب عليٌّ عن البيعة في الأول أخلف ما فات بالمَدْح في المستقبل ليعلم السَّامع والرائي أن بيعة أبي بكر وإن كانت مِنْ ورائي فهي رأيي، ومِثْلُ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٩) ومسلم (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد، وكذلك البخاري (٣٧٠٢) ومسلم (٢٤٠٧) من حديث سلمة بن الأكوع. رضي الله عنهما.

(٢) هو عند الحاكم في «المستدرك»: ٣/ ٤٧٤، ومن طريقه البيهقي في «السنن»: ٨/ ١٨٦ من رواية الواقدي عن ابن أبي الزناد وعن أبيه، وإسناده تالف.

(٣) أخرجه البخاري (٦٧٨)، ومسلم (٤٢٠) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وهو في مسند الإمام أحمد (١٩٧٠٠).

(٤) هو في مسند الإمام أحمد (٢٣٢٤٥) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٥) أخرج مسلم (٢٣٨٧) (١١) من حديث عائشة قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: «ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً، فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل: أنا أَوْلى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر».

ذلك الصَّدْر لا يُرَائي، وما أحسنَ استدلاله حين قال: رضيك رسولُ الله ﷺ لدينا، أفلا نرضاك لدنيانا؟

وسأل سائِلٌ: ما الذي وَقَرَ في صَدْر أبي بكر؟ فقال: قوله ليلة المِعْراج: إن كان قال فقد صَدَقَ، فله السَّبْق.

وسأل آخر: سيفُ عليٍّ نزل من السماء، فَسَعَفَةُ أبي بكر من أين؟ فقال: إنَّ سَعَفَةً[١] هُزَّتْ يومَ الرِّدَّة، فأثمرت سَبْياً جاء منه مثلُ ابنِ الحنفية لأمضى من سيوف الهِنْد.

ثم قال: يا عجباً، الرَّافضة إذا ماتَ لهم مَيْتٌ تركوا معه سَعَفة، من أين ذا الصُّلْح؟!

سأل سائل: ما معنى قوله ﷺ: «من أراد أن ينظر إلى مَيْت يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى أبي بكر»[٢] فقال: الميت يَقْسِمُ ماله، ويَلْبَسُ الكَفَن، وأبو بكر أخرجَ المال كلَّه وتخلَّل بالعباء.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾[٣] قال عليٌّ: والله إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان، وطلحة، والزُّبير منهم.

ثم قال أبو الفرج: إذا اصطلح الخصوم، فما بال النَّظَّارة.

وقال: قال جبريل للرسول عليه السَّلام: سَلِّم على عائشة[٤]. ولم يواجهها بالخطاب احتراماً لزوجها، وواجه مريم لأنه ما كان لها زوج، فمن يحترمها جبريل كيف يجوز في حَقِّها الأباطيل؟

---

(١) في (س) سعفة أبي بكر، بزيادة أبي بكر، وهي زيادة مقحمة على النص من الناسخ.

(٢) لم أجده فيما بين يدي من المصادر.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٤٣، وسورة الحجر، الآية: ٤٧.

(٤) أخرجه البخاري (٣٢١٧) ومسلم (٢٤٤٧) (٩٠) من حديث عائشة أن النبي ﷺ قال لها: يا عائشة، هذا جبريل يقرأ عليك السلام، فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى. تريد النبي ﷺ. وهذا لفظ البخاري.

وسئل عن لعنة يزيد بن معاوية. فقال: قد أجاز أحمد ابن حنبل لعنته، ونحن نقول: ما نحبه لما فعل بابن بنتِ نبينا، وحمله آل رسول الله ﷺ سبايا إلى الشَّام على أقتاب الجمال، وتجرئه على الله ورسوله، فإن رضيتم بهذه المصالحة في قولنا: ما نحبه، وإلا رجعنا إلى أصْل الدَّعوى، يعني جواز لعنته. ثم قال: أما أبوه ففي خِفَارة الصُّحبة، فدعوه من أيديكم وأنتم في حِلٍّ من الابن. قال: وقال رسولُ الله ﷺ: «من دَخَلَ دار أبي سُفْيان فهو آمن»[1] وما رآها يزيد قطُّ، ودخلها معاوية.

ثم قال: لا تدنِّسوا وقتنا بذكر من ضَرَبَ بالقضيب ثنايا كان رسولُ الله ﷺ يُقَبِّلُها، فجعلها يزيد غَرَضاً لبلوغ غَرَضه.

٢٤ قلت: كان أبو الفرج رحمه الله مُبْتَلًى بالكلام في مثل هذه الأشياء لكثرة الرَّافضة ببغداد، وتعنُّتهم له في السؤالات فيها، فكان بصيراً بالخروج منها بحسن إشاراته.

وذكر يوماً حديث داود وهبة آدم له من عمره ستين سنة، وأنَّ الله تعالى أتمَّ لداود مئة ولآدم ألفاً[2]. ثم قال: المتوسِّطُ بين اثنين إذا كان كريماً غَرِمَ.

ولأبي الفرج أشعارٌ كثيرة، قيل: إنها نحو عشر مجلَّدات، وقد ذكره العماد الكاتب في «الخريدة» وأثنى عليه، فمن الأشعار المنسوبة إليه:

يا صاحبي إن كنتَ لي أو معي ... فَعُجْ على وادي الحِمَى نَرْتَعِ

وسَلْ عن الوادي وسُكَّانه ... وانْشُدْ فؤادي في رُبا المَجْمَعِ

حَيٍّ كثيب الرَّمْلِ رَمْلِ الحِمَى ... وَقِفْ وسَلِّمْ لي على لَعْلَعِ

واسْمَعْ حديثاً قد رَوَتْهُ الصَّبا ... تُسْنِدُهُ عن بانة الأَجْرَعِ

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٨٠)، وأحمد (٧٩٢٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٧٦)، وأبو يعلى (٦٦٥٤)، والحاكم ٢/ ٣٢٥ من حديث أبي هريرة، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وابكِ فما في العين مِنْ فَضْلَةٍ ... وَنُبْ فَدَتْكَ النَّفْسُ عن مَدْمَعي
وانزلْ على الشِّيْحِ بواديهمُ ... وَقُلْ ديارَ الظَّاعنين اسْمَعي(١)
رفْقاً بنِضْوٍ قد بَرَاه الأسى ... يا عاذلي لو كان قلبي معي
لهفي على طيبِ ليالٍ خَلَتْ ... عُودي تعودي مُذْنَفاً قد نُعي
إذا تذكَّرْتُ زماناً مَضَى ... فويحَ أجفانيَ مِنْ مَدْمَعي
يا نفسُ كم أتلو حديثَ المُنَى ... ضاعَ زماني بالمُنى فاقْطَعي

ومنها:

في شُغُلٍ عنِ الرُّقادِ شاغِلِ ... مَنْ هاجَهُ البَرْقُ بسَفْحِ عاقلِ
يا صاحبي هذي ديارُ رَبْعهم ... قد أَخْبَرَتْ شمائِلَ الشمائِلِ
واطَربي إذا رأيتُ أرْضَهُمْ ... هذا وفيها رُمِيَتْ مقاتلي
ما للصَّبا مولعةٌ بذي الصِّبا ... أوْصَيِّباً فوقَ الغَرامِ القاتلِ
ما للهوى العُذْري في بلادِنا ... أين العُذَيْبُ مِنْ قصور بابلِ
يا بانةَ الشِّيْحِ سُقِيْتِ أدْمُعي ... ولا ابْتُلِيْتِ بالهوى تمايلي
ميلكَ عن زَهْوٍ وميلي عن أسىً ... ما طَرَبُ المخمورِ مِثْلُ الثَّاكل
للهِ دَرُّ العَيْشِ في ظلالهم ... ولَّى وكَمْ أسأر في المفاصِلِ

ومنها:

تَمَلَّكُوا واحتكموا ... وصارَ قلبي لَهُمُ
تصرَّفوا في مُلْكِهم ... فلا يُقَال ظلموا
إنْ واصلوا محِبَّهم ... أو قطعوا فَهُمْ هُمُ
اصبرْ لما شاؤوا وإنْ ... ساء الذي قد حكموا
يا أرضَ سَلْعٍ خَبِّري ... وحَدِّثيني عنهمُ

(١) في «مرآة الزمان»: واشمم عسيب البلد الأبقع.

يـا لـيـتَ شِعْـري إذ غَـدوا أأنْجَدُوا أم أتْهَمُوا
تـشتـاقُـهُـمْ أرضُ مِـنـى وتـشـتـكـيـهـمْ زَمْـزَمُ

فصل

في وفاة أبي الفرج رحمه الله

جلس يوم السبت سابع شهر رمضان تحت تربة أم الخليفة المجاورة لمعروف الكرخي. قال سِبْطُهُ أبو المُظَفَّر: وكنتُ حاضراً، فأنشد أبياتاً قطع عليها المجلس، وهي:

اللـهَ أسـألُ أن يـطـوِّلَ مُـدَّتـي وأنـال بـالإنـعـام مـا فـي نِـيَّـتـي
لي هِمَّةٌ في العِلْم ما مِنْ مِثْلها وهي التي جَنَتِ النُّحولَ هيَ التي
خُلِقَتْ من القلقِ العظيم إلى المُنى دُعِيَتْ إلى نَيْلِ الكمالِ فَلَبَّتِ
كم كان لي من مجلس لو شُبِّهَتْ حالاتُهُ لتشبَّهَتْ بالجَنَّةِ
اشـتـاقُـهُ لـمَّـا مَـضَـتْ أيّـامُـهُ عَطَلاً وتُعْذَرُ ناقةٌ إنْ حَنَّتِ
يـا هَـلْ لـلـيـلاتٍ بـجَـمْـعٍ عـودةٌ أمْ هَلْ إلى وادي مِنًى مِنْ نَظْرَةِ
قد كانَ أحلى من تصاريفِ الصَّبا ومن الحَمَامِ مُغَنِّياً في الأيْكَةِ
فيه البديهاتُ التي ما نالها خَلْقٌ بغيرِ مُخمَّرٍ ومُبَيَّتِ
بـرَجَـاحـةٍ وفَـصَـاحـةٍ ومـلاحـةٍ يقضي لها عدنانُ بالعربيةِ
وبـلاغـةٍ وبـراعـةٍ ويـراعـةٍ ظَنَّ النَّباتي أنَّها لم تَنْبُتِ
وإشارةٍ تُبكي الجُنَيدَ وصَحْبَهُ في رِقَّةٍ ما قالها ذو الرُّمَّةِ

قلت: أظنُّ هذه الأبيات كان نظمها في أيام محنته إذ كان محبوساً بواسط، فمعانيها دالَّةٌ على ذلك، والله أعلم.

ثم قال أبو المظفر: ونزل من المنبر فمرِضَ خمسة أيام، وتوفي ليلة الجمعة

بين العشاءين في داره بقَطُفْتا[١]، قال: وحكتْ لي والدتي ـ رحمها الله ـ أنها سمعته يقول قُبيل موته: أيش أعمل بطواويس ـ يردِّدُها ـ قد جبتُمْ لي هذه الطواويس. وحَضَرَ غَسْلَه شيخُنا ضياء الدين بن سكينة وضياء الدين بن الجبير وقت السَّحَر، واجتمع أهلُ بغداد، وغُلِّقت الأسواق، وجاء أهلُ المحال، وشَدَدْنا التَّابوت بالحبال، وسَلَّمناه إليهم، فذهبوا به إلى تحت التربة مكان جلوسه، فصلَّى عليه ابنه أبو القاسم علي اتفاقاً، لأنَّ الأعيان لم يقدروا على الوصول إليه، ثم ذهبوا به إلى جامع المنصور، فصلُّوا عليه، وضاق بالنَّاس، وكان يوماً مشهوداً، لم يصل إلى حُفْرته عند قبر أحمد ابن حنبل إلى وقت صلاة الجمعة، وكان في تموز، وأفطر خَلْقٌ كثير ممن صَحِبَهُ، ورموا نفوسهم في خندق الطاهرية في الماء، وما وصل إلى حُفْرته من الكفن إلا قليل، وأنزل في الحفرة والمؤذِّن يقول: الله أكبر. وحَزِنَ النَّاسُ عليه حُزْناً شديداً، وبكوا بكاء كثيراً، وباتوا عند قبره طول شهر رمضان يختمون الختمات بالقناديل والشموع والجماعات، ورآه تلك الليلة رجلٌ صالح في منامه وهو على منبرٍ من ياقوت مُرَصَّع بالجواهر، وهو جالسٌ في مَقْعَدِ صِدْق، والملائكةُ جُلُوس بين يديه، والحقُّ سبحانه حاضر يسمع كلامه.

قال: وأصبحنا يوم السبت عملنا عزاءه، وتكلَّمْتُ فيه، وحضر خلقٌ عظيم.

قال: ومن العجائب أنا كُنَّا جلوساً عند قبره بعد انفضاض العزاء، وإذا بخالي محيي الدين يوسف قد صَعِدَ من الشط، وخلفه تابوت، فعجبنا وقلنا: تُرَى مَنْ مات في الدار؟ وإذا بها خاتون أم ولد جدي والدة محيي الدين، وعهدي بها في ليلة الجمعة التي مات فيها جَدِّي في عافية، قائمة ليس بها مرض، فكان بين موتها وموته يوم وليلة، وعَدَّ الناس ذلك من كراماته، لأنه كان مغرًى بها في حال حياته. ٢٦

(١) محلة كانت بالجانب الغربي من بغداد. «معجم البلدان»: ٤/ ٣٧٤.

وأوصى جدي أن يُكتب على قبره:

يا كثيرَ العفو عَمَّنْ كَثُرَ الذَّنْبُ لديه
جاءك المُذْنِبُ يرجو الصَّفْحَ عن جُرْمِ يديه
أنا ضيفٌ وجزاءُ الضَّيفِ إحسانٌ إليه

وهذا البيت تضمين.

فصل
في ذكر اولاده

قال أبو المُظَفَّر: وكان له من الأولاد الذكور ثلاثة: عبد العزيز ـ وهو أَوَّل أولاده ـ وأبو القاسم علي، وأبو محمد يوسف. فأما عبد العزيز فكنيته أبو بكر، تفقَّه على مذهب أحمد، وسَمِعَ أبا الوقت، وابن ناصر، والأرموي، وجماعةً من مشايخ والده. وسافر إلى المَوْصِل، ووعَظَ، وحَصَلَ له القَبُول التَّام، فيقال: إن بني الشَّهْرُزوري حَسَدُوه، فَدَسُّوا إليه من سقاه السُّمَّ، فمات بالمَوْصِل سنة أربع وخمسين في حياة والده.

وأما أبو القاسم، فكتَبَ الكثير، وسَمِعَ الحديث من ابن البطِّي وغيره، وهو الذي أظهر مصنفات والده وباعها بيع العبيد فيمن يزيد، ولما مضى والده إلى واسط كانت كتبه في داره بدرب دينار، فتحيَّل عليها بالليل والنهار حتى أخذ منها ما أراد، وباعها ولا بثمن المِدَاد، وكان أبوه قد هَجَره منذ سنين، فلما امتحن أبوه صار إلْباً عليه للمعادين. وتوفي سنة ثلاثين وست مئة، وله ثمانون سنة.

وأما أبو محمد يوسف، ولقبه محيي الدين، فولد في سنة ثمانين وخمس مئة، وسمع الحديث الكثير، وتفقَّه وناظر، ونشأ على الطرائق الرَّشيدة، والخلائق الحميدة، وهو كان السبب في خلاص والده من واسط، ووعظ بعد وفاة أبيه تحت تُرْبة والدة الخليفة، وقامت بأمره أحسن قيام، ثم ولي الحِسْبة

بجانبي بغداد في سنة أربعٍ وست مئة إلى تسع وست مئة، ثم وليها من سنة خمس عشرة وست مئة[١]، وسلك طريق العقل والسَّداد، وترسَّل عن الخلفاء إلى الملوك، وأول تَرَسُّلِه عن الإمام الظاهر بن النَّاصر في سنة ثلاثٍ وعشرين وست مئة إلى أولاد العادل: الأشرف والمُعَظَّم والكامل، وآخر ما انفصل عن الشَّام في سنة خمسٍ وثلاثين وست مئة إلى بغداد. وفي تلك السنة توفي صاحب الرُّوم، والأشرف، والكامل، ثم ولي أستاذية الدار في سنة أربعين للإمام المستعصم بن المستنصر بن الظاهر.

قلت: وبقي على ذلك إلى أن قتله التَّاتار ـ لعنهم الله ـ سنة استولوا على بغداد، وهي سنةُ خمسٍ وخمسين وست مئة[٢]، مع مَنْ قتلوه من الأكابر الذين خرجوا مع الخليفة المستعصم إليهم، على ما سنذكره إن شاء الله تعالى[٣].

قال أبو المظفر: وكان لجدِّي عِدَّة بنات، منهن والدتي رابعة، وشرف النِّساء، وزينب، وجوهرة، وست العلماء الكبرى، وست العلماء الصُّغْرى، ٢٧ وكلهن سَمِعْنَ الحديث مِنْ جَدِّي وغيره[٤].

وقال الشيخ أبو الفرج في كتابه «المنتظم» في أخبار سنة إحدى وسبعين وخمس مئة: وفي هذه السنة عُقِدَ عَقْد ابنتي رابعة بباب حجرة الخليفة ـ وحضَرَ قاضي القضاة والعدول والخَدَم والأكابر ـ على أبي الفَتْح بن رشيد الطبري، قال: وزوجت ابني أبا القاسم بابنة الوزير يحيى بن هُبيرة في ذلك اليوم، وكان الخاطب ابنَ المهتدي[٥].

---

(١) في (ب) و(ع) و(ك) إلى. ثم بيض لها أبو شامة.

(٢) يقصد أبو شامة أن ذلك كان في أواخرها إذ استولى التتار على بغداد في محرم سنة ٦٥٦ هـ، كما سيأتي في حوادثها، ووهم ابن خلكان في «وفيات الأعيان»: ٣/ ١٤٢ بقوله: توفي في وقعة التتر قتلاً سنة ثلاث وخمسين وست مئة.!

(٣) طوى أبو شامة خبر استيلاء التاتار على بغداد بسطور قليلة، ولم يفصل فيها، انظر ص١٢٤ ـ ١٢٥ من الجزء الثاني.

(٤) مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٧ هـ).

(٥) المنتظم: ١٠/ ٢٥٧.

قال أبو المظفر: هذه رابعة هي والدتي، تزوَّجها ابنُ رشيد الطبري، وهو أول أزواجها، ولم يَطُلْ عمره معها، ثم زوجها جَدِّي بوالدي بعد موت ابن رشيد. وقد سمعتِ الحديثَ على ابن البطي، وثابت بن بُنْدَار[١]، ومعظم مشايخ جدي.

قال أبو الفرج: وزُفَّتْ إلى ابن رشيد في المحرَّم سنة اثنتين وسبعين في دار الجهة بنفشا جهة الخليفة، وجَهَّزَتْها بمالٍ عظيم.

قال أبو المُظَفَّر: ما قصد جدي بهذا الكلام إلا الإعلام بمكانته وعُلُوّ منزلته عند الخليفة، وأن أحداً من أبناء جِنْسه لم يَصِلْ إلى مرتبته[٢].

فصل

وفي هذه السنة أيضاً، وهي سنةُ سبعٍ وتسعين وخمس مئة، توفي في مستهل [شهر][٣] رمضان العمادُ الكاتب[٤]، الأصفهاني، وكان كاتبَ الإنشاء في الدولتين النُّورية والصَّلاحية، وكان مبرزاً في النَّظْم والنثر، عارفاً بالأدب، حافظاً لدواوين العرب. وقد ذكرتُ له ترجمةً حسنةً في «تاريخ دمشق» في حرف الميم، وأخباره مفرَّقة أيضاً في كتابي الذي سميته «بالرَّوْضتين»، وقد ذكر هو نفسه أيضاً في كتابه الذي سَمَّاه «بالخريدة»، ومن شِعْره:

بالله يا ريحَ الشَّمالِ تَحمَّلي   مني التَّحيةَ نحو ذاكَ المَنْزِلِ

---

(١) في هامش الأصل حاشية نصها: في حاشية أصله بخط البرزالي رحمه الله: صوابه يحيى بن ثابت.

قلت: انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٥٠٥ ـ ٥٠٦.

(٢) مرآة الزمان (حوادث سنة ٥٧١ هـ).

(٣) ما بين حاصرتين ليس في الأصل، والمثبت من بقية النسخ.

(٤) له ترجمة في معجم الأدباء: ١٩/ ١١ ـ ٢٨، والكامل: ١٢/ ١٧١، مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٧ هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٣٩٢ ـ ٣٩٣، كتاب الروضتين: ٤/ ٤٨٥ ـ ٤٨٦، وفيات =

خفيّ إلى حَمْلِ السَّلام وخَفِّفي ... عن قَلْبِ صَبٍّ بالصَّبابة مُثْقَلِ

قولي لمن شُغِلَ الفؤادُ بحبِّه ... ويُخال أنَّ فؤادَه منه خَلِي

حُلَّتْ عقودُ دموعِهِ وعقودُهُ ... وعهودُهُ معقودةٌ لم تُحْلَلِ

سُقْيا لأحبابٍ تبدَّلَ وُدُّهم ... بعدي ولم أنقضْ ولم أتبدَّلِ

الظَّاعنينَ وودُّهم مستوطِنٌ ... والرَّاحلينَ وذِكْرُهُمْ لم يَرْحَلِ

لي بعدَهُمْ حالُ المعنَّى المُبْتَلَى ... حُزناً وعينُ السَّاهِرِ المُتَمَلْمِلِ

يا راكباً يطوي الفلا مستعجِلاً ... هَيَّجْتَ أحزاني فلا تَسْتَعْجِلِ

أَقْفَلْتَ بابَ مَسَرَّتي وفَتَحْتَ من ... دمعي وحُزْني كلَّ بابٍ مُقْفَلِ

عَرِّج وَعُجْ نحو الحِمى سُقِي الحِمى ... واعْدِلْ فليسَ عن الحِمَى من مَعْدِلِ

ومنه:

أيا ساكني مِصْر عفا الله عنكُمُ ... وعافاكُمُ ممَّا أنا فيه منكُمُ

أبيتُ على هِجْرانكمْ متندِّماً ... وَمَنْ ينأ عنكُمْ كيفَ لا يتندَّمُ

فإنْ كنتمُ لم تعلموا ما لَقِيْتُهُ ... مِنَ الوَجْدِ والأشواقِ فالله يَعْلَمُ

بَقِيْتُمْ وعِشْتُمْ سالمين من الأذى ... ومُنْيَةُ قلبي أن تعيشُوا وَتَسْلَمُوا ٢٨

وفيها توفي مكلبة بن عبد الله المستنجدي[1]، وكان صالحاً يقومُ الليل، سمع المؤذِّن يقول في وقت السَّحَر في المئذنة:

= الأعيان: ٥/ ١٤٧ ـ ١٥٣، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٣٤٥ ـ ٣٥٠، العبر للذهبي: ٤/ ٢٩٩، المختصر المحتاج إليه: ١/ ١٢٢ ـ ١٢٣، الوافي بالوفيات: ١/ ١٣٢ ـ ١٤٠، طبقات الشافعية للسبكي: ٦/ ١٧٨ ـ ١٨٣، طبقات الشافعية للإسنوي: ٢/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥، البداية والنهاية (وفيات سنة ٥٩٧ هـ)، توضيح المشتبه: ١/ ٢٦٣، حسن المحاضرة: ١/ ٥٦٤ ـ ٥٦٥، شذرات الذهب: ٤/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣.

وانظر ما كتبه العلامة محمد بهجة الأثري في ترجمته في مقدمة تحقيقه لخريدة القصر، قسم شعراء العراق: ١/ ٩ ـ ٨٠، وقد جمع ديوان شعره ناظم رشيد، وطبع في بغداد سنة ١٩٨٣ م.

(١) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٧ هـ).

يــا رجــالَ الــلَّــيْــلِ جُــدُّوا رُبَّ صــــوتٍ لا يُـــــرَدُّ
مــا يــقــومُ الــلَّــيْــلَ إلا مَــــنْ لـــه عَــــزْمٌ وجِــــدُّ

فبكى مكلبةُ بكاء شديداً، وصاح: يا مؤذن زِدْني. فقال المؤذن:

قــد مــضــى الــلــيــلُ وولَّــى وحــبــيــبــي قــد تــجــلَّــى

فصاح مكلبة ومات، فأصبح جميع من ببغداد على باب داره، وكان يوماً عظيماً لم يُرَ ببغداد مثله، فالسعيد من وَصَلَ إلى كفنه، وقُطِّع الكفن قِطَعاً، ودُفِنَ بالوردية.

وفيها[١] توفي أبو منصور بن نقطة المزكلش[٢]. كان يقول كان وكان[٣]. ولا يعرف الخط، وهو أخو عبد الغني بن نُقْطة الزَّاهد.

وهو عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع[٤]، كان له زاويةٌ ببغداد يأوي إليها الفقراء، وكان ديناً جَوَاداً سمحاً، لم يكن ببغداد في عَصْرِه من يقاومه في التجريد، كان يُفتح عليه قبل غروب الشمس بألف دينار فيفرِّقها، والفقراء صيام لا يدَّخِرُ لهم منها شيئاً ويقول: نحن لا نعمل بأُجرة ـ يعني لا نصوم وندخر ما نُفْطر عليه ـ وكانت والدة الخليفة الناصر تحسِنُ الظَّنَّ به، زوَّجته بجاريةٍ من

(١) من هنا ينتهي الاضطراب في أوراق الأصل.

(٢) له ترجمة في مرآة الزمان (حوادث سنة ٥٩٧هـ).

(٣) كان وكان: قالب من الشعر العامي كان في مبدأ نشأته مقصوراً على الحكايات والخرافات، ولذلك سموه «كان وكان» في بغداد، ويسميه المصريون الزكالش، انظر «الأدب في العصر الأيوبي» لمحمد زغلول سلام ص٢٨٠ ـ ٢٨٢، و«وفيات الأعيان»: ٣/ ٥٠١ حاشية د. إحسان عباس.

(٤) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٨٣ هـ)، والتكملة للمنذري: ١/ ٦٨ (لكن الصفحة في المطبوع منه استبدلت بغيرها خطأ)، والمختصر المحتاج إليه: ٣/ ٨٤، الوافي بالوفيات: ١٩/ ٣٣، ذيل طبقات الحنابلة: ٢/ ١٨٤، توضيح المشتبه: ٩/ ٢٥٠، المنهج الأحمد: ٤/ ١٩٩، شذرات الذهب: ٤/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩، ٥/ ١٣٤.

وهو والد المجد محمد صاحب كتاب «التقييد في رواة الكتب والأسانيد» المتوفى سنة ٦٢٩ هـ.

خواصِّها، ونقلت معها جهازاً يساوي عشرة آلاف دينار، فما حال الحول وعنده منه سوى هاون. فجاء فقيرٌ، فوقف على الباب وقال: لي ثلاثة أيام ما أكلتُ شيئاً. فأخرج إليه الهاون وقال: لا تشنِّع على الله، كُلْ بهذا ثلاثين يوماً. وتوفي عبد الغني رابع جمادى الآخرة سنة ثلاثٍ وثمانين وخمس مئة، ودفن بزاويته.

وأخوه أبو منصور بن نُقْطة المزكلش، كان ينشد كان وكان في الأسواق، ويسحِّرُ النَّاسَ في رمضان، فقيل له: أما تستحي، أخوك زاهد العراق وأنت تزكلش في الأسواق! فقال مواليا:

قد خاب مَنْ شَبَّه الجزعه إلى دُرَّه وسام قَحْبَه إلى مُسْتَحسنه حُرَّه

أنا مغني وخَيّ زاهد إلى مَرَّه في الدَّار بيرين ذي حُلْوه وذي مُرَّه

وجرى حديث قتل عثمان، وأنَّ علياً ـ رضي الله عنهما ـ كان بالمدينة، ولم يقدر على الوصول إليه، فقال ابن نقطة:

ومن قُتِلَ في جواره مِثْلُ ابنِ عَفَّان واعتذر

يجبُ عليه أن يَقْبَلَ في الشَّام عُذْرَ يزيد

فأراد الشيعةُ قتله، فوثبوا عليه ليلة، وكان يسحر الناس في شهر رمضان، وكان الإمام النَّاصر تلك الليلة في المنظرة وهو واقفٌ يسحر، ويقول: أي نياما، قوما، قوما، السحور، قوما. فعطس الخليفة. فقال ابنُ نقطة: يا من عطس في الروزنة، يرحمكم الله قوما. فبعث إليه مئة دينار، وحماه من الشيعة، فمات بعد قليل.

وفيها توفي مُسْنِدُ الشَّام في وقته أبو طاهر، بركات بن إبراهيم بن طاهر الخُشُوعي[1]، شارك الحافظ أبا القاسم بن عساكر في كثيرٍ من شيوخه ٢٩

(١) له ترجمة في التكملة للمنذري: ١/ ٤١٩ ـ ٤٢٠، وفيات الأعيان: ١/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٣٥٥ ـ ٣٥٨، العبر للذهبي: ٤/ ٣٠٢، البداية والنهاية (وفيات سنة ٥٩٧ هـ)، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٨١، شذرات الذهب: ٤/ ٣٣٥.

الدمشقيين سماعاً، والغرباء إجازة، وعَمَّر حتى ألحقَ الصِّغارَ بالكبار. أخبرنا عنه جماعة، رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين [وخمس مئة][1]

والغلاء بمصر مستمر، ثم تناقص لاستقبال جُمادى الآخرة لما ظهر من زيادة نيلها، وأقلع في آخرها، ولله الحمد.

قال أبو المظفر: فيها[٢] برَّز العادل إلى القُصَير طالباً حلب، وكان الأفضل بحمص عند شيركوه[٢]، وهو أخو زوجته سفري ابنة ناصر الدين محمد بن شيركوه الكبير، فجاء إلى عمه العادل، فالتقاه عند ثنيَّة العقاب، فأكرمه وعَوَّضه عن مَيَّافارقين سُمَيْساط وسَرُوج، وقلعة نجم، وقرايا في المرج ومِصْر، وتسلَّم الظاهر فامية من ابنِ المقدَّم، ونزل العادل على حماة، فصالحه الظَّاهر، ورجع العادل إلى حمص.

وجاءت في شعبان زَلْزلةٌ عظيمة[3]، فشققت قلعة حمص، ورمت المنظرة التي على القلعة، وأخربت حِصْنَ الأكراد، وتعدَّت إلى جزيرة قبرس، وامتدَّت إلى نابُلُس، فأخربت ما بقي.

وقال العز بن تاج الأمناء: هذه الزلزلة العظمى التي هدمت بلادَ السَّاحل: صور، وطرابُلُس، وعِرْقة، وشعَّثتْ كثيراً من البلاد الإسلامية الشمالية. ورمت

= وقد وهم أبو شامة في ذكره في وفيات هذه السنة، وتابعه على ذلك ابن كثير في البداية والنهاية، والصواب وفاته سنة (٥٩٨ هـ) كما في مصادر ترجمته.

قال المنذري في «التكملة»: وسئل أبوه أبو إسحاق إبراهيم: لم سموا الخشوعيين؟ فقال: كان جدنا الأعلى يؤم بالناس، فتوفي في المحراب، فسمي الخشوعي.

(١) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا للإيضاح.

(٢-٢) ما بينهما ليس في (ع) و(ك) و(س).

(٣) انظر حاشيتنا رقم ٢ ص ٩٧ من هذا الجزء.

الدمشقيين سماعاً، والغرباء إجازة، وعَمَّر حتى ألحقَ الصِّغارَ بالكبار. أخبرنا عنه جماعة، رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين [وخمس مئة][1]

والغلاء بمصر مستمر، ثم تناقص لاستقبال جُمادى الآخرة لما ظهر من زيادة نيلها، وأقلع في آخرها، ولله الحمد.

قال أبو المظفر: فيها[٢] برَّز العادل إلى القُصَير طالباً حلب، وكان الأفضل بحمص عند شيركوه[٢]، وهو أخو زوجته سفري ابنة ناصر الدين محمد بن شيركوه الكبير، فجاء إلى عمه العادل، فالتقاه عند ثنيَّة العقاب، فأكرمه وعَوَّضه عن مَيَّافارقين شُمَيْساط وسَرُوج، وقلعة نجم، وقرايا في المرج ومِصْر، وتسلَّم الظاهر فامية من ابنِ المقدَّم، ونزل العادل على حماة، فصالحه الظَّاهر، ورجع العادل إلى حمص.

وجاءت في شعبان زَلْزلةٌ عظيمة[٣]، فشققت قلعة حمص، ورمت المنظرة التي على القلعة، وأخربت حِصْنَ الأكراد، وتعدَّت إلى جزيرة قبرس، وامتدَّت إلى نابُلُس، فأخربت ما بقي.

وقال العز بن تاج الأمناء: هذه الزلزلة العظمى التي هدمت بلادَ السَّاحل: صور، وطرابُلُس، وعِرْقة، وشعَّثتْ كثيراً من البلاد الإسلامية الشمالية. ورمت

= وقد وهم أبو شامة في ذكره في وفيات هذه السنة، وتابعه على ذلك ابن كثير في البداية والنهاية، والصواب وفاته سنة (٥٩٨ هـ) كما في مصادر ترجمته.

قال المنذري في «التكملة»: وسئل أبوه أبو إسحاق إبراهيم: لم سموا الخشوعيين؟ فقال: كان جدنا الأعلى يؤم بالناس، فتوفي في المحراب، فسمي الخشوعي.

(١) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا للإيضاح.

(٢-٢) ما بينهما ليس في (ع) و(ك) و(س).

(٣) انظر حاشيتنا رقم ٢ ص ٩٧ من هذا الجزء.

بدمشق رؤوس منائر الجامع، وبعض شراريفه من شماله، فقتلتْ رجلاً مغربياً بالكلّاسة، ومملوكاً تركياً لرجل صيرفي ساكناً في دَرْب السُّمَيْساطي عند تنفُّسِ الصُّبْح من يوم الاثنين السَّادس والعشرين من شعبان، الموافق للعشرين من آب، وأعقبها زلزلة خفيفة في ضحوة الغد.

قال أبو المظفر: وفيها شَرَعَ الشيخ أبو عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قُدَامة شيخ المقادسة رحمه الله في بناء المسجد الجامع بالجبل، وكان بقاسيون رجل فاميٌّ يقال له أبو داود محاسن، فوضع أساسه، وبلغ قامة، وأنفق عليه ما كان يملكه، وبلغ ابن زين الدين مُظَفَّر الدين صاحب إِرْبل، فبعث إلى الشيخ أبي عمر مالاً فتمَّمه، ووقف عليه وقفاً. وبعد ذلك أراد ابنُ زين الدين أن يسوقَ الماءَ إليه من بَرْزة، وبعث ألف دينار لذلك. فقال الملك المعظم عيسى بن العادل: طريق الماء كلها قبور، فكيف يجوز أن تنبش عظام المسلمين! اشتروا بغلاً، واعملوا مداراً[1]، وبالباقي مكاناً قِفوه عليه، ولا تؤذوا أحداً. ففعلوا[2].

وحج بالنَّاس من العراق وجه السَّبُع، ومن الشَّام خشترين الهكَّاري.

وفيها توفيت بنفشا ابنة عبد الله، جارية المستضيء[3].

وكانت كريمةً صالحة، كثيرةَ الصدقات والصِّلات، عمرت الرُّبُط والمساجد والجسر ببغداد، وتصدَّقت بأموالٍ كثيرة على العلماء والفقراء والمساكين، وهي التي اشترت دار الوزير ابن جَهِير بباب الأَزَج، ووقفتها على الحنابلة، وفوَّضت نظرها إلى الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي.

وهي التي أشارت على المستضيء بولاية الإمام النَّاصر، وكان في عَزْمه أن

---

(١) المدار: هو الذي يدور على البغل لتستخرج منه المياه إلى حوض تتجمع فيه. انظر «غوطة دمشق» لمحمد كردعلي: ص ٨٩ .

(٢) مرآة الزمان (حوادث سنة ٥٩٨ هـ).

(٣) لها ترجمة في الكامل: ١٢/ ١٧٨، مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٨ هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٤٢٢، جهات الأئمة الخلفاء لابن الساعي: ١١١ ـ ١١٥، الوافي بالوفيات: ١٠/ ٢٩٣، البداية والنهاية (وفيات سنة ٥٩٨ هـ).

يولي الخلافة ولده الأمير أبا منصور، فرأى النَّاصر لها ذلك، فلما ولي الخلافة أنزلها في الدار التي كانت بها والدته، وأحسن إليها. ولما توفيت تولى أمرها والدةُ الخليفة، وجهزتها أحسن جهاز، ودفنتها في تربتها المجاورة لمعروف الكرخي، وذلك في ربيع الأول.

وفيها توفي أبو الثناء، حمَّاد بنُ هبة الله بن حماد التَّاجر، الحَرَّاني[1].

٣٠ ولد سنة إحدى عشرة وخمس مئة ـ وهي السنة التي ولد فيها نور الدين محمود بن زَنْكي رحمه الله[2] ـ وسَمِعَ الحديث ببغداد، ومِصْر، والإسكندرية. سمع بمصر أبا محمد بن رفاعة السَّعدي، وبالإسكندرية الحافظ أبا طاهر السِّلَفي، وببغداد ابن السَّمَرْقندي وغيرهم. وحدثنا عنه جماعة، ومات بحرَّان في ذي الحِجَّة، وأنشد لنفسه:

تَنَقُّلُ المَرْءِ في الآفاقِ يُكْسِبُهُ ... محاسناً لم يكن فيها ببَلْدَتِهِ

أما تَرَى بيذقَ الشُّطرنج أكسبَهُ ... حُسْنُ التَنَقُّلِ فيها فَوْقَ رُتْبَتِهِ

وفيها توفي هبة الله بن الحسن بن المظفر، أبو القاسم الهَمَذَاني[3]، ويقال

---

(١) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٨ هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٤٣٨، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦، العبر للذهبي: ٤/ ٣٠٢، المختصر المحتاج إليه: ٢/ ٥١ ـ ٥٢، البداية والنهاية (وفيات سنة ٥٩٨ هـ)، ذيل طبقات الحنابلة: ١/ ٤٣٤ ـ ٤٣٥، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٨١، المقصد الأرشد: ١/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥، المنهج الأحمد: ٤/ ٤٣ ـ ٤٤، شذرات الذهب: ٤/ ٣٣٥، وانظر تكملة إكمال الصابوني: ص ٢٥٩، ٣٤٧.

(٢) انظر «كتاب الروضتين»: ١/ ١٠٧.

(٣) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٨ هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٤١٠ ـ ٤١١، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: ٤١٢ ـ ٤١٣، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣، العبر للذهبي: ٤/ ٣٠٦، ميزان الاعتدال: ٤/ ٢٩٢، المختصر المحتاج إليه: ٣/ ٢٢١ ـ ٢٢٢، الوافي بالوفيات: ٢٧/ ٢٦٢ (وفيه وفاته سنة ٥١٣، وهو خطأ، هي سنة ولادته)، توضيح المشتبه: ٣/ ٣٠٠، لسان الميزان: ٨/ ٣٢٣، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٨١، شذرات الذهب: ٤/ ٣٣٨.

له ابن السِّبْط، والسبط هو جَدُّه المُظَفَّر، كان سِبْطاً لأحمد بن علي بن لال الفقيه الهَمَذَاني.

ولد هبةُ الله في سنة عشر وخمس مئة، وهو محدِّث، ابن محدِّث، ابن محدث، وكانت وفاته في باب المراتب ببغداد في المحرَّم، ودفن بالرَّيَّان[١]. سمع أبا القاسم ابن الحُصَين، وقاضي المارَسْتان، وابن السمرقندي، وأنشد لغيره:

إذا الفتى ذَمَّ عيشاً في شَبِيْبَتِهِ فما يقولُ إذا عَصْرُ الشَّبابِ مَضَى
وقد تعوَّضْتُ عن كلٍّ بمشبهه فما وَجَدْتُ لأيامِ الصِّبا عِوَضا[٢]

وفيها توفي بدمشق خطيبُها الدَّوْلعي الكبير[٣]، الملقب بضياء الدين، واسمه أبو القاسم عبد الملك بن زيد بن ياسين التَّغْلبي، والدَّولعية قريةٌ من قرى المَوْصِل.

ولد سنة ثماني عشرة وخمس مئة[٤]، قبل جمال الدين ابن الحَرَسْتاني بسنتين[٥]، وقدم بغداد، فتفقَّه بها على مذهب الشَّافعي رضي الله عنه، وسمع الحديث، ثم قدم دمشق فاستوطنها، وصار خطيبها، ودرس بالزَّاوية الغربية من جامع دمشق المنسوبة إلى الشيخ نَصْر المقدسي رحمه الله.

---

(١) الريان: محلة كانت مشهورة ببغداد بالجانب الشرقي، بين باب الأزج وباب الحلبة والمأمونية، انظر «معجم البلدان»: ٣/ ١١١، والتكملة للمنذري: ٣/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣.

(٢) في (ك) و(ع) و(س) جاءت ترجمة الشيخ ابن غليس عقب هذه الترجمة.

(٣) له ترجمة في معجم البلدان: ٢/ ٤٨٦، الكامل: ١٢/ ١٧٨، مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٨هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٤٢٠ ـ ٤٢١، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٣٥٠ ـ ٣٥١، العبر للذهبي: ٤/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤، طبقات الشافعية للسبكي: ٧/ ١٨٧ ـ ١٨٨، البداية والنهاية (وفيات سنة ٥٩٨ هـ)، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٨١.
وزوجه الشيخة أم الفضل زينب ابنة الفقيه أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن أحمد بن إسماعيل القيسي، كانت محدثة، وقد توفيت سنة (٦١٠ هـ)، انظر بعض مروياتها في «مشيخة ابن البخاري»: ٥٠١ ـ ٥١٠.

(٤) ذكر في مصادر ترجمته أنه ولد سنة (٥٠٧هـ).

(٥) انظر ص ٢٩١ من هذا الجزء.

وكان متزهِّداً، حَسَنَ الأثر، حميد الطَّريقة، مهيباً صارماً في قول الحق، سمع «جامع» الترمذي من أبي الفَتْح الكَرُوخي، و«كتاب السُّنَن» للنَّسائي من أبي الحسن علي بن أحمد اليَزْدِي، وسمع من الحافظ أبي القاسم ابن عساكر، والقاضي أبي سَعْد ابن أبي عَصْرُون، وقرأ عليه الفِقْه وغيرهم. وطلبه (١شرف الدين بن [أبي](٢) عصرون أن ينوب عنه في القضاء، فأبى، فاستناب جمال الدين ابن الحَرَسْتاني١).

وكانت وفاته في يوم الثلاثاء ثالث عشر(٣) ربيع الأول، ودفن بمقبرة باب الصَّغير في قبور الصَّحابة رضي الله عنهم، وقبره ثَمَّ مشهور يزار. وكانت جنازته مشهودة، امتلأ لها جامع دمشق ـ مثل صلاة يوم الجمعة ـ المسقَّف، والصحن، والرواقات، وخارج الأبواب.

حدثنا عنه والدي رحمه الله، وابن أخيه جمال الدين محمد الذي تولى الخطابة بعده وغيرهما.

وأخبرني القاضي الخطيب عماد الدين ابنُ الحَرَستاني أنَّ قاضي القضاة محيي الدين يوم مات الخطيب حَضَرَ إلى الجامع، وقدَّم ولده الزكي الطَّاهر، فصلى بالنَّاس صلاةً واحدة، وأراد أن يأخذ المنصب له، فمضى جمال الدين الدَّوْلعي إلى فلك الدين أخي السلطان، فأخذ له من أخيه توقيعاً بمنصب الخطابة مكان عمه، فبقي فيه سبعاً وثلاثين سنة على ما سنذكره في سنة وفاته، وهي سنة خمس وثلاثين وست مئة(٤).

(١ ـ ١) ما بينهما جاء في (ك) و(ع) و(س) عقب قوله: وابن أخيه جمال الدين محمد الذي تولى الخطابة بعده وغيرهما.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا، وربما كتبه كذلك اختصاراً.

(٣) في النسخ الخطية ما عدا الأصل: ثاني عشر.

(٤) انظر ص ٤١ من الجزء الثاني.

وفيها[١] توفي المُؤَيَّد أسعد بن القلانسي[٢] بدمشق فجأة رابع عشر ربيع الآخر.

وفيها توفي حسام الدين بشارة[٣] الذي كان صاحب بانياس قبل شركس في السَّادس والعشرين من ربيع الآخر[١].

وفيها توفي الشيخ علي بن محمد بن غُلَيس اليمني الزَّاهد[٤]. كان مقيماً بكلاسة جامع دمشق في شرقيها، وتوفي يوم الاثنين سابع عشر [شهر][٥] رمضان سنة ثمانٍ وتسعين وخمس مئة، ودفن بمقبرة باب الصَّغير قبلي الحظيرة التي فيها قبر معاوية وغيره بغرب.

وحُكي عنه كرامات جليلة، حكى عنه جماعة من المشايخ السَّادة مثل شيخنا أبي الحسن السَّخاوي، وأبي القاسم الصِّقِلِّي، وأبي البركات ميمون الضَّرير، وأبي الحسن بن أبي جعفر، وغيرهم.

أخبرني أبو علي حسن بن [أبي][٦] عبد الله بن صدقة الصِّقِلِّي، الشَّيخ الصَّالح وفقه الله قال: سَمِعْتُ شيخنا السَّخاوي يقول: سَمِعْتُ ابن غُلَيس يقول: كنتُ مسافراً مع قافلةٍ، فرأيتُ في المنام كأن سَبُعاً اعترضهم، فقطع

(١ ـ ١) ما بينهما جاء في (ب) عقب ترجمة ابن غليس وفي (ك) و(ع) و(س) عقب ترجمة الدولعي.

(٢) له ترجمة في التكملة للمنذري: ١/ ٤٢١ ـ ٤٢٢، العبر للذهبي: ٤/ ٣٠١، الوافي بالوفيات: ٩/ ٣٩ ـ ٤٠، شذرات الذهب: ٤/ ٣٣٤.

(٣) سلفت أخباره في «كتاب الروضتين»: ٣/ ٢٦٠، ٤/ ٦٣ ـ ٦٤، ٢٢٥، ٣٦٢، ٤٤٩، ٤٨٤.

(٤) له ترجمة في ذيل تاريخ بغداد لابن النجار: ٤/ ٤٦ ـ ٤٩، التكملة للمنذري: ١/ ٤٣٣، الوافي بالوفيات: ٢٢/ ١١١ ـ ١١٢، البداية والنهاية (وفيات سنة ٥٩٨ هـ).

(٥) ما بين حاصرتين من (ب) و(ك) و(ع) و(س).

(٦) ما بين حاصرتين من مصادر ترجمته، وكان من جلة تلاميذ علم الدين السخاوي، ولد سنة (٥٩٠ هـ)، وتوفي سنة (٦٦٩ هـ). له ترجمة في ذيل مرآة الزمان: ٢/ ٤٥٨، معرفة القراء الكبار: ٣/ ١٣٤١ ـ ١٣٤٢، العبر للذهبي: ٥/ ٢٩١، الوافي بالوفيات: ١٢/ ٩٢، غاية النهاية: ١/ ٢١٩، شذرات الذهب: ٥/ ٣٢٨.

الطَّريق عليهم، فوقفوا حائرين، فتقدَّمتُ إليه، وقلت له: يا كلب الله، أنت كلب الله وأنا عبد الله، فاخْضَعْ واخنع لمن سَكَنَ له ما في السموات والأرض، وهو السميع العليم. فذهب، وانفتحت الطَّريق للقافلة. ثم انتبهت، فسرنا قليلاً وإذا بالقافلة قد وقفت، فسألتُ: ما الخبر؟ فقيل: السَّبُع على الطريق. فتقدَّمت إليه، وهو مقعٍ على ذنَبه، فقلتُ ذلك الكلام، وتقدَّمت إليه، فأدخلت يدي في فمه، وقلبت أسنانه، وشممتُ من فِيْه رائحةً منتنة. قال الشيخ السخاوي: فقلت له: إنه يأكل اللحم وما يتخلَّل! قال: وأدخلت يدي بين أفخاذه فقلبت خصييه، وإذا هما مثل خصيي القِطّ.

قال: وأخبرني الشيخ ميمون الضَّرير عن صاحبٍ لابن غُلَيس خصيصٍ قال: أمرني بإيقاد السِّراج ولم يكن به زيت، فأوقدتُ الفتيلة، فَوَقَدَتْ، ثم أمرني في الليلة الثانية، فأوقدتها، فوقدت، ثم أمرني في الليلة الثالثة، بإيقادها. فقلت: إنه لا زيت في السِّراج. فقال: وأيش فضولك في هذا، لو سكتَّ لكان يَقِدُ أبداً. أو كما قال.

وأخبرني الشيخ أبو القاسم الصِّقِلِّي قال: مات فرس لابن غُلَيس، فحزن عليه كثيراً، فقيل له: كم تحزن عليه؟! غيره يقوم مقامه. فقال: إنه فرسٌ صالح، كان معي في سفري بالعراق، فآواني الليل مع جماعةٍ[1] إلى قرية، وكانت ليلةً باردة ذات ريح ومطر، فلم يقدر لنا مكان نأوي إليه إلا موضع صغير، فقلت لأصحابي: إن تركنا الفرس خارج البيت هلك بالبرد، وخفنا عليه، وإن أدخلناه معنا خفنا من بوله وتلويثه الجماعة لصِغَرِ المكان، فتقدَّمتُ إليه، وقلت له: نحن ندخلك معنا بشرط أن لا تفعل ما يتأذى به الجماعة من بولٍ وغيره. ثم أدخلناه، فبات ليلته لم يتحرك بحركةٍ يتأذى منها، ولم يَبُلْ. فلما أصبحنا أخرجناه معنا، فلما صار خارج الباب بال نحو قربة ماء، أو كما قال.

٣١

قال: وحدَّثني محمد بن أبي جعفر، قال: كان ابنُ غُلَيس يقول عن نفسه: ابن غُلَيس ما يسوى فُلَيس، رحمه الله.

---

(١) هنا ينتهي الخرم في نسخة (ع)، وانظر حاشيتنا رقم ١ ص٨٧ من هذا الجزء.

وفيها توفي قاضي دمشق محيي الدين أبو المعالي، محمد بن علي بن محمد بن يحيى القُرَشي[1]. وجميع من ذكرنا من أجداده ولوا القضاء بدمشق. وجَدُّه الأعلى يحيى بن علي بن عبد العزيز هو جد الحافظ أبي القاسم ابن عساكر لأمه، ويعرف بابنِ الصَّائغ. ذكر الحافظ ذلك في ترجمته وترجمة والده في «تاريخ دمشق»، وذكر أيضاً ترجمة ولديه محمد بن يحيى، وسلطان بن يحيى، وهما خالا الحافظ أبي القاسم، ولم يرفع في نَسَبِ أحدٍ منهم بما يتصل بأمير المؤمنين عثمان بن عَفَّان رضي الله عنه كما يَدَّعيه ذُرِيَّتُه في زماننا، ولو كان ذلك الاتصال صحيحاً لما خفي على الحافظ أبي القاسم، ولو كان يعرفه لما أغفل ذكر هذه المنقبة لأجداده وأمه وأخواله.

تولى أبو المعالي قضاء دمشق أولاً نيابةً عن الشيخ شَرَف الدين أبي سَعْد عبد الله بن محمد بن أبي عصرون، ثم تولى قاضي القضاة كل ذلك في أيام السُّلْطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله وبأمره في سنة ٣٢ [سبع وثمانين][2] وخمس مئة، وبقي على ذلك إلى أن توفي في هذه السنة في سابع شعبان، ودفن بتربته بالجبلِ.

ولما فتح صلاح الدين مدينة حلب أضاف إليه أيضاً قضاءها.

---

(١) التكملة للمنذري: ١/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠، وفيات الأعيان: ٤/ ٢٢٩ ـ ٢٣٦، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٣٥٨ ـ ٣٦٠، العبر للذهبي: ٤/ ٣٠٥، الوافي بالوفيات: ٤/ ١٦٩ ـ ١٧١، طبقات الشافعية للسبكي: ٦/ ١٥٧ ـ ١٥٩، البداية والنهاية (وفيات سنة ٥٩٨ هـ)، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٨١ ـ ١٨٢، قضاة دمشق للنعيمي: ٥٢ ـ ٥٥، شذرات الذهب: ٤/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨.
وقد ذكر ابن أبي أصيبعة في «عيون الأنباء»: ٧٢٩ ـ ٧٣٠ محنته مع العادل، والصواب ما ذكره أبو شامة في حوادث سنة ٦١٥ هـ ص ٣٠٤ من هذا الجزء من أن المحنة كانت مع ابنه الطاهر ابن محيي الدين.

(٢) في النسخ ما عدا (س): بياض، وفي (س): سنة سبع وثلاثين وخمس مئة، وهو خطأ، والمثبت ما بين حاصرتين من «كتاب الروضتين»: ٤/ ٢٩٠.

وكان عالماً صارماً، كاتباً، حَسَنَ الخَطّ واللفظ. وهو أول مَنْ خَطَبَ بالبيتِ المقدَّس ـ شَرَّفه الله تعالى ـ لما فتحه السُّلْطان الملك النَّاصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله سنة ثلاثٍ وثمانين وخمس مئة بخطبةٍ فائقة من إنشائه قد ذكرتُها في «كتاب الروضتين»[١].

وكان بيده الأوقاف التي للجامع وغيره، ثم عُزِلَ عنها في جمادى الأولى من سنة وفاته. وتولاها شمس الدين ابن التِّيتي ضماناً. [ثم][٢] في صفر سنة أربعٍ وست مئة عزل الشمس ابن التيتي عنها، وتولاها الرشيد ابن أُخته ضماناً بزيادة ثلاثة آلاف دينار، ثم في تاسع شعبان من هذه السنة سنة أربعٍ وست مئة أبطل ضمانها، وتولاها المعتمد والي دمشق.

وكان محيي الدين قد اختلَّ في آخر عمره، وجرت له قضية[٣] مع الإسماعيلية بسبب قَتْل شخصٍ منهم يعرف بالقاقا، ولذلك فتح له باباً سراً إلى الجامع لصلاة الجمعة.

وحدثني عنه عمادُ الدين ابن الحَرَستاني، وأثنى عليه في فصاحته وحِفْظه لما يلقيه في دَرْسه. قال: وتوفي وله ثمانٍ وأربعون سنة ـ وكذا ولده الزكي الطَّاهر[٤] ـ وكان رحمه الله يحرِّض على كتابة عقيدة الغَزَّالي الملقبة بالمِصْباح، ويأمر بتحفيظ الصِّغار لها، وكذا ابنه من بعده، وكان ينهى عن الاشتغال بكُتُب المنطق والجدل، ولقد استدعى بكُتُبٍ مِنْ كانت عنده من سُكَّان مدرسته التقوية فقطعها بحضور الجمع في دَرْسِهِ بالكلَّاسة قُبالة الشُّبَّاك الصَّلاحي، وثَمَّ كان يذكر الدرس العام للتفسير، فقطعها ومالكها حاضر.

---

(١) انظر «كتاب الروضتين»: ٣/ ٣٨٤ ـ ٣٩١.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ع) و(ك)، والعبارة مضطربة في (س).

(٣) في النسخ الخطية ما عدا الأصل: قصة.

(٤) سيأتي خبر وفاته ص ٣١٨ من هذا الجزء.

قال: وكان قد تظاهر بترك ذكر نيابته عن ابن أبي عصرون، فأرسل السُّلْطانُ صلاح الدين مجدَ الدين ابن النَّحَّاس والد العماد إليه، وأمره أن يضرب على علامته في مجلسه، ففعل به ذلك، فلزم بيته حياءً من النَّاس، فطلب ابنُ [أبي] عصرون مَنْ يستنيبه، فأشير عليه بالخطيب ضياء الدين الدَّوْلعي، فأرسل إليه خِلْعةً مع البدر ابن يونس الفارقي، فردَّه وشتمه، وردَّ الخِلْعَة، فأرسل إلى جمال الدين ابن الحَرَسْتاني، فناب عنه وعن ابنه المحيي إلى أن عُزل.

قال: وكان قد اختلط عقله في آخر عمره، فبينا هو في داره يوماً وعنده جماعة من أكابر دمشق ثار به الخلط، فخرج من ساعته على الهيئة التي كان عليها في داره، فوجد بغلةً لبعض من كان عنده، فركبها، فخيف عليه، فارتدفه غلامُ صاحب البغلة، وخرج على وجهه إلى المَيْدَان، فلحقه الجماعة، فأُنزل، وضربت له خيمة[(١)]، وبات والناس عنده تلك الليلة، ثم أدخل من الغد، فبقي أياماً، ومات.

ثم دخلت سنة تسع وتسعين [وخمس مئة][(٢)]

وهي سنة مولدي.

ففي سَلْخ المحرَّم ليلة السبت ماجتِ النجوم في السماء شرقاً وغرباً، وتطايرت كالجراد المنتشر يميناً وشمالاً، ولم يُرَ هذا إلا عند مبعث النبي ﷺ، وفي سنة إحدى وأربعين ومئتين، وكانت هذه السنة أعظم. قاله أبو المظفر سِبْط ابن الجوزي[(٣)].

وقال العز بنُ تاج الأمناء: في سَلْخ المحرَّم رؤي في السماء نجومٌ متكاثفة متطايرة شديدة الاضطراب إلى غاية.

---

(١) في (ب) فأمر أن تضرب له خيمة، وفي (ك) و(ع): وأمر فضربت له خيمة. وفي (س): وأمر له بضرب خيمة.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا للإيضاح. وفي هامش الأصل: بلغ مقابلة.

(٣) مرآة الزمان (حوادث سنة ٥٩٩ هـ).

قال: وكان قد تظاهر بترك ذكر نيابته عن ابن أبي عصرون، فأرسل السُّلْطانُ صلاح الدين مجدَ الدين ابن النَّحَّاس والد العماد إليه، وأمره أن يضرب على علامته في مجلسه، ففعل به ذلك، فلزم بيته حياءً من النَّاس، فطلب ابنُ [أبي] عصرون مَنْ يستنيبه، فأشير عليه بالخطيب ضياء الدين الدَّوْلعي، فأرسل إليه خِلْعةً مع البدر ابن يونس الفارقي، فردَّه وشتمه، وردَّ الخِلْعَة، فأرسل إلى جمال الدين ابن الحَرَسْتاني، فناب عنه وعن ابنه المحيي إلى أن عُزل.

قال: وكان قد اختلط عقله في آخر عمره، فبينا هو في داره يوماً وعنده جماعة من أكابر دمشق ثار به الخلط، فخرج من ساعته على الهيئة التي كان عليها في داره، فوجد بغلةً لبعض من كان عنده، فركبها، فخيف عليه، فارتدفه غلامُ صاحب البغلة، وخرج على وجهه إلى المَيْدَان، فلحقه الجماعة، فأُنزل، وضربت له خيمة[١]، وبات والناس عنده تلك الليلة، ثم أدخل من الغد، فبقي أياماً، ومات.

ثم دخلت سنة تسع وتسعين [وخمس مئة][٢]

وهي سنة مولدي.

ففي سَلْخ المحرَّم ليلة السبت ماجتِ النجوم في السماء شرقاً وغرباً، وتطايرت كالجراد المنتشر يميناً وشمالاً، ولم يُرَ هذا إلا عند مبعث النبي ﷺ، وفي سنة إحدى وأربعين ومئتين، وكانت هذه السنة أعظم. قاله أبو المظفر سِبْط ابن الجوزي[٣].

وقال العز بنُ تاج الأمناء: في سَلْخ المحرَّم رؤي في السماء نجومٌ متكاثفة متطايرة شديدة الاضطراب إلى غاية.

---

(١) في (ب) فأمر أن تضرب له خيمة، وفي (ك) و(ع): وأمر فضربت له خيمة. وفي (س): وأمر له بضرب خيمة.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا للإيضاح. وفي هامش الأصل: بلغ مقابلة.

(٣) مرآة الزمان (حوادث سنة ٥٩٩ هـ).

قال: وشرع في عمارة سور قلعة دمشق في الشهور الأواخر من هذه السنة، وابتدئ ببرج الزَّاوية الغربي القِبْلي منها، المجاور لباب النَّصْر.

قال أبو المظفر: وتمَّتْ عمارة رباط المَرْزُبانية الذي بناه الخليفة على نهر عيسى، ورتَّب فيه الشيخ شهاب الدين عمر السُّهروردي، وعنده جماعة من الصُّوفية[١].

٣٣

وفيها بعث الخليفة الخِلَع وسراويلات الفتوة إلى العادل وأولاده، فلبسوها في شهر رمضان.

وأخذ الظَّاهر قلعة نجم من أخيه الأفضل بأمر العادل.

وابتدئ بعمارة قلعة دمشق.

وحَجَّ بالنَّاس من العراق طاشْتِكِين[٢].

قال: وفيها توفيت والدة الإمام النَّاصر، واسمها زمرد خاتون، أم ولد المستضيء[٣].

كانت صالحةً، كثيرة المعروف والصَّدَقات، دائمة البِرِّ والصِّلات، متفقدة لأرباب البيوت، وحَجَّت، فأنفقت مالاً عظيماً نحو ثلاث مئة ألف دينار، وكان معها نحو ألفي جمل، وتصدَّقت على أهل الحَرَمين، وأصلحت البرك والمصانع، وعمرت التربة عند قبر معروف، والمدرسة إلى جانبها، ووقفت عليهما الأوقاف، وتوفيت في جمادى الأولى، وحَزِنَ الخليفةُ عليها حُزْناً لم يحزنه ولد على والدة، وفعل في حَقِّها ما لم يفعله أحد من أمثاله، صَلَّى عليها

(١) مرآة الزمان (حوادث سنة ٥٩٩ هـ).

(٢) المصدر السالف.

(٣) لها ترجمة في الكامل: ١٢/ ١٨٤، مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٩ هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٤٥١، المختصر في أخبار البشر: ٣/ ١٠٤، المختصر المحتاج إليه: ٣/ ٢٦٢، الوافي بالوفيات: ١٤/ ٢١٣، البداية والنهاية (وفيات سنة ٥٩٩ هـ)، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٨٢.

في صحن السلم، ومشى بين يدي تابوتها إلى دِجْلَة من ناحية التَّاج، ثم حملت في الشَّبَّارة نهاراً، والوزير ناصر ابن مهدي قائم مشدود الوسط، وأرباب الدولة في السفن، وصَعِدوا بتابوتها إلى القرية، وأمر الخليفة أن يمشي النَّاس من دِجْلة إلى تربتها المجاورة لمعروف، والمسافة بعيدة، وكان الوزير سميناً، فكاد يهلك، وقعد في الطريق نحواً من ثلاثين مرة، وعمل لها العزاء شهراً كاملاً، وأنشدت المراثي، وختمت الختمات طول الشهر، وفَرَّق الخليفة بعد الشهر أموالاً كثيرة في الزَّوايا، والرُّبُط، والمدارس، وخَلَعَ على الأعيان، ومن لم يخلع عليه أعطاه مالاً. وأمر بأن يفرَّق جميع ما خلَّفته من ذهب وفِضَّة وحُلِيٍّ وجواهر وثياب في جواريها ومماليكها، فَقُسِمَ بينهم، وحُمل ما كان في خزائنها من الأشربة، والمعاجين، والعقاقير إلى المارَسْتان العَضُدي وكان يساوي ألوفاً. وحَزِنَ عليها أهلُ بغداد حُزْناً عظيماً، لأنَّها كانت محسنةً إلى النَّاس.

قال: **وفيها** توفي القاضي أبو الفضل، أحمد ابن قاضي القُضَاة أبي طالب علي بن هِبَة الله بن محمد بن البُخَاري[1]، استنابه أبوه في القضاء بحريم دار الخلافة، فلم يزل على ذلك حتى توفي والده، فانعزل، ثم ولي سنة أربع وتسعين، فأقام حتى ولي ضياء الدين ابن الشَّهْرُزُوري في رمضان سنة خمسٍ وتسعين وخمس مئة، فأقَرَّه على حاله، ثم عزله في ذي الحِجَّة من السنة المذكورة، فلزم بيته إلى أن توفي في ذي الحجة من هذه السنة، وصُلِّي عليه بالنِّظامية، ودُفِنَ عند أبيه بمشهد موسى بن جعفر، وكان نَزِهاً عفيفاً.

وفيها توفي عبد الله بن الحسن بن زيد، أبو محمد الكِنْدِي[2]، أخو الشيخ

---

(١) له ترجمة في التكملة للمنذري: ١/ ٤٦٨، الجواهر المضية: ١/ ٢١٤ ـ ٢١٥، الطبقات السنية: ١/ ٤٦٤.

(٢) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٩ هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٤٦٦ ـ ٤٦٧، المختصر المحتاج إليه: ٢/ ١٤٠.

تاج الدِّين زيد بن الحسن الكندي العلامة. وكان عبد الله أصغر من الشيخ، وكان جَوَاداً. سمع ببغداد أبا الفَضْل بن ناصر، وغيره، واستوطن دمشق إلى أن توفي بها في ذي القعدة، وصلَّى عليه أخوه تاج الدين بجامع دمشق، ودفن بجبل قاسيون.

قلت: وهو والد أمين الدين أبي العباس أحمد الذي وَرِثَ عَمَّه تاج الدين، وكان آدمَ اللون، رحمهم الله.

وفيها توفي فلك الدِّين سليمان بن [شيروه بن جلدك][1] أخو العادل لأُمه في التاسع والعشرين من المحرَّم، ودفن بداره بدمشق، وهي التي وقفها مدرسةً للشَّافعية المعروفة بالفلكية بحارة[2] الأنتريس داخل[2] باب الفراديس، ووقف عليها قرية الخَمَّان[3].

٣٤ **وفيها** توفي الأمير سيف الدين يازكوج الأسدي[4] بمصر في سابع عشر ربيع الآخر.

وفيها توفي الفقيه برهان الدين مسعود بن شجاع الحنفي[5]، مدرس المدرسة النُّورية بدمشق في خامس عشر جُمادى الآخرة، ودفن بالمقبرة التي بجبل قاسيون غربي دار ابن سمنديار. وكان هو وابن العقادة ممن يشتغل على الشيخ علي البَلْخي، رحمه الله.

---

(١) ما بين حاصرتين بياض في النسخ الخطية، والمثبت من «كتاب الروضتين»: ٤/ ٤٦٢، وقد سلفت أخباره فيه.

(٢-٢) ما بينهما ليس في (س).

(٣) قرية من نواحي أذرعات بحوران. انظر «معجم البلدان»: ١/ ٣٣٨، ٢/ ٣٨٨.

(٤) سلفت أخباره في «كتاب الروضتين».

(٥) له ترجمة في التكملة للمنذري: ١/ ٤٥٨ ـ ٤٥٩، كتاب الروضتين: ٣/ ٢٧٠، العبر للذهبي: ٤/ ٣١٠، الجواهر المضية: ٣/ ٤٦٧ ـ ٤٦٨، تاج التراجم: ٢٦٥ ـ ٢٦٦، الدارس: ١/ ٥١٣، شذرات الذهب: ٤/ ٣٤٣، الفوائد البهية: ٢١٣.

قال أبو المُظَفَّر: وفيها توفي عبيد اللهِ بن علي بن نَصْر، أبو بكر البغدادي، يعرف بابن المارَسْتانية[1]، أحدُ الفضلاء المعروفين بجمع الحديث، والطبِّ، والنجوم، وعلوم الأوائل، وأيام الناس، وصنَّف كتاباً سمَّاه «ديوان الإسلام في تاريخ دار السَّلام» قَسَّمه ثلاث مئة وستين كتاباً إلا أنه لم يشتهر. وهو الذي صَنف «سيرة الوزير ابن هُبيرة»، وهو الذي قرأ كتب عبد السَّلام بن عبد الوهَّاب بن عبد القادر يوم أحرقت، كان يقرأ الكتاب، ويقول: يا عامَّة، هذا عبد السَّلام يقول في هذا الكتاب: من بَخَّرَ زُحَل بكذا وكذا، وقال: يا إلهي يا عِلَّة العِلَل، نال ما أراد.

وكان ابنُ المارَسْتانية محمولاً على ابن عبد القادر، وكان الخليفة قد أَمَرَ الوزير أن يخلع عليه، ويبعثه رسولاً إلى الكُرْج بتِفْلِيس، فَخَلَع عليه خِلْعةً سوداء سَنِيَّة، وخرج من دار الوزير وبين يديه الحُجَّاب وأرباب الدَّوْلة، فوقف له عبد السَّلام بن عبد الوهَّاب الذي أحرق كتبه، وتقدَّم إليه، وقال له سراً فيما بينهما: الساعة من بَخَّر زُحَل أنا أم أنت؟ فقال: أنا. ولما قضى الرسالة وعاد من تِفْليس توفي بمكان يقال له جُرْخَ بَنْد في ذي الحِجَّة.

وقد تكلموا فيه، فذكره ابنُ الدَّبيثي في «الذيل» فقال: عبيد الله بن علي بن نصر بن حُمْرة ـ بحاء مهملة وراء مهملة ـ أبو بكر بن أبي الفرج، ويعرف بابن المارَسْتانية، جمع الكُتُب، وادَّعى الحِفْظ وسَعَة الرِّواية عمن لم يَلْقه، ولم يوجد بعد، وكان ينتسب إلى أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، وكان أبوه ينكر

---

(١) له ترجمة في معجم البلدان: ٢/ ١٢٤، ذيل تاريخ بغداد لابن النجار: ٢/ ٩٥ ـ ٩٩، مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٩ هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٤٦٩ ـ ٤٧٠، عيون الأنباء: ٤٠٧، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨، ميزان الاعتدال: ٣/ ١٤، المختصر المحتاج إليه: ٢/ ١٨٧، الوافي بالوفيات: ١٩/ ٣٩٠ ـ ٣٩٢، البداية والنهاية (وفيات سنة ٥٩٩ هـ)، ذيل طبقات الحنابلة: ١/ ٤٤٢ ـ ٤٤٦، توضيح المشتبه: ٣/ ٣١٠، لسان الميزان: ٥/ ٣٣٥ ـ ٣٣٧، المقصد الأرشد: ٢/ ٧١، المنهج الأحمد: ٤/ ٤٩ ـ ٥١، شذرات الذهب: ٤/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠.
وقد نقل أبو شامة في «كتاب الروضتين»: ٢/ ٢٠٠، ٢٠٣ عن كتابه «سيرة ابن هُبيرة».

ذلك، وكان أبوه وأمه يخدمان المارَسْتان، ولهذا نسبت أُمه إليه، وأطلق النَّاس القول في جَرْحه بهذه الأسباب، حتى قال أبو جعفر الواثقي:

دَعِ الأنسابَ لا تَعْرِضْ لِتَيْمِ فأين الهُجْنُ مِنْ وَلَدِ الصَّميمِ
لقد أَصْبَحْتَ مِنْ تَيْمٍ دَعِيًّا كدَعْوى حَيْصَ بَيْصَ إلى تميمِ

وطعنَ فيه ابنُ الدَّبيثي طعناً كثيراً. وقال: قد قال في كتابه: أخبرنا والدي، أخبرنا قاضي المارَسْتان، وهذه قحة عظيمة، وأبوه عامي لا يعرف الحديث ولا سمعه، وكان قصده أن يقال عنه محدِّث ابن محدث[1].

قلتُ: هذا غلو من قائله لا يلزم من كونه عامياً أن لا يكون له سماع في صِغَره يوماً ما، فلا يُسْمع قوله «ولا سمعه» فإنها شهادة على نفي.

قال: وما تَمَّ كتابه المسمى بديوان الإسلام، ولو تَمَّ لظهرت فضائحه، سَمِعَ الكاتبة شُهْدة، وشيوخ ذلك العصر.

وفيها توفي زين الدين ابن نُجَيَّة الواعظ، واسمه أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نجا الحَنْبَلي[2].

ولد بدمشق سنة ثمانٍ وخمس مئة، ونشأ بها، وهو سِبْطُ الشيخ أبي الفرج الحَنْبَلي، جد بني الحنبلي الدِّمَشْقيين، فهو ابنُ عمة نجم بن عبد الوهَّاب بن أبي الفرج، ونجم هذا والد النَّاصح ابن الحنبلي وإخوته.

---

(١) انظر «المختصر المحتاج إليه»: ٢/ ١٨٧.

(٢) له ترجمة في ذيل تاريخ بغداد لابن النجار: ٣/ ١٢ ـ ١٥، مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٩هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٤٦٣ ـ ٤٦٤، تكملة إكمال الإكمال: ٣٣٥ ـ ٣٣٨، وفيات الأعيان: ٢/ ٥٣٠، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٣٩٣ ـ ٣٩٦، العبر للذهبي: ٤/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨، المختصر المحتاج إليه: ٣/ ١١٨، البداية والنهاية (وفيات سنة ٥٩٩ هـ)، ذيل طبقات الحنابلة: ١/ ٤٣٦ ـ ٤٤٠، توضيح المشتبه: ٩/ ٤٧، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٨٣ ـ ١٨٤، المقصد الأرشد: ٢/ ٢٠٨، حسن المحاضرة: ١/ ٥٥١، الدارس: ٢/ ٦٧، المنهج الأحمد: ٤/ ٤٥ ـ ٤٨، شذرات الذهب: ٤/ ٣٤٠ ـ ٣٤١.

اشتغل ابن نُجَيَّة المذكور بالتفسير، والوعظ، وبعثه نور الدين محمود بن زَنْكي رحمه الله رسولاً إلى بغداد في سنة أربعٍ وستين وخمس مئة، فسمع بها عبدَ الخالق بنَ أحمد بن يوسف وغيره، وصاهر سعد الخير الأنصاري على ابنته، ثم سكن مِصْر قبل دولة صلاح الدين وفي أيامه، وكان له منه منزلة جليلة. ٣٥

وهو الذي نَمَّ على عمارة اليمني الشَّاعر وأصحابه بما كانوا عزموا عليه من قلب الدولة، فشنقهم صلاح الدين على ما ذكرناه في «كتاب الروضتين»[١]، وقد ذكرنا من أحوال زين الدين هذا في «كتاب الروضتين» أشياء، منها: ما كاتَبَ به صلاح الدين في تفضيل مِصْر على الشَّام وغير ذلك[٢]. وكان صلاح الدين يكاتبه، ويحضره مجلسه هو وأولاده العزيز وغيره، وكان له جاه عظيمٌ وحُرْمة زائدة.

وكان يجري بينه وبين الطُّوسي العجائب، لأن الطوسيَّ أشعري، وابن نُجَيَّة حنبلي، وكلاهما واعظ. جلس ابن نُجَيَّة يوماً في القَرَافة بالجامع، فوقع عليه وعلى جماعة ممن عنده السَّقف، فعمل الطُّوسي خُطْبة، وذكر فيها قوله تعالى: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾[٣].

وجاء يوماً كلب يشقُّ الصُّفوف، فقال ابن نُجَيَّة: هذا من هناك. وأشار إلى مكان الطُّوسي[٤].

وكان ابنُ نُجَيَّة ينشد على المنبر شِعْرَ الملك الصالح طلائع بن رُزِّيك وزير خليفة مِصْر، فمنه:

مَشِيْبُكَ قد نَضَا صِبْغَ الشَّبابِ وحَلَّ البازُ في وَكْرِ الغُرَابِ

(١) «كتاب الروضتين»: ٢/ ٢٨٢.

(٢) «كتاب الروضتين»: ٣/ ٢١٣ ـ ٢١٨، ٣٨٠.

(٣) سورة النحل، الآية: ٢٦.

(٤) انظر ص ٩٤ من هذا الجزء.

تنامُ ومُقْلَةُ الحَدَثانِ يقظى وما نابُ النَّوائبِ عنك نابِ
وكيف بقاءُ عُمْري وَهْوَ كَنْزٌ وقد أنفقتُ منه بلا حِسَابِ

قال أبو المظفر: وكان ابنُ نُجَيَّة قد اقتنى أموالاً عظيمةً، وتنعَّم تنعماً زائداً بحيث إنه كان في داره عشرون جارية للفِرَاش تساوي كل جارية ألف دينار. وأما الأطعمة فقد كان يعمل في داره ما لا يعمل في دور الملوك، وتعطيه الخلفاء والملوك أموالاً عظيمة كثيرة، ومع هذا مات فقيراً، كفَّنه بعضُ أصحابه، وتمزَّقت الأموال، وحالت الأحوال، وكانت وفاته بمصر، ودفن بالقَرَافة[(١)].

وفيها توفي أبو الحسن علي بن الحسن بن إسماعيل العَبْدِي، من عبد القيس[(٢)].

ولد سنة أربع وعشرين وخمس مئة بالبَصْرة، وبَرَعَ في علم الأدب والترسُّل، وسَمِعَ الحديث ببغداد من ابن ناصر وطبقته، ثم عاد إلى البصرة، فتوفي بها في شعبان.

وأنشد لنفسه:

لا تَسْلُكِ الطُّرْقَ إذا أخطرتْ لو أنها تُفْضي إلى المَمْلَكَهْ
قد أنزلَ اللهُ تعالى ﴿ولا تُلْقُوا بأيدكمْ إلى التَهْلُكَهْ﴾

وفيها توفي أبو القاسم علي بن يحيى بن أحمد، الصُّوفي البغدادي[(٣)]، ويعرف بسبط حامد البناء. سَمِعَ قاضي المارَسْتان وطبقته، وتوفي ببغداد، ودفن بباب الأَزَج، وكان فاضلاً، أنشد لنفسه:

---

(١) «مرآة الزمان» (وفيات سنة ٥٩٩ هـ).

(٢) له ترجمة في معجم الأدباء: ١٣/ ٨٨ ـ ٩٠، إنباه الرواة: ٢/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣، مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٩ هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣، المختصر المحتاج إليه: ٣/ ١٢٣، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٨٣.

(٣) له ترجمة في ذيل تاريخ بغداد لابن النجار: ٤/ ٣٠١ ـ ٣٠٣، مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٩هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٤٣٩ (وعند ابن النجار والمنذري وفاته سنة ٥٩٨ هـ).

أيُّ شيء يكون أعجب مِنْ ذا إن تفكَّرْتَ في صُروفِ الزَّمان
حادثاتُ السُّرورِ تُوزَنُ وزناً والبلايا تُكالُ بالقُفْزانِ

وفيها توفي القاضي ضياء الدين ابن الشَّهْرُزوري[1]، وهو أبو الفضائل القاسم بن يحيى بن عبد الله بن القاسم، وهو ابن أخي القاضي كمال الدين محمد بن عبد الله بن القاسم[2]، قاضي قضاة الشَّام في الأيام النُّورية، وبعض الصَّلاحية إلى أن توفي سنة اثنتين وسبعين وخمس مئة، وأوصى بالقضاء لابن أخيه ضياء الدين المذكور، فأقام قليلاً ثم استقال من القضاء لما فهم من غَرَضِ صلاح الدين تولية أبي سَعْد ابن [أبي] عَصْرون، فأقاله، ورَتَّبه للرِّسالة بينه وبين الخليفة، فَتَرَسَّل عنه إلى بغداد مراراً.

٣٦ ولد ضياءُ الدين في سنة أربع وثلاثين وخمس مئة، وتَفَقَّه ببغداد على يوسف الدِّمَشْقي بالنِّظامية، وسَمِعَ الحديث، وعاد إلى الشَّام، وبيته مشهور بالرياسة والتقدُّم والقضاء والفَضْل، وآخر قدومه رسولاً عن صلاح الدين في سنة ثمانٍ وثمانين، ثم قَدِمَها رسولاً عن الأفضل عقيبَ موت صلاح الدين، ولما أخذ العادلُ دمشق أخرجه منها بسبب الأفضل، فاسْتُدْعي إلى بغداد في سنةِ خمس وتسعين[3] وخمس مئة[4] فولاه الخليفةُ قضاءَ القُضاة، وَرَدَّ إليه أمورَ المدارس والأوقاف الشَّافعية والحنفية وغيرها. وكانت مطالعات الخليفة تَصْدُر

(١) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٢/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤، مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٩هـ)، وفيات الأعيان: ٤/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥، العبر للذهبي: ٤/ ٣٠٨، الوافي بالوفيات: ٢٤/ ١٧١ ـ ١٧٢، طبقات الشافعية للسبكي: ٧/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٨٣ ـ ١٨٤، شذرات الذهب: ٤/ ٣٤٢.
وقد سلفت أخباره في «كتاب الروضتين».

(٢) انظر حاشيتنا رقم ١ ص ٤٢٦ من الجزء الثاني من «كتاب الروضتين».

(٣) في (س): وسبعين، وهو تحريف، وانظر «كتاب الروضتين»: ٤/ ٤٦٣ ـ ٤٦٤.

(٤) في الأصل: وخمس مئة، وكتب فوقها بخط دقيق: زائد، صح.

إليه دائماً، وحَظِي عنده، وحَصَلَتْ له منه منزلة لم تحصُلْ لغيره من الغرباء، وكانت زوجتهُ سِتُّ الملوك تدخل على أمّ الخليفة النَّاصر، وتحسِنُ إليها. وأقام ببغداد فلم تَطِبْ له، واشتاق إلى الشَّام، فطلب الانفصال، فلم يجبه الخليفة، فدخلت ست الملوك على أُمّ الخليفة، وسألتها في مخاطبة الخليفة في الإذن له في العَوْد إلى الشَّام، فسألته، فأَذِنَ له.

قال أبو المُظَفَّر: وسمعتُ بعضَ عوام بغداد يقولون: كان سببُ عَزْلِهِ أَنَّه مَسَحَ يوماً القلم في شرابة الدَّوَاة، ولم يمسحه في الخِرْقة الزَّرْقاء التي عند الدواة، وبلغ الخليفة فعزله. قال: وليس هذا بشيء، ولم يعزله الخليفة، إنما هو اشتاق إلى الشَّام، ولم يعتد قواعدَ العراق، وخاف على نفسه أنْ يبدوَ منه ما لا يليق، فطلب الخروج إلى الشَّام، وكان قد حَسَدَه أربابُ الدَّوْلة على قُرْبه ومنزلته من الخليفة، وميله إليه، فخاف من التحريف عليه، فكانت مُدَّة ولايته بها سنتين وأربعة أشهر. ولما سافر عن العراق جاء إلى حماة، فأقام بها، وولي القضاء، فعِيْبَ عليه ذلك بعد قضاء بغداد فقال: ما عُزِلْتُ عن قضاء بغداد، وحماةُ والشَّام والشَّرْق والغرب في ولايتي، فإذا نظرتُ في بعض ولاياتي فليس ذلك بعيب. وكانتْ وفاته بحماة منتصف رجب، ودفن بها.

قال: ولقد حُكي لي أنه لما احْتُضِرَ جَعَلَ يسبِّح ويذكر الله وتتفرقع أصابعُهُ حتى قضى. وكان فاضلاً جَوَاداً، سخياً، لم يكن في أبناء جنسه أكرم منه[1].

وذكره العماد الكاتب في «الخريدة» وأثنى عليه، ومن شِعْره:

فـي كـلِّ يَـوْمٍ تـرى لـلـبَـيْـنِ آثـارُ ومـالـهُ فـي الـتـئـامِ الـشَّـمْـلِ آثـارُ
يَسْطُو علينا بتفريقٍ فوا عجبا هل كانَ للبَيْنِ فيما بيننا ثارُ
يَـهـزُّنـي أبـداً مـن بَـعْـدِ بُـعْـدِهِـمُ إلـى لـقـائـهـمُ وَجْـدٌ وتَـذْكـارُ

(١) مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٩ هـ).

ما ضَرَّهُمْ في الهوى لو واصَلُوا دَنِفاً ... وما عليهمْ مِنَ الأَوْزَار لو زَارُوا
يا نازلينَ حِمَى قلبي وإنْ بَعُدُوا ... ومُنْصِفِيْنَ وإنْ صَدُّوا وإنْ جاروا
ما في فؤادي سواكمْ فاعْطِفُوا وَصِلُوا ... وما لكمْ فيه إلا حُبّكُمْ جارُ[١]

وفيها توفي أبو البركات محمد بن أحمد بن سعيد التَّكْريتي[٢]، ويعرف بالمُؤَيَّد.

كان أديباً، فاضلاً، شاعراً، ومن شِعْره أبياتٌ حسنةٌ شائعة قالها في الوجيه النَّحْوي[٣]، وكان الوجيه قديماً على مذهب أحمد، فآذاه الحنابلة، فتحنَّف، فآذاه الحنفية، فانتقل إلى مذهب الشَّافعي، فجعلوه يدرِّسُ النَّحْو في النِّظامية، فقال المُؤَيَّد:

ألا مُبْلِغٌ عنيّ الوَجِيْهَ رسالةً ... وإنْ كان لا تُجْدِي لديه الرَّسائلُ
تَمَذْهَبْتَ للنُّعمان بعدَ ابن حَنْبَلٍ ... وذلكَ لمَّا أعْوَزَتْكَ المآكِلُ
وما اخْتَرْتَ رأيَ الشَّافِعِيّ تَدَيُّناً ... ولكنَّما تهوى الذي هو حاصِلُ
وعَمَّا قليلٍ أنتَ لاشكَّ صائِرٌ ... إلى مالكٍ فافْطَنْ لِمَا أنا قائِلُ

وفيها توفي أبو زكريا، يحيى بنُ طاهر بن محمد الواعظ، ويعرف بابن النَّجَّار البغدادي[٤].

---

(١) «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٢/ ٣٤٣.

(٢) له ترجمة في الاعتبار لأسامة ابن منقذ: ٩٤ ـ ٩٥، الكامل: ١٢/ ٣١٢، والمحمدون من الشعراء للقفطي: ٥٠ ـ ٥١، مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٩ هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٤٥٤، وفيات الأعيان: ٤/ ١٥٣، المختصر المحتاج إليه: ١/ ١٦، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: ٨١ ـ ٨٢، الوافي بالوفيات: ٢/ ١١٥ ـ ١١٦، البداية والنهاية (وفيات سنة ٥٥٩ هـ)، شذرات الذهب: ٢/ ٣٤٧ ـ ٣٤٨، وفيه وفاته سنة ٦٠٠ هـ.

(٣) ستأتي ترجمته ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠ من هذا الجزء، (وفيات سنة ٦١٢ هـ).

(٤) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٩ هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٤٠٢، المختصر المحتاج إليه: ٣/ ٢٤٤.

٣٧ ولد يوم عَرَفَة سنة اثنتين وعشرين وخمس مئة، وسَمِعَ الحديث الكثير من أبي الفَضْل الأرموي وطبقته، وتوفي في ذي الحِجَّة، ودفن بالمختارة شرقي بغداد، وأنشدَ في مجلسه:

عاشِرْ من النَّاسِ مَنْ تبقى مَوَدَّتُهُ فأَكْثَرُ النَّاسِ جَمْعٌ غَيْرُ مُؤْتَلِفِ

منهمْ صديقٌ بلا قافٍ ومَعْرِفَةٌ بغير فاءٍ[1] وإخوانٌ بلا أَلِفِ

وفيها وُلِدَ مصنِّف هذا الكتاب، الفقير إلى الله تعالى، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان بن أبي بكر بن إبراهيم بن محمد، المَقْدِسي الشَّافعي[2]، عفا الله عنه، عُرِفَ بأبي شامة، لأنه كان به شامةٌ كبيرة فوق حاجبه الأيسر، يكنى أبا القاسم وأبا محمد.

وكانت ولادته ليلة[3] الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الآخر[3] من هذه السنة برأس دَرْبِ الفواخير بدمشق؛ داخل الباب الشَّرقي.

وأصلُ جَدِّه أبي بكر من بيت المقدس، كان أبوه أحدَ الأعيان بها، ولعل محمداً الذي انتهى إليه النَّسَب هو أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي القاسم علي الطُّوسي، المقرئ الصُّوفي، إمامُ صخرةِ بيتِ المقدس، ذكره الحافظ أبو القاسم في «تاريخ دمشق»[4].

قال ابنُ الأكفاني: قتلته الفرنج ـ خذلهم الله ـ عند دخولهم بيتَ المقدس في شعبان سنة اثنتين وتسعين وأربع مئة.

---

(١) في (ك) و(ع) و(س): هاء، وهو خطأ.

(٢) شرعت في تأليف كتاب عن أبي شامة، استقصي فيه أخباره وفق منهج تحليلي، أسأل الله تعالى أن يوطئ لي أسبابه، وكنت وعدت في مقدمة تحقيقي لكتاب الروضتين أن أكتب ترجمة له تكون فاتحة تحقيق هذا الكتاب، غير أن القول اتسع لدي حتى غدا بكتابٍ أملك، والله الموفق.

(٣ ـ ٣) ما بينهما ساقط من المطبوع.

(٤) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (خ) (س): ١٤/ ٧٠٦.

قلت[١] : وكان والدي إسماعيل رحمه الله قد أخبرني أن جده الأعلى قُتِلَ مع مَنْ قُتِلَ من المقادسة عام دخول الفرنج بيت المقدس بالسيف، وهو عام اثنتين وتسعين وأربع مئة[١]، وهو أحدُ الشُّهداء الذين رؤوسهم بالمغارة المقصودة بالزِّيارة في مقبرة ماملَّة بالقُدْس الشريف.

فانتقل ولدُه أبو بكر إلى دمشق، فأقام بها، وولد له ولدان عثمان بن أبي بكر، وعبد الرحمن بن أبي بكر الذي كان معلماً بباب الجامع الشَّامي، وسيأتي ذكره[٢]، وكَثُرَ نسلهم بدمشق، ومسكنهم بنواحي الباب الشرقي.

فأولد عثمانُ بن أبي بكر إبراهيمَ بنَ عثمان جد مصنف الكتاب، توفي في شعبان سنة خمسٍ وسبعين وخمس مئة، ودفن بمقبرة باب الفراديس.

فأولدَ إبراهيمُ بنُ عثمان ولدين أبا القاسم بن إبراهيم، توفي يوم الجمعة تاسع شهر رمضان سنة أربع وست مئة، ودفن بمقبرة بين الباب الشَّرْقي وباب توما، وإسماعيل بن إبراهيم، توفي في ثالث عشر ربيع الأول سنة ثمانٍ وثلاثين وست مئة.

فأولد إسماعيلُ ولدين إبراهيمَ بنَ إسماعيل، ومولده ليلة الاثنين الخامس والعشرين من محرَّم سنةَ إحدى وتسعين وخمس مئة، ومصنف الكتاب عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم.

وحَبَّبَ الله تعالى إليه من صِغَره حِفْظَ الكتاب العزيز، وطَلَبَ العِلْم، فجعل ذلك من هِمَّته، فلم يشعر والدُه به إلا وهو يقول له: قد ختمتُ القرآن حِفْظاً. ثم أَخَذَ في معرفة القراءات السَّبْع والعربية، والفقه والحديث، وأيام النَّاس، ومعرفة الرِّجال، وغيرها من العلوم، وصنَّف في جميع ذلك مصنفاتٍ كثيرةً سيأتي ذكرُها.

(١ ـ ١) ما بينهما ساقط من المطبوع.

(٢) انظر ص ١٩٧ من هذا الجزء.

وحجَّ مع والده سنة إحدى وعشرين وست مئة، ثم حَجَّ في السنة التي بعدها أيضاً، ثم سافر إلى البيت المقدَّس زائراً سنة أربعٍ وعشرين، وسافر إلى الدِّيار المِصْرية سنة ثمانٍ وعشرين، واجتمع بشيوخ هذه البلاد في ذلك الوقت بمصر والقاهرة، ودمياط والإسكندرية.

ثم لزم الإقامة بدمشق عاكفاً على ما هو بصدده من الاشتغال بالعلم وجَمْعِهِ في مؤلفاته، والقيامِ بفتاوى الأحكام وغيرها.

وكان في صغره وهو يقرأ القرآن في جامع دمشق ينظر إلى مشايخ العِلم كالشيخ فخر الدين أبي منصور ابن عساكر، ويرى طريقته في فتاوى المسلمين، وحاجةَ النَّاس إليه، وسماعَ الحديثِ النَّبويِّ عليه وهو يمرُّ من مقصورة الصحابة رضي الله عنهم إلى تحت النَّسْر لِسماعِ الحديث، إلى المدرسة التقوية لإلقاء دروس الفِقْه، ويرى إقبالَ النَّاسِ عليه، وتردُّدَهُمْ إليه، مع حُسْنِ سَمْتِهِ، واقتصاده في لباسه، فيستحسن طريقَتَهُ، ويتمنَّى مَرْتبته في العِلْم، ونَشْرَه له، وانتفاعَ النَّاس بفتاويه، فبلَّغه الله تعالى من ذلك فوق ما تمناه.

وظهر الشيبُ في لحيته ورأسه وله خمس وعشرون سنة، عجَّل الله تعالى له الشيخوخة صورةً ومعنى، فنظم في ذلك بعضُ الفضلاء:

٣٨ إنْ يَشِبْ إذْ أَهَلَّ خمساً وعِشْريـ ـنَ فما كانَ الشَّيْبُ فيه بعابِ
جَهِلَ النَّاسُ قَدْرَ شَيْخُوخةِ العِلْـ ـمِ فَجَلَّتْ أنوارَهُ في الشَّبابِ
نَوَّرَ اللهُ الوَجْهَ والقَلْبِ منهُ إنَّ فيهِ هِدَايةَ المُرْتابِ
هُو شَيْخٌ معنًى فعاجلَهُ الشَّيْـ ـبُ وَقَاراً لهُ على الأتْرابِ
فحوى الفَضْلَ يافِعاً ومُسِنًّا إنَّ زُلْفى لهُ وحُسْنَ مآبِ

ورئيت له مناماتٌ حسنة كانت مُبَشِّراتٍ له بما وَصَلَ إليه من العِلْم وما يرجوه من الخير، منها: أنَّ والدته ـ رحمها الله ـ أخبرته وهو إذ ذاك صغير يتردَّدُ إلى المكتب، وأبوه ـ رحمه الله ـ يعجَبُ من حُبِّه للمكتب، وحِرْصِهِ على

القراءة على خلاف المعروف من عادة الصِّبْيان. فقالت الوالدة: لا تَعْجب، فإني لما كنتُ حاملاً به رأيتُ في المنام كأني في أعلى مكانٍ من المئذنة عند هِلالها، وأنا أُؤذِّن، فقصَصْتُها على عابر، فقال: تلدين ذكراً ينتشر ذكره في الأرض بالعِلْم والخير.

ورأى هو في صَفَر سنة أربع وعشرين وست مئة كأنَّ عمرَ بنَ الخَطَّاب رضي الله عنه قد أقبل إلى الشَّام منجداً لأهله على الفرنج ـ خذلهم الله تعالى ـ وكأنَّ له به خصوصية من إفضاء أمره إليه، والتحدُّث معه في أمور المسلمين، وهو يمشي إلى جانبه ملاصقاً مَنْكِبَهُ بمنكبه حتى كان النَّاسُ يسألونه عنه وعما يريد يفعل، وهو يخبرهم عنه، فكأنَّه كان واسطةً بينه وبين النَّاس.

وفي هذه السنة رأى أيضاً كأنه والفقيه عبد العزيز بن عبد السَّلام ـ سلمَّه الله ـ داخلَ باب الرحمة بالبيت المقدَّس، وقد أرادا فَتْحه، وثَمَّ من يمنعُ مِنْ فتحه، ويدفعونه لينغلق، فما زالا يعالجان الأمر حتى فتحا مِصْرَاعيه فتحاً تاماً بحيث أسندا كلَّ مِصْراعٍ إلى الحائط الذي خلفه.

ورأى أيضاً في جمادى الآخرة من هذه السنة كأنَّ المسلمين في صلاة جمعة في حَرٍّ شديد، وهو خائفٌ عليهم من العَطَش ولا ماء، ثم يعرف، فنظرَ إلى قليبِ ماءٍ، وقريباً منه حوض، فخطر له أن يستقي من ذلك القليب، ويسكب في الحوض حتى يشربَ منه النَّاس إذا انصرفوا من الصَّلاة، فاستقى شخصٌ قبله لا يعرفه دلواً أو دلوين، ثم أخذ الدلو منه، فاستقى دِلاءً كثيرة لم يعرف عددَها، وسكَبَ في الحَوْض.

ورآه المهتار هلال بن مازن الحَرَّاني متقلِّداً هيكلاً، وهو يقول: انظروا فلاناً كيف تقلَّد كلامَ الله.

ورأت امرأةٌ كبيرة كأنَّ جماعةً صالحين اجتمعوا بمسجد قرية بيت سوا، وهي قريةٌ من قرى غوطة دمشق، وكأنَّهم سُئلوا: ما شأنهم؟ قالوا: ننتظر النبيَّ ﷺ يصلِّي بنا. قالت: فحضرَ ـ يعني مصنف هذا الكتاب ـ فصلَّى بهم.

وجاءه رجلٌ يستفتيه وهو بالمجلس الكبير الذي للكتب في صَدْر الإيوان بالمدرسة العادلية، وهو الموضع الذي كان يجلس فيه غالباً للفتوى وغيرها، ومنه يخرج إلى الصَّلاة بالمدرسة، فتعجَّب، فقيل له: مم تتعجَّب؟ قال: هذا مكانٌ ما رأيتُه قَطُّ، قال: ورأيتُ في المنام كأني كنتُ بهذه المدرسة العادلية، وفيها خَلْقٌ كثير، وكأنَّ قائلاً يقول للنَّاس: تَنَحَّوْا فالنبيُّ ﷺ يمرُّ، قال: فنظرتُ، فخرجَ علينا من المجلس الذي للكتب، ومرَّ كما هو إلى المحراب.

ورأى الصَّلاح الصوفي في أول ليلة من جمادى الآخرة سنةَ خمس وخمسين وست مئة كأنَّ مصنِّفَ الكتاب متوجِّهٌ إلى الحج، ومعه من الزَّاد جميع ما يحتاج إليه تزوُّداً تاماً تعجَّبَ منه الرائي.

ورأى حسن الحجازي في شهر رمضان سنة سبع وخمسين وست مئة كأنَّ قائلاً في عالم الغيب لا يراه بل يسمع صوته يقول: الشَّيخُ أبو شامة نبيُّ هذا الوقت، أو كما قال.

ورآه مرة أخرى فوق قَنْطَرة عالية، وتحت القنطرة حِنْطة كثيرة.

ومن ذلك مناماتٌ حسنة رآها له أخوه الشيخ برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل، وهو أسنُّ منه بنحو تسع سنين، وكان من الصَّالحين، رأى والدَهما رحمه الله يقول له: عليك بالعِلْم، انظر إلى منزلة أخيك. فنظرَ، فإذا هو في رأس جبل، والوالد والرَّائي يمشيان في أسفله. ٣٩

ورأى في صفر سنةَ سبعٍ وخمسين وست مئة كأَنَّ مصنِّفَ الكتاب متمسِّكٌ بحبل قد دُلي من السَّماء وهو مرتفع فيه، فسأل إنساناً عن ذلك في المنام، فانكشف لهما البيتُ المقدَّس والمسجد الأقصى، فقال له ذلك الإنسان: مَنْ بنى هذا المسجد؟ فقال: سليمان بن داود عليهما السلام. فقال: قد أُعطي أخوك مثل ما أعطي سليمان. فقال له: كيف ذلك؟ فقال: أليس سُلَيمان أوتي مُلْكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده، أليس أعطي كذا وكذا؟ وعدَّدَ أنواع ما أُوتي. فقال: بلى. قال: وكذا أخوك، أوتي أنواعاً من العلم كثيرة، أو كما قال.

ورآه الشَّرفُ الصَّرْخَدِي فوق سَطْحِ بيتٍ منعزل، وهو يؤذِّن، ثم بعد الأذان قرأ ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾[١].

ورأى أيضاً كأنَّ القيامة قد قامت، ومصنِّفُ الكتاب راكبٌ على حمار وهو مُسْرع، فقيل له في ذلك، فقال: أطلبُ النبيَّ ﷺ على الحَوْض.

ورأى الشَّرفُ ابن ريش[٢] أيضاً القيامة، ووصفَ مِنْ أهوالها. قال: ورأيت فلاناً ـ يعني صاحبَ هذا الكتاب ـ فسألتُهُ عن حاله، فقلت له: ماذا لقيتَ؟ قال: لقيتُ خيراً.

وإنما سَطَّرْتُ هذه المنامات وغيرها تحدُّثاً بنعم الله تعالى كما أَمَرَ سبحانه في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[٣] وقد قال النبيُّ ﷺ: «لم يبق من المُبَشِّرات إلا الرؤيا الصَّالحة يراها المؤمن أو تُرَى له»[٤] اللهم، أوزعنا شُكْر هذه النِّعم، واختمْ بخير، واسْتُرْنا في الدنيا والآخرة، وآمِنَّا مكرك، ولا تُنْسِنا ذكرك.

سمع المذكور جماعةً من المشايخ[٥] والعلماء من أصحاب أبي الوقت، [٦]والحافظ أبي القاسم الدمشقي[٦]، والحافظ أبي طاهر السِّلَفي، وأبي الفرج الثَّقفي، وأبي طاهر بركات بن إبراهيم الخشوعي، وغيرهم.

وجمع وألَّف، وهذّب وصنَّف في فنون العلوم النافعة كتباً كثيرة، ومصنفاتٍ جليلةً، مختصرة ومطوَّلة، تمَّ أكثرها، وأسمعها وَوَقَفها، وكَثُرَتِ النُّسَخُ بها.

---

(١) سورة ق، الآية: ٤١.

(٢) في (س): الرئيس.

(٣) سورة الضحى، الآية: ١١.

(٤) أخرجه مسلم (٤٧٩) (٢٠٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنه، وهو في مسند الإمام أحمد (١٩٠٠).

(٥) في هامش الأصل: بلغ مقابلة.

(٦ ـ ٦) ما بينهما ليس في (س).

فأول ما أظهر من مصنَّفاته شرح (١مدائح المصطفى ﷺ الذي سماه «المقاصد السنية في شرح١) القصائد النَّبوية» مجلد.

ومنها: شرح قصيدة الشَّيخ الشَّاطبي رحمه الله الذي سماه «إبراز المعاني من حِرْز الأماني»، وهما شرحان: أصغر وأكبر، والأكبر إلى الآن لم يتم، والأصغر مجلدان.

ومنها اختصاره لتاريخ دمشق، وهما أيضاً أكبر وأصغر، وكلاهما تام، فالأكبر بخطِّه في خمسة عشر مجلداً، والأصغر في خمس مجلدات.

ومنها «كتابُ الرَّوضتين في أخبار الدولتين» في مجلدين ومختصره في مجلدةٍ صغيرة.

ومنها «الكتابُ المرقوم في جُمْلَةٍ من العلوم» يجمع عِدَّةَ مصنفات، في مجلدين، الأول: فيه خُطْبة العِلْم الكبرى التي سَمَّاها «خطبة الكتاب المُؤَمَّل للرَّدِّ إلى الأمر الأوَّل» وكتاب «نور المسرى في تفسير آية الإسرا»، و«شرح الحديث المُقْتَفَى في مبعث النَّبيِّ المُصْطَفَى»، و«ضوء السَّاري إلى معرفة رؤية الباري». و«المحقق من علم الأصول فيما يتعلَّق بأفعال الرَّسول»، و«كتاب البسملة الأكبر»(٢.

والمجلد الثاني: فيه «المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز». و«الكراسة الجامعة لمسائل نافعة»٢). و«الباعث على إنكار البِدَع والحوادث». و«كتاب السِّواك وما أشبهَ ذاك». و«مختصر كتاب البسملة»، وغير ذلك.

ومنها «كشفُ حال بني عُبيد».

«الواضح الجلي في الرَّدِّ على الحَنْبلي».

(١ ـ ١) ما بينهما ليس في (س).

(٢ ـ ٢) ما بينهما ساقط من المطبوع.

«إقامةَ الدَّليل الناسخ لجزء الفاسخ».

«الأصول من الأصول».

«مفردات القُرَّاء[1]».

«شيوخ الحافظ البيهقي».

«المقدمة في النحو».

٤٠

«الألفاظ المعربة».

«القصيدة الدَّامغة».

«قصيدتان في منازل طريق الحج».

«نظم مُفَصَّل الزَّمَخْشَري».

«نظم العَرُوض والقوافي».

«نظم شيء من متشابه القرآن».

«شرح عروس السَّمر».

وابتدأ كتباً كثيرة لم يتفق إلى الآن إتمامها ونحن في سنة تسعٍ وخمسين وست مئة التي تعقبها سنة ستين، منها:

«كتاب جامع أخبار مكة والمدينة وبيت المقدس شرفهن الله تعالى».

«مختصر تاريخ بغداد».

«تقييد الأسماء المُشْكلة».

«رفع النِّزاع بالرَّدِّ إلى الاتِّباع».

«المذهب في علم المذهب».

«نية الصِّيام وما في يوم الشَّكِّ من الكلام».

«شرح نظم المُفَصَّل».

---

(١) في النسخ ما عدا الأصل: القرأة، وكلاهما صحيح.

«الإعلام بمعنى الكلمة والكلام».

«شرح لباب التهذيب».

«الأرجوزة في الفقه».

«ذكر مَنْ ركب الحمار».

«مشكلات الآيات».

«مشكلات الأخبار».

«كتاب القيامة».

«شرح أحاديث الوسيط».

تعاليق كثيرة في فنون مختلفة من غير ترتيب على طريقة «التذكرة» لأبي عليٍّ الفارسي، و«أمالي ثعلب»، و«أمالي الزَّجَّاجي»، ونحو كتاب «المجالسة»[1] .

اختصار جملة من الدَّواوين.

وقد نظم أحدُ الفضلاء بعضَ هذه المصنَّفات في أبياتٍ كَتَبَها له، فقال:

هذا الشِّهابُ الثَّاقِبُ الفَهْمِ الذي ... قد فاقَ في بحرِ العُلُومِ وشَطِّهِ

أَكْرِمْ بتحقيقٍ وإتقانٍ وتَصْـ ... ـنيفٍ لهُ وبراعةٍ في ضَبْطِهِ

وعنايةٍ مِنْ رَبِّهِ فيما يحا ... ولُهُ بهِ فأَحَلَّهُ في وَسْطِهِ

فكلامُهُ في الفِقْهِ يُشْبِه ما تقدَّ ... مَ مِنْ كلامِ الشَّافعيِّ وَسِبْطِهِ

يَبْني على نَصِّ الكِتَابِ وسُنَّةٍ ... للمُصْطَفَى في رَفْعِهِ أو حَطِّهِ

ومذاهب العُلَماءِ يَلْحَظُها فَيُفْـ ... ـتي بالمُرَجَّحِ عندَهُ مِنْ قِسْطِهِ

وَيُفَسِّرُ القُرْآنَ والأخبارَ عن ... حِذْقٍ بمفهومِ الكلامِ وَرَبْطِهِ

ويَنُصُّ أسماءَ الوَرَى وحديثَهُمْ ... ووفاتَهُمْ فكأنَّهُمْ مِنْ رَهْطِهِ

(١) سأبين ما طبع من هذه المؤلفات، ومظان نسخها الخطية في دراستي عن أبي شامة، إن شاء الله تعالى.

شَرَحَ الصُّدُوْرَ بشَرْحِهِ لقصائدٍ … نبويَّةٍ في قَبْضِهِ أَوْ بَسْطِهِ
والشَّاطبيةُ جَوِّلوا أفكارَكُمْ … في شَرْحِها إنْ كُنْتُمُ مِنْ شَرْطِهِ
ولهُ كتابُ الرَّوْضَتَيْنِ وَهَذَّبَ التَّـ … ـاريخَ مُخْتَصِراً لهُ مِنْ شَحْطِهِ
وكتابُهُ المَرْقُومُ فيه مُصَنَّفا … تٌ في علومٍ حازها في مِرْطِهِ
منها المُحَقَّقُ والسِّواكُ وباعِثٌ … مع مَبْعَثٍ أَحْسِنْ بهِ وبِقِمْطِهِ
والضَّوءُ والإسرا وَبَسْمَلَةٌ ومُرْ … شِدُها الذي أحيا بحُسْنِ مَخَطِّهِ
وَلِنَظْمِهِ في النَّحْو والأَوْزَانِ والـ … أحكامِ لم يكُ ما مضى من سِمْطِهِ
وقَدِ ابْتَدَا كُتُباً فإنْ أبقاه مَنْ … قَوَّاه أَكْمَلَها بجُودَةِ سَفْطِهِ
رَفَعَ النِّزاعَ وَمُشْكِلَ الآياتِ والـ … أَخْبارِ مِمَّا شَدَّهُ في قِمْطِهِ
أرجو لهُ عَفْوَ الإلهِ فإنَّهُ … مازالَ يَطْلُبُ عَفْوَه في خَطِّهِ

كان المذكور ـ [وفقه الله تعالى][1] ـ لا يكاد يكتب اسمه[2] في فتوى، أو شهادة، أو طبقة سماع، أو نسخ كتابٍ إلا أردفَ اسمه بكتابة عفا الله عنه، وكان حريصاً على الاجتهاد في الأحكام المختلف فيها، فيفتي بما يراه أقربَ إلى الحق، وإن كان خِلافَ مذهبه تبعاً للأدِلَّة.

٤١

ونظمَ فيه بعضُ الأدباء:

أيها الحاسدونَ فَضْلَ شِهابِ الدِّ … ينِ عبدِ الرَّحمن رَبِّ المَعَالي
لا تُطِيقونَ ما أطاق دَعُوا السَّعْـ … ـيَ فلَنْ تُدْرِكُوه غيرَ خيالِ
مُتْعِبٌ نَفْسَهُ صَبِيّاً وكهلاً … ثُمَّ شَيْخاً مُواظِبُ الإشتغالِ
وَمُحِبٌّ مجالِسَ العِلْمِ والدِّيـ … ـنِ جميعاً مجانِبُ الأنذالِ
جَدَّ حِرْصاً على الفوائدِ منها … وسؤالاً عن مُشْكِلِ الأقوالِ

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و(ك) و(ع).
(٢) اسمه، ليس في (س).

لا يُرى غيرَ قارئٍ لكتابٍ أو مُجيباً بالحقِّ للسُّؤالِ

كم كتابٍ أنهاه حِفظاً وشَرْحاً واطّلاعاً علا رؤوس الرِّجالِ

لا يُماري ولا يباري ولا يَنْـ ـفَكُّ عن نَشْرِ عِلْمِهِ للمُوَالي

فلهذا[1] يُحَبُّ دِيناً فمنْ أبْـ ـغَضَهُ نالَ لَعنةَ المُتَعالي

إنَّ عبدَ الرَّحمنِ فيه فنونٌ من عُلُومٍ مَعْها كريمُ خِلالِ

حازَ مُذْ كانَ بالقناعةِ عِزًّا مَعْ بهاءٍ وَهَيْبةٍ وجَلالِ

واعتلاءٍ على الأماثلِ في بَثْـ جَوَابٍ لَهُ وَحُسْنِ سؤالِ

ناشِرُ العِلْمِ قائِلُ الحقِّ كم قد نَصَرَ الشَّرْعَ عن صحيحِ الجِدالِ

صائِنٌ نَفْسَهُ وما فيه مِنْ عِلْـ ـمٍ ودِينٍ عن مِهْنَةٍ وابتذالِ

وسواهُ في الذُّلِّ إنْ خابَ أوْ أنْـ ـجَحَ يَسْعى أيَّامَهُ واللَّيالي

فارساً راجلاً يَمُرُّ ويأتي نحوَ قاضٍ وتارةً نحوَ والي

ذو التَّصانيفِ المُغْنِياتِ بعون اللَّـ ـه عن مُتْعِباتٍ[2] قِيلٍ وقالِ

مَنْ يُرِدْ قَدْرَ فَضْلِهِ فَلْيُطالِعْ كُتْبَهُ فَهْيَ عَيْنُ عَيْنِ الكمالِ

ليرى ما آتاه خالِقُهُ جَلَّ مَعَ العِلْمِ من جليلِ الفِعالِ

فَمُواليه في الهُدَى ومُعَادِيْـ ـه وَحُسَّادِهِ معاً في ضَلالِ

وَهْوَ مِنْ نَفْسِهِ النَّفيسةِ[3] في عِزٍّ ومن عِلْمِهِ رَخِيُّ البالِ

وَهْوَ مِنْ قِنْعِهِ غنيٌّ وراضٍ لا يُدَانيهِ في الغِنى ذو المالِ[4]

وكتبَ إليه بعضُ الأدباء، وأنشده إياها بجامع دمشق بحَلْقتِهِ عند رأس

(١) في النسخ الخطية ما عدا الأصل: ولهذا.

(٢) في (ك) و(ع) و(س): مصنفات، وهو خطأ، ولا يتزن بها البيت.

(٣) في المطبوع: الأبية، ولعلها من تغيير الناشر!

(٤) انفردت نسخة (ب) بتقديم وتأخير بعض الأبيات.

يحيى بن زكريا عليهما السَّلام، في الزمن الذي كان يُسمع فيه «تاريخ دمشق» الذي اختصره وغيره، وذلك ثامن ذي الحِجَّة سنة ثمانٍ وأربعين وست مئة قصيدةً منها:

هو الشَّيْخُ شيخُ العِلْم والحِلْم والهُدَى ... وناهيكَ منْ عِلْمِ القراءةِ مِنْ فَحْلِ

هَنَاءٌ له مِنّا بصِحَّةِ جِسْمِهِ ... فَصِحَّتُهُ في جِسْمِهِ صِحَّةُ النَّقْلِ[1]

ولمَّا اعْتَرَاهُ ما اعتراه تألَّموا ... جميعُ الورى كالنَّفْسِ والصَّحْبِ والأَهْلِ

وعوفي بحمدِ الله والحمدُ لم يَزَلْ ... دواءٌ له هذا شعارُ ذوي الفَضْلِ[2]

ووالدُهُ كالسَّيِّد السُّلَميِّ خُذْ ... بكُنْيَتِهِ والشَّيْخُ في وَرَعِ الشِّبْلي

وفي العِلْم بَحْرٌ قد تَدَفَّقَ مَوْجُهُ ... ويملأُ منه بالجواهرِ ما يُمْلي ٤٢

فهذَّبَ تاريخَ الشَّآمِ درايةً ... وتهذيبُهُ قد صَحَّ عند ذوي العَقْلِ

كما أنَّه علَّامةُ الوَقْتِ مُفْرَدٌ ... بعِلْمِ حديثِ المصطفى سَيِّدِ الرُّسْلِ

فحاشا حياةِ العِلْمِ من فَقْدِ مِثْلِهِ ... وحاشا أحاديث النَّبيِّ من الجَهْلِ

ومسألةٍ في شَرْحِ بَسْمَلَةٍ لها ... سموٌّ وشَرْحُ الشَّاطبيَّةِ يَسْتَعْلي

بنَظْمِ عَرُوضٍ وَالمَفَصَّلِ قَبْلَهُ ... رَوِيَّتُهُ تَرْوي الوَرَى دِيمةَ الهَطْلِ

فحاشا ندى التَّصنيفِ أنْ لا يَثُجَّ مِنْ ... غزيرٍ وحاشا الرَّوْضتينِ من المَحْلِ[3]

---

(١) في المطبوع: العقل، ولعلها من تغيير الناشر!

(٢) في الأصل: العقل، وفي (ب) العدل، والمثبت من (ع) و(ك) و(ب)، ولعل ما في الأصل مصحفاً عنها، لأن لفظ العقل سيأتي في بيت آخر، وليس من الفصاحة أن يُكَرَّرَ لفظ واحد في بيتين من قصيدة واحدة، والله أعلم.

(٣) في (س): يدي. وقرأ البيت ناشر المطبوع:

فحاشا يدي التّصنيف أن لا تنج من ... عزيز وحاشا الروضتين من المحل

وقال: هكذا في الأصول الثلاثة، وفيه ركة!

قلت: وقد زالت الركة بقراءته على الصواب، إن شاء الله.

وحاشا الفتاوى أنْ تُعَطَّلَ بعدَهُ ... وحاشا جمالِ البحث يخلو من الحَفْلِ
كبيرُ المَعَالي والمعاني مُفَنَّنٌ ... نقيٌ زكيٌّ طَيِّبُ الفَرْعِ والأَصْلِ
يقولُ لنا مالا سَمِعْناه قَبْلَهُ ... وقال لنا ما سُدْتُ إلا بمَنْ قَبْلي

وكتبَ إليه أيضاً قصيدةً، منها:

يَقْصِدُ المَجْلِسُ الأجَلُّ جَنَابا ... عالِمَ الأَرْضِ كيفَ قال أصابا
وسماءٌ فيها شموسُ عُلُومِ ... وبدورٌ تَهْدِي ويُدْعى الشُّهابا
مَلِكُ الفَضْلِ بل خليفةُ عِلْمِ الدِّ ... ينِ وازْدَدْ مِنَ الفُنونِ عُجَابا
وفتىً وَهْوَ في المَعَالمِ مُفْتٍ ... فَهْوَ يَهْمي صَباً ويَهْمي صَوَابا
سَلْه واسألْه تَلْقَ جُوداً وجوداً ... فَهْوَ شيخٌ في الفَضْل يَنْمِي شَبَابا
وَهْوَ بَحْرٌ قد ساغَ عَذْبٌ فُراتٌ ... وسواهُ لم تَلْقَ إلّا سَرَابا

وكتبَ إليه قصيدةً، منها:

وتشرَّغتُ امتِدَاحاً ... لإمامٍ مُسْتَقِيْمِ
رُكْنُ دِيْنِ اللهِ في الدُّنْـ ... ـيا بأنواعِ العُلُومِ
كَهْفُ تصنيفٍ تحلَّى ... حِلْيةَ الطِّرْزِ الرَّقيمِ
وإذا ألَّفَ في تأ ... ليفه إلْفُ الحميمِ
ولهُ في الشَّرْحِ شرحُ النَّـ ... ـفْسِ والصَّدْرِ الكَظِيْمِ
هَذَّبَ التاريخَ حتى ... راقَ في حُسْنٍ وسيمِ
فَتَعَجَّبْ منه إذ أنـ ... ـقَصَ أنمى في الجسيمِ
ولهُ الشَّامةُ في تَرْ ... جمةٍ في خَرْفِ ميمِ
تلكَ أنباءُ ابنِ إدريـ ... ـسٍ بإسهابٍ عميمِ
رَمَّ شَمْلِ الدَّهْرِ حيًّا ... خَلَفُ الميْتِ الرَّميمِ
فَهْوَ بالكلِّ اعتياضٌ ... من حديثٍ وقديمِ

٤٣ بَــرٌّ بِــرٌّ فــيــه ثُــمْــرٌ بَــحْــرُ عِــرْفــانٍ عــظــيــمِ
زاخِــرٌ كــلَّ غــريــبٍ وعــجــيــبٍ ويــتــيــمِ
فــهــو يُــنْــدِي وهــو يُــبْــدي أَنْــفَــسَ الــدُّرِّ الــنَّــظــيــمِ
مَــلَــكَ الــفَــضْــلَ انــفــراداً فــيــه مِــنْ غــيــرِ قَــسِــيْــمِ
ولــمُــفْــتٍ وفــتــىً فَــضْــلا عــلــيــمٍ وكــريــمِ

وكان يحضرُ عنده بالجامع والتُّرْبة الأشرفية جماعةٌ من الأكابر والفُضَلاء لسماع «التَّاريخ» و«الرَّوضتين» وغيرِهما من تصانيفه، فنظمَ الرَّئيس الأصيل الفاضل محيي الدين يحيى بن علي بن محمد التميمي من بني القلانسي:

أنــا والــلــهِ والــجــمــاعــةُ طُــرًّا مــن ســمــاعِ الــتَّــاريــخ فــي بُــسْــتــانِ
وريــاضٍ أنــيــقــةٍ أَطْــلَــقَــتْــهــا بــأزاهــيــرِهــا لــنــا الــرَّوْضــتــانِ
أَيَّــدَ الــلــهُ شَــيْــخَــنــا فَــلَــقَــدْ أَبْــدَعَ فــي الاخــتــصــار والــتِّــبْــيــانِ
فَهْوَ قُطْبُ الحِجا وبَدْرُ المعالي وشــهــابُ الــفُــتْــيــا وشــمــسُ الــبــيــانِ
دامَ فــي نــعــمــةٍ ورِفْــعَــةِ قَــدْرٍ ســالــمــاً مــن نــوائــبِ الــحَــدَثــانِ
مــا تــغــنَّــى وُرْقٌ عــلــى غُــصْــنِ بــانٍ وتــســنَّــى بَــرْقٌ عــلــى نُــعْــمــانِ

وكان المصنِّف ـ عفا الله عنه ـ[1] محبًّا للعُزْلة والانفراد، غيرَ مؤثرٍ للتردُّدِ إلى أبواب أهل الدُّنيا، متجنِّباً المزاحمة على المناصب، لا يؤثر على العافية والكفاية شيئاً، ومن شِعْره:

الــثَّــوْبُ والــلُّــقْــمــةُ والــعــافِــيَــةْ لــقــانــعٍ مِــنْ عَــيْــشِــهِ كــافِــيَــةْ
ومــا يَــزِدْ فــالــنَّــفْــسُ لــيــسَــتْ بِــهِ وإنْ تــكُــنْ مــمــلــكــةٌ راضِــيَــةْ

وله أيضاً:

---

(١) في الأصل: رحمه الله، وهي من تصرف الناسخ، وفي (ك) كتب رحمه الله، وفوقها عفا الله عنه. والمثبت من بقية النسخ.

أنا في عِزِّ القَنَاعَهْ رافِلٌ في كلِّ ساعَهْ
رَبِّ أتممها بخيرٍ في مُعَافاةٍ وطاعَهْ

وله أيضاً:

أردتُ راحةَ سِرِّي مِمَّا يُضَيِّقُ صَدْرِي
لِمَا أُلاقي من الخَلْـ ـقِ مِنْ جَفَاءٍ وغَدْرِ
وَحَسَدٍ واغتيابٍ فيا ضَيَاعَ العُمْرِ
فاخترْتُ أنْ أتنحَّى وأستقِلَّ بأمري
فلستُ أمشي إلى مَنْ يُرَى خطيرَ القَدْرِ
لأجلِ دُنْيا فمشيي إليه بالعِلْمِ يُزْري
لكنْ إلى عالِمٍ أوْ شيخٍ نبيهِ الذِّكْرِ
في الدِّين يقصد للعِلْـ ـمِ والتقى لا الفَخْرِ
أمَّا إذا أخوَجَتْني ضرورةٌ مِنْ فَقْرِ
ولا تكونُ، فَرَبِّي يَمُنُّ فيها بصَبْرِ
يا رَبِّ فاشرح صدري للخير واشْدُدْ أزْرِي
ولا تَكِلْني إلى الخَلْـ ـقِ أنتَ حَسْبي وذُخْرِي
هَبْ لي مَدَى الدَّهْرِ سِتْراً حتَّى أوسَّدَ قَبْرِي
واخْتِمْ بخيرٍ وأعظمْ مِنْ جَنَّةِ الخُلْدِ أجْرِي

وله أيضاً:

نَزَّهْتُ نَفْسي وعِرْضي وصُنْتُ هذي البقيَّهْ
لمَّا انعزلتُ ببيتي قولاً وفِعْلاً ونيَّهْ
وَبقيتْ عُلَقٌ بالـ ـمدارسِ الفِقْهِيَّهْ
وسوفَ أخلُصُ منها حقًّا وَرَبِّ البَرِيَّهْ

إنِّـي عَـبْـدٌ ضـعـيـفٌ أخـافُ بَـغْـتَ الـمَـنِـيَّـة
ولـسـتُ أرضـى لـنـفـسـي دوامَ هـذي الـبَـلِـيَّـة
إلـى الـمـمـاتِ فَـرَبِّـي يُـعـيـنُ مـنَّـا عَـلَـيَّـة
بـعِـلْـمِ مَـغْـرِفَـةِ الـلـه الـنِّـعْـمَـة الأُخْـرَوِيَّـة
أنـالُـهـا بـانـشـراحٍ رَضِـيَّـةً مَـرْضِـيَّـة

وقال فيما ينبغي أن يكون عليه المُصَلِّي:

ألقِ سمعاً واحْضُرْ بقلبٍ وعَقْلٍ يـا مُـصَـلِّـي وَرَتِّـلِ الـقُـرْآنـا
وتـدبَّـرْ آيـاتِـهِ وتـفـكَّـرْ واجْـمَـعِ الـهَـمَّ مُـقْـبِـلاً يَـقْـظـانـا

أي مقبلاً عليه متيقظاً.

وكتَبَ إلى مَنْ كان عنده أصْلُ المصنَّف بكتاب «الوسِيْلَة إلى كَشْفِ العَقِيلة» بخطِّ مصنِّفِهِ شيخِنا السَّخاوي رحمه الله يستعيره منه:

يـا مَـنْ نـراه وَسِـيْـلَـة لـحـوزِ كـلِّ فَـضِـيْـلَـة
ومِـنْ مـدى الـدَّهْـرِ يـسـعـى فـيـمـا يَـسُـرُّ خـلـيـلـة
مـازالَ يُـتْـعِـبُ صَـبّـاً يـهـوى وِصَـالَ الـعَـقِـيْـلَـة
وطـالـبُ الـعِـلْـمِ يـهـوى كـثـيـرَهُ وقـلـيـلَـة
فـابـعـثْ عـلـيـهـا مُـعِـيْـنـاً لـهُ كـتـابَ الـوسـيـلَـة

وقال أيضاً:

بـدمـشـقٍ سَـقَـى الإلـه رُبَـاهـا وَحَـمـاهـا ذكـرى أُولـي الأَلْـبـابِ
وعـجـيـبٌ أشـجـارُهـا حـيـن تـبـدو مُـزهـراتٍ تَـشِـيْـبُ قَـبْـلَ الـشَّـبـابِ

٤٥ وله أبياتٌ في حَصْرِ السَّبْعة الذين يُظِلُّهم الله في ظِلِّه يوم لا ظل إلا ظله على ما صَحَّ في الحديث، عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «سبعةٌ يُظِلُّهم الله في ظِلِّه يوم لا ظِلَّ إلا ظِلُّه: إمامٌ

عادل، وشابٌ نشأ بعبادة الله، ورجلٌ (١ قلبه معلّق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعودَ إليه١)، ورجلان تحابّا في الله، فاجتمعا على ذلك وتفرَّقا، ورجلٌ ذكرَ الله خالياً ففاضت عيناه، ورجل دَعَتْهُ امرأةٌ ذاتُ حَسَبٍ وجمال فقال: إني أخافُ الله، ورجلٌ تصدَّقَ بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلم شِمالُه ما تنفق يمينه»[٢]. فقال في حَصْرِهم:

إمامٌ مُحِبٌ ناشئٌ متصدِّقٌ ... وباكٍ مُصَلٍّ خائفٌ سَطْوةَ الباسِ

يُظِلُّهمُ الله الجليلُ بِظِلِّهِ ... إذا كانَ يومُ العَرْضِ لا ظِلَّ للنَّاسِ

أَشَرْتُ بألفاظٍ تَدُلُّ عليهمُ ... فَيَذْكُرهُمْ بالنَّظْمِ مَنْ بعضَهُمْ ناسِ

أي مَنْ هو ناسٍ بعضَهم.

وله في المعنى:

وقال النَّبيُّ المُصْطَفَى إنَّ سبعةً ... يُظِلُّهُمُ الله العظيمُ بظِلِّهِ

محبٌ عفيفٌ ناشئٌ متصدِّقٌ ... وباكٍ مُصلٍّ والإمامُ بِعَدْلِهِ

وله أيضاً:

لا تَقُمْ في مدينةٍ ليس فيها ... خمسةٌ إنْ أَرَدْتَ دارَ قَرَارِ

قَهْرُ مَلْكٍ وَعَدْلُ قاضٍ وطَبٌّ ... حاذِقٌ مَعْ سُوقٍ وَنَهْرٍ جارِ

وله أيضاً:

قال ابنُ أدْهَمَ قولَ النَّاصحينَ لنا ... العُجْبَ والحِرْصَ ثُمَّ السُّخْطَ فاجتنبوا

ثلاثةٌ حَجَبَتْ عن اليقينِ قُلُو ... بَنَا فلابُدَّ مِنْ أنْ تُرْفَعَ الحُجُبُ

نُسَرُّ بالمَدْحِ والموجودُ يُفْرِحُنا ... والقَلْبُ سُخطاً مِنَ المفقودِ يَضْطَرِبُ

(١ ـ ١) ما بينهما ليس في (ك)، وفي (ع) و(س) ليس فيهما كذلك قوله: ورجلان تحابا في الله.

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو عند أحمد في «المسند» (٩٦٦٥).

وله في حَصْرِ السَّبْع الموبقات الواردة في الحديث الصَّحيح[1]:

أكلُ مالِ اليتيم والشِّرْكُ والسِّحْـ ـرُ وأكلُ الرِّبا وقَذْفُ المُبَرَّا

والتولي في يومِ زَحْفٍ وَقَتْلُ النَّـ ـفسِ سبعٌ قد أَوْبَقَتْ مَنْ تجرَّا

وله أيضاً:

فلا تَحْفَلْ بمَنْ يغتابُ شَخْصاً ويَحْسُدُهُ فَيَذْكُرُ مِنْ هَنَاتِهْ

فمِنْ حسناتِهِ يهدي إليه فإنْ نَفِدَتْ تحمَّلَ سيئاتِهْ

ثم دخلت سنة ست مئة

قال أبو المظفر: ففيها سارَ نورُ الدِّين بن عِزِّ الدين، صاحبُ المَوْصل إلى تَلِّ أعفر، فأخذها، وكانت لابنِ عمِّه قطب الدِّين بن عماد الدين، صاحب سِنْجار، ٤٦ فاستنجد القُطْبُ بالملك الأشرف بن العادل، فجمع جمعاً كثيراً، والتقى مع نور الدين، فكسره، وأسر جماعةً من أمرائه، منهم المبارز سُنْقُر الحلبي وولده الظهير غازي، وذلك في شَوَّال، ثم اصطلحا في ذي الحِجَّة، وتزوَّج الأشرفُ أُختَ نور الدين، وهي الأتابكية[2] بنت عز الدين مسعود، صاحبة التُّرْبة بجبلِ قاسيون[3].

وفيها تمكَّنَ ناصرُ الدين ابن أَرْتُق بقلعة مارِدين، وقَتَلَ زوجَ أُمِّه نظام الدِّين الذي كان قد قهره واستولى عليه.

وفيها حَجَّ بالنَّاسِ من العراق طاشْتِكِين[4].

وفيها توفي الحافظ أبو محمد، عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور، المَقْدِسي الجَمَّاعيلي[5].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ستأتي ترجمتها ص ٥٩ من الجزء الثاني. (وفيات سنة ٦٤٠ هـ).

(٣) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦٠٠ هـ).

(٤) المصدر السالف.

(٥) له ترجمة في معجم البلدان: ٢/ ١٦٠، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٠ هـ)، التكملة =

وله في حَصْرِ السَّبْع الموبقات الواردة في الحديث الصَّحيح[١]:

أكلُ مالِ اليتيم والشِّرْكُ والسِّحْـ ـرُ وأكلُ الرِّبا وقَذْفُ المُبَرَّا

والتولي في يومِ زَحْفٍ وَقَتْلُ النَّـ ـفسِ سبعٌ قد أَوْبَقَتْ مَنْ تجرَّا

وله أيضاً:

فلا تَحْفَلْ بمَنْ يغتابُ شَخْصاً ويَحْسُدُهُ فَيَذْكُرُ مِنْ هَنَاتِهْ

فمِنْ حسناتِهِ يهدي إليه فإنْ نَفِدَتْ تحمَّلَ سيئاتِهْ

ثم دخلت سنة ست مئة

قال أبو المظفر: ففيها سارَ نورُ الدِّين بن عِزِّ الدين، صاحبُ المَوْصل إلى تَلِّ أعفر، فأخذها، وكانت لابنِ عمِّه قطب الدِّين بن عماد الدين، صاحب سِنْجار، ٤٦ فاستنجد القُطْبُ بالملك الأشرف بن العادل، فجمع جمعاً كثيراً، والتقى مع نور الدين، فكسره، وأسر جماعةً من أمرائه، منهم المبارز سُنْقُر الحلبي وولده الظهير غازي، وذلك في شَوَّال، ثم اصطلحا في ذي الحِجَّة، وتزوَّج الأشرفُ أُختَ نور الدين، وهي الأتابكية[٢] بنت عز الدين مسعود، صاحبة التُّرْبة بجبلِ قاسيون[٣].

وفيها تمكَّنَ ناصرُ الدين ابن أَرْتُق بقلعة مارِدين، وقَتَلَ زوجَ أُمِّه نظام الدِّين الذي كان قد قهره واستولى عليه.

وفيها حَجَّ بالنَّاسِ من العراق طاشْتِكِين[٤].

وفيها توفي الحافظ أبو محمد، عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور، المَقْدِسي الجَمَّاعيلي[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ستأتي ترجمتها ص ٥٩ من الجزء الثاني. (وفيات سنة ٦٤٠ هـ).

(٣) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦٠٠ هـ).

(٤) المصدر السالف.

(٥) له ترجمة في معجم البلدان: ٢/ ١٦٠، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٠ هـ)، التكملة =

ولد بجَمَّاعيل، قرية من أعمال نابُلُس في سنة إحدى وأربعين وخمس مئة في ربيعٍ الآخر، وكان أكبرَ من الموفق عبد الله بن أحمد بأربعة أشهر، لأن مولد الموفق في شعبان من سنة إحدى وأربعين وخمس مئة، والموفق ابنُ عَمَّة الحافظ.

قرأ عبدُ الغني القرآن، وسمع الحديث الكثير، وسافر إلى الأمصار، وكتب كثيراً وصنَّفَ، وقَدِمَ بغداد هو والموفق في سنة ستين أو إحدى وستين، في السنة التي توفي فيها الشَّيخ عبد القادر، فنزلا بمدرسته، وما كان يمكِّنُ أحداً من النُّزول بها، ولكنَّه لما رآهما تَفَرَّسَ فيهما الخير والصَّلاح، فأكرمهما، وسمعا عليه، ثم توفي الشيخ عبد القادر بعد قدومهما بخمسين ليلة.

وكان ميل عبد الغني إلى الحديث، وميل الموفق إلى الفِقْه، فاشتغلا بالفِقْه على أبي الفَتْح ابن المَنِّي، ثم قدما دمشق بعد أربع سنين.

وسافر عبدُ الغني إلى مِصْر والإسكندرية، ثم عاد إلى دمشق، ونزل إلى الجزيرة، وسمع بها، وعاد إلى بغداد، ثم رحل إلى أصبهان، فسمع بها، ثم عاد إلى دمشق.

وكان لما دخل أصبهان وَقَفَ على كتاب أبي نُعَيْم الحافظ في «معرفة الصَّحابة»، فأخذ عليه في مئة وتسعين موضعاً، فطلبه بنو الخُجَنْدي ليقتلوه، فاختفى، وخرج من أصبهان في إزار.

= للمنذري: ٢/ ١٧ ـ ١٩، طبقات علماء الحديث: ٤/ ١٤٧ ـ ١٥٥، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٤٤٣ ـ ٤٧١، تذكرة الحفاظ: ٤/ ١٣٧٢ ـ ١٣٨١، العبر للذهبي: ٤/ ٣١٣، المختصر المحتاج إليه: ٣/ ٨٢ ـ ٨٣، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: ٣٠٢ ـ ٣٠٤، الوافي بالوفيات: ١٩/ ٢٩ ـ ٣١، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٠ هـ)، ذيل طبقات الحنابلة: ٢/ ٥ ـ ٣٤، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٨٥، المقصد الأرشد: ٢/ ١٥٢، طبقات الحفاظ للسيوطي: ٤٨٧ ـ ٤٨٨، حسن المحاضرة: ١/ ٣٥٤، المنهج الأحمد: ٤/ ٥٣ ـ ٦٦، القلائد الجوهرية: ٢/ ٤٣٩ ـ ٤٤٢، شذرات الذهب: ٤/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦.

ولما دخل المَوْصل قرأ كتاب «الجرح والتعديل»[(١)] للعُقَيْلي، وفيه جَرْحُ أبي حنيفة، فثارَ عليه الحنفية، وحبسوه، ولولا البرهان ابن البِرْتي الواعظ خَلَّصه لقتلوه، فإنه قَطَعَ الكُرَّاسة التي فيها ذكر أبي حنيفة، ففتَّشوا على اسم أبي حنيفة، فلم يجدوه، فأطلقوه، فخرج منها خائفاً يترقب.

فلما قَدِمَ دمشق[(٢)] كان يقرأ الحديث بعد صلاة الجمعة بحَلْقة الحنابلة، ويجتمعُ النَّاسُ إليه، فحصل له قَبُول، وكان رقيقَ القلب، سريعَ الدمعة، فحسدَه الدَّماشقة، ودخلوا عليه بطريق النَّاصح ابن الحنبلي، فحسَّنوا له أن يعظَ بعد الصَّلاة تحت قُبَّة النَّسْر، ففعل، فَشَوَّشَ على عبد الغني، فصار يقعد بعد العصر، وذكر عقيدته على الكرسي، فاتفق القاضي محيي الدين ابن الزكي، والخطيب ضياء الدين الدَّوْلعي وجماعة من الدَّماشقة، وصَعِدوا إلى القلعة وواليها صارم الدين بُزْغُش، فقالوا: هذا قد أضل الناس، ويقول بالتشبيه. فعقدوا له مجلساً، وأحضروه، فناظرهم، فأخذوا عليه مواضع، منها قوله: ولا أنزهه تنزيهاً ينفي حقيقة النُّزول. ومنها قوله: كان الله ولا مكان، وليس هو اليوم على ما كان. ومنها: مسألة الصَّوْت والحَرْف.

فقالوا له: إذا لم يكن على ما كان فقد أثبتَّ له المكان، وإذا لم تنزهه تنزيهاً ينفي حقيقةَ النزول فقد أجزت عليه الانتقال. وأما الحرف والصَّوْت، فإنه لم يصحَّ عن إمامك الذي تنتمي إليه فيه شيء، وإنما المنقول عنه أنه كلام الله لا غير. وارتفعتِ الأصوات، فقال له صارم الدين: كل هؤلاء على ضلالةٍ وأنت على الحق؟! قال: نَعَمْ. فأمر الأُسارى[(٣)]، فنزلوا إلى جامع دمشق، فكسروا منبر عبد الغني، وما كان في حَلْقة الحنابلة من الدَّرابزينات، ومنعوهم

٤٧

(١) يعني به كتابه المشهور «الضعفاء الكبير»، فذكر موضوع الكتاب عنواناً له، وترجمة الإمام أبي حنيفة في الجزء الرابع منه ص ٢٦٨ ـ ٢٨٥ .

(٢) كان ذلك سنة (٥٩٥ هـ) كما جاء في ص ٨٧ من هذا الجزء.

(٣) في (س) الأمراء، وهي تحريف.

من الصَّلاة، ففاتتهم صلاةُ الظهر، فجمع النَّاصح ابن الحنبلي البنوية[١]، وقال: لئن لم نرجع إلى مكاننا فعلنا وصنعنا، فأذِنَ لهم القاضي في ذلك، وخرج عبد الغني إلى بَعْلَبَك، ثم سافر إلى مِصْر، فنزل عند الطَّحَّانين، وصار يقرأ الحديث، فأفتى فقهاء مِصْر بإباحة دمه، وكتب أهلُ مِصْر إلى الصَّفي بن شُكْر وزير العادل يقولون: قد أفسدَ[٢] عقائد النَّاس، ويذكر التجسيم على رؤوس الأشهاد، فكتبَ إلى والي مصر بنَفْيه إلى المغرب، فمات قبل وصول الكتاب، وكانت وفاته بمسجد المصنع يوم الاثنين الثَّالث والعشرين من ربيع الأول، ودفن بالقَرَافة عند الشيخ أبي عمرو بن مرزوق[٣]، وكان إذا اجتاز بذلك المكان يقول: روحي ترتاح إلى ها هنا، فدُفِنَ فيه[٤].

قال أبو المظفر سِبْطُ الجوزي: وكان زاهداً عابداً ورعاً، يصلّي كل يوم وليلة ثلاث مئة ركعة ـ وِرْد أحمد ابن حنبل ـ ويقومُ الليل، وعامة دَهْره صائم، وما ادَّخرَ شيئاً قط، وكان جَوَاداً سمحاً، إذا فُتِحَ عليه بشيء من الدنيا حمله في الليل إلى أبواب الأرامل واليتامى، فألقاه إليهم، ومضى لئلا يعرفوه. وكان يرقع ثوبه ويؤثر بثمنه.

وكان قد ضَعُفَ بصرُه من كثرة المطالعة والبكاء، وكان أوحدَ زمانه في علم الحديث.

سمع بأصبهان الحافظ أبا موسى محمد بن عمر المديني وغيره، وببغداد

---

(١) في النسخ ما عدا (س): البنوية، وفي (س): السوقة، وفي نسخ مرآة الزمان: النبوية.
قلت: ولعلها الفرقة التي ذكرها ابن جبير في رحلته: ص ٣٥٣، وهم فئة يدينون بالفتوة وبأمور الرجولة كلها، والله أعلم.

(٢) في (ب) قد أفسد علينا، بزيادة: علينا.

(٣) هو عثمان بن مرزوق، من كبار الحنابلة، توفي (٥٦٤ هـ) وقد جاوز السبعين، انظر ترجمته في «ذيل طبقات الحنابلة»: ١/ ٣٠٦ ـ ٣١١.

(٤) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٠ هـ).

عبد الله بن النَّقُّور، ويحيى بن ثابت بن بُنْدار وغيرهما، وبدمشق أبا المكارم عبد الواحد بن المُسَلَّم بن هلال وغيره، وبمصر عبد الله بن بَرّي النَّحْوي وغيره، وبالإسكندرية أبا طاهر السِّلَفي الحافظ وغيره، وسأله السِّلَفي يوماً: مَنْ هو محمد بن عبد الرحمن الذهبي؟ فقال له: المُخَلِّص.

وكان له ثلاثة أولاد: محمد، وعبد الله، وعبد الرحمن[1]، وسيأتي ذكرهم إن شاء الله تعالى.

وله مصنَّفات كثيرة منها «الكمال في معرفة رجال الصَّحيحين وأبي داود والتِّرْمِذِي والنَّسائي وابنِ ماجه» في نحو عشر مجلَّدات.

قلت: **وفيها** توفي الحافظُ بهاءُ الدِّين[2]، أبو محمد، القاسم ابن الحافظ الأكبر أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين، المعروف بابنِ عساكر، ودُفِنَ على أبيه بمقبرة باب الصَّغير خارج الحظيرة التي فيها قبر معاوية وغيره من الصَّحابة رضي الله عنهم من جهة الشَّرْق، وكان قد شارك أباه في أكثر شيوخه سماعاً وإجازةً.

وصنَّف عِدَّة مصنفات، وخَلَفَ أباه في القيام بهذا الشأن بدمشق، وإظهار كُتُبِ أبيه وإسماعها بالجامع ودار الحديث النُّورية، وبيَّضَ «تاريخ دمشق» بخطِّه في ثمانين مجلداً، ورَحَلَ إلى مِصْر، وأسمع بها، وكانت **وفاتُهُ** يوم الخميس ثامن صفر، ودُفِنَ بعد العَصْر، ولي منه إجازة، رحمه الله.

---

(١) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٠ هـ).

(٢) له ترجمة في التكملة للمنذري: ١/ ٨ - ٩، وفيات الأعيان: ٣/ ٣١١، طبقات علماء الحديث: ٤/ ١٤٢ - ١٤٤، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٣١٤ - ٣١٥، تذكرة الحفاظ: ٤/ ١٣٦٧ - ١٣٦٩، العبر للذهبي: ٤/ ٣١٤ - ٣١٥، طبقات الشافعية للسبكي: ٨/ ٣٥٢ - ٣٥٣، طبقات الشافعية للإسنوي: ٢/ ٢١٨ - ٢١٩، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٠ هـ)، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٨٦، شذرات الذهب: ٤/ ٣٤٧.

وفيها يوم الجُمُعة العشرين من ربيع الآخر توفي إمام الملك النَّاصر[١]

٤٨ ضياءُ الدِّين أبو بكر محمد بن يوسف بن أبي بكر، الآمُليّ الطَّبري، المُقْرئ، المعروف بخواجا[٢] إمام.

سمع الحافظ أبا العلاء الهَمَذَاني وغيرَه، واعتنى بكتُبِ القراءات سماعاً ونَسْخاً، وفي خَطِّه خطأ كثيرٌ من تصحيفٍ وتحريف، ودفن بعد الصَّلاة في الجبل، رحمه الله تعالى.

وفيها قَدِمَ بغداد أبو الفتوح بن أبي نَصْر الغَزْنوي رسولاً من صاحب غَزْنة، وجلس بباب بدر، وقال: يا أهلَ بغداد، هنيئاً لكم، أنتم تَحْظَوْن بأميرِ المؤمنين ونحن محرومون، وتشاهدونَ سُدَّة سيادتِهِ ونحن محجوبون، وأنشد متمثلاً:

ألا قُلْ لسُكَّانِ وادي العَقِيْقِ ... هنيئاً لكمْ في الجِنَانِ الخُلُودُ

أفيضُوا علينا من الماء فيضاً ... فَنَحْنُ عِطَاشٌ وأنتمْ وُرُودُ

وكان يمكنه أن يصرِّح بمراده فيقول:

ألا قُلْ لِسُكَّانِ دارِ السَّلامِ

ولكنَّه أتى به على لفظه لِيُعْلَمَ أَنَّه تمثَّلَ به.

وفي أول هذه السنة سافر الشيخ شمس الدين أبو المُظَفَّر يوسف سِبْط الجوزي الواعظ رحمه الله من بغداد إلى الشَّام، وقد ذكر صفة تنقله في البلاد في تاريخه الذي سماه «مرآة الزَّمان» فقال: في أول هذه السنة سافرتُ عن بغداد إلى الشَّام، وهي أول رِحْلتي، فاجْتَزْتُ بدقوقا، فجلستُ بها ـ يعني عقد بها مجلس الوعظ ـ قال: وبها خطيبها الحُجَّة، وكان يعظ بها، ثم قدمت إرْبل، فاجتمعتُ بشيخٍ فاضلٍ كَيِّسٍ ظريف يقال له محيي الدين الشَّاتاني، فأنشدني مقطعات لغيره، منها[٣]:

---

(١) أي صلاح الدين يوسف بن أيوب.

(٢) له ترجمة في التكملة للمنذري: ٢/ ٢٤، الوافي بالوفيات: ٥/ ٢٥١، غاية النهاية: ٢/ ٢٨٤.

(٣) في (س) زيادة: وهذه الأبيات منها، وهي ليست في بقية النسخ، ولا في «مرآة الزمان».

رَجِمْتُ أسودَ هذا الخالِ حين بدا   في حُمْرَةِ الخَدِّ مَرْمِيّاً بأبصارِ
كأنَّه بعضُ عُبَّادِ المجوسِ وقد   ألقى بِمُهْجَتِهِ في لُجَّةِ النَّارِ

وجلستُ بإربل، ثم قَدِمْتُ المَوْصل وجلست بها، وحَصَلَ لي القَبُول التَّام، بحيث إن النَّاس كانوا ينامون ليلةَ المجلس في الجامع من كثرة الزِّحام، وأدركتُ بها جماعةً من العلماء، فسمعت الأحاديث النَّقُّورية على أبي طاهر أحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد الطُّوسي الخطيب وغيره، ثُمَّ قَدِمْتُ حَرَّان، فجلستُ بها، وسمعت الخطيب فخر الدين ابن تيمية وابن الطَّبَّاخ وعبد القادر الرُّهاوي، وغيرهم، ثم قَدِمْتُ منها إلى حلب، وجلستُ بها، وسمعتُ شمائلَ النبي ﷺ من الافتخار[1]، وأسبابَ النُّزول من عبد الرحمن ابن الأستاذ وغيرهما.

ثم قدمت دمشق، فنزلت بقاسيون عند المقادسة، وجلست به وبجامع دمشق، فكانت مجالسي ـ ولله الحمد والمِنَّة ـ مثل غدوات الجَنَّة، ثم زرتُ بيت المقدس، وجلست به وقبر الخليل عليه السَّلام، وعدتُ إلى قاسيون، فأقمتُ به إلى سنةِ ثلاثٍ وست مئة، ورجعتُ إلى حلب[2].

قال: وصَحِبْتُ الشيخ أبا عمر شيخَ المقادسة، وشاهدتُ منه من الزُّهْدِ في الدنيا والورع والفَضْل والتواضع، ومن أخيه الموفَّق، ونسيبه العماد ـ وهو أخو الحافظ عبد الغني ـ ما نرويه عن الصَّحابة والأولياء الأفراد، فأنساني حالُهم أهلي وأوطاني، ثم عدتُ إليهم بعد ذلك على نِيَّة الإقامة عسى أن أكون معهم في دار المقامة[3].

---

(١) هو افتخار الدين عبد المطلب بن الفضل، ستأتي ترجمته ص ٣٢٣ من هذا الجزء، (وفيات سنة ٦١٦ هـ).

(٢) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦٠٠ هـ).

(٣) المصدر السالف.

قال:[١] وحضر مجلسي بجامع دمشق في سنة عشر وست مئة القُضَاةُ والأشراف والأعيان، والملكُ المُعَظَّم عيسى بن العادل رحمه الله، وشيوخُنا: جمال الدين الحصيري، وتاج الدين الكِنْدِي، والقاضي شمس الدين بن الشِّيرازي، والقاضي شمس الدين بن سني الدولة، وكان مجلساً عظيماً احتوى ٤٩ على عشرة آلاف وزيادة على باب مشهد علي رضي الله عنه، وكان بدمشق قارئان أحدهما يقال له النَّجيب البغدادي صوته طيِّب، والآخر يقال له الشَّرف ابن ميّ صوته مزعج، فكان النَّجيب إذا قرأ طَرِبنا، وابن ميّ إذا قرأ تنغصنا، فحكيتُ للجماعة أنَّ جدي ـ رحمه الله ـ قرأ بين يديه قارئان، فأطربا الجمع، فأنشد:

ألا يا حَمَامَيْ بَطْنِ نُعْمانَ هِجْتُما عليَّ الهوى لمَّا تَغَنَّيْتُما لِيَا
ألا أيُّها القُمْرِيَّتَانِ تجاوبا بِلَحْنَيْكُما ثُمَّ اسْجَعَا لي عَلانيا

قال: وقرأ بين يديه قارئٌ حَسَنُ الصَّوت، فأطربَ الجماعة، ثم قرأ بعده آخر مُزْعج الصوت، فنغَّصَ الجماعة، فقال جَدِّي: كان لبعضهم جاريتان مغنيتان إحداهما تغني طيباً، والأخرى مُزْعجاً، فكان إذا غَنَّتِ الطيبة الصَّوْتِ يمزِّقُ ثيابه، وإذا غَنَّتِ القبيحة الصوت يقعد يَخِيْطُ ما مَزَّق، فحكيت للجماعة حكايةَ الجاريتين المغنِّيتين، وكان الشيخ الكِنْدي قاعداً في القُبَّة التي في وسط المجلس، فقال: يا ابني، كلُّنا اليوم نَخِيط!

قلتُ: كانت مجالسُ الوعظ التي للمذكور من محاسن الدُّنيا ولذَّاتها، فكأنَّ الله قد جَمَعَ له حُسْنَ الصُّورة وطِيْبَ الصَّوت، وظَرَافة الشَّمائل في الإيراد والجوابات، واللِّباسِ وسائر الحركات، فكان يزدحم في مجلسه ما لا يحصى

---

(١) هذا النص هو من جملة نصوص احتفظ لنا بها أبو شامة عن أصل «مرآة الزمان»، إذ هو ينقل عن كتابه، لأن ما وصل إلينا من نسخه هي مختصر عن الأصل، وقد بينت ذلك في مقدمتي للسنوات التي حققتها منه.

من الخَلْقِ رجالاً ونساء ـ والنِّساءُ بمعزلٍ عن الرِّجال ـ في جامع دمشق وجامع الجبل، حضرتُ مجالسه في صِغَري وكِبَري في الموضعين مِراراً، وكان لا يفارق أحدٌ مجلسه إذا انفض[1] إلا وشوقه مستمرٌ إلى عودته في الأسبوع الآخر، فإنه كان يجلس كلَّ سَبْتٍ، وتُبْسَطُ السَّجَّادات والحُصُر والبُسُط في كل المواضع القريبة من المنبر ما بينه وبين القُبَّة في يوم الجُمُعة، ويبيتُ النَّاس ليلةَ كلِّ سبت حِلَقاً يقرؤون القرآن بالشُّموع، كلُّ ذلك فَرَحاً بالمجلس، ومسابقةً إلى الأماكن، وعادةُ الدمشقيين التفرُّج في أيام السبت، ويُبَطِّلونَ عن أشغالهم بالمدينة، وينقطعون في بساتينهم، وكانوا لا يفوتون حضورَ المجلس، ثم ينصرفون منه إلى فُرَجِهم، فلا ينقضي يومهم إلا بالتذاكر لما وَقَعَ فيه من المحاسن وإنشاد الأشعار، والتحدُّث بمن أَسْلَمَ فيه أو تاب، وإيراد ما كان فيه من سؤالٍ وجواب، ولم يزل على ذلك مُدَّة سنين، ثم اقتصر على عقد المجلس في الأشهر الثلاثة: رجب وشعبان ورمضان كلَّ سبت، وانقطع بمنزله عند تربته[2] بالجبل إلى أن توفي سنةَ أربعٍ وخمسين وست مئة، وسنعود لذكره في سنةِ وفاته، إنْ شاء الله تعالى[3].

قال أبو المظفر: ولما أردتُ فِرَاق دمشق في سنة ثلاثٍ وست مئة قاصداً حلب، جلستُ بقاسيون، وودَّعْتُ النَّاس، فلم يتخلَّف بدمشق إلا اليسير، وامتلأ جامعُ الجبل بالنَّاس، فصاحوا علينا من الشَّبابيك والأبواب: لا. لا. لا. يعنون: قوموا فاخرجوا. فخرجنا إلى المصلّى، وكان شيخُنا تاج الدين الكِنْدي حاضراً، فلما خَرَجَ من الباب زَحَمُوه، فانكشفَ رأسُه ووقعت عِمامتُهُ، فعزَّ عليَّ، وسألتُهُ أن يمضيَ إلى دمشق ولا يحضر في المُصَلَّى، فامتنع، وقال: لا والله حتى يتم المجلس. وتاب في ذلك اليوم زيادة على خمس مئة شابٍ،

(١) في الأصل و(ك): انقضى.

(٢) هي التربة البدرية، انظر ص ٣٠٧ من هذا الجزء.

(٣) انظر ص ١١٧ من الجزء الثاني.

وقَطَعُوا شعورهم[١]، وكان سيف الدين بن تميرك حاضراً، وجرى الكلامُ في المغناطيس، وأنه يعشق الحديد، قلت: والخُبَّازى[٢] تعشق الشمس، ولهذا كُلَّما مالتِ الشمسُ إلى جهةٍ مال الخُبَّازَى إليها، فصاح سيف الدين بن تميرك: يا مولاي شمس الدين، كلُّنا اليوم خُبَّازَى[٣].

٥٠ قال العِزُّ ابن تاج الأمناء[٤]: وفيها احترقت خِزانةُ السِّلاح بجامعية دمشق التي لعمل النُّشَّاب، وذهبَ جميعُ ما فيها ليلة الاثنين خامس جُمادى الآخرة.

وفي سابع عشر رمضان توجَّه أُسطول الفِرَنج من عكا عشرون قطعة، ودخل يوم العيد من فم رشيد إلى قرية فوة من عمل الدِّيار المِصْرية، ونهبها، وأقام بنواحيها يومين، ثم خَرَجَ من حيث دخل غانماً سالماً، ولم يسمع أَنَّ أحداً أقدَمَ على هذا الفعل منذ فتوح الدِّيار المِصْرية.

ثم في سنة سبع وست مئة[٥] دخلوا من فم دمياط إلى قرية بُورة، ففعلوا نحو ذلك، وسيأتي ذكره[٦].

وفي هذه السنة أخذت العملة المشهورة من مخزن أيتام سيف الدولة ابن السَّلار بن بختيار من قيسارية الفرش بدمشق، ومبلغها ستة عشر ألف دينار مِصْرية ومصاغ، وبقيت سنين إلى أن ظهرت، واعتقل بسببها خَلْقٌ كثير، ومات منهم جماعة، ثم ظهرت على المعروف بابن الدُّخَيْنة[٧].

---

(١) كان الصلحاء يستحبون حلق الشعر عند التوبة، تشبهاً بحلق الحاجّ شعره في منى وقد غفر له ذنبه، فالحلق دليل صدق النية، وهو أبلغ في العبادة، وأبين للخضوع والذلة، انظر «فتح الباري»: ٣/ ٥٦٤.

(٢) هو نوع من النبات. انظر «المعجم المدرسي»: ص ٢٩٣.

(٣) «مرآة الزمان» (حوادث سنة ٦٠٣ هـ).

(٤) ستأتي ترجمته ص ٧٠ (وفيات سنة ٦٤٣ هـ) من الجزء الثاني.

(٥) في (س): سنة تسع وست مئة، وهو تحريف.

(٦) ص ٢٢٧ من هذا الجزء.

(٧) انظر ص ٢٢٥ من هذا الجزء.

وفيها قُتِلَ الفقيه القزويني الزَّاهد بباب الكَلَّاسة[(١)] من جامع دمشق حالةَ خروجه إلى زيارة القدس بيد إسماعيلي واجهه مُظهراً أنه يصافحه، وضَرَبَه بسكِّينٍ في خاصرته، وانحرف عنه منهزماً، فوقع القزويني إلى الأرض، وحمله أصحابه إلى داخل الكلاسة، فمات في وقته، ودفن بمقابر الصوفية على الشَّرَف القبلي. وأما القاتل فإن بعضَ أصحابِ القزويني لَحِقَهُ إلى الزِّيادة[(٢)]، فتناول عصا أعمى، وأدخلها بين رِجْلَيْه، فوقع فركبه، وأخذ السكِّين من يده، واجتمع النَّاسُ يضربون العجمي ظناً أنَّه الإسماعيلي، وكادوا يفلتون الإسماعيلي منه، ثم عرفوا القِصَّة، فأوثقوا أكتاف القاتل، وحملوه إلى المعتمد، فحمل إلى السِّجْن، فأقام به لا يُعارض إلى أن عَرَضَ له مرضٌ هلك به بعد أن أُحضر إليه شهود شهدوا على منطقه أنه لم يؤذ، وحُمِلَ إلى البيمارَسْتان، فَهَلك به[(٣)].

ثم دخلت سنة إحدى وست مئة

ففي جُمادى الآخرة ـ وقيل الأُولى ـ عَزَلَ الخليفةُ النَّاصر ولدَه أبا نصر محمداً؛ عُدَّة الدنيا والدين عن ولاية العهد بعد أن دُعِيَ له بذلك على المنابر ستة عشر[(٤)] عاماً، ومال إلى ولده علي، ورشَّحه للخلافة، فاخْتُرِمَ في إبَّان شبابه، فألجأتِ الضَّرورة إلى أن رَجَعَ الحَقُّ إلى نِصابه، فَعَهَدَ إلى أبي نَصْرٍ، فتولَّى بعده، ولقب بالظَّاهر كما سيأتي[(٥)]، وأما صورةُ العَزْلِ فإنَّه أُلجئ إلى أنْ كَتَبَ خَطَّه بما سنذكره.

(١) أي الباب الشمالي، وهو ما يعرف الآن بباب العمارة.

(٢) أي باب الزيادة، وهو الباب القبلي للجامع.

(٣) في (ك) و(ع) و(س): فأقام به لا يعارض إلى أن عرض له مرض، وحمل إلى البيمارستان فهلك به.

(٤) في (ك) و(ع) و(س): سبعة عشر عاماً.

(٥) انظر ص ٣٧٩ من هذا الجزء.

وفيها قُتِلَ الفقيه القزويني الزَّاهد بباب الكَلَّاسة[١] من جامع دمشق حالةَ خروجه إلى زيارة القدس بيد إسماعيلي واجهه مُظهراً أنه يصافحه، وضَرَبَه بسكِّينٍ في خاصرته، وانحرف عنه منهزماً، فوقع القزويني إلى الأرض، وحمله أصحابه إلى داخل الكلاسة، فمات في وقته، ودفن بمقابر الصوفية على الشَّرَف القبلي. وأما القاتل فإن بعضَ أصحابِ القزويني لَحِقَهُ إلى الزِّيادة[٢]، فتناول عصا أعمى، وأدخلها بين رِجْلَيْه، فوقع فركبه، وأخذ السكِّين من يده، واجتمع النَّاسُ يضربون العجمي ظناً أنَّه الإسماعيلي، وكادوا يفلتون الإسماعيلي منه، ثم عرفوا القِصَّة، فأوثقوا أكتاف القاتل، وحملوه إلى المعتمد، فحمل إلى السِّجْن، فأقام به لا يُعارض إلى أن عَرَضَ له مرضٌ هلك به بعد أن أُحضر إليه شهود شهدوا على منطقه أنه لم يؤذ، وحُمِلَ إلى البيمارَسْتان، فَهَلك به[٣].

ثم دخلت سنة إحدى وست مئة

ففي جُمادى الآخرة ـ وقيل الأُولى ـ عَزَلَ الخليفةُ النَّاصر ولدَه أبا نصر محمداً؛ عُدَّة الدنيا والدين عن ولاية العهد بعد أن دُعِيَ له بذلك على المنابر ستة عشر[٤] عاماً، ومال إلى ولده علي، ورشَّحه للخلافة، فاخْتُرِمَ في إبَّان شبابه، فألجأتِ الضَّرورة إلى أن رَجَعَ الحَقُّ إلى نِصابه، فَعَهَدَ إلى أبي نَصْرٍ، فتولَّى بعده، ولقب بالظَّاهر كما سيأتي[٥]، وأما صورةُ العَزْلِ فإنَّه أُلجئ إلى أَنْ كَتَبَ خَطَّه بما سنذكره.

---

(١) أي الباب الشمالي، وهو ما يعرف الآن بباب العمارة.

(٢) أي باب الزيادة، وهو الباب القبلي للجامع.

(٣) في (ك) و(ع) و(س): فأقام به لا يعارض إلى أن عرض له مرض، وحمل إلى البيمارستان فهلك به.

(٤) في (ك) و(ع) و(س): سبعة عشر عاماً.

(٥) انظر ص ٣٧٩ من هذا الجزء.

قال أبو المظفر: اجتمع أربابُ الدَّولة في دار الوزير ابن مهدي والقُضَاةُ والعلماء والفقهاء والأمراء، وأخرج الوزير رُقْعةً بخطِّ ولي العهد إلى والده مضمونها، أنَّه حين ولَّاه العَهْدَ لم يكن يعلم ما يجب عليه فيه، ولا قدَّر ذلك، وأنه سأل أباه إقالته وعَزْلَه، وأنَّه لا يَصْلُح لذلك، وشَهِدَ عليه أبو منصور بن سعيد بن الرَّزَّاز، وأبو نصر أحمد بن زهير العَذْلان بذلك، وأنَّ الخليفةَ أقاله، وأنشأ محمد بن محمد القُمِّي ـ الذي ناب في الوزارة، وعُزِلَ في أيام المستنصر، ولقب بالمكين ـ كتاباً يقول فيه:

أما بعد، فإنَّ أميرَ المؤمنين كان قد قَلَّد ولده أبا نصر محمداً ولايةَ العهد في المسلمين، ورشَّحه بعده لإمرة المؤمنين، وألقى عليه هذا القول الثقيل، ونَهج له من مراشد الدُّنيا والدين أوضحَ سبيل، مؤمِّلاً فيه الاستقلالَ بأعبائه، والإتيانَ بما يتبيَّن عن اضطلاعه وغَنَائه، والتخلُّق بأخلاقه التي هي من أخلاق الباري مُقْتَبسة، وعلى التَّقْوى مُؤسَّسة، فلما آن أوانُ تكاملِ رُشْده، وبلوغ المبلغ الذي أَمَلَ فيه سَدَادَ رأيه وقَصْدِه، رأى من نفسه القُصورَ عن التزام شروطِ الخِلافة، وما يجبُ عليه من الرحمة للأمة والرافة، فأَقرَّ بالعَجْز عن تأدية حَقِّ الأُمَّة في أمره، وأشهدَ عليه أنه لا يَصْلُحُ لها فيما مضى ولا فيما بقي من عمره، وخَلَعَ نفسه فيما كان أميرُ المؤمنين فَوَّض[1] إليه، واعتمد فيه عليه، ولم يَسَع الخليفة إلا استخارةُ الله تعالى في إقالته، وطلب رِضَاه في حَلِّ عُقْدةِ ولايته، فأسقَطَ اسمَهُ من السِّكَك والمنابر، والأقلام والمحابر. ولما خَلَعَه لم يَرَ أَنْ يُعَيِّن أحداً ليلقى الله بذمَّةٍ بَرِيَّةٍ من الآثام، غيرِ متعلِّقةٍ بوزرٍ يَخُصُّ الخاصَّ ويَعُمُّ العامَ، وقد وافق أميرَ المؤمنين عمرَ بنَ الخَطَّاب رضي الله عنه حيثُ جَعَلَها شورى في السِّتَّة المذكورين من أعيان المهاجرين، ولما قال له عبدُ الله ابنه: ما يمنعك أن تُعَيِّنَ من تراه أهلاً؟ فقال: لا والله، لا أتحمَّلُها حَيّاً وميِّتاً، وذكر القُمِّي كلاماً طويلاً، وكتب نُسَخاً إلى الأطراف[2].

٥١

(١) في (س): فوضه.

(٢) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦٠١ هـ).

وحجَّ خالي أبو محمد يوسف في هذا العام، وقرأ الكتابَ بمكة عند البيتِ الحرام، وبالمدينة عند قبرِ النبي، عليه أفضلُ الصَّلاةِ والسَّلام[١].

قال: وفي جُمادى الآخرة عقيب هذه الواقعة وَقَعَ حريقٌ بدار الخلافة لم يَجْرِ في الدُّنيا مِثْلُه؛ فُتِحَتْ أبوابُ الدَّار بالليل، ورَكِبَ الوزير ابنُ مهدي وأربابُ الدولة إلى خزانة السِّلاح، فرأوا النَّار قد لعبت فيها، واجتمعَ جميعُ مَنْ ببغداد من السَّقَّائين والفَرَّاشين بالقِرَب والرَّوايا، والصُّنَّاع والفَعَلة، وأقاموا يوماً وليلة يقلبون الماء على النَّار وهي تزداد، فاحترقَ جميعُ ما كان في الخِزانة من السِّلاح، والأمتعة، والقِسِيِّ، والنُّشَّاب والرِّماح، والجروخ والسُّيوف، والجواشن، والزَّرَدِيَّات وقدور النِّفْط، والخُوَذ المرصَّعة بالجواهر واليواقيت، وعملتِ النارُ، وساعدها الهواء، ودَبَّتْ إلى الدُّور والتَّاج، والدَّار البيضاء، فخرج الخليفةُ منها إلى دِجْلَة، واحترقتْ خزانةٌ فيها رأس البساسيري، وطغريل وغيرهما، ويقال: إنَّ قيمةَ ما ذهب ثلاثةُ آلاف ألف دينار وسبع مئة ألف دينار، وكان في ذلك عبرة لمن اعتبر، وفكرة لمن افتكر[٢].

قال: وفيها جاءتِ الفرنج إلى حماة بغتةً، وأخذوا النِّساء الغَسَّالات من باب البلد على العاصي، وخرج إليهم الملكُ المنصور بن تقي الدين، وثبتَ، وأبلى بلاء حسناً، وكَسَرَ الفرنجُ عَسْكَرَه، ووقف في السَّاقة من الرُّقيطاء إلى باب حماة[٣]، ولولا وُقوفُه ما أَبْقَوْا من المسلمين أحداً.

---

(١) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦٠١هـ).

(٢) المصدر السالف.

(٣) في المطبوع زيادة: وامتلأت أيديهم بالمكاسب، وأسروا من حماة شهاب الدين أحمد بن شداد البلاعي من قرية بلاعة، وكان فقيهاً شجاعاً، تولى حماة مرة، وسلمية أخرى، وحمل إلى طرابلس، فهرب، وتعلق بجبال بعلبك، ووصل إلى حماة سالماً.

قلت: وهذه الزيادة ليست في النسخ الخطية التي اعتمدت عليها، ولا في نسخ «مرآة الزمان» التي بين يدي، ولعلها زيادة من ناسخ النسخة التي اعتمد عليها ناشر المطبوع، والله أعلم.

وحجَّ بالنَّاس من العراق وجه السبع، ومن الشَّام صارم الدِّين بُزْغُش العادلي؛ والي قلعة دمشق، وزين الدين قَرَاجا، صاحب صَرْخَد، وغيرهم.

قال: **وفيها توفي** عبد المنعم بن علي بن الصَّيْقل، أبو محمد الحَرَّاني، ولقبه نجم الدين.

قَدِمَ بغداد أول مرة في سنة ثمانٍ وسبعين وخمس مئة، وتفقَّه على أبي الفتح ابن المَنِّي، وسمعَ الحديث الكثير من أبي الفتح ابن شاتيل، وأبي السَّعادات بن زُرَيق، وجَدِّي رحمه الله وغيرهم. وعاد إلى حَرَّان، ووعظ بها، وحَصَلَ له القَبُول التَّام، فاستشعر منه الفخر محمد ابن تيمية، خطيبُ حَرَّان، وخاف أن يتقدَّم عليه، فلما رأى النجم ذلك عاد إلى بغداد، فاستوطنها، ووعَظَ بها، ٥٢ وحضرتُ مجالسه بمسجد باب المشرعة، وكان يقصد التجانس في كلامه، وسمعته ينشد:

وأشتاقُكُمْ يا أَهْلَ وُدِّي وبَيْنَنا   كما زَعَمَ[(١)] البَيْنُ المُشِتُّ فراسخُ
فأمَّا الكَرَى عن ناظِري فَمُشَرَّدٌ   وأمَّا هَوَاكُمْ في فُؤَادي فَرَاسِخُ

وكان صالحاً، دَيِّناً، نَزِهاً عفيفاً، كيِّساً لطيفاً، متواضعاً، كثيرَ الحياء، وكان يزورُ جَدِّي[(٢)]، ويسمع معنا الحديث، وكانتْ وفاتُه يومَ الخميس سادس عشر ربيع الأول، وصُلِّي عليه بالنِّظامية، ودُفِنَ بباب حَرْب، وخلَّف ولدين: النجيب عبد اللطيف، والعز عبد العزيز، صارا تاجرين لديوان الخلافة.

وفيها توفي محمد بن سَعْد الله بن نَصْر، أبو نصر بن الدَّجاجي[(٣)]، الواعظ

---

(١) في هامش الأصل: حكم، وهي نسخة (س).

(٢) في (ك) و(ع) و(س) يزور جدي بالنظامية، بزيادة بالنظامية، وهي زيادة مقحمة على النص من ناسخ، لعل نظره انتقل إلى السطر التالي، إذ ليست في «مرآة الزمان»، ولا يعرف عن ابن الجوزي أنه درس بالنظامية، وانظر ص ١٠١ من هذا الجزء، ففيه ذكر للأماكن التي كان يدرِّس فيها ابن الجوزي.

(٣) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠١ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٥٨ ـ ٥٩، المختصر =

الحنبلي، في ربيع الأول، ودفن بباب حَرْب، ومولده سنة أربعٍ وعشرين وخمس مئة، سَمِعَ أبا منصور القَزَّاز وغيره، وأنشد لنفسه:

نَفْسُ الفتى إن أَصْلَحَتْ أحوالَها ... كان إلى نَيْلِ التُّقَى أحوى لها
وإن تَرَاها سَدَّدَتْ أقوالَها ... كانَ على حَمْلِ العُلا أقوى لها
فلو تَبَدَّتْ حالُ مَنْ لها لها ... في قبرِهِ عند البِلَى لهالها

قال العِزُّ بنُ تاج الأمناء: وفي شهور هذه السنة الأواخر تغلَّب طائفةٌ من الفرنج البحرية يعرفون بالبنادقة على قُسْطنطينية[1]، وأخرجوا الرُّوم منها بعد حَصْرٍ وقتال، وحازوا مملكتها، وانتهبوا ذخائرها، وما حوته كنائسها من آلاتٍ ورُخَام، وحملوه إلى الدِّيار المِصْرية والشَّامية، فبيع، ووصل إلى دمشق منه رخامٌ كثير، وكان سامة يَعْمُرُ داره، فَحصَّل منه شيئاً لم يُرَ قَبلَه مثله، فزخرفها به.

قلتُ: هي الدار التي جعلها البادرائي رسولُ الخليفة مدرسةً للشَّافعية[2].

قال: وفيها توفي العَدْل أبو محمد المعروف بعَدْل الزَّبداني[3] سابع عشر المحرم بدمشق.

= المحتاج إليه: ١/ ٣، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠١ هـ)، ذيل طبقات الحنابلة: ٢/ ٣٤ ـ ٣٦، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٨٧.

(١) كذا قال، وهو وهم، والصواب أن سقوط القسطنطينية بيد الفرنج كان في يوم الاثنين ١٠ شعبان ٦٠٠ هـ = ١٢ نيسان ١٢٠٤م.
انظر «الحملة الصليبية الرابعة» للدكتورة إسمت غنيم ص ٨٧، و«الكامل» لابن الأثير: ١٢/ ١٩٠ ـ ١٩٢.

(٢) هي الآن جامع البادرائية، وهذا النص هامٌ لأنه يزيل وهماً عن أصل بناء الجامع، فقد وقف على رخامه وأعمدته مؤرخ دمشقي هو نعمان القساطلي، فذهب وهمه إلى أنه كان دار الأسقفية أيام الرُّومان، ذكر ذلك في كتابه «الروضة الغناء في دمشق الفيحاء» ص ١٠٨، وتابعه على ذلك صديقنا الأستاذ أكرم حسن العلبي، في كتابه «خطط دمشق» ص ١٠٨. وسترد وفاة البادرائي ص١٢٢ ـ ١٢٣ من الجزء الثاني.

(٣) هو نجيب الدين أبو محمد عبد الله بن عبد الله، كان له مكانة عند السلطان صلاح الدين وأولاده لمعرفة قديمة كانت بينهما، وقد سلفت بعض أخباره في «كتاب الروضتين»: ٤/ ٢٦٠، =

وفيها توفي القاضي محيي الدِّين بن أبي عَصْرون[١] في أول ربيع الأول بدمشق.

وفيها توفي الأمير علم الدين كُرْجي الأَسَدي[٢] بدمشق ثالث عشر ربيع الآخر، وصلى عليه العادل بمرج باب الحديد، ودُفِنَ بالجبل.

ووصل الخبر بموتِ يوزبا التَّقَوي[٣] غريقاً ببلاد المغرب في خدمة ابن عبد المؤمن.

وفيها قُتِلَ قاضي دارا ظاهر حلب[٤]، بالمنزلة المعروفة بالسَّعْدي في أواخر ذي القَعْدَة.

وفيها في ربيع الآخر توفي الشَّاعر الحِلِّي عليُّ بنُ الحسن الملقب بشُمَيْم[٥]، وكان قليلَ الدِّين، ذا حماقةٍ ورقاعةٍ، وله حماسة[٦] ورسائل، وقال:

= ٢٦١، ٤٥٤، وانظر «الوافي بالوفيات»: ٣/ ٢٥٨ (في ترجمة محمد بن عبد الصمد بن عبد الله، أحد حفدته).

(١) له ترجمة في كتاب الروضتين: ٢/ ٤٣٠، ٤/ ٤٢٤، الوافي بالوفيات: ٣/ ٣٤٩ ـ ٣٥٠، قضاة دمشق: ٥١ ـ ٥٢.

(٢) انظر أخباره في «كتاب الروضتين»: ٤/ ٢٥٣، ٤٥٧.

(٣) هو يوزبا مملوك تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، ابن أخي صلاح الدين، وكان تقي الدين قد سيره إلى المغرب سنة ٥٨٢ هـ للاستيلاء عليها. انظر أخباره في «كتاب الروضتين» ٣/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧، ٤/ ١٩٤، ٢١٧، وتاريخ الإسلام (ت ١٣ وفيات سنة ٦٠١ هـ).

(٤) له ترجمة في كتاب الروضتين: ٤/ ٤٥٩، مفرج الكروب: ٣/ ١٦٧ ـ ١٦٨، الوافي بالوفيات: ٢٥/ ٣٨١، السلوك للمقريزي: ج١/ ق١/ ١٩٧ ـ ١٩٨.

(٥) له ترجمة في معجم الأدباء: ١٣/ ٥٠ ـ ٧٢، ذيل تاريخ بغداد لابن النجار: ٣/ ٣١١ ـ ٣١٧، إنباه الرواة: ٢/ ٢٤٣ ـ ٢٤٦، التكملة للمنذري: ١/ ٦٥، وفيات الأعيان: ٣/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٤١١ ـ ٤١٢، العبر للذهبي: ٥/ ٢، تاريخ الإسلام (ت ٣٦ وفيات سنة ٦٠١ هـ)، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠١ هـ)، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٨٨، بغية الوعاة: ٢/ ١٥٦ ـ ١٥٧، شذرات الذهب: ٥/ ٤ ـ ٦.

(٦) قال ابن خلكان: ٣/ ٣٣٩: وجمع من نظمه كتاباً سماه «الحماسة» رتبه على عشرة أبواب، وضاهى به كتاب الحماسة لأبي تمام الطائي.

أقمتُ مُدَّةً آكل في يومٍ شيئاً من الطِّين، فإذا وضعته أَشَمُّه فلا أجد له رائحة، فسميت لذلك شُميماً، ذكره ابنُ المستوفي في «تاريخ إربل»[١].

ثم دخلت سنة اثنتين وست مئة

ففيها استوزر الخليفةُ نصيرَ الدِّين ناصر بن مهدي، العَلَوي الحسني، وخَلَعَ عليه خِلْعَةَ الوِزَارة: القميصَ والدَّرَّاعة، والعِمامة، والسَّيْف، وخرج من باب الحجرة، فقدِّمَ له فَرَسٌ من خيل الخليفة، وبين يديه دواةٌ عليها ألف مثقال، ووراءه المهد الأصغر، وألوية الحمد، وطبول النوبة، والكوسات تَخْفِقُ، ٥٣ والعهد منشور بين يديه، وجميعُ أرباب الدَّوْلة مشاةٌ بين يديه، وضُرِبَتِ الطُّبول والبوقات له بالرحبة في أوقات الصلواتِ الثلاث: المغرب، والعِشاء الآخرة، والفجر.

وفيها هرب أبو جعفر، محمد بن حديدة الوزير الأنصاري من دار الوزير ابن مهدي، وكان محبوساً بدرب المطبخ عند ابن مهدي ليعذبه، فحلَقَ ابنُ حديدة رأسه ولحيته وخَرَجَ، فلم يظهر خبرُه إلا من مَرَاغَة بعد مُدَّة، وعاد إلى بغداد.

وفيها توجَّه ناصرُ الدِّين؛ صاحب مارِدِين إلى خِلاط بمكاتبة أهلها، فجاء الملكُ الأشرف، فنزل على دُنَيْسر، وأقطع بلد ماردين، فعاد ناصرُ الدِّين إلى بلده بعد أن غَرِمَ مئة ألف دينار، ولم يسلِّموا إليه خلاط.

وفيها أغار ابنُ لاون على بلد حلب، وأخذ الجشار[٢] من نواحي حارم، فبعث الملكُ الظَّاهر بنُ صلاح الدين ميمونَ القصري وأَيْبَك فُطَيْس،

---

(١) لم أجده في مطبوع «تاريخ إربل»، وهو غير تام.

(٢) الجشار: هو مكان رعي الماشية وغيرها، وقد يطلق على الماشية، وهو المراد هنا، انظر «صبح الأعشى»: ١١/ ١٧١، و«تاج العروس»: (جشر)، و«تكملة المعاجم» لدوزي: ١/ ١٩٥ (الترجمة العربية).

أقمتُ مُدَّةً آكل في يومٍ شيئاً من الطِّين، فإذا وضعته أَشَمُّه فلا أجد له رائحة، فسميت لذلك شُميماً، ذكره ابنُ المستوفي في «تاريخ إربل»[١].

ثم دخلت سنة اثنتين وست مئة

ففيها استوزر الخليفةُ نصيرَ الدِّين ناصر بن مهدي، العَلَوي الحسني، وخَلَعَ عليه خِلْعَةَ الوِزَارة: القميصَ والدَّرَّاعة، والعِمامة، والسَّيْف، وخرج من باب الحجرة، فقدِّمَ له فَرَسٌ من خيل الخليفة، وبين يديه دواةٌ عليها ألف مثقال، ووراءه المهد الأصغر، وألوية الحمد، وطبول النوبة، والكوسات تَخْفِقُ، ٥٣ والعهد منشور بين يديه، وجميعُ أرباب الدَّوْلة مشاةٌ بين يديه، وضُرِبَتِ الطُّبول والبوقات له بالرحبة في أوقات الصلواتِ الثلاث: المغرب، والعِشاء الآخرة، والفجر.

وفيها هرب أبو جعفر، محمد بن حديدة الوزير الأنصاري من دار الوزير ابن مهدي، وكان محبوساً بدرب المطبخ عند ابن مهدي ليعذبه، فحلَقَ ابنُ حديدة رأسه ولحيته وخَرَجَ، فلم يظهر خبرُه إلا من مَرَاغَة بعد مُدَّة، وعاد إلى بغداد.

وفيها توجَّه ناصرُ الدِّين؛ صاحب مارِدِين إلى خِلاط بمكاتبة أهلها، فجاء الملكُ الأشرف، فنزل على دُنَيْسر، وأقطع بلد ماردين، فعاد ناصرُ الدِّين إلى بلده بعد أن غَرِمَ مئة ألف دينار، ولم يسلِّموا إليه خلاط.

وفيها أغار ابنُ لاون على بلد حلب، وأخذ الجشار[٢] من نواحي حارم، فبعث الملكُ الظَّاهر بنُ صلاح الدين ميمونَ القصري وأَيْبَك فُطَيْس،

---

(١) لم أجده في مطبوع «تاريخ إربل»، وهو غير تام.

(٢) الجشار: هو مكان رعي الماشية وغيرها، وقد يطلق على الماشية، وهو المراد هنا، انظر «صبح الأعشى»: ١١/ ١٧١، و«تاج العروس»: (جشر)، و«تكملة المعاجم» لدوزي: ١/ ١٩٥ (الترجمة العربية).

وحسامَ الدين بن أمير تركمان، فنزلوا على حارم، فقالوا لميمون: نحن[١] على حَذَرٍ. فتهاون، فكبَسَهم ابنُ لاون، فقتلَ جماعةً من المسلمين، وثبتَ أيبك فطيس، وابن أمير تركمان، وقاتلا قتالاً شديداً، ولولاهما لأُخِذَ ميمون، وبلغ الظَّاهر، فخرج من حلب، فنزل مرجَ دابق، وجاء إلى حارم، فهرب ابنُ لاون إلى بلاده، وكان قد بنى قلعةً فوق دَرْبساك، فأخربها الظاهر، وعاد إلى حلب.

وفيها حَجَّ بالنَّاسِ من العراق وجه السبع، ومن الشَّام الشجاع علي بن السلَّار.

قلتُ: كذا قال أبو المُظَفَّر سِبْطُ ابن الجوزي فيما نَقَلْتُه من خَطِّه[٢]، وقد نَقَلْتُ من خَطِّ العِزِّ محمد بن تاج الأُمناء قال: وفي السَّابع والعشرين من رمضان سنة اثنتين وست مئة، نادوا الحجَّ على أَيْلة صُحْبة ابن الجرَّاحي[٣].

وفيها توفي طاشْتِكِين بن عبد الله المقتفوي[٤] أمير الحاج، ولقبه مجير الدين[٥].

حَجَّ بالنَّاس ستاً وعشرين سنة، وكان في طريق الحج مثل الملوك، فقصده ابنُ يونس الوزير، وقال للخليفة: إنه يكاتبُ صلاحَ الدين. وَزَوَّر عليه كتاباً، فحبسه مُدَّة، ثم تبيَّن له أنه بريءٌ من ذلك، فأطلقه، وأعطاه خوزستان، ثم

(١) كذا في النسخ، وفي «مرآة الزمان»: كن، وهو الأشبه.

(٢) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦٠٢ هـ).

(٣) في (س): الخزاعي، وهو تحريف.

(٤) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ٢٤١، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٢ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٨٣ ـ ٨٤، المختصر في أخبار البشر: ٣/ ١٠٧، تاريخ الإسلام (ت ٨٤، وفيات سنة ٦٠٢ هـ)، الوافي بالوفيات: ١٦/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦، فوات الوفيات: ٢/ ١٢٩ ـ ١٣٠، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٢ هـ)، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٩٠، شذرات الذهب: ٥/ ٨، وانظر «كتاب الروضتين»: ٣/ ٤٢٣ ـ ٤٢٦.

(٥) في (س) فخر الدين، وهو تحريف.

أعاده إلى إمرة الحاجّ. وكانت الحِلَّة السَّيْفية إقطاعه. وكان شجاعاً جَواداً، سَمْحاً، قليلَ الكلام، يمضي عليه الأسبوع ولا يتكلَّم، استغاث إليه رجلٌ يوماً، فلم يكلِّمْه، فقال الرجل: الله كلَّم موسى. فقال: وأنت موسى؟ فقال الرجل: وأنتَ الله؟ فقضى حاجته.

وكان حليماً، التقاه رجلٌ، فاستغاث إليه من نوابه، فلم يجبه، فقال له الرجل: أحمار أنتَ؟ فقال طاشْتِكِين: لا.

وفي قِلَّة كلامه يقولُ ابنُ التعاويذي:

وأميرٍ على البلاد مولًى لا يجيبُ الشَّاكي بغيرِ السكوتِ
كلَّما زادَ رِفعَةً حَطَّنا اللـ ـه بتَغْفِيْلِهِ إلى البَهْمُوتِ[1]

وقام يوماً إلى الوضوء، فَحَلَّ حياصته[2]، وتركها موضعه، ودخل ليتوضأ، وكانت الحياصة تساوي خمس مئة دينار، فسرقها الفَرَّاش وهو يشاهده، فلما خرج، طَلَبَها فلم يجدها، فقال أستاذ داره: اجمعوا الفرَّاشين، وأحضروا المعاصير. فقال له طاشْتِكِين: لا تضرب أحداً، فالذي أخذها ما يردُّها، والذي رآه ما يغمز عليه. فلما كان بعد مُدَّة رأى على الفَرَّاش الذي سرقَ الحياصة ثياباً جميلة، وبِزَّةً ظاهرة، فاستدعاه سرًّا، وقال له: بحياتي، هذه من ذيك. فَخَجِلَ. فقال: لا بأس عليك. فاعترف، ولم يعارضه.

وكان طاشْتِكِين قد جاوز تسعين سنة، فاستأجر أرضاً وقفاً ثلاث مئة سنة على جانب دِجْلةَ، ليعمرها داراً، وكان ببغداد رجلٌ محدِّث في الحِلَق، يقال له فتيحة المحدِّث، فقال: يا أصحابنا نهنيكم، ماتَ ملكُ الموت. قالوا: وكيف؟ قال: طاشْتِكِين عمره مقدار تسعين سنة، وقد استأجر أرضاً ثلاثة مئة سنة، فلو لم يعلم أن ملك الموت قد مات ما فعل هذا! فتضاحك النَّاس. ٥٤

(١) لم أجد البيتين في ديوانه المطبوع.

(٢) الحياصة: سيرٌ طويل يشد به الإنسان حِقْوه، وكانوا يضعون في داخله النقود. انظر «معجم متن اللغة»: ٢/ ١٩٨.

وكانت وفاتُهُ بششتر، وأوصى أن يُحمل إلى مشهد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فحمل في تابوت، فدفن فيه.

وفيها توفي الأَخَوان مسعود وممدود ابنا الحاجب مبارك بن عبد الله[١]، فمسعود لقبه سعد الدين، وكان صاحبَ صفد. وممدود لقبه بدر الدين، وكان شِحْنة دمشق. وأمهما أم فَرُّخشاه بن شاهنشاه بن أيوب، صاحب دار السَّعادة، وأصلُ أمهم من المُنَيْطرة، فَفَرُّخشاه أخوهما لأُمهما، وأختهما لأُمهما ست عذراء صاحبة المدرسة المجاورة لدار السَّعادة، وبها تربتها، وكانت دارها.

وأما أخوها مسعود، فداره هي المجاورة لرباط زهراء خاتون، قريب حمام جاروخ، هي الآن لجمال الدين موسى بن يغمور.

وأما ممدود فداره بحارة البلاطة، هي الآن لنجم الدِّين بن الجوهري.

وكان مسعود وممدود أميرين كبيرين، لهما مواقفُ كثيرةٌ مع صلاح الدِّين، وتقدَّمت وفاة ممدود على وفاة أخيه بشهرٍ واحد، فإنَّه مات بداره بدمشق يوم الأحد خامس شهر رمضان، وتوفي مسعود بصفد يوم الاثنين، خامس شوال.

وفيها توفي أبو يعلى حمزة بن علي بن حمزة، الحَرَّاني المقرئ، ويعرف بابنِ القُبَّيْطي[٢].

ولد سنة أربع وعشرين وخمس مئة ببغداد. وقرأ القرآن بالرِّوايات على الشيخ أبي محمد سبط الشيخ أبي منصور الخياط وغيره، وسمع الحديث، وكان

---

(١) لهما ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٢ هـ)، وتاريخ الإسلام (ت ١٠٦، ١٠٧ وفيات سنة ٦٠٢ هـ)، الوافي بالوفيات: ٢٥/ ٥٢٥ ـ ٥٢٦، شفاء القلوب: ٢١٥، الدارس: ١/ ٣٧٤.

(٢) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٢ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٩٢ ـ ٩٣، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٤٤١ ـ ٤٤٢، معرفة القراء: ٣/ ١١٣٠ ـ ١١٣١، العبر للذهبي: ٥/ ٤، الوافي بالوفيات: ١٣/ ١٧٧ ـ ١٧٨، غاية النهاية: ١/ ٢٦٤، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٩١، شذرات الذهب: ٥/ ٧.

حسنَ الصَّوْت بالقراءة، يصلِّي إماماً بالمسجد الذي بجانب البدرية، فكان النَّاسُ في ليالي شهر رمضان يأتون إليه من أقطار بغداد يستمعون قراءته. وكانت وفاته في ذي الحِجَّة، وصُلِّي عليه بالنظامية، ودُفِنَ بباب حَرْب. سمع أبا الكرم المبارك ابن الشَّهْرُزوري، وإبراهيم بن نبهان الرَّقِّي، وسَعْد الخير الأنصاري، وأبا الفضل الأرموي، وغيرهم وروى عنهم، وكان صالحاً، عفيفاً، زاهداً، ثِقَةً.

ونقلتُ من خَطِّ العِزِّ محمد بن تاج الأمناء أبي الفَضْل أحمد بن محمد بن الحسن قال: يوم الجمعة العشرين من ربيع الأول توفِّيت أُمُّ المُعَظَّم، ودُفِنَتْ بالجبل.

قلتُ: يعني بالقُبَّة التي في المدرسة المعروفة بالمعظَّمية، وفي تلك القبة معها ابناها المُعَظَّم عيسى، والعزيز عثمان؛ ابنا الملك العادل أبي بكر بن أيوب، وأخوهما المتوفَّى قبلهما الملك المغيث عمر بن العادل.

قال: وفي رابع عشر جُمادى الآخرة توفي الفقيه شرف الدِّين، أبو الحسن، علي بن محمد بن علي، جمال الإسلام ابن الشَّهْرُزُوري[1] بمدينة حِمْص، كان قد سكنها منذ أُخرجَ من دمشق[2].

(١) له ترجمة في ذيل تاريخ بغداد لابن النجار: ٤/ ٢٨ ـ ٣٠، التكملة للمنذري: ٢/ ٨٢ ـ ٨٣، تاريخ الإسلام (ت ٩٨، وفيات سنة ٦٠٢ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٤٢٣ ـ ٤٢٤، المختصر المحتاج إليه: ٣/ ١٣٧، الوافي بالوفيات: ٢٢/ ٩٦ ـ ٩٨، طبقات الشافعية للسبكي: ٨/ ٢٩٨، (نقلاً عن الطبقات الوسطى)، طبقات الشافعية للإسنوي: ٢/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٢ هـ).

(٢) أُخرج من دمشق في سنة (٦٠٠ هـ)، فقدم بغداد في أوائل سنة (٦٠١ هـ)، ولجأ إلى ديوان الخلافة مستشفعاً في عوده إلى دمشق، ويبدو أنه لم يشفع فيه، فرجع إلى حمص وسكنها حتى وفاته، انظر «ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار: ٤/ ٢٩، وقد سكتت مصادر ترجمته عن سبب إخراجه، ولعله أنكر على العادل هدنته مع الفرنج سنة (٦٠٠ هـ)، وقد تنازل لهم فيها عن يافا والناصرة، فأخرجه من دمشق، بيَّنتُ ذلك في كتابي «ما بعد صلاح الدين»، وأرجو أن أنشره قريباً.

قلتُ: وكان مدرِّس المدرسة الأمينية، والزَّاوية المقابلة لباب البرادة بالجامع، وكان عالماً بالمذهب والخلاف، ماهراً في ذلك.

قال: وفي شعبان هدموا قَنْطَرَةَ البابِ الشَّرْقي الرُّومية لتُنْشَرَ حجارتُها بلاطاً لصحن الجامع، وفرغ منه في رمضان سنة أربعٍ وست مئة.

وفي أول شَوَّال غَيَّروا من قُبَّة الجامع عِدَّة أضلاع من شمالها.

وفي خامس عشره توفي مسعود الحبشي الزَّاهد، ودُفِنَ بالجبل.

وفي يوم الجمعة[1] سابع ذي القَعْدَة وُجِدَ التقي الأعمى مشنوقاً بالمئذنة الغربية.

قلتُ: هذا التقي اسمه عيسى بن يوسف بن أحمد الغَرَّافي[2]، ولد بالغَرَّاف من أرض العراق، وكان ضريراً عفيفاً، فقيهاً مفتياً، شافعياً، مدرِّساً بالمدرسة الأمينية خارج باب الجامع القِبْلي، وكان يسكن في أحد بيوت منارة الجامع الغربية، وكان ابتلي بأخذِ مالٍ له من بيته، واتَّهَمَ به شخصاً كان يقرأُ عليه، ويطلع معه إلى البيت يقضي حاجته، ويقوده من المدرسة إلى البيت، ومن البيت إلى المدرسة، فأنكر الشخصُ المُتَّهَمُ ذلك، وتعصَّب له أقوامٌ عند والي البلاد، فوقَعَ النَّاسُ في عِرْضه مِنْ اتهامه مَنْ ليس مِنْ أهل التُّهم، ومن كونه جمعَ ذلك المالَ وهو وحيد غريبٌ، ونسبوه إلى أنه غيرُ صادقٍ فيما ادَّعاه، فزاد عليه الهَمُّ مِنْ ضَيَاعِ ماله، والوقوع في عِرْضه، ففعل بنفسه ما فعل. وقد وقع مِثْلُ هذا لجماعةٍ، وفعلوا فِعْله. وجرى لي أُختُ هذه القضية، وعصمني الله سبحانه بفَضْله[3].

٥٥

---

(١) في (ك) و(ع) و(س): الخميس.

(٢) له ترجمة في تاريخ الإسلام (ت ٧١ وفيات سنة ٦٠٢ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٤٢٢، العبر: ٥/ ٤، نكت الهميان: ٣٢٣ ـ ٣٢٤، طبقات الشافعية للسبكي: ٨/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٢ هـ)، شذرات الذهب: ٥/ ٧.

والغرافي: نسبة إلى الغَرَّاف نهر كبير تحت واسط، بينها وبين البصرة. «معجم البلدان»: ٤/ ١٩٠.

(٣) لم يبيِّن أبو شامة متى جرت له هذه القضية، وقد اجتهدت في دراستي عنه، فوضعتها في سياق هو الأنسب لها في سيرته.

وبلغني أنَّ جماعةً من المتفقهة امتنعوا من الصَّلاة عليه، وقالوا: قَتَلَ نفسه. فتقدَّم شيخُنا فخر الدين أبو منصور عبد الرحمن ابن عساكر، فصلَّى عليه، فاقتدى الناس به، رحمهم الله.

ودَرَّسَ بالمدرسة الأمينية بعده الجمال المِصْري، وكيل بيت المال، وسيأتي ذكره، إن شاء الله تعالى[1].

وفي ثامن عشر ذي القعدة توفي الفقيه جامع المغربي، والد العلاء محمد بن جامع، ودفن من الغد بالجبل، وتُرْبَتُهُ مشهورةٌ على الطَّريق، وكان يتولَّى عقود الأنكحة، وسمع من الحافظ الكبير أبي القاسم وغيره، رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنةُ ثلاثٍ وست مئة

ففيها فارق وجه السَّبع حاج العراق، وقَصَدَ الشَّام، وكان في الحاجِّ العراقي جماعةٌ من الأعيان، فبكوا، وضجُّوا، وسألوه، فقال: مولاي أمير المؤمنين محسنٌ إلي، وما أشكو إلا من الوزير ابن مهدي، فإنَّه يَقْصِدُني لقُرْبي من مولاي، وما عن الرُّوح عِوَض. وسار إلى الشَّام، ودخل الحاج بغداد، وعليهم وَحْشة وكآبة، وأمر الخليفة أن لا يخرج الموكب إلى لقائهم، ولا يخرج إليهم أحد، وأدخل الكوس والعَلَم والمهد في الليل، وأقام الخليفة حزيناً أياماً، وأما وجه السبع، فوصل إلى دمشق، فالتقاه العادل وأولاده، وخدموه، وأحسنوا إليه.

وفيها ولَّى الخليفةُ عمادَ الدِّين أبا القاسم عبد الله بن الدَّامَغَاني قضاءَ القُضَاة ببغداد، فاستنابَ أبا الفتح محمد بن المَنْدَائي الواسطي في القضاء بواسط.

وفيها قبض الخليفةُ على الركن عبد السَّلام بن عبد الوهَّاب بن الشَّيخ

---

(١) انظر ص٣٥١ ، ٣٨٧ من هذا الجزء

وبلغني أنَّ جماعةً من المتفقهة امتنعوا من الصَّلاة عليه، وقالوا: قَتَلَ نفسه. فتقدَّم شيخُنا فخر الدين أبو منصور عبد الرحمن ابن عساكر، فصلَّى عليه، فاقتدى الناس به، رحمهم الله.

ودَرَّسَ بالمدرسة الأمينية بعده الجمال المِصْري، وكيل بيت المال، وسيأتي ذكره، إن شاء الله تعالى[1].

وفي ثامن عشر ذي القعدة توفي الفقيه جامع المغربي، والد العلاء محمد بن جامع، ودفن من الغد بالجبل، وتُرْبَتُهُ مشهورةٌ على الطَّريق، وكان يتولَّى عقود الأنكحة، وسمع من الحافظ الكبير أبي القاسم وغيره، رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنةُ ثلاثٍ وست مئة

ففيها فارق وجه السَّبع حاج العراق، وقَصَدَ الشَّام، وكان في الحاجِّ العراقي جماعةٌ من الأعيان، فبكوا، وضجُّوا، وسألوه، فقال: مولاي أمير المؤمنين محسنٌ إلي، وما أشكو إلا من الوزير ابن مهدي، فإنَّه يَقْصِدُني لقُرْبي من مولاي، وما عن الرُّوح عِوَض. وسار إلى الشَّام، ودخل الحاج بغداد، وعليهم وَحْشة وكآبة، وأمر الخليفة أن لا يخرج الموكب إلى لقائهم، ولا يخرج إليهم أحد، وأدخل الكوس والعَلَم والمهد في الليل، وأقام الخليفة حزيناً أياماً، وأما وجه السبع، فوصل إلى دمشق، فالتقاه العادل وأولاده، وخدموه، وأحسنوا إليه.

وفيها ولَّى الخليفةُ عمادَ الدِّين أبا القاسم عبد الله بن الدَّامَغَاني قضاءَ القُضَاة ببغداد، فاستنابَ أبا الفتح محمد بن المَنْدَائي الواسطي في القضاء بواسط.

وفيها قبض الخليفةُ على الركن عبد السَّلام بن عبد الوهَّاب بن الشَّيخ

---

(١) انظر ص٣٥١ ، ٣٨٧ من هذا الجزء

عبد القادر الذي أُحرقت كتبه في الرحبة، فاستأصله، وأصبح يطلب من النَّاس[١]، وكان قد بلغه فِسْقُه وفجوره، وكان عبد السلام المذكور هو الذي وشى بالشيخ أبي الفرج ابن الجوزي حتى نُكِبَ بما ذكرناه في سنة تسعين وخمس مئة[٢].

قال أبو المظفر: لما قُبِضَ ابنُ يونس الوزير تتبَّع ابنُ القَصَّاب أصحابه، فقال الركنُ عبدُ السَّلام بنُ عبد الوهَّاب: أين أنتَ من ابنِ الجوزي؟ هو كان من أكابر أصحاب ابن يونس، وأعطاه مدرسة جَدِّي، وأحرق كتبي بمشورته، وهو ناصبي من أولاد أبي بكر ـ وكان ابنُ القَصَّاب متشيعاً ـ فكتبَ إلى الخليفة، وساعده جماعةٌ من أهلِ مذهبه، ولبَّسوا على الخليفة، فأمر بتسليمه إلى عبد السَّلام[٣].

٥٦ قال: وكان جدِّي يسكن بباب الأَزَج في دار بنفشا، وكان الزَّمانُ صيفاً، وجدي ـ رحمه الله ـ جالسٌ في السِّرْداب يكتب، وأنا صبيٌّ صغير، وإذا عبد السَّلام قد هَجَمَ عل جَدِّي في السِّرْداب، فأسمعه غليظ الكلام، وخَتَمَ على كتبه وداره، وشتَّتَ عياله، وجرى عليهم ما لم يجر على أقلِّ الناس. فلما كان أوَّلُ الليل حملوا جَدِّي إلى السفينة، فأنزلوه فيها، ونزل معه عبد السلام لا غير، وعلى جدِّي غُلالة بغير سراويل، وعلى رأسه تخفيفة، وحدروه إلى واسط، واستوفى من جدِّي بالكلام، وجدِّي لا يجيبه، فسبق عبد السلام إلى واسط، وكان ناظرها العميد ابن امسينا، وكان متشيعاً، فقال له عبد السلام: حَرَسَ الله أيامك، مكنِّي من عدوي لأرميه في المطمورة. فعزَّ عليه وزَبَرَه وقال: يا زنديق، أرمي ابنَ الجوزي في المطمورة بقولك؟ هاتِ خَطَّ الخليفة، والله لو كان من

(١) «مرآة الزمان» (حوادث سنة ٦٠٣ هـ).

(٢) انظر ص ٥٧ من هذا الجزء.

(٣) «مرآة الزمان» (حوادث سنة ٥٩٠ هـ).

أهل مذهبي لبذلت روحي ومالي في خدمته. فعاد عبدُ السَّلام إلى بغداد[١].

وكان إحراقُ كتبه في سنة ثمان وثمانين، وسببه أَنَّه كان بين ابن يونس وبين أولاد الشيخ عبد القادر عداوةٌ قديمة، لأنه كان جارَهم بباب الأَزَج في حال خموله وفقره، وكانوا يؤذونه بحيثُ إنهم رَبُّوا كلباً ولقَّبوه جُلَيِّل، يعنون جلال الدين، وهو لقبُ ابنِ يونس، وكان لابنِ يونس أَخٌ صالح يقال له العماد، فسمَّوا بغلاً للطحن العماد، وكان من ولد الشيخ عبد القادر لصلبه طحان اسمه سليمان، كان أشرَّ خلقِ الله، وهو الذي فعل هذه الأفاعيل. فلما ولي ابنُ يونس الوِزَارة، ثم أستاذية الدار أظهر ما كان في قلبه منهم، فبدَّد شملهم، وبعث ببعضهم إلى المطامير إلى واسط، فماتوا بها، وكان عبد السَّلام هذا مداخلاً للدولة، وكانت عنده كتب كثيرة، فبعث ابنُ يونس، فكبس داره، وأخرج منها كتباً في فنون، منها الشفاء لابن سينا، والنجاة، ورسائل إخوان الصفا، وكتب الفلاسفة، والمنطق، وتبخير الكواكب، والنارنجيات، والسِّحر. فاستدعى ابنُ يونس وهو يومئذٍ أستاذ دار الخليفة العلماء والفُقَهاء والقُضَاة والأعيان، وكان جدِّي فيهم، وقُرِئ في بعضها[٢] مخاطبة زُحَل: «أيها الكوكب المضيء النَيِّر[٣] الفرد، أنتَ تدبِّر الأفلاك، وتحيي وتميت، وأنت إلهنا» وفي حَقِّ المريخ من هذا الجنس. وكان عبدُ السَّلام حاضراً، فقال له ابنُ يونس: هذا خَطُّك؟ قال: نَعَمْ. قال: لِمَ كتبته؟ قال: لأَرُدَّ على قائله ومَنْ يعتقده، فسألوه فيه، فقال: لابُدَّ من حريق الكتب. فلما كان يومُ الجمعة ثاني عشر صفر جَلَسَ قاضي القُضَاة، والعلماء، وجَدِّي معهم على سطح المسجد المجاور لجامع الخليفة، وأضرموا تحت المسجد ناراً عظيمة، وخرج النَّاسُ من الجامع، فوقفوا على طبقاتهم،

(١) «مرآة الزمان» (حوادث سنة ٥٩٠ هـ).

(٢) في (ك) و(ع) و(س): وقرئ في بعضها: أيها الكوكب الفرد.

(٣) في (ب): المنير.

والكتب على سطح المسجد بين أيديهم، فقام رجلٌ يقال له ابن المارَسْتانية، فجعل يقرأ كتاباً كتاباً ويقول: العنوا مَنْ كتبه ومَنْ يعتقده. فيضجُّ العوام باللَّعْن، وعبد السَّلام حاضر، وتعدَّى اللعن إلى الشيخ عبد القادر وأحمد ابن حنبل، وظهرتِ الأحقادُ البدرية، وقال الخصوم أشعاراً، منها قولُ المهذَّب الرُّومي ساكن النِّظامية:

لـيَ شـعـرٌ أرقُّ مِـنْ ديـنِ رُكْـنِ الـدِّ ... يـنِ عـبـدِ الـسَّـلام لَـفْـظاً ومَـعْـنـى
زُحَـلـيَّـا يَـشْـنـا عَـلِـيَّـا ويـهـوى ... آلَ حَـرْبٍ حِـقْـداً عـلـيـه وضِـغْـنـا
مَـنَـحَـتْـهُ الـنُّـجـومُ إذ رامَ سَـعْـداً ... وسـروراً نَـحْـسـاً وهَـمّـاً وحُـزْنـا
سـارَ إحـراقُ كُـتْـبِـهِ سَـيْـرَ شِـعْـري ... فـي جـمـيـع الأقـطـار سَـهْـلاً وحَـزْنـا
أيـهـا الـجـاهِـلُ الـذي جَـهِـلَ الـحَـقَّ ... ضـلالاً وضَـيَّـعَ الـعُـمْـرَ غُـبْـنـا
رُمْـتَ جَـهْـلاً مـن الـكـواكـبِ بـالـتبـ ... ـخـيـرِ عِـزّاً فَـنِـلْـتَ ذُلاً وسِـجْـنـا
مـا زُحَـيْـلٌ ومـا عُـطَـارِدُ والـمَـرِّ ... يـخُ والـمُـشْـتَـرِي تـرى يـا مُـعَـنَّـى
كـلُّ شـيءٍ يُـودي ويـفـنـى سوى الـلَّـ ... ـه إلـهـي فـإنَّـه لـيـس يَـفْـنَـى

٥٧ ثُمَّ حكم القاضي بتفسيق عبد السَّلامِ، ورمى طَيْلَسانه، وولَّى جدِّي مدرسة الشيخ عبد القادر، فذكر الدَّرْسَ بها في ربيع الأول[1].

وفيها قَدِمَ البرهان محمد ابن[2] عمر بن[2] مازة البخاري[3]، ويلقب بصدر جهان، حاجاً إلى بغداد، وتلقَّاه جميعُ من ببغداد ما عدا الخليفة والوزير، وأُنزل في دار زُبيدة على نهر عيسى، وحُمِلَتْ إليه الإقامات والضِّيافات، وكان معه ثلاث

---

(١) «مرآة الزمان» (حوادث سنة ٥٨٨ هـ).

(٢ ـ ٢) ما بينهما ليس في (ك) و(ع) و(س).

(٣) كان من أصحاب الرتب الكبيرة في بلاده، وقد قتل سنة (٦١٦ هـ)، انظر «الكامل» لابن الأثير: ١٢/٢٥٧ ـ ٢٥٨، و«الجواهر المضية»: ٣/٢٣٣ ـ ٢٣٤، و«سيرة السلطان جلال الدين»: ٩٤.

مئة من الفقهاء والمتفقهة، وجرى له في حَجِّه ما سنذكره في أول السنة الآتية[1].

وفيها نزلتِ الفرنجُ على حِمْص، وكان الظاهر بعث إليها المبارز يوسف بن خُطْلُخ الحلبي نجدةً لأسد الدِّين شيركوه الأصغر، وأسر في هذه المرة الصَّمْصَام بن العلاني، وخادم صاحب حِمْص.

قال أبو المظفر: وفيها فارقتُ دمشق قاصداً حلب، فوصلتُها في ذي الحِجَّة، واجتمعت بالنَّقَّاش الحلبي الشَّاعر، واسمه مسعود بن أبي الفَضْل أبو الفتح، ولقبه تاج الدين، مولده سنة أربعين وخمس مئة، وقَدِمَ دمشق سنة تسعٍ وست مئة، وأنشد الجماعةَ قِطَعاً من قصائده، منها:

مالي سوى حُبِّكُمُ مَذْهَبُ ... ولا إلى غَيْرِكُمُ مَذْهَبُ
ناشَدْتُكَ اللهَ نسيمَ الصَّبا ... مِنْ أينَ هذا النَّفَسُ الطَّيِّبُ
أأَوْدَعَتْ بُرْداكَ وَقْتَ الضُّحَى ... مكانَ ألقَتْ عِقْدَها زَيْنَبُ
أم ناسَمَتْ رَيَّاك روضَ الحِمَى ... وذَيْلُها من فَوْقِهِ يُسْحَبُ
فهاتِ أتحفني بأخبارِها ... فَعَهْدُكَ اليومَ[2] بها أقْرَبُ

ومنها:

أيُّ يَدٍ عِنْدِي وأيُّ مِنَّةْ ... للرَّكْبِ أنْ بَشَّرني بهِنَّةْ
صاحوا الرَّحِيْلَ فظلِلْتُ والهاً ... أنْشُدُ قلبي بينَ عَيْشِهِنَّةْ
كأنَّني بالحيِّ قد شَدُّوا العُري ... لِبَيْنِهِمْ وأرْخَوا الأعِنَّةْ
وما سمعتُ قَبْلَ أنْ تَرَحَّلُوا ... بمَطْلَعِ الشُّهْبِ من الأسِنَّةْ
يا حاديَ الأظعانِ رُبَّ فَرَحٍ ... أحدثَهُ طِيْبُ حديثِهِنَّةْ
فاسْلَمْ وقُلْ للرَّاحلينَ إنْ يَكُنْ ... بَيْنٌ فَرِفْقاً بقتيلِكُنَّةْ

---

(١) انظر ص ١٨٤ من هذا الجزء.

(٢) في (ك) و(ع) و(س): الآن، والمثبت ما في الأصل و(ب)، وهو موافق لما في «المرآة».

ومنها قصيدة في صاحب بَعْلَبَكَّ الأمجد بن فَرُّخشاه:

زارَ وَطَرْفُ النَّجْمِ لم يَرْقُدِ مُتَّزِرٌ مِنْ حُسْنِهِ مُرْتَدِ
أَحْوَرُ يحكي الخالُ في خَدِّهِ نُقْطَةَ نَدٌّ فوقَ وَرْدٍ نَدِي
يا حُسْنَهُ مِنْ زائرٍ ما بدا إلَّا وأنسى قَمَرَ الأسْعُدِ
ويا ضَلالي فيه مِنْ بَعْدِ ما كنتُ بمرأى وَجْهِهِ أَهْتَدِي
فيالها مِنْ ليلةٍ لم يَفُزْ بمثلِها الهادي ولا المُهْتَدِي
إذ أجتلي في ليلِ أصْداغِهِ مِنْ وَجْهِهِ شمسَ صباحِ الغَدِ
وعاذلٍ عَنَّفَ فيهِ وَمَنْ يُنَادِمِ البَدْرَ ولم يُحْسَدِ
ظَنَّ خلاصي في يَدِي فاعْتَدَى وقال يهوى قاتلاً لا يَدِي
فقلتُ لا تَرْجُ سُلُوِّي فَقَدْ خَلَعْتُ سُلْواني على عُوَّدِي
أَأَهْجُرُ العَيْشَ بهجري لَهُ وأُخْرِجُ الفوزَ بهِ عن يدي
وأَنْثَني عَنْهُ إلى غيرِهِ لا وحياةِ المَلِكِ الأمْجَدِ[1]

وفيها توفي إسماعيل بن علي، أبو محمد الحظيري[2]؛ من حَظِيْرة الدُّجَيْل، كان أديباً فاضلاً شاعراً، أنشد لنفسه:

لا عالمٌ يبقى ولا جاهِلُ ولا نَبِيْهٌ لا ولا خامِلُ
على سبيلٍ مَهْيَعٍ لا حِبٍ يُودي أخو اليَقْظَةِ والغافِلُ

وفيها توفي عبدُ الرزاق بن الشيخ عبد القادر الجِيلي[3]، كان زاهداً عابداً وَرِعاً، لم يكن في أولاد الشيخ مِثْلُهُ.

---

(١) «مرآة الزمان» (حوادث سنة ٦٠٣ هـ).

(٢) له ترجمة في معجم الأدباء: ٧/ ٢٣ ـ ٢٤، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٣ هـ)، الغصون اليانعة لابن سعيد: ٧٦ ـ ٧٧، تاريخ الإسلام (ت ١١١، وفيات سنة ٦٠٣ هـ)، الوافي بالوفيات: ٩/ ١٦٣ ـ ١٦٤، بغية الوعاة: ١/ ٤٥٢.

(٣) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٣ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ١١٦ ـ ١١٧، مشيخة =

ولد سنة ثمانٍ وعشرين وخمس مئة، وسمع الحديث الكثير، وكان مقتنعاً من الدُّنيا باليسير، وكانت وفاته في شوال، ودفن بباب حَرْب. سمع أبا الكرم ابن الشَّهْرُزوري وطبقته، وكان صالحاً ثِقَةً، لم يدخل فيما دخل فيه غيرُه من إخوته.

وفيها في ربيع الأول توفي أبو منصور، عبد الرحمن بن الحسين بن عبد الله، النُّعماني النِّيْلي[1]، المعروف بالقاضي شُرَيح، لقِّبَ بذلك لذكائه وفِطْنته؛ كان يتوقَّدُ ذكاءً وفضلاً، كأنهم شَبَّهوه بالقاضي شُرَيح الأكبر الذي كان في زمن الصَّحابة رضي الله عنهم.

ولي شُرَيح هذا قضاء النِّيل مُدَّة، ثم قَدِمَ بغداد، فنُدِبَ إلى المراتب الكبار، فلم يدخل في شيء منها، فرمى طاشْتِكِين أميرُ الحاجِّ نَفْسَه عليه، وسأله أن يكتبَ له، فاستحيا منه، وكتب له، فأقام عنده مُدَّة عشرين سنة، فقصده الوزير ابن مهدي حسداً له لفضله، وكان فاضلاً، مترسّلاً بليغاً، جواداً، سَمْحاً، حَسَنَ الصُّورة، فصيحَ اللِّسان، متواضعاً، لطيفاً، يَصْلُحُ للوِزارة، فلَبَّسَ على الخليفة في أمره، فحبسه في دار طاشْتِكِين[(2] بدار الخلافة، ولم يقدر طاشْتِكِين[2)] على الكلام فيه، وماتَ طاشْتِكِين وهو محبوسٌ، ثم مات شُرَيح بدار طاشتكين، فأُخرج منها ميِّتاً، فدفن بداره في القُبيبات.

= النعال: ١٤٣ ـ ١٤٤، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٤٢٦ ـ ٤٢٨، تذكرة الحفاظ: ٤/ ١٣٨٥ ـ ١٣٨٧، المختصر المحتاج إليه: ٣/ ٦٢، الوافي بالوفيات: ١٨/ ٤٠٨، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٣ هـ)، ذيل طبقات الحنابلة: ٢/ ٤٠ ـ ٤١، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٩٢، المقصد الأرشد: ٢/ ١٥٥ ـ ١٥٦، المنهج الأحمد: ٤/ ٧٣ ـ ٧٤، شذرات الذهب: ٥/ ٩ ـ ١٠.

(١) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٣ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ١٠٣، الوافي بالوفيات: ١٨/ ١٣٦، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٣ هـ)، توضيح المشتبه: ١/ ٦٨٧.
النِّيلي، نسبة إلى بلد النيل مدينة قرب واسط، يخترقها خليج كبير يتخلج من الفرات الكبير، حفره الحجاج بن يوسف، وسماه بنيل مصر. انظر «معجم البلدان»: ٥/ ٣٣٤.

(٢ ـ ٢) ما بينهما ليس في (ب).

ومن العجائب أنَّ ابنَ مهدي نُكِبَ بعد وفاة شُرَيح، وحُبِسَ بدار طاشْتِكِين أيضاً، وبها مات، كما سنذكره في أخبار السنة الآتية[(١)].

ورسائل شريح مُدَوَّنة في مجلَّدين، رحمه الله.

وفيها توفي بالمَوْصِل في شَوَّال أبو الحَرَم، مكي بن رَيَّان بن شَبَّة، الماكِسيني المَوْصِلي النَّحْوي[(٢)].

قَدِمَ بغداد، وقرأ على ابنِ الخَشَّاب، وابن العَصَّار، والكمال الأنباري، وبَرَعَ في عِلْم النَّحْو، وقَدِمَ الشَّام، فأقام بحلب مُدَّة وانتفع به خَلْقٌ عظيم، وقَدِمَ دمشق، وقرأ عليه شيخُنا أبو الحسن السَّخاوي رحمه الله كتابَ «أسرار العربية» للأنباري.

وربما يقع تصحيفٌ في اسمِ أبيه وجَدِّه، فاعلمْ أنَّ اسمَ أبيه أولهُ راء مهملة، بعدها ياء مُعْجَمة باثنتين من تحت[(٣)]، وآخره نون، واسم جده أوله شين معجمة، بعدها باء معجمة بواحدة[(٣)]، على وزن حَبَّة. ٥٩

وبدأ بذكره في «تاريخ إربل» شرفُ الدِّين [ابن][(٤)] المستوفي، لأنَّه شيخُه، ووصفه وأثنى عليه، وقال: وُلِدَ بماكسين من ولاية سِنْجار، ونَزَلَ بالمَوْصِل بعد أن رَحَلَ في طلب العِلْم إلى بغداد، وكان سببُ عماه جُدَرِيًّا لِحَقَهُ وهو ابنُ ثمانٍ أو تسع، وكان يتعصَّبُ لأبي العلاء أحمد بن سُلَيمان المَعَرِّي للجامع بينهما من

---

(١) انظر ص ١٨٤ من هذا الجزء.

(٢) له ترجمة في معجم الأدباء: ١٩/ ١٧١ ـ ١٧٣، الكامل: ١٢/ ٢٥٨، إنباه الرواة: ٣/ ٣٢٠ ـ ٣٢٢، التكملة للمنذري: ٢/ ١١٧ ـ ١١٨، وفيات الأعيان: ٥/ ٢٧٨ ـ ٢٨٠، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٤٢٥ ـ ٤٢٦، العبر: ٥/ ٨، نكت الهميان: ٢٩٦ ـ ٢٩٧، غاية النهاية: ٢/ ٣٠٩، بغية الوعاة: ٢/ ٢٩٩، شذرات الذهب: ٥/ ١١.

والماكسيني: نسبة إلى ماكسين، وهي بليدة من أعمال الجزيرة الفراتية على نهر الخابور، انظر «وفيات الأعيان»: ٥/ ٢٨٠.

(٣ ـ ٣) ما بينهما ليس في (س).

(٤) ما بين حاصرتين من (ب) و(ك) و(ع).

العمى والأدب، وكان قد نَصَبَ نَفْسَه للانتفاع عليه بالقرآن العزيز، وجميع فنون[(١)] الأدب، فكان لا يتفرَّغ إلا للصَّلاة المكتوبة، أو لما لابُدَّ منه، وتخرَّج عليه جماعةٌ من أصحابه، وكان أخذ عن أبي بكر يحيى بن سعدون القُرْطُبي، نزيل المَوْصل[(٢)].

ومن شِعْره:

إذا احْتاجَ النَّوالُ إلى شَفِيْعٍ ... فلا تَقْبَلْه تُضْحِ قريرَ عَيْنِ

إذا عِيْفَ النَّوالُ لِفَرْدِ مَنٍّ ... فأَوْلَى أن يُعَافَ لِمِنَّتَيْنِ

وله في إلغاز اسمِ دَعْد:

اسمُ الذي أنا عَبْدُها ... يا أيُّها الرَّجُلُ الحكيمُ

تُلْفِيْه معكوساً كما ... تُلْفِيه إذ هو مُسْتَقِيْمُ

قلت: ويكفي من ذلك أن يقول:

اسْمُها إنْ عَكَسْتَهُ ... مِثْلُهُ إنْ تَرَكْتَهُ

وفيها توفي جمال الدولة إقبال الخادم[(٣)] بالبيت المقدس رابع عشر ذي القَعْدة بعد أن وَقَفَ دارَيْه بدمشق مدرستين، إحداهما للشَّافعية وهي الكبرى، والأخرى للحنفية وهي الصغيرة، ووقف عليهما مواضع ثُلُثاها لمدرسة الشَّافعية، والثُّلُث الباقي لمدرسة الحنفية، وكان من خُدَّام صلاح الدين، رحمه الله تعالى.

---

(١) في النسخ الخطية ما عدا الأصل: ضروب.

(٢) لم أجده في مطبوع «تاريخ إربل»، وهو غير تام، وقد خرم أوله.

(٣) له ترجمة في الأعلاق الخطيرة لابن شداد: قسم الشام: ٢١٠، ٢٣٤، تاريخ الإسلام (ت ١١٥، وفيات سنة ٦٠٣ هـ)، الوافي بالوفيات: ٩/ ٣٠٤، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٣ هـ)، الدارس: ١/ ١٥٨ ـ ١٥٩، ٤٧٤، شذرات الذهب: ٥/ ٩.

وقد اضطرب الشيخ عبد القادر بدران في تعيينه في كتابه «منادمة الأطلال»: ٨١ ـ ٨٢.

ثم دخلتْ سنة أربع وست مئة

ففيها قَدِمَ حاجُّ العراق بغداد في صفر، وحكوا ما لقوا من صدر جهان[١]، وشِدَّة العطش، وأن غِلْمانه كانوا يسبقون النَّاسَ إلى المناهل، فيأخذون الماء، فيرشُّون به حول خيمته، ويسقونَ أحواضَ البَقْل على الجمال، وماتَ أكثرُ النَّاس عطشاً، وسمُّوا هذه السنة سنة صدر جهنم.

ولما وصل إلى بغداد لم يخرج أحدٌ للقائه، ولعنوه في وجهه وسَبُّوه في الأسواق، وكتبوا لعنته على المساجد والجوامع، وكان النِّساء يخرجن متبرِّجات، منشرات الشُّعور، يَلْطِمْنَ على موتاهن، ويقلن: العنوا صَدْرَ جهنم. فسأل الوزيرَ أن يأذنَ له في الرُّجوع إلى بلده، فَخُلِعَ عليه جُبَّة وعِمامة وطَيْلَسان، وخرج من بغداد والناسُ خَلْفَه يسبُّونه، ولم يقدر أحدٌ على مَنْعهم.

قال أبو المُظَفَّر: وحججتُ أنا في هذه السنة، وهي الرَّابعة، فرأيتُ من الموتى ما أذهلني، وخصوصاً في النقرة والغُسَيْلة، فإني رأيتُ فيهما ما يزيد على خمسة آلاف ميت، ومشينا ثلاثة أيام في الأموات[٢].

وفيها في جمادى الآخرة قَبَضَ الخليفة على الوزير ابن مهدي ليلاً، بعثَ إليه من أغلق بابه، فأقام أياماً، ثم نقله في رجب إلى دار طاشْتِكِين في دار الخلافة الذي مات بها القاضي شُرَيح، ونقل أهله وأولاده وأمواله وذخائره، ٦٠ ووجد له من الأموال والذخائر ما لم يوجد في خزائن الخلفاء، فلم يتعرَّض له الخليفة، وفوَّض الأمر إلى المكين محمد القُمِّي كاتب الإنشاء بين يدي ابن مهدي، وناب القُمِّي بعد ذلك في الوزارة إلى أيام المستنصر، فقبض عليه.

واختلفوا في سببِ عَزْلِ الوزير ابن مهدي، فقال قوم: كان ظالماً جبَّاراً، قاسياً متكبراً، قليل الرحمة، قَلَّ أن حَبَسَ أحداً فتخلَّص منه.

حكى لي خالي أبو محمد يوسف قال: شفعت يوماً إليه في محبوسٍ،

---

(١) انظر حاشيتنا رقم ٣ ص ١٧٨ من هذا الجزء.

(٢) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦٠٤ هـ).

فقال: وكم له في الحبس؟ فقلت: خمس سنين. قال: ليس هذا بمحبوس، المحبوس عندنا في العجم من يمضي عليه خمسون سنة.

وقال آخرون: إنَّ المكين القُمِّي سعى به إلى الخليفة، وقال: إنه قد طمع في الخلافة، ويقول: إنه علويٌّ ونحن أحقُّ، وأنه ينفِّذُ الأموال إلى العجم في قواصر التمر إلى أهله بخراسان ليُجَنِّدوا العساكر، ويقيموا ملكاً يقصد بغداد.

وقال آخرون: إنه اتفق مع ابن ساوى النَّصراني على قَتْلِ علاء الدِّين تنامش مملوك الخليفة في هذه السنة، وسنذكره[١].

ولما ظَهَرَ تجبُّرُه واستقلاله بالأمور هجاه أهلُ بغداد، وكتبوا الأشعار، وأوصلوها إلى الخليفة، منها ما كَتَبَ به يعقوبُ بنُ صابر المَنْجَنِيْقي:

خليليَّ قُولا للخليفةِ أحمدٍ ... تَوَقَّ وُقِيْتَ السُّوءَ ما أنتَ صانِعُ

وزيرُك هذا بين أمرينِ فيهما ... صَنِيْعُك يا خيرَ البَرِيَّةِ ضائِعُ

فإنْ كان حقًّا من سُلالة حَيْدَرٍ ... فهذا وزيرٌ في الخِلافة طامِعُ

وإنْ كان فيما يدَّعي غيرَ صادِقٍ ... فأضْيَعُ ما كانتْ لديه الصَّنائِعُ

وجلس يوماً في الدِّيوان، فوقعت بين يديه ورقةٌ مختومة، فلم يتجاسر على فَتْحها، فبعث بها إلى الخليفة، وكان فيها:

إنْ صَحَّ ما تَزْعُمُ يا مُدَّعي ... إلى نبيٍّ لستَ مِنْ نَسْلِهِ

لا قاتَلَ اللهُ يزيداً ولا ... مُدَّتْ يدُ السُّوءِ إلى نَعْلِهِ

لأنَّه قد كانَ ذا قُدْرَةٍ ... على اجتثاثِ العُوْدِ مِنْ أَصْلِهِ

وإنَّما أبقاكَ أُحْدُوثةً ... للنَّاس كي يُعْذَرَ في فِعْلِهِ

فكان سببَ حَتْفِهِ، لأنَّ الخليفةَ قال: ما كتبوا هذه إلا وقد أهلك الحَرْثَ والنَّسْل[٢].

---

(١) ص ١٨٧ من هذا الجزء.

(٢) «مرآة الزمان»: (حوادث سنة ٦٠٤ هـ).

وفيها رَتَّب الخليفةُ في شهر رمضان دور الضِّيافة ببغداد من الجانبين عشرين داراً، في كل دار في كلِّ ليلة خمس مئة قَدَح، وألف رَطْلٍ من الطبيخ الخاص، والخبز النقي، والحلواء، وغير ذلك، مستمراً في كل رمضان.

وفيها وصلَ إلى بغداد من دمشق قاضي عسكر الشام نجمُ الدين خليل الحنفي رسولاً من العادل أبي بكر بن أيوب، وأخرج في مقابلته الشيخ شهاب الدين السُّهْروردي وسُنْقُر السَّلحدار، ومعهما الخِلَع للعادل وأولاده، وكان في خِلْعة العادل الطَّوْق والسِّواران[1].

وفيها ملك الأوحد بن العادل مدينة خِلاط؛ كاتَبَه أهلُها بعد قَتْل ابن بَكْتَمُر صاحِبها، والهَزَار ديناري. وكان الهَزَار ديناري هو الذي قتل ابنَ بَكْتَمُر، وكان شاباً لم يبلغ عشرين سنة، ولم يكن فيها أحسن منه، وقيل: إنه غَرَّقه في بحر خِلاط، وكانت أخته بنت بكتمر مع صاحب أَرْزن الرُّوم، فقالت: لا أرضى حتى تقتل الهَزَار ديناري، وتأخذ بثأر أخي. فسار إلى خِلاط، وخَرَجَ الهَزَار ديناري للقائه، فَضَرَبه، فأبان رأسَهُ، وعاد إلى أَرْزَن الروم، وبقيت خلاط بغير ملك، وكان الأوحد هو صاحبُ مَيَّافارِقِين، فكاتبوه، فجاء إليهم، واستولى عليها، وكانوا جبابرة، وتشرَّطَ عليه المُقَدَّمون بها، فَشَرَعَ فيهم، فأبادهم، وغَرَّقهم في بحر خِلاط، وبدَّد شَمْلَهُم[2][3]. ٦١

(١) المصدر السالف.

(٢) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦٠٤ هـ).

(٣) في (ك) و(ع) و(س) زيادة: ذكر شيخنا ابن الأثير في «تاريخه» [١٢/٢٥٣ ـ ٢٥٥] أن بلبان مملوك شاه أرمن لما أخذ خلاط من ابن بكتمر قصد الأوحد موش ـ من أعمال خلاط ـ فأخذها وغيرها، ثم طمع في خلاط فقصدها، فهزمه بلبان، فرجع الأوحد إلى ميافارقين، وحشد وعاد إليه، فاستنجد بلبان بصاحب أرزن الروم، وهو مغيث الدين طغرل شاه بن قلج أرسلان، فانجده بنفسه، وهزما الأوحد، ثم غدر مغيث الدين ببلبان، فقتله طمعاً في البلاد، وسار إلى خلاط، فمنعه أهلها، فعاد عنها، فأرسلوا إلى الأوحد، فحضر إليهم، فسلَّموها إليه. =

وفيها حَجَّ بالنَّاسِ من الشَّام بدر الدين دُلْدُرم، فرحل من دمشق ثامن عشر شَوَّال، وصحبته الملك المحسن ابن صلاح الدين، وجاور في تلك السنة(١)، وودَّعهم [السلطان](٢) العادل إلى الكسوة، وحَجَّ معه تلك السنة شيخ(١) الشيوخ صدر الدين بن حَمُّويه وأولاده، وشبل الدَّوْلة الحُسَامي، وخَلْقٌ كثير، منهم أبو المظفر سِبْطُ ابنُ الجوزي، وهي أوَّلُ حجاته(٣)، وكانت الوقفة يوم الأربعاء، وعاد إلى العراق.

وحَجَّ بالنَّاسِ من العراق في هذه السنة والتي قبلها مجاهد الدين ياقوت.

وفيها توفي علاء الدين تنامش بن عبد الله(٤)، مملوك الخليفة النَّاصر، وكان شجاعاً، عاقلاً، صالحاً متصدقاً، رحوماً، رقيقَ القلب، لا يَقْرَبُ المُنْكِرَ ولا الفواحش، وكان يُطْعِمُ المسكين، ويكسو العاري، وكان الخليفةُ يحبُّه ويقرِّبه، والوزير ابنُ مهدي يَشْنأه لقُرْبه من الخليفة، وكان ابنُ مهدي قد ولَّى الدُّجَيْل ودقوقا رجلاً نَصْرانياً يقال له ابن ساوى، فتسلَّط على المسلمين، وفَتَكَ وظلم، وأهان المسلمين وأذلَّهم، وكان يركبُ مثل صاحب الدِّيوان، وجميع النَّاس مشاةٌ بين يديه. قالوا: وكان ابنُ ساوى يحمل مغلَّ البلاد إلى ابن مهدي، فيأخذ منها ما يريد، ويعطي الخليفة ما يريد، فأقطع الخليفة تنامش دقوقا والدُّجَيْل، فخرج إليهما، واطَّلَعَ على الأحوال، فخاف ابنُ مهدي. قالوا: فاتَّفق مع ابن ساوى على أَنْ يسمَّ تنامش، فمضى النَّصْراني إلى دقوقا، وتوصَّل إلى تنامش، ودَسَّ عليه مَنْ سقاه السُّمَّ، فمرض تنامش، وعاد إلى بغداد مريضاً،

= قلت: وانظر تعليقنا على الزيادة التي سلفت في نسخة (ب) برقم ٣ ص ٥٩ من هذا الجزء، فقد ذكرنا هناك أن هذه الزيادة ليست من أبي شامة بدلائل تغني عن إعادتها هنا.

(١ - ١) ما بينهما ليس في (س).

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ك) و(ع).

(٣) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦٠٤ هـ).

(٤) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٤ هـ)، والبداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٤ هـ).

فمات بعد أيام، فتقدَّم الخليفة بأن يفتح له جامع القَصْر، ولا يتخلَّف عن جِنازته أحدٌ من أرباب الدولة إلا الخليفة والوزير، وحُمِلَ إلى مشهد موسى بن جعفر، فَدُفِنَ هناك، وعلم الخليفة بباطنِ الحال، فأمر بأن يُسَلَّم ابنُ ساوى إلى غِلْمان تنامش، فكتب ابن المهدي إلى الخليفة يقول: إنَّ النصارى قد بذلوا في ابن ساوى خمسين ألف دينار ولا يقتل، فكتبَ الخليفة على رأس الورقة:

إنَّ الأسودَ أسودَ الغابِ هِمَّتُها يومَ الكريهةِ في المَسْلُوبِ لا السَّلَبِ

فسُلِّم ابن ساوى إلى مماليك علاء الدِّين، فأُخرج من دار الوزير، وفي رقبته حَبْلٌ، وهو مكتوفٌ، فقتلوه وأحرقوه، وكان لابنِ مهدي مملوكٌ عاقل يقال له آق سُنْقُر الدَّوادار، كان يطالع الخليفةَ بأخبار ابن مهدي، وأنه يكاتب الأعاجم، ويسعى في فساد الدولة، وعَلِمَ الوزير، فسقاه السُّمَّ، فمات في ربيع الآخر هو وعلاء الدين تنامش في أيامٍ قريبة، وقبضَ الخليفةُ على ابن مهدي في جُمادى.

وفيها في شهر رمضان توفي شَرَف الدِّين الناقد ابن قنبر، واسمه الحسن بن أبي طالب[1]، ولَّاه الخليفة حِجْبة الباب، وناب في الوزارة، ثم ولَّاه صاحبَ المخزن، فتجبَّرَ وطغى، وبنى بدرب المطبخ داراً تناهى في بنائها، فلم يكن ببغداد مِثْلُها، وشَرَعَ في الظُّلْم والفِسْق، وتجاهَرَ به، ومَدَّ عينه إلى أولاد الناس، وكان قبيحَ السِّيرة، فَرُفِعَ أمرُه إلى الخليفة، فأخذه أَخْذَ عزيزٍ مقتدر، وقبضَ عليه، واستأصله، ونَقَضَ داره إلى الأساس، وحبسه، فأُخرج في رمضان ميتاً، فدفن بمشهد باب التبن.

٦٢

وفيها توفي أبو علي، حَنْبل بن عبد الله بن الفرج بن سعادة[2]، المكبِّر بجامعِ الرُّصافة.

---

(١) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٤ هـ)، والتكملة للمنذري: ٢/١٤٢ ـ ١٤٣، تاريخ الإسلام (ت ١٧٣، وفيات سنة ٦٠٤ هـ).

(٢) له ترجمة في الكامل: ١٢/٢٧٨، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٤ هـ)، التكملة للمنذري: =

وكان فقيراً جداً، وكان قد سمع «المُسْنَد»[١] من ابن الحُصَيْن. فقيل له: لو سافرتَ إلى الشَّام. فخرج من بغداد، فأسمع «المسند» بإربل، فسمعه ابنُ زين الدين، وبالمَوْصِل وبدمشق، فسمعه عليه الملك المُعَظَّم عيسى بالكلَّاسة في جَمْعٍ كثير، وهو آخر مَنْ رواه عن ابنِ الحصين، فألحقَ الصِّغار بالكبار.

وكان كثير الأمراض بالتُّخَم؛ كان الملك المُعَظَّم يُطْعِمُهُ ألوانَ الطعام، وأشياء ما رآها ولا في المنام، وكان معوَّداً ببغداد أكل الهرطمان وتلك الألوان، وبلغني أنَّ الشيخ تاج الدين الكِنْدِي حَضَرَ يوماً عندهم في السَّماع، ولم يحضر حنبل، فقال تاج الدين: وأين حنبل؟ فقال المعظم: هو متخوم. فقال تاج الدين: أطعمه عدس. فَضَحِكَ المُعَظَّم والجماعة.

وكان عمر بن طَبَرْزد قد رافقه من بغداد إلى الشَّام، وحصَّلا مالاً طائلاً، وعادا إلى بغداد، فاشترى حنبل العَتَّابي والكاغد، وعَزَمَ على العَوْدِ إلى الشَّام في تجارةٍ، فأدركته المنيةُ رابع عشر مُحَرَّم سنة أربع وست مئة، وله تسعون سنة، وحُمِلَ المالُ إلى بيتِ المال، ولم يكن له وارث، ودُفِنَ بباب حَرْب. ومات ابنُ طَبَرْزَد في سنة سبع وست مئة، كما سيأتي[٢] إنْ شاءَ الله تعالى[٣].

= ٢/ ١٢٥ ـ ١٢٦، مشيخة فخر الدين بن البخاري: ٢٠ ـ ٤٤، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٤٣١ ـ ٤٣٣، تاريخ الإسلام (ت ١٧٤، وفيات سنة ٦٠٤ هـ)، العبر للذهبي: ٥/ ١٠، المختصر المحتاج إليه: ٢/ ٥٤، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٤ هـ)، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٩٥، شذرات الذهب: ٥/ ١٢.

(١) قال إبراهيم عفا الله عنه: من منن الله علي ـ وهي لا تحصى ـ أن شرفني بالمشاركة في تخريج أحاديث هذا المسند العظيم، والحكم عليها بما يليق بحالها من صحة أو حُسْن أو ضعف مع صديقي الأثير الشيخ محمد نعيم العرقسوسي ـ أمتع الله به ـ وكان القائم على العمل والمشرف عليه شيخنا العلامة شعيب الأرنؤوط ـ حفظه الله تعالى ـ وقد بذل في سبيل إخراجه جهداً كبيراً، فجزاه الله عن المسلمين خيراً، وصدر في خمسين مجلداً عن مؤسسة الرسالة في بيروت.

(٢) ص ٢١٢ من هذا الجزء.

(٣) في هامش الأصل: بلغ مقابلة.

وفيها في صفر توفي عبد الرحمن بن عيسى بن أبي الحسن، البُزُوري الواعظ[١]، من أهل باب البَصْرة.

ولد سنة تسعٍ وثلاثين وخمس مئة، وقرأ على الشَّيْخ أبي الفرج بن الجوزي الوَعْظَ، والفِقْه، والحديث، ثم حَدَّثَتْه نَفْسُه بمضاهاته حتى كنى نفسه أبا الفرج، واجتمع إليه سَفْساف أهلِ باب البصرة، وانقطع عن جدي، ولما جاء من واسط ما جاء إليه ولا زاره، وكان في عَشْرِ السبعين تزوَّج صبيَّةً، واغتسل في يومٍ بارد، فانتفخ ذَكَرُه ومات، سمع أبا الوقت، وغيره.

وفيها توفي عبد المجيب بن أبي القاسم عبد الله بن زهير[٢]، أبو محمد الحَرْبي، ابن أخي عبد المغيث الحَرْبي.

ولد سنة سبعٍ وعشرين وخمس مئة، وسمع الحديثَ الكثير، وكان يتردَّدُ من عند الخليفة إلى العادل في أمور خفية، فخرج في السنة الماضية، فاجتمع بالعادل، وعاد في هذه السنة، فتوفي بحماة، وكان صالحاً ثِقَةً.

وفيها توفي الأمير زين الدين قراجا الصَّلاحي[٣]، صاحب صَرْخَد، وداره بدمشق بالزَّلاقة بنواحي باب الصَّغير، وكان شجاعاً جواداً، توفي بدمشق، ودُفِنَ بجبل قاسيون، وقبره عند تُرْبة ابن تميرك في قُبَّةٍ على الجادَّة على يمين السَّالك شَرْقاً. كذا قال أبو المُظَفَّر.

---

(١) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٤ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ١٣٧، تاريخ الإسلام (ت ١٨٦، وفيات سنة ٦٠٤ هـ)، المختصر المحتاج إليه: ٢/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٤ هـ)، ذيل طبقات الحنابلة: ٢/ ٤١ ـ ٤٣، المنهج الأحمد: ٤/ ٧٥ ـ ٧٦، شذرات الذهب: ٥/ ١٣.

(٢) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٤ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ١٢٦ ـ ١٢٧، مشيخة ابن البخاري: ٢ ـ ١٠، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٤٧٢ ـ ٤٧٣، المختصر المحتاج إليه: ٣/ ٩٥ ـ ٩٦، العبر للذهبي: ٥/ ١٠، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٩٥، شذرات الذهب: ٥/ ١٢ ـ ١٣.

(٣) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٤ هـ)، مفرج الكروب: ٣/ ١٧٥، تاريخ الإسلام (ت٢٠٢، وفيات سنة ٦٠٤ هـ). وانظر «كتاب الروضتين»: ٤/ ٤٤٦ ـ ٤٤٧.

وقال العِزُّ بنُ تاج الأمناء: توفي بالمعسكر على بحيرةِ قَدَس[1] مرابطاً يوم السبت أول جُمادى الأولى، وحمل إلى دمشق في مِحَفَّةٍ، فدفن بالمقبرة العادلية من جبل قاسيون حالةَ وصولِهِ بُكْرة يوم الاثنين ثالث جُمادى الأولى المذكور، ورحَلَ ابنُه ناصر الدين يعقوب من قلعة صَرْخد إلى خدمة السُّلْطان العادل، وهو على قَدَس[2]، فأكرمه، وأنعمَ عليه بما كان بيد أبيه، ثم توفي في سنة أربع عشرة وست مئة، وعمره إحدى وعشرون سنة وثلاثة أشهر. ٦٣

وفيها توفي أبو الثَّناء محمود بن هبة الله بن أبي القاسم، الحِلِّي البَزَّاز[3].

قرأ القرآن على علي بن عساكر البطائحي، والأدبَ على أبي محمد بن الخَشَّاب، وسَمِعَ الحديثَ على أبي الوقت.

وحُكي عن إسماعيل بن موهوب بن الجواليقي قال: كنتُ في حَلْقة والدي أبي منصور مَوْهُوب يوم جُمُعةٍ بعد الصَّلاة بجامع القَصْر، والناس يقرؤون عليه، فوقف عليه شابٌ، فقال: يا سيدي ما معنى قول القائل؟:

وَصْلُ الحبيبِ جِنَانُ الخُلْدِ أَسْكُنُها ... وهَجْرُه النَّارُ يُصْلِيني به النَّارا

فالشَّمْسُ بالقَوْسِ أَضْحَتْ وَهْيَ نازِلَةٌ ... إن لم يَزُرْني وبالجوزاء إنْ زارا

فقال له والدي: يا بني، هذا شيء يتعلَّقُ بسير الشمس في البروج، وما يتعلَّق بعلم الأدب. ثم قام والدي، وآلى على نفسه ألا يعود إلى مكانه ذلك حتى يَنْظُرَ في علم النجوم، ويعرف تسيير الشمس والقمر، فنظر فيه وعلمه بحيث إذا سُئِلَ عن شيء منه أجاب. ومعنى الشِّعْر: أنَّ الشمسَ إذا نَزَلَتْ في القوس يكون اللَّيل في غايةِ الطول، وإذا كانت في الجوزاء كان اللَّيلُ في غاية القِصَر.

---

(١) هي قرب حمص، وتسمى اليوم بحيرة قطينة، انظر «معجم البلدان»: ١/ ٣٥٢، و«المعجم الجغرافي»: ٤/ ٥٨٤.

(٢) في (س): القدس، وهو تحريف شنيع!

(٣) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٤ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ١٣٠ ـ ١٣١، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٩٤ ـ ١٩٥.

وفيها في ربيع الأول توفيت سِتُّ الكَتَبة، واسمها نعمة[1] بنت علي بن يحيى بن محمد بن الطَّرَّاح، وكانت صالحةً زاهدةً عابدة، راويةً للحديث، روت كتاب «الشَّمائل» للتِّرْمِذِي عن أبي شجاع عمر بن أبي الحسن البِسْطامي، وعن جَدِّها أبي محمد يحيى بن محمد الطَّرَّاح، وغيرهما، ودفنت بباب الفراديس.

وفيها في تاسع شهر رمضان توفي عمي الشَّيخ أبو القاسم بن إبراهيم بن عُثْمان الخشَّاب، ودُفِنَ بالمقبرة التي بين الباب الشرقي وباب توما، رحمه الله.

وفيها في ذي القَعْدة توفي عبد العزيز الطَّبيب[2] فجأةً، وهو والد سَعْد الدين الطبيب الأشرفي[3]، وهو الذي عناه القائل ـ أظنه ابن عُنَيْن ـ بقوله:

فُرَادى ولا خَلْفَ الخطيبِ جماعةٌ ومـوتٌ ولا عَـبْـدُ الـعـزيـزِ طـبـيـبُ

وفي شعبان سارَ أولادُ صلاح الدين إلى حلب.

وفي ثاني رمضان تجدَّد هواء قويٌّ عقيب مَطَرٍ وثَلْج، بحيث رمى بعضَ رصاص الجامع على رجلين في صلاةِ الجمعة، فقتلهما.

وفي سابع عشر رمضان وَصَلَتْ رسلُ الخلافة: الشيخ شهاب الدين السُّهروردي، ونور الدين التُّرْكي الخليفتي، ولَبِسَ السُّلْطان العادل أبو بكر، وولداه المُعَظَّم، والأشرف، والوزير صفي الدين بن شُكْر، وأستاذ الدار شمس الدين إلْدُكز العادلي الخِلَع من القُصَيْر إلى القلعة، وكان دُلْدُرُم حاملاً التقليد على رأسه بين يدي السُّلْطان، ودخل جميعُهُمْ من باب الحديد عند أذان الظهر، وأنزلتِ الرسل بدار عز الدين فَرُّخْشاه، ورباط خاتون، وقرأ الوزير التقليد قائماً

(١) لها ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٤ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ١٣٠، مشيخة ابن البخاري: ٤٨٢ ـ ٥٠١، تاريخ الإسلام (ت ١٧٨، وفيات سنة ٦٠٤ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٤٣٤ ـ ٤٣٥، العبر للذهبي: ٥/ ١٠، المختصر المحتاج إليه: ٣/ ٢٦٢، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٩٥، شذرات الذهب: ٥/ ١٢.

(٢) له ترجمة في عيون الأنباء: ٦٧١. وقد أخطأ الصفدي في تعيينه في «الوافي بالوفيات»: ١٨/ ٥١٥.

(٣) سيأتي ذكره ص ٨٠ من الجزء الثاني في وفيات سنة ٦٤٤ هـ.

بمحضر من القُضَاة [وسراة][1] البلد بإيوان القَلْعة، ولم يَزَلِ السُّلْطانُ وأولادُه وجميع الحاضرين قياماً إلى أن فَرَغَ من قراءته. واتَّفَقَ حضورُ بهاء الدين بن شَدَّاد قاضي حلب رسولاً من الظَّاهر صاحبها، وعلى يده[2] ألفا دينار للنِّثار، فلم يأذن له العادل بنِثارها، وأمره بعد ذلك بحملها للرُّسُل، فحملت، ثم عادت رُسُلُ الخليفة إلى بغداد وصحبتها قاضي العسكر خليل الحنفي، وشمس الدين إلْدُكُز أستاذ الدار بهدايا سنية، وودَّعهم العادل إلى القُصَير.

وفي رجب ركَّبوا السَّاعات بالمئذنة الشَّمالية بالجامع، وشَرَعوا في عمارة البُرْج الذي في قبالة المدرسة القيمازية. ٦٤

وفي ثالث شوال ذكر القاضي شرف الدين عبد الله بن زين القضاة عبد الرحمن بن سُلْطان الدرسَ في مدرسة ابن رواحة.

وفي رابع وعشرين شَوَّال سار الشيخ فخرُ الدين ابن عساكر إلى القُدْس للإقامة بالمدرسة النَّاصرية.

وفي الخامس والعشرين منه اعتقل السَّلَّار بَهْرام وأولاده على العملة بالقَيْسارية، وهي العملة المعروفة بابن الدُّخَيْنة، واشْتَهَرَتْ في البلاد[3].

وفيها وَصَلَ الخبرُ إلى دمشق بحدوث زلازل بنواحي بلد خِلاط وريح، بحيثُ خُسِفَ بموضعٍ قد كان الأوحد بن العادل نازلاً به، ورحل عنه قبل ذلك بليلةٍ.

وفيها توفي العفيف بن الدَّرَجي[4] إمام مقصورة الحنفية الغربية بجامع دمشق.

---

(١) في النسخ الخطية بياض، والمثبت ما بين حاصرتين من المطبوع. وسراة البلد: سادتهم ورؤساؤهم.

(٢) انظر حاشيتنا رقم ٥ ص ٢٣٥ من هذا الجزء.

(٣) انظر ص ١٦٢ و٢٢٥ من هذا الجزء.

(٤) هو عبد الرحيم بن إبراهيم بن يحيى، له ترجمة في تاريخ الإسلام (ت ١٨٨، وفيات سنة ٦٠٤هـ)، والبداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٤ هـ).

ثم دخلتْ سنةُ خمس وست مئة

ففيها تكاملتْ دارُ الضِّيافة ببغداد بالجانب الغَرْبي للحُجَّاج الواردين من البلاد، ورتَّب لهم الخليفة فنون الأَطْعمة والزَّاد، وإذا عادوا من الحَجِّ فُرِّقَتْ فيهم الدنانير والثِّياب.

ووصل حاجُّ الشَّام دمشق في التَّاسع والعشرين من المحرَّم، وجاور الملك المحسن، وتوفي أخوه الأشرف بحلب[1].

وفي تاسع المحرَّم يوم الجمعة دَخَلَ عند الأذان في السَّحَر مملوكٌ أفرنجي ـ كان لفلك الدِّين سليمان، وكان سكران ـ إلى مقصورة الخطابة، وفي يده سيفٌ مشهور ـ والنَّاس مجتمعون لصلاة الصبح ـ ضَرَبَ به جماعةً، ومات منهم رجلان أو ثلاثة، ووقعت بعض الضَّرَبات في جانب المنبر، فأثَّرت فيه، وعُملت في ذلك أشعار كان يغنَّى بها في الأسواق، وسمعتُها وأنا صغير، أحفظ منها:

مقصورة الخطيبِ طَلَبْ والنَّاسُ ولَّوْا للهربْ
في جانبِ المنبرْ ضَرَبْ بالسَّيْف حتَّى انكسرْ

ثم قُبِضَ وترك بالبيمارَسْتان، وشُنِقَ بجسر اللَّبَّادين آخر النَّهار، ولم يكن على الجسر ذلك الزمان هذه العمارة، بل كان على حافته الشَّرْقية داربزين يُدَلَّى المشنوق فيه إلى الطريق المسلوكة بجيرون، فيراه النَّاس من الطَّريق كما يَرَوْن المارَّةَ بالجسر المذكور.

وفيها دخل الشَّيخ شهاب الدِّين السُّهْرَوَرْدِي إلى بغداد من الرِّسالة بالشَّام، ومعه شمس الدين إِلْدُكُز أُستاذ دار العادل، فتلقَّى الموكب إِلْدُكُز، وكان معه الهدايا والتُّحَف، وأُعرضَ عن الشيخ شهاب الدين، ونُقِمَ عليه حيث مَدَّ يده إلى الأموال بالشَّام، وحَضَرَ دعوات الأُمراء سامة وغيره، وقد كان قَبْلَ الرِّسالة زاهداً فقيراً، وأُخِذَ منه الرُّبُط التي كانت بيده، رباط الزَّوْزَني والمَرْزُبانية، ومُنِعَ

---

(١) سيكرر ذكر وفاته ص ٢٠١ من هذا الجزء.

من الوعظ، فقال: ما قَبِلْتُ هذه الأموال إلا لأفرقها في فقراء بغداد. وشَرَعَ يفرِّق المال والثِّياب في الزوايا والرُّبُط.

قال أبو المُظَفَّر: وكان من عادة خالي أبي محمد يوسف يجلس يوم السبت تحت تُرْبة أم الخليفة، والشِّهاب يجلس يوم الثلاثاء بباب بَدْر، فَمُنِعَ الشِّهابُ من الجلوس، وأمر خالي فجلس مكان الشهاب بباب بدر، فاتفق أَنْ حكى خالي حكاية ذاك الرجل[1] الذي نظر في الرحبة إلى شخص مُسْتَحْسن، فاسْوَدَّ بعضُ وجهه، فرأى في المنام قائلاً يقول: اذهب إلى بغداد إلى شيخك الجُنَيْد، فَسَلْه أن يستغفر لك. فنزل إلى بغداد، وطرق زاوية الجُنَيْد، فقال له الجنيد: تذنب بالرحبة وأستغفر لك ببغداد! فقال النَّاس: ما قصد إلا الشِّهاب. ومعناه: لو تركتَ هذه الأموال بالشَّام كان أصلح مِنْ أخذِها وتفرقتها ببغداد[2]. ٦٥

قال: والظاهر أنَّ خالي ما قَصَدَ نَكْتَ الشِّهاب، وإنما وَقَعَ ذلك على سبيل الاتفاق، وقد أغنى شهاب الدين خلقاً كثيراً من فقراء الشَّام والعراق، والأموال كلها للمسلمين، فقد صرفت إلى أرباب الاستحقاق[3].

قال: وكان الفخر بن تيمية قد حَجَّ في السنة الماضية، وكَتَبَ مظفَّر الدِّين بن زين الدين معه كتاباً إلى الخليفة بالوصية عليه، فلما عاد من مكَّة سأل الجلوسَ بباب بدر، فأُجيب إلى ذلك، وتُقدِّم إلى خالي بالحضور، فحضر وقعد على دكة المحتسب بباب بدر، ووعظ ابنُ تيمية، ومدَح الخليفة، وأنشد في أثناء كلامه:

وابنُ اللَّبونِ إذا ما لُزَّ في قَرَنٍ   لم يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ البُزْلِ القَنَاعِيْسِ[4]

---

(١) ذاك الرجل، ليس في (س).

(٢) هذا الخبر ليس في نسخ «مرآة الزمان»، فهو مما اختصره مختصره، انظر حاشيتنا رقم ١ ص ١٦٠ من هذا الجزء.

(٣) انظر تعليقنا السالف.

(٤) البيت لجرير، وهو في «ديوانه»: ١/١٢٨ (بشرح محمد بن حبيب).

فقال العوام: ما قصد إلا خالي ـ يعني أنَّ ابنَ تيمية كان شيخاً وخالي شاب[١].

قال: وخلع الخليفة على الشمس إِلْدُكُز أستاذ دار العادل، وعاد إلى الشَّام بالهدايا[٢].

وزُلْزِلَتْ نيسابور زَلْزلةً عظيمة، ودامت عشرة أيام، فمات تحتَ الهَدْمِ خَلْقٌ عظيم[٣].

وحجَّ بالنَّاس من العراق المجاهد ياقوت، ومن الشَّام حسام الدين قايماز والي القُدْس الشريف[٤].

قال العِزُّ بنُ تاج الأمناء: في عشية ثالث رجب جرى بين التاج الكِنْدي وابن دِحْية كلامٌ ومشاتمة عند الوزير.

قلتُ: حكى لي مِنْ حضر ذلك المجلس أنَّ الشيخ الحافظ أبا الخَطَّاب عمر ابن دِحْية لما عاد من رِحْلَته الخُرَاسانية قَصَدَ مجلسَ الوزير صفي الدين عبد الله بن علي المعروف بابن شُكْر وزير العادل، وكان الشيخ العلامة تاج الدِّين الكِنْدي جالساً إلى جنبه، فأُجلس ابنُ دِحْية إلى الجانب الآخر، فَشَرَعَ ابنُ دِحْية يورد حديث الشَّفاعة، فلما وَصَلَ إلى قول إبراهيم الخليل صلواتُ الله عليه وقوله: إنما كنتُ خليلاً من وراءَ وراءَ[٥]. لَفَظَ باللفظتين بفتح الهمزة فيهما، فقال الكندي: وراءُ وراءُ. ـ بالضم ـ فَعَزَّ ذلك على ابنِ دِحْية،

---

(١) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦٠٥ هـ).

(٢) المصدر السالف.

(٣) المصدر السالف.

(٤) المصدر السالف.

(٥) أخرجه مسلم (٣٢٩) (١٩٥) من حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما، وانظر «فتح الباري»: ١١/ ٤٣٤ ـ ٤٣٥.

وكان جريًّا ذا أَنَفَةٍ من الرَّدِّ عليه، فقال للوزير: مَنْ ذا الشَّيْخ؟ فقال له: هذا تاج الدِّين الكندي. فتسمَّجَ ابنُ دحية في حَقِّه بكلماتٍ، فلم يُسْمَع من الكندي إلا قوله: هو مِنَ كلبٍ فَنَبَح. وهذه توريةٌ حَسَنة بلفظ حُلْو، وذلك أَنَّ ابنَ دِحْية كان يَنْتَسبُ إلى بني كلب من العرب، وهي قبيلة دحية بن خليفة الصحابي رضي الله عنه، وفي صحة الانتساب إليه كلامٌ ونَظَر، فإنَّ جماعةً من العلماء المتقدِّمين قالوا: إنه لم يُعْقِب على ما ذكرناه في ترجمته في «تاريخ دمشق»، ووقع النَّاسُ في أبي الخَطَّاب بسبب ذلك، حتى قال بعضُهم:

دِحْيَةُ لم يُعْقِب فلا تَنْتَسِبْ إليه بالبُهْتانِ والإفْكِ

ما صَحَّ عندَ النَّاسِ شيءٌ سوى أنكَ مِنْ كَلْبٍ بلا شَكِّ

فأخذ الشَّاعر المعنى الذي أشار إليه الكندي بذلك اللفظ الوجيز، أما اللفظتان المتنازع فيهما، فرأيتُ في «أمالي أحمد بن يحيى ثعلب» جواز الأمرين فيهما، والجر أيضاً، وقد نظمتُ ذلك في الأرجوزة التي فيها ما في كتاب مُفَصَّل الزَّمَخْشَري وغيره من المسائل النَّحوية، وبالله التوفيق.

وفيها في ثالث شهر رمضان توفي عَمُّ جَدِّي عبدُ الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم بن محمد المقدسي، ويعرف بعبدان المعلِّم. كان معلِّماً في المكتب الذي بباب الجامع الشامي، قبالةَ خانقاه السُّمَيْساطي، وعَمِرَ طويلاً نحو تسعين سنة، ودُفِنَ بباب الفراديس.

ومات جدي الذي هو ابنُ أخيه قبله بزمان، قرأتُ بخط عمي أبي القاسم بن إبراهيم بن عثمان الخَشَّاب رحمه الله قال: توفي الشيخ الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن الفقيه الإمام عثمان بن أبي بكر المقدسي إلى رحمة الله تعالى في السابع والعشرين من شعبان سنة خمسٍ وسبعين وخمس مئة.

٦٦ قال: وتوفيت والدة أبي القاسم المذكور في ثاني شعبان سنةَ خمسٍ وثمانين وخمس مئة.

قلت: وهي جدتي أم أبي إسماعيل، فبينها وبين وفاة جدي شهرٌ واحد[١]؛ ودفنت بباب شرقي، ودفن جدي بباب الفراديس قبالة تربة الصَّفي بن القابض، بينهما الطريق، وعلى قبر عَمِّ جدي بلاطةٌ فيها اسمُهُ، وتاريخ وفاته.

وفيها توفي أبو العَبَّاس الخَضِر بن محمد بن علي الجَزَرِي[٢]، ولد بجزيرة ابن عمر في سنة خمس وعشرين وخمس مئة، وقدم بغداد، وله يدٌ في تعبير الرؤيا، وأنشد لنفسه:

أَنِسْتُ بِوَحْدَتي حتَّى لو انيِّ رأيتُ الإنسَ لاسْتَوْحَشْتُ منهُ

وما ظَفِرَتْ يدي بصديقِ صِدْقٍ أخافُ عليه إلَّا خِفْتُ مِنْهُ

وما تَرَكَ التَّجارِبُ لي حبيباً أميلُ إليه إلا مِلْتُ عنهُ

وفيها في شعبان توفي أبو الفَتْح[٣]، محمد بن أحمد بن بختيار، الواسطي، ويعرف بابن المَنْدَائي[٤].

ولد بواسط سنة سبع عشرة وخمس مئة، وولي أبوه قضاء الكوفة، فَحُمِلَ إليها وهو صغير، فَسَمِعَ بها الحديث، ثم قَدِمَ بغداد، فسمع من شيوخها، وتفقَّه على أبي منصور بن الرَّزَّاز، وعاد إلى واسط، فأقام بها يُسَمِّعُ الحديثَ والفِقْه حتى توفي بداره، ودُفِنَ بها.

---

(١) كذا في النسخ الخطية، وفي العبارة سقط، لعل صوابها: فبينها وبين وفاة جدي [عشر سنين، وماتا في] شهرٍ واحد، وما بين حاصرتين زيادة من عندنا، والله أعلم.

(٢) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٥ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ١٦٥، تاريخ الإسلام (ت ٢٣٢، وفيات سنة ٦٠٥ هـ)، والوافي بالوفيات: ١٣/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨.

(٣) ترجمته ليست في (س)، وقد سقطت من المطبوع كذلك.

(٤) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ٢٨٢، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٥ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ١٥٧ ـ ١٥٨، تاريخ الإسلام (ت ٢٦٢، وفيات سنة ٦٠٥ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٤٣٨ ـ ٤٣٩، معرفة القراء: ٣/ ١١٤٤ ـ ١١٤٥، العبر للذهبي: ٥/ ١٤، المختصر المحتاج إليه: ١/ ١٨، الوافي بالوفيات: ٢/ ١١٦، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٥ هـ)، غاية النهاية: ٢/ ٥٦، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٩٦، شذرات الذهب: ٥/ ١٧.

سمع بالكوفة من الشَّريف أبي البركات عمر بن إبراهيم النَّحْوي، شارح «لُمَع» ابن جني وغيره، وببغداد أبا القاسم بن الحُصَين، وابن الجواليقي، وابن السَّمَرْقَنْدِي، والبارع[١]، وغيرهم.

وولي قضاء واسط، وكان صالحاً، ثِقَةً، صدوقاً، وأنشد لغيره:

أراك إذا نـأيـت بـعـيـن قـلـبـي كـأنـك نُـصْـبَ عَـيْـنـي عـن قَـرِيْـبِ
لـئـنْ بَـعُـدَتْ مُـعَـايـنـة الـتَّـلاقـي فـمـا بَـعُـدَتْ مُـعَـايـنـةُ الـقُـلُـوب

وفيها توفي محمد بن بختيار بن عبد الله[٢]، أخو أُستاذ دار الخليفة، كان فاضلاً أديباً، أُنْشِدَ يوماً:

قَـسَـمـاً بـمَـنْ سَـكَـنَ الـفـؤادَ وإنَّـهُ قَـسَـمٌ بـهِ لـو تـعـلـمـون عَـظِـيْـمُ

فأجاب بديهاً[٣]:

إنـي بـهِ صَـبٌّ كـئـيـبٌ مُـذْنَـفٌ قَـلِـقُ الـفـؤادِ مُـوَلَّـهٌ مَـهْـمُـومُ
لا يـسـتـطـيـعُ مَـعَ الـتـنَّـائي سُـلْـوَةً حـتَّـى الـمـمـاتِ وإنَّـنـي لَـسَـلِـيْـمُ
فـتـعـطَّـفـوا بـالـوَصْـلِ بـعـدَ تـهـاجُـرٍ فـالـصَّـبْـرُ يَـنْـفَـدُ والـرَّجـاءُ مُـقِـيْـمُ

وفيها توفي الأمير سراسُنْقُر الصَّلاحي[٤] بحلب رابع عشر محرَّم، وهو أحدُ الأمراء المذكورين المجاهدين.

وفيها في ربيع الأول توفي الشيخ أبو الخير مصدّق بن شبيب بن الحسين النَّحْوي الصُّلْحي[٥]؛ من أهل فم الصُّلْح.

---

(١) هو أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الوهاب الدباس، المعروف بالبارع، توفي سنة (٥٢٤ هـ). انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٥٣٣ ـ ٥٣٦.

(٢) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٥ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ١٦٦ ـ ١٦٧، الوافي بالوفيات: ٢/ ٢٤٦.

(٣) قوله: فأجاب بديهاً، ليس في (س).

(٤) سلفت أخباره في «كتاب الروضتين»: ٤/ ١١٨، ٤٤٦، ٤٤٨، ٤٥٧.

(٥) له ترجمة في «معجم البلدان»: ٢/ ٤٨١، معجم الأدباء: ١٩/ ١٤٧ ـ ١٤٨، الكامل: ١٢/ ٢٨٢، =

ولد سنة خمس وثلاثين وخمس مئة، وصَحِبَ الشيخَ صَدَقَة الزَّاهد[1]، وقرأ عليه القرآن والنحو، وأقام برباط صدقة، وقرأ على ابن الخَشَّاب، وابن العَصَّار، والكمال الأنباري. وسمع الحديث من أبي الفَتْح ابن البَطِّي، ودُفِنَ مع الشيخ صدقة في ضريحه، وكان على طريقه في الزُّهْدِ والعبادة، منقطعاً عن النَّاس.

وفي ثاني شَوَّال[2] توفي الفصيح الواعظ[3] بدمشق[4].

وفي الرابع والعشرين من شوَّال وَصَلَ الخبرُ بأنَّ الشَّرَفَ الفلكيَّ[5] وُجِدَ مذبوحاً في فراشه، ذبحه غلامٌ له ليلةَ عيد الفِطْر بأخلاط. وكان قد وَزَرَ للملك الأوحد، وهو أخو الصفي الأسود، واسمه عبد المحسن بن إسماعيل بن

= إنباه الرواة: ٣/ ٢٧٤ـ٢٧٥، التكملة للمنذري: ٢/ ١٥١، تاريخ الإسلام (ت ٢٧٥، وفيات سنة ٦٠٥ هـ)، المختصر المحتاج إليه: ٣/ ٢٠٤، الوافي بالوفيات: ٢٥/ ٦٠٥ـ٦٠٦، بغية الوعاة: ٢/ ٢٨٧.

وهو من قرية دوَّران، وهي قرية من قرى فم الصلح، من سواد شرقي واسط، قاله المنذري في «التكملة».

(١) هو صدقة بن الحسين، أحد زهاد عصره، وقد توفي سنة (٥٥٧ هـ)، انظر ترجمته في «المنتظم»: ١٠/ ٢٠٤، ومرآة الزمان (وفيات سنة ٥٥٧ هـ) بتحقيقي، والوافي بالوفيات: ١٦/ ٢٩١ ـ ٢٩٢.

(٢) في (س) زيادة: وفي ليلة الخميس ثاني شوال المكرم. قلت: وهي نسخة لا يوثق بزياداتها.

(٣) له ترجمة في تاريخ الإسلام (ت ٢٦١، وفيات سنة ٦٠٥ هـ).

وقد ترجم المنذري في «التكملة»: ٤/ ٣١٨، والقرشي في «الجواهر المضية»: ٣/ ٥٣٢ لابنه نجم الدين، المتوفى سنة (٦١٥ هـ).

(٤) في هامش (ع) زيادة من قارئ بخط مغاير، هي: وهو أرسلان بن علي بن تمرلوا، الواعظ الحنفي، ودفن بباب الصغير على الطريق بالقرب من قبة ابن زين العابدين، واسمه على قبره. قلت: وقد أضاف ناسخا (ك) و(س) هذه الزيادة في المتن!

(٥) ترجم له الذهبي في «تاريخ الإسلام» نقلاً عن القوصي في وفيات سنة (٦٠٤ هـ)، ثم أعاد ترجمته (٢٤٣، وفيات سنة ٦٠٥ هـ)، وله ترجمة في الوافي بالوفيات: ١٩/ ١٤١.

محمود المحلي، وكان قد ناب بديوان دمشق عن الصَّاحب صفي الدين بن شُكْر في الدولة العادلية، ثم وَزَرَ لأخي العادل لأُمه فلكِ الدين، فَنُسِبَ إليه، ثم استقلَّ وزيراً بخِلاط للأوحد بن العادل إلى أَنْ قتله مملوكُهُ بها ليلةَ عيد الفِطْر سنة أربعٍ أو خمسٍ وست مئة، وحمله من خِلاط إلى دمشق صديقُهُ الرَّشيد عبد الله بن المُظَفَّر الصفوي، ودفنه بجبل قاسيون، وصُلِبَ قاتله على قبره، وعند صَلْبه بدَرَه الرَّشيد، فطعنَهُ بمُدْية في نحره.

وفي السَّابع والعشرين من ذي القَعْدة توفي الأمير المعروف بالجناح الكردي إبراهيم بن أحمد[١]، ودُفِنَ بالجبل، وخرج السُّلْطان في جِنَازته، وفي الغد عُمِلَ عزاؤه في الجامع، وحَضَرَ جميعُ الأمراء الأكراد بالجوخ ومناديل على رؤوسهم، وهو أخو المَشْطُوب[٢]؛ كبيرِ أمراء الأكراد.

وفي الخامس والعشرين من ذي الحِجَّة شُنِقَ فُضَيْل الخِلاطي الخَيَّاط لكونه قَتَلَ تاجراً قَزْوينيًّا، كان استشفع بالحشيشية[٣]، ثم أُنزل، وحُمِلَتْ جِنازته على الأصابع.

٦٧ **وفيها** وصل الخبر من حلب بموت الأشرف عزيز الدِّين محمد بن صلاح الدين[٤].

ومن القُدْسِ بوفاة الأمجد حسن بن العادل[٥]، وهو شقيق المُعَظَّم والعزيز.

---

(١) له ترجمة في تاريخ الإسلام (ت ٢٢٤، وفيات سنة ٦٠٥ هـ)، وقد سلفت أخباره في «كتاب الروضتين»: ٤/ ٢٥٩، ٣٢٣.

(٢) هو سيف الدين علي بن أحمد، من كبار أمراء صلاح الدين، وقد سلفت أخباره في «كتاب الروضتين»، وانظر «وفيات الأعيان»: ١/ ١٨٢ ـ ١٨٣.

(٣) في (ك) و(ع) و(س): يا أحشيشية، والمثبت من الأصل و(ب).

(٤) له ترجمة في كتاب الروضتين: ٢/ ٤٧٦، الوافي بالوفيات: ٥/ ٢٥١، شفاء القلوب: ٢٧٠، ترويح القلوب: ٧٣ . وسلف ذكره ص ١٩٤ من هذا الجزء.

(٥) له ترجمة في مفرج الكروب: ٣/ ٢٧٤، شفاء القلوب: ٣٢٦، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٧٢، ترويح القلوب: ٥٠.

ومن مِصْر بوفاةِ قاضيها صَدْر الدِّين عبد الملك بن دِرْباس الكُرْدي[١].

ومن الجزيرة بقتل صاحبها سِنْجرشاه بن غازي[٢] بن مودود بن زَنْكي بن آق سُنْقُر، قتله وَلَدُه الأكبر غازي، وكان سِنْجر شاه قد اطَّلعَ على سعي ولده هذا في دمه، فسجنه مُدَّة، وتسبب إلى أن خلص من السجن، واختفى بالقلعة عند بعض النِّساء، وأظهر أنه قد هرب، وندب واحداً من جهته يطوفُ البلاد متنكراً، ويظهر أنه هو، ففعل، ووفد على الأشرف، فأكرمه، ثم وَصَلَ إلى دمشق، وشاع خبره، فسكن سنجرشاه إلى ذلك، وكان متحرِّزاً، فلما أمكنتِ الولد الفُرْصة هجم عليه ليلاً، فقتله وشَهَرَ سيفه، وحلَّفَ الأمراء، فملك الجزيرة يوماً وليلة، فأوثقه مماليكُ والده، وأقاموا ولده الصَّغير محمود الملقب بالمُعَظَّم معز الدين، ثم قُتِلَ غازي.

وفيها غارتِ الفرنجُ، ووصلوا إلى باب تدمر من حِمْص بعد أن مَدُّوا على نهر العاصي جسراً من خشب كانوا صنعوا آلته ببلادهم، وحملوها معهم، وعبروا العاصي عليه، ثم رفعوه على جمالهم، وقصدوا حمص، فقصدتهم العساكر الإسلامية، فهربوا على طريق قَدَس، وحاز المسلمون أخشابهم وأثقالهم، ومن انقطع منهم.

(١) له ترجمة في التكملة للمنذري: ٢/ ١٥٦، كتاب الروضتين: ٢/ ١٨١، ٤/ ٤٥٦ ـ ٤٥٧، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٤٧٤ ـ ٤٧٥، العبر للذهبي: ٥/ ١٣، الوافي بالوفيات: ١٩/ ١٨٧، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٥ هـ)، السلوك ج١/ ق١/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٩٦، حسن المحاضرة: ١/ ٤٠٨، ٢/ ١٥٣ ـ ١٥٤.

(٢) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ٢٧٩ ـ ٢٨٢، التكملة للمنذري: ٢/ ١٤٧ (وذكر وفاته سنة ٦٠٤هـ)، مفرج الكروب: ٣/ ١٨٧ ـ ١٨٩، المختصر في أخبار البشر: ٣/ ١١١ ـ ١١٢، تاريخ الإسلام (ت ٢٣٥، وفيات سنة ٦٠٥ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٥٠٧، الوافي بالوفيات: ١٥/ ٤٧٢، شذرات الذهب: ٥/ ١٥.

ثم دخلت سنة ست وست مئة

ففيها نزلتِ الكُرْج على مدينة خِلاط في خَلْقٍ عظيمٍ مع ملكهم إيواني، فضايقها، وبها الأوحد بن العادل، فأشرفَ على أخذِها، وقال له منجِّمه يوماً: ما تبيتُ الليلة إلا في قلعة خِلاط. فشَربَ الخمر حتى ثَمِلَ، وركب في جيوشه، وقصد باب أَرْجِيْش[1]، فخرج إليه المسلمون، فقاتلوه، ورأوا ما لا قِبلَ لهم به، فبينا هُمْ كذلك عَثَرَ به حصانُهُ، فَقُتِلَ عليه جماعةٌ من خواصّه، وأُخذ أسيراً، فَحُمِلَ إلى القلعة، فما باتَ إلا بها، ورَحَلَ الكُرْج عن البلد، وفَرَّجَ الله عن أهله. ثم اتَّفقَ مع الأوحد على أنه يَرُدُّ ما فَتَحَ من بلاد المسلمين، ويُطْلِقُ الأُسارى ومئة ألف دينار، ويزوِّج ابنتَه للأوحد.

وقيل: إنما كانت وقعة إيواني بعد حصار سِنْجار في سنة سبعٍ وست مئة.

وفي ربيع الأول نزل العادلُ على سِنْجار بعساكر مِصْر والشَّام وحَلَب وديار بكر، ومعه أولادُه الأوحد وغيرُه، وأقام يَضْرِبها بالمجانيق إلى رمضان، ولم يبق إلا تسليمُها، فأرسل الملك الظاهر من حلب أخاه المؤيَّد يشفع في السَّناجرة ـ وصاحِبُها يومئذٍ قطبُ الدِّين محمدُ بنُ عماد الدِّين زَنْكي[2] بن مودود بن زنكي، وهم من بقية بيت زنكي[2] والد نور الدِّين محمود رحمه الله ـ فلم يُشَفِّعْهُ، ومات المؤيَّد في هذه السفرة، وكره المشارقة مجاورةَ العادل، فاتفقوا عليه مع صاحب إربل، وأرسل الخليفةُ ابنَ الضحَّاك أستاذ دار وأقباش النَّاصري يَشْفَعُ إلى العادل فيهم، فرحل بعد أن أخذ نَصِيبين والخابور، ونزل بحَرَّان، وفرَّق العساكر، وصالح المشارقةَ: صاحبَ إربل، والمَوْصِل، والجزيرة، وماردِين، وحلب.

---

(١) مدينة قرب خلاط. «معجم البلدان»: ١/ ١٤٤.

(٢ ـ ٢) ما بينهما ساقط من المطبوع.

وحج بالنَّاس من العراق ياقوت، ومن الشَّام فخر الدين إياس الشَّمَّامي.

وفيها توفي الملك المؤيَّد مسعود بن صلاح الدين[١] بمدينة رأس عين عند مُنْصَرَفِهِ من رسالة أخيه الظَّاهر إلى عمه العادل في أمر سِنْجار في النِّصْف من شعبان، وكان قد نام في بيتٍ مع ثلاثة، وعندهم منقل فيه نار، ولا منفذَ في البيت، فانعكسَ البخار، فأخذَ على أنفاسهم، فماتوا جميعاً، فَحُمِلَ المؤيَّد في مِحَفَّةٍ إلى حلب، فدفن بها.

وفيها توفي الملكُ المغيث فتح الدين عمر بن الملك العادل[٢] بدمشق، ودفن بسفح قاسيون بالتُّرْبة التي فيها أخوه المُعَظَّم[٣].

٦٨ وفيها توفي الفخر الرَّازي[٤] ابن خطيب الرَّي، صاحب الكلام والمنطق، واسمه محمدُ بنُ عمر بن حسين، وكنيته أبو المعالي.

---

(١) له ترجمة في كتاب الروضتين: ٢/ ٤٧٥ـ٤٧٦، مفرج الكروب: ٢/ ٤٢٤، ٣/ ١٩٨ـ١٩٩، تاريخ الإسلام (ت ٣٢٠، وفيات سنة ٦٠٦ هـ)، الوافي بالوفيات: ٢٥/ ٥١٧ـ٥١٨، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٦ هـ)، السلوك للمقريزي: ج١/ ق١/ ٢٠٥، شفاء القلوب: ٢٥١ـ٢٥٢، ترويح القلوب: ٧٣.

(٢) له ترجمة في مفرج الكروب: ٣/ ٢٧٣، شفاء القلوب: ٣٢٧، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٧٢، الدارس: ١/ ٥٨١، القلائد الجوهرية: ١/ ٢٢١، ترويح القلوب: ٥٠.

(٣) هي التربة المعظمية، انظر ص ١٧٣ من هذا الجزء.

(٤) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ٢٨٨، أخبار الحكماء للقفطي: ١٩٠ ـ ١٩٢، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٦ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ١٨٦ ـ ١٨٧، عيون الأنباء: ٤٦٢ ـ ٤٧٠، وفيات الأعيان: ٤/ ٢٤٨ ـ ٢٥٢، المختصر في أخبار البشر: ٣/ ١١٢، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٥٠٠ ـ ٥٠١، تاريخ الإسلام (ت ٣١١، وفيات سنة ٦٠٦ هـ)، ميزان الاعتدال: ٣/ ٣٤٠، العبر للذهبي: ٥/ ١٨ ـ ١٩، الوافي بالوفيات: ٤/ ٢٤٨ ـ ٢٥٩، طبقات الشافعية للسبكي: ٨/ ٨١ ـ ٩٦، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٦ هـ)، لسان الميزان: ٦/ ٣١٨ ـ ٣٢١، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٩٧ ـ ١٩٨، طبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٢١٣ ـ ٢١٧، شذرات الذهب: ٥/ ٢١ ـ ٢٢.

صنَّف التفسير، والمحصول، والمحصَّل، والأربعين، ونهاية العقول، وغيرها، واعتنى بكُتُبِ ابنِ سينا في المنطق، وشَرَحَها، وكان يعظ وينال من الكرَّامية، وينالون منه سَبّاً وتكفيراً. وقيل: إنهم وضعوا عليه من سقاه السُّمَّ، فمات، ففرحوا بموته، وكانوا يرمونه بالكبائر، وكانت وفاته في ذي الحِجَّة.

ولا كلام في فَضْله، وإنما الشَّناعات عليه قائمة بأشياء منها: أنه كان يقول: قال محمد التازي؛ يعني العربي، يريد النَّبيَّ ﷺ، وقال محمد الرَّازي يعني نفسه.

ومنها أنه كان يقرِّرُ في مسائل كثيرة مذاهب الخصوم وشُبَههم بأتمِّ عبارة، فإذا جاء إلى الأجوبة اقتنع بالإشارة.

وقد رأيتُ من أصحابه جماعةً قدموا علينا دمشق، وكلهم كان يُعَظِّمه تعظيماً كثيراً، ولا ينبغي أن يُسْمَعَ فيمن ثَبَتَتْ فضيلتُهُ كلامُ مُشَنِّعٍ لعلَّه صاحبُ غَرَضٍ من حَسَدٍ، أو مخالفةٍ في مذهبٍ أو عقيدة، رحمه الله تعالى.

وبلغني أنه خَلَّف من الذهب العين ثمانين ألف دينار خارجاً عما كان يملكه من الدوابِّ، والثِّياب، والعقار والآلات، وخلَّف ولدين أخذ كلُّ واحدٍ منهما أربعين ألف دينار، وكان ابنُه الأكبر قد تجنَّد في حياته، وخَدَمَ السُّلْطان محمد بن تُكُش.

وكان في زمانه القاضي الوحيد، كبيرَ القدر في الوعظ، يحضُرُ مجلِسَهُ الأكابر من الملوك، والأمراء، والرؤساء، وكان فخر الدين يتكلَّم فيه، فبلغه، فأتاه مُسَلِّماً، ووقفَ على رأسه، فرفع فخرُ الدِّين رأسه إليه، ولم ينهض له، وأنكر عليه مشافهةً ما كان[1] يقوله عليه في غيبته، فتبسَّمَ الوحيدُ، وقال: اطبخْ لك رزاً بلبن تأكله ينفع رأسك ومِزَاجك. ثم دعا بالقِدْر والنَّار، وجعل ينفخ

(١) في (ب): وشافهه بما كان يقوله.. وفي (ك) و(ع) و(س): مشافهة فما كان يقول، والمثبت من الأصل.

النَّار بنفسه ليطبخ ذلك بحضرة فخر الدين، ويتولَّى ذلك بنفسه على جلالة قدره، فقام فخرُ الدِّين، فوقع على رِجْليه، وبكى، وسمع سلطانُ البلد، فحضر، وأحضر الأطعمة، وآلات السماع، وجرى لهم يوم طَيِّب، وكان فخرُ الدِّين بعد ذلك يحضُرُ مجلسَ الوحيد، ويجلس قُبالةَ وجهه بين ذلك الجمع العظيم.

وفيها في سَلْخ ذي الحِجَّة توفي المجد بن الأثير الجَزَرِي الأصل[1]، المَوْصلي الدَّار، واسمه أبو السَّعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم، كاتبٌ، مصنِّف، صَدْرٌ كبير.

ولد سنةِ أربعين وخمس مئة بجزيرة ابنِ عمر، وانتقل إلى المَوْصل، ونشأ بها، وقرأ الأدب والحديث وفنون العلم، وقَدِمَ بغداد حاجّاً، وسَمِعَ بها الحديث، وعاد إلى المَوْصِل، وكَتَب لأمرائها. وكان أمراء الموصل يحترمونه، ويعظِّمونه، ويستشيرونه، وكان بمنزلة الوزير النَّاصح إلا أنه كان منقطعاً إلى العلم وجَمْعِهِ؛ صنَّف كُتُباً حِساناً، منها: «جامع الأصول»، و«النهاية في غريب الحديث»، و«شرح مسند الشَّافعي» رحمه الله.

وكان به نِقْرِس، فكان يُحْمَلُ في مِحَفَّة، وكان يسكن بدرب دراج بالمَوْصل، وبه دُفِنَ.

قرأ النَّحو على أبي محمد بن الدَّهَّان؛ ثُمَّ على أبي الحَرَم الضَّرير مكي بن

(١) له ترجمة في معجم الأدباء: ١٧/ ٧١ ـ ٧٢، الكامل: ١٢/ ٢٨٨، إنباه الرواة: ٣/ ٢٥٧ ـ ٢٦٠، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٦ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ١٩١ ـ ١٩٢، وفيات الأعيان: ٤/ ١٤١ ـ ١٤٣، المختصر في أخبار البشر: ٣/ ١١٢ ـ ١١٣، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٤٨٨ ـ ٤٩١، تاريخ الإسلام (ت ٣١٤، وفيات سنة ٦٠٦ هـ)، العبر للذهبي: ٥/ ١٩، المختصر المحتاج إليه: ٣/ ١٧٥ ـ ١٧٦، الوافي بالوفيات: ٢٥/ ٨٤ ـ ٨٨، طبقات الشافعية للسبكي: ٨/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٦ هـ)، طبقات ابن قاضي شهبة: ٢/ ٦٠، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٩٨ ـ ١٩٩، بغية الوعاة: ٢/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥، شذرات الذهب: ٥/ ٢٢ ـ ٢٣، وفي بعض المصادر ولادته سنة (٥٤٤ هـ).

رَيَّان، وسمع الحديث من أبي بكر بن سَعْدون القرطبي، وأبي الفَضْل عبد الله بن الطُّوسي، وسمع ببغداد أبا الفرج بن كُلَيْب، وغيره.

روى الحديثَ، وانتفع به النَّاس، وكان عاقلاً بهيّاً، ذا برٍّ وإحسان، وكان له أَخَوان فاضلان: ضياءُ الدين ابن الأثير الكاتب الذي كان وزيرَ الأفضل بن صلاح الدين؛ صاحب كتاب «المَثَل السَّائر» وغيره، وعِزُّ الدين عليُّ بنُ الأثير ٦٩ صاحب «التاريخ» وغيره. قَدِمَ علينا دمشق[1]، وأسمع بها بالجامع، ودار الحديث النُّورية، رحمهم الله.

وفيها في ذي الحِجَّة أيضاً توفي ببغداد، أبو علي، يحيى بن الرَّبيع بن سليمان الواسطي[2]، مدرِّس النِّظامية، ولقبه مجد الدين.

ولد بواسط سنة ثمانٍ وعشرين وخمس مئة، وقرأ القرآن على جَدِّه سليمان، وتفقَّه على أبيه، ورحل إلى نيسابور صحبة أبي القاسم بن فَضْلان، وعاد إلى بغداد، وتولَّى تدريس النِّظامية، وكان عارفاً بالتفسير، والمذهب، والأُصولين، والخِلاف، وصنَّفَ تفسيراً في أربع مجلَّدات، وبعثه الخليفةُ في رسالة إلى خُرَاسان.

سَمِعَ أبا الوقت وطبقَتَه، وكان ثِقَةً، ديناً، صَدُوقاً، ودُفِنَ إلى جانب ابن فَضْلان، رحمه الله تعالى.

---

(١) قدم ابن الأثير دمشق في سنة (٥٩٠هـ) وسنة (٦٢٧هـ)، انظر «الكامل»: ١٢/ ١٠٩، و«وفيات الأعيان»: ٣/ ٣٤٩.

(٢) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ١٧٨، ٢٨٨، التكملة للمنذري: ٢/ ١٨٩ ـ ١٩٠، تاريخ الإسلام (ت ٣٢٦، وفيات سنة ٦٠٦ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٤٨٦ ـ ٤٨٧، معرفة القراء الكبار: ٣/ ١١٦٢، العبر للذهبي: ٥/ ٢٠، المختصر المحتاج إليه: ٣/ ٢٤٠ ـ ٢٤١، طبقات الشافعية للسبكي: ٨/ ٣٩٣ ـ ٣٩٥، طبقات الشافعية للإسنوي: ٢/ ٥٤٨ ـ ٥٤٩، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٦ هـ)، غاية النهاية: ٢/ ٣٧٠، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٩٩، طبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٣٦٤ ـ ٣٦٦، شذرات الذهب: ٥/ ٢٣ ـ ٢٤.

وفيها توفي الحسن[(١)] بن أحمد[(٢)] بن حِكِّينا[(٣)]، من أهل الحريم الطَّاهري، كان فاضلاً، ومن شِعْره:

قد بانَ لي عُذْرُ الكرامِ فَصَدُّهُمْ عن أكثر الشُّعراءِ ليس بعارِ
لم يسأموا بَذْلَ النَّوالِ وإنَّما جَمَدَ النَّدى لبرودَةِ الأَشْعارِ

وفيها توفي شمس الدين بن البَعْلَبكي، والد المجد، وكان قاضي الفتيان بدمشق في العشرين من صفر، وهو الذي بُعِثَ إلى مصر ليشدَّ الكامل فتوةً للخليفة لمَّا جاءَ مِنْ بغداد الأمرُ بذلك.

وفيها توفي شمس الدين سلام بن سلام، والد إسماعيل وإسحاق الشَّاهد بدمشق حادي عشر ربيع الآخر.

ثم دخلتْ سنةُ سبعٍ وستٍّ مئة

فوصل الحجاج إلى دمشق صُحْبة ابنِ محارب ثاني صَفَر.

---

(١) وهم أبو شامة في ذكره في وفيات هذه السنة (٦٠٦ هـ)، متابعاً في ذلك سبط ابن الجوزي في «مرآة الزمان»، وكان السبط قد اضطرب في تاريخ وفاته، فقد ذكره كذلك في وفيات سنة (٥٠٥ هـ)، والصواب أنه توفي سنة (٥٢٨ هـ)، فيما ذكر أكثر من ترجم له، وتردد العماد في «شذرات الذهب»: ٤/ ٨٨ بين سنة (٥٢٨ هـ)، و(٥٢٩ هـ).

(٢) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ١/ ٢٣٠ ـ ٢٤٨، المختصر المحتاج إليه: ١/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: ٢٠٨ ـ ٢١٠، الوافي بالوفيات: ١١/ ٣٨٧ ـ ٣٩١، فوات الوفيات: ١/ ٣١٩ ـ ٣٢١، شذرات الذهب: ٦/ ١٩٧، ووهم ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة: ٦/ ١٩٧ فترجم له في وفيات سنة (٦٠٦ هـ)، متابعاً كذلك سبط ابن الجوزي.

(٣) اختلفت مصادر ترجمته في رسم اسمه بين جكينا ـ بالجيم أو بالحاء المهملة ـ فقد قيده ابن خلكان بالجيم فيما ذكره د. إحسان عباس في تعليقه على «وفيات الأعيان»: ٧/ ٢٢٤، وقيده الزبيدي في مستدركاته في «تاج العروس» (حكن) ـ بالحاء المهملة، وقال: حكينا: بكسرتين مشددة الكاف، لقب، وابن حكِّينا شاعر معروف. وإلى هذا الرسم مال العلامة محمد بهجة الأثري في تعليقه على «الخريدة».

وفيها توفي الحسن[١] بن أحمد[٢] بن حِكِّينا[٣]، من أهل الحريم الطَّاهري، كان فاضلاً، ومن شِعْره:

قد بانَ لي عُذْرُ الكرامِ فَصَدُّهُمْ ... عن أكثر الشُّعراءِ ليس بعارِ
لم يسأموا بَذْلَ النَّوالِ وإنَّما ... جَمَدَ النَّدى لبرودَةِ الأشْعارِ

وفيها توفي شمس الدين بن البَعْلَبكي، والد المجد، وكان قاضي الفتيان بدمشق في العشرين من صفر، وهو الذي بُعِثَ إلى مصر ليشدَّ الكامل فتوةً للخليفة لمَّا جاءَ مِنْ بغداد الأمرُ بذلك.

وفيها توفي شمس الدين سلام بن سلام، والد إسماعيل وإسحاق الشَّاهد بدمشق حادي عشر ربيع الآخر.

ثم دخلتْ سنةُ سبعٍ وستٍّ مئة

فوصل الحجاج إلى دمشق صُحْبة ابنِ محارب ثاني صَفَر.

---

(١) وهم أبو شامة في ذكره في وفيات هذه السنة (٦٠٦ هـ)، متابعاً في ذلك سبط ابن الجوزي في «مرآة الزمان»، وكان السبط قد اضطرب في تاريخ وفاته، فقد ذكره كذلك في وفيات سنة (٥٠٥ هـ)، والصواب أنه توفي سنة (٥٢٨ هـ)، فيما ذكر أكثر من ترجم له، وتردد العماد في «شذرات الذهب»: ٤/ ٨٨ بين سنة (٥٢٨ هـ)، و(٥٢٩ هـ).

(٢) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ١/ ٢٣٠ ـ ٢٤٨، المختصر المحتاج إليه: ١/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: ٢٠٨ ـ ٢١٠، الوافي بالوفيات: ١١/ ٣٨٧ ـ ٣٩١، فوات الوفيات: ١/ ٣١٩ ـ ٣٢١، شذرات الذهب: ٦/ ١٩٧، ووهم ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة: ٦/ ١٩٧ فترجم له في وفيات سنة (٦٠٦ هـ)، متابعاً كذلك سبط ابن الجوزي.

(٣) اختلفت مصادر ترجمته في رسم اسمه بين جكينا ـ بالجيم أو بالحاء المهملة ـ فقد قيده ابن خلكان بالجيم فيما ذكره د. إحسان عباس في تعليقه على «وفيات الأعيان»: ٧/ ٢٢٤، وقيده الزبيدي في مستدركاته في «تاج العروس» (حكن) ـ بالحاء المهملة، وقال: حكينا: بكسرتين مشددة الكاف، لقب، وابن حكِّينا شاعر معروف. وإلى هذا الرسم مال العلامة محمد بهجة الأثري في تعليقه على «الخريدة».

وفيها أظهر الخليفةُ الإجازةَ التي أُخذت له من الشيوخ، وذكرهم في كتاب «روح العارفين»، ودفع إلى أهل كلِّ مذهب إجازةً عليها مكتوباً بخطِّه: أَجَزْنا لهم ما سألوا على شَرْط الإجازة الصَّحيحة، وكتب العبدُ الفقير إلى الله تعالى أبو العباس أحمد أمير المؤمنين. وسُلِّمَتْ إجازةُ أصحابِ الشَّافعي إلى ضياء الدِّين عبد الوهَّاب ابنِ سُكَيْنة، وإجازة أصحاب أبي حنيفة إلى الضِّياء أحمد بن مسعود التركستاني، وإجازة أصحاب أحمد إلى أبي صالح نصر بن عبد الرَّزَّاق بن الشيخ عبد القادر، وإجازة أصحاب مالك إلى التَّقي علي بن جابر التَّاجر المغربي.

قال أبو المظفر سِبْط بن الجوزي: وفيها خرجتُ من دمشق إلى نابُلُس بنية الغَزَاة، وكان الملك المُعَظَّم عيسى رحمه الله بها، جلستُ بجامع دمشق يوم السبت خامس ربيع الأول، وكان النَّاسُ من باب المشهد الذي لزين العابدين إلى باب النَّاطفانيين، وإلى باب السَّاعات[١]، وكان القيام في الصَّحْن أكثر؛ بحيثُ امتلأ جامع دمشق، وحزروا بثلاثين ألفاً، وكان يوماً لم يُرَ بدمشق مثله ولا بغيرها، وكان قد اجتمع عندي شعورٌ كثيرة، يعني التي كان يقطعها من رؤوس التائبين[٢].

قال: وقد وقفتُ على حكاية أبي قُدَامة الشَّامي مع تلك المرأة التي قَطَعَتْ شَعْرَها، وبعثَتْ به إليه، وقالت: اجعله قيداً لفرسك في سبيل الله. قال: فعملتُ من الشعور التي اجتمعتْ عندي شُكُلاً لخيل المجاهدين وكرفسارات[٣]، ولما صَعِدْتُ المنبر أمرتُ بإحضارها، فحُملت على أعناق

---

(١) باب الناطفانيين: هو الباب الشمالي للجامع، وباب السَّاعات: هو باب جيرون، وهو الباب الشرقي للجامع، انظر «رحلة ابن جبير»: ٣٣٨ ـ ٣٣٩.

(٢) انظر حاشيتنا رقم (١) ص ١٦٢ من هذا الجزء.

(٣) الشُكُلُ جمع، مفردها الشِّكال: العِقال. «اللسان» (شكل). وكرفسارات: بمعنى رسن الدابة، وهي كلمة فارسية، انظر «المعجم الذهبي»: ٤٣٤.

الرجال، وكانت ثلاثة مئة شِكال، فلما رآها النَّاسُ صاحوا صيحةً عظيمة، وقطعوا مِثْلَها، وقامتِ القيامة. وكان المبارز المعتمد إبراهيم رحمه الله، والي دمشق حاضراً، فقام وجَمَعَ الأعيان، فلما نزلتُ من المنبر قام المبارز يُطَرِّقُ لي، ويمشي بين يدي إلى باب الناطفانيين، فيقدم لي فرسي، فأمسك بركابي، وأركبني، وخَرَجْنا من باب الفَرَج إلى المصلَّى، وجميع مَنْ كان بالجامع بين يدي، وسرنا من الغد إلى الكُسْوة، ومعنا خَلْقٌ مثل التراب، وكان معنا من قريةٍ واحدة يقال لها زَمْلكا نحو من ثلاث مئة رجل بالعُدَد والسِّلاح، وأما من غيرِهم فَخَلْقٌ كثير، والكل خرجوا احتساباً، وجئنا إلى عقبة فيق، والطير لا تقدر تطير من خوف الفرنج، فسرنا على الجادَّة إلى نابُلُس، ووصلتْ أخبارُنا إلى عكا، وخرج المُعَظَّم فالتقانا، وسُرَّ بنا، وجلستُ بجامع نابُلُس، وحضر وأحضرنا الشعور، فأخذها، وجعلها على وجهه، وجعل يبكي، وكان يوماً عظيماً. ٧٠

قال: ولم أكن اجتمعتُ به قبل ذلك اليوم، وخدَمَنا وأكرَمَنا، وخَرَجْنا إلى نحو بلاد الفرنج، فأخْرَبنا وهَدَمْنا، وقطعنا أشجارهم، وأسرنا جماعةً، وقتل جماعة، ولم يتجاسروا أن يخرجوا من عكا، فأقمنا أياماً، ثم عُدْنا سالمين غانمين إلى الطور المطل على النَّاصرة، والمُعَظَّم معنا، فقال: أريدُ أن أبني عليه قلعةً، وطلب أخاه الملكَ الأشرفَ وعساكرَ الشَّرْقِ وحلب، وشَرَعَ في عمارة الطور، وأقام العسكر تحته من ذي الحِجَّة هذه السنة إلى آخر سنة ثمانٍ وست مئة، فكمل سوره ودار واستوى، وخاف الفرنج، فأرسلوا إلى العادل، فصالحهم، وأعطى العساكر دستوراً، فتفرَّقوا، وأقام المُعَظَّم يعمر الطور إلى قبيل وفاة العادل، فلا يُحصى ما غَرِمَ عليه[1].

وحج بالنَّاسِ من الشَّام سيف الدين علي بن عَلَم الدين سليمان بن جَنْدَر، وكان قَدِمَ من حلب لذلك، واحتفل النَّاس له.

---

(١) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦٠٧ هـ).

وفيها توفي صاحبُ المَوْصِل نور الدين أرسلان[1] بن عِزِّ الدين مسعود بن قُطْب الدين مودود بن زَنْكي في رجب، وقيل في صَفَر.

قال أبو المُظَفَّر: وكان متكبراً، جباراً، بخيلاً، فاتكاً، سفَّاكاً للدماء؛ حبس أخاه علاء الدين، فمات في حبسه، وولَّى المَوْصِل رجلاً ظالماً يقال له السَّرَّاج، فأهلك الحَرْثَ والنَّسْل[2].

وفيها توفي أبو محمد، عبد الوهَّاب بن علي بن علي الصُّوفي، المعروف بابن سُكَيْنة، ولقبه ضياء الدين[3].

ولد سنة تسع عشرة وخمس مئة، وقرأ القرآن على الشيخ أبي محمد المقرئ شيخ تاج الدين الكِنْدي، وسَمِعَ الحديثَ الكثير، وكان صديق أبي الفرج بن

---

(١) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ٢٩١ ـ ٢٩٤، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٧ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٢١٠، بغية الطلب: ٣/ ١٣٤٥ ـ ١٣٤٧، وفيات الأعيان: ١/ ١٩٣ ـ ١٩٤، مفرج الكروب: ٣/ ٢٠٢ ـ ٢٠٥، المختصر في أخبار البشر: ٣/ ١١٣، تاريخ الإسلام (ت ٣٣٢، وفيات سنة ٦٠٧ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٤٩٦ ـ ٤٩٧، العبر للذهبي: ٥/ ٢١، الوافي بالوفيات: ٨/ ٣٤١، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٧ هـ)، السلوك للمقريزي: ج١/ ق١/ ٢٠٥، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٠٠، شذرات الذهب: ٥/ ٢٤.

(٢) «مرآة الزمان» (وفيات سنة ٦٠٧ هـ).

(٣) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ٢٩٥، ذيل تاريخ بغداد: ١/ ٣٥٤ ـ ٣٦٨، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٧ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٢٠١ ـ ٢٠٢، تاريخ الإسلام (ت ٣٥٥، وفيات سنة ٦٠٧ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٥٠٢ ـ ٥٠٥، معرفة القراء الكبار: ٣/ ١١٣١ ـ ١١٣٤، العبر للذهبي: ٥/ ٢٣ ـ ٢٤، المختصر المحتاج إليه: ٣/ ٥٨ ـ ٥٩، الوافي بالوفيات: ١٩/ ٣٠٩ ـ ٣١١ (وفيه وفاته سنة ٦٠٩ هـ، وهو خطأ)، طبقات الشافعية للسبكي: ٨/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥، طبقات الشافعية للإسنوي: ٢/ ٦٠ ـ ٦١، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٧ هـ)، غاية النهاية: ١/ ٤٨٠، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: ٢/ ٧٣ ـ ٧٥، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٠١، شذرات الذهب: ٥/ ٢٥ ـ ٢٦.

وكناه سبط ابن الجوزي في «المرآة» أبا محمد، وتابعه أبو شامة وابن كثير، وابن تغري بردي، أما في بقية المصادر فكنيته أبو أحمد.

الجوزي، ملازماً لمجالسه ويزوره، وسأله أبو الفرج لما عاد من واسط أَنْ يُلْبِسَ ابنه يوسف خِرْقة التصوُّف، فألبسه إياها بقَطُفْتا، وكانت وفاته في ربيع الآخر، وقد قارب تسعين سنة، وصُلِّي عليه بجامع القَصْر، وكان يوماً مشهوداً، حضره أربابُ الدولة، ودُفِنَ عند باب جامع القَصْر إلى جانب رباط الزَّوْزني.

وذكره محمد بن الدَّبيثي في «ذيله»، وقال: هو سِبْطُ شيخ الشُّيوخ أبي البركات إسماعيل بن أحمد النَّيْسابوري، رافق أبا سَعْد ابن السَّمْعاني ببغداد، وسمع من قاضي المارَسْتان، وابن الحُصَيْن، وأبي غالب محمد بن الحسن الماوردي، وأبي البركات الأنماطي، وجدِّه لأُمه شيخ الشيوخ إسماعيل، وزاهر بن طاهر الشَّحَّامي، وأبي الفَتْح الكَرُوخي، وأبي الوقت، وغيرهم، وحدَّثَ ببغداد، والشَّام، ومِصْر، ومكة، والمدينة، وغيرِها، وكان من الأبدال[(١)].

وفيها توفي ببغداد أبو حفص، عمر بن محمد بن المعمر بن يحيى، المعروف بابنِ طَبَرْزَد الدَّارَقَزِّي[(٢)].

قال أبو المظفر: ولد في ذي الحِجَّة سنة [خمس عشرة] وخمس مئة[(٣)]، وسمع حديثاً كثيراً من أبي غالب بن البناء، وأبي الحسن بن الزَّاغوني، وأبوي

---

(١) انظر «المختصر المحتاج إليه»: ٣/ ٥٨ ـ ٥٩.

(٢) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ٢٩٥، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٧ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨، وفيات الأعيان: ٣/ ٤٥٢ ـ ٤٥٣، مشيخة ابن البخاري: ٧٢ ـ ١١٢، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٥٠٧ ـ ٥١٢، تاريخ الإسلام (ت ٣٥٨، وفيات سنة ٦٠٧ هـ)، ميزان الاعتدال: ٣/ ٢٢٣، العبر للذهبي: ٥/ ٢٤، المختصر المحتاج إليه: ٣/ ١٠٦ ـ ١٠٧، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: ٣٦٨ ـ ٣٧٠، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٧ هـ)، لسان الميزان: ٦/ ١٤٢ ـ ١٤٣، شذرات الذهب: ٥/ ٢٦.

(٣) في النسخ الخطية: سنة عشر وخمس مئة، وما بين حاصرتين من «مرآة الزمان»، والصحيح في ولادته أنها في ذي الحجة سنة ست عشرة وخمس مئة.

القاسم ابن الحُصَيْن، وابن السَّمَرْقَنْدِي، وقاضي المارَسْتان، وأبي الوقت وغيرهم، وكان معلِّماً للصبيان بدار القَزّ ببغداد، وكان خليعاً ماجناً، وسافر مع حَنْبل إلى الشَّام، [وحَصَلَ له مالٌ بسبب الحديث، وعاد مع حنبل إلى بغداد][١]، فأقام حنبل يعمل له تجارة، فتوفي في سنة ثلاثٍ وست مئة، فسلك طريق حنبل في استعمال الكاغَد والعَتَّابي، فمرِضَ مُدَّة، ثم توفي، ودُفِنَ بباب ٧١ حَرْب، ولم يكن له وراثٌ، فرجع المال إلى بيت المال[٢][٣].

وفيها توفي الشيخ، أبو عمر[٤]، شيخ الصَّالحية والمقادسة، الزاهد العابد، واسمه محمد بن أحمد بن محمد بن قُدَامة، أخو الشَّيخ المُوَفَّق.

(١) ما بين حاصرتين ليس في الأصل، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٧ هـ).

(٣) في (ك) و(ع) و(س) والمطبوع زيادة من قارئ، وهي: وجدت بخط الحافظ عبد العظيم المنذري أن الشيخ أبا عمر المذكور توفي يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من ربيع الأول من السنة ـ رحمهما الله تعالى ـ ودفن بجبل قاسيون.
وفي (ب): وجدت بخط، ثم ضرب عليهما ناسخها، والدليل على أنها ليست من كلام أبي شامة إيرادها قبل ترجمة أبي عمر، مما يدل على أنها كانت في الهامش، وأضافها الناسخ إلى المتن، ولم يختر لها المكان المناسب!
ثم إن هذا القارئ قد كتب حاشية مماثلة لهذه نقلاً عن المنذري، وضمَّنها ردَّه على أبي شامة، وذلك ص ٣٣٤ من هذا الجزء.
وقد تنبه لهذه الزيادة العلامة مصطفى جواد في نقده للمطبوع في «مجلة مجمع اللغة العربية»: مجلد ٢٣/ ٦٢٦، وانظر تعليقه كذلك في «المختصر المحتاج إليه»: ٣/ ١٠٦، حاشية رقم (٥).

(٤) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٧ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣، مشيخة ابن البخاري: ٥٢ ـ ٥٨، تاريخ الإسلام (ت ٣٦١، وفيات سنة ٦٠٧ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ٥ ـ ٩، العبر للذهبي: ٥/ ٢٥، الوافي بالوفيات: ٢/ ١١٦، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٧ هـ)، ذيل طبقات الحنابلة: ٢/ ٥٢ ـ ٦١، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٠١ ـ ٢٠٢، المقصد الأرشد: ٢/ ٣٤٦، الدارس: ٢/ ٤٣٧، المنهج الأحمد: ٤/ ٨٣ ـ ٩١، القلائد الجوهرية: ١/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠، شذرات الذهب: ٥/ ٢٧ ـ ٣٠.
ولابن أُخته المحدث الشيخ ضياء الدين المقدسي جزء في سيرته ومناقبه في المكتبة الظاهرية بدمشق (ضمن مجموع ٨٣، الورقة ٣٩ ـ ٤٣).

ولد سنة ثمانٍ وعشرين وخمس مئة بقرية السَّاويا من أعمال نابُلُس، وقيل بجَمَّاعيل.

قال أبو المظفر: حدَّثني أبو عمر، قال: هاجَرْنا من بلادنا، فنزلنا بمسجد أبي صالح[1] بباب شَرْقي، فأقمنا به مُدَّة، ثم انتقلنا إلى الجبل، فقال النَّاس: الصَّالحية. الصَّالحية، نسبونا إلى مسجد أبي صالح لا أننا صالحون[2].

قال: ولم يكن بالجبل عِمَارة إلا ديرُ الحوراني، وأماكنُ يسيرة[3].

قال أبو المُظَفَّر: وكان معتدلَ القامة، حسنَ الوجه، عليه أنوارُ العِبادة، لا يزال مُبْتسماً، نحيلَ الجسم من كثرة الصِّيام والقيام، قرأ القرآن العظيم بحرف أبي عمرو، وحفظ مختصر الخِرَقي في الفِقْه، وقرأ النحو على ابن بَرِّي بمصر، وسمع الحديثَ بدمشق ومِصْر.

واشتغل بالعبادة عن الرِّواية، وكَتَبَ «الحِلْية» لأبي نُعَيْم، و«تفسير» البَغَوي، و«المغني» لأخيه الموفَّق، و«الإبانة» لابنِ بَطَّة، ومصاحفَ كثيرة للنَّاس ولأهله، وكتُباً كثيرةً، والكلُّ بغير أُجْرة.

وكان يصومُ الدَّهر إلا من عُذْرٍ، ويقوم اللَّيل من صِغَره، ويحافظُ على الصَّلوات في الجماعات، ويخرُجُ من ثُلِثِ اللَّيل الأخير إلى المسجد في الظُّلْمة، فيصلي إلى الفَجْر، ويقرأ في كلِّ يوم سُبُعاً من القرآن بين الظهر والعَصْر، ويقرأ بعد العشاء الآخرة آيات الحَرْس[4]، ويس، وتبارك، والواقعة،

---

(١) أبو صالح: هو مفلح بن عبد الله، وكان زاهداً عابداً، وكان مقيماً في هذا المسجد فنسب إليه، وتوفي سنة (٣٣٠ هـ)، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء: ١٥/ ٨٤ ـ ٨٥ بتحقيقي.

(٢) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٧ هـ).

(٣) المصدر السالف.

(٤) هي آيات الحِفْظ، مثل آية الكرسي، والآيتين من آخر سورة البقرة.. إلخ. أفادنيها شيخي العلامة شعيب الأرنؤوط، أمتع الله به.

والمعوّذتين، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وإذا ارتفعتِ الشمسُ لقَّن النَّاسَ القُرْآن إلى وقتِ الضُّحى، ثم يقوم فيصلي الضُّحى ثماني ركعات، ويقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ألفَ مَرَّة، ويزورُ المقابر بعد العَصْر في كلِّ يوم جُمُعة، ويصعَدُ يوم الاثنين والخميس إلى مغارة الدَّم ماشياً بالقَبْقاب، فيصلي فيها ما بين الظهر والعصر.

وإذا نَزَلَ جمع الشِّيْحَ من الجبل، وربطهُ بحبل، وحملَه إلى بيوتِ الأرامل واليتامى، ويحمل في الليل إليهم الدَّراهم والدَّقيق ولا يعرفونه، ولا ينامُ إلا على طهارةٍ، ومتى فُتِحَ له بشيء من الدُّنيا آثَرَ به أقاربه وغَيرَهُمْ، ويتصدَّق بثيابه، وربما خَرَجَ الشِّتاء، وعلى جسدِهِ جُبَّة بغير ثوب، ويبقى مُدَّة طويلة بغير سراويل، وعِمامته قطعة من بطانة، فإن احتاج أحدٌ إلى خِرْقةٍ، أو ماتَ صغيرٌ يحتاج إلى كَفَنٍ، قَطَعَ له منها قِطعة.

وكان ينام على الحصير، ويأكل خُبْزَ الشَّعير، وثوبه خام إلى أنصافِ ساقيه، وما نَهَر أحداً، ولا أَوْجَعَ قلبَ أحد، وكان يقول: أنا زاهد، ولكن في الحرام.

ولما نزلَ صلاحُ الدِّين على القُدْس كان هو وأخوه الموفق والجماعة في خيمةٍ[1]، فجاء العادلُ إلى زيارته وهو في الصَّلاة، فما قَطَعها ولا التفتَ، ولا تَرَكَ وِرْده.

وكان يصعَدُ المِنْبر في الجبل، وعليه ثوبٌ خام، مهدول الجيب، وفي يده عصا، والمنبر يومئذٍ ثلاث مراقي، وكان يجاهد في سبيل الله، ويحضُرُ الغَزَوات مع صلاح الدِّين.

وكان أخوه الموفَّق يقول عنه: هو شيخُنا، ربَّانا، وأحسن إلينا، وعَلَّمنا،

---

(١) انظر «كتاب الروضتين»: ٣/ ٢٩٧.

وحَرِصَ علينا، وكان للجماعةِ كالوالد يقومُ بمصالحهم، ومَنْ غابَ منهم خَلَفَه في أهله. قال: وكان أبي أحمد[١] قد تخلَّى عن أمور الدُّنيا وهمومها، وكان المَرْجِعُ في مصالح الأهل إليه، وهو الذي هاجر بنا، وسَفَّرنا إلى بغداد، وبنى الدَّير، ولما رجعنا من بغداد زوَّجنا، وبنى لنا دوراً خارجةً عن الدير، وكفانا همومَ الدُّنيا، وكان يُؤْثرنا ويَدَعُ أهلَه محتاجين، وبنى المدرسةَ والمَصْنَع بعلو هِمَّته، وكان مجابَ الدَّعوة، وما كَتَبَ لأحدٍ ورقةً للحُمَّى إلا وشفاه الله تعالى.

٧٢ وكراماتُه كثيرة، وفضائِلُهُ غزيرة، فمنها، أنني صَلَّيْتُ يومَ جُمُعةٍ بجامع الجبل في أول سنة ستٍّ وست مئة، والشيخُ عبد الله اليوناني[٢] إلى جانبي، فلما كان في آخر الخطبة وأبو عمر يخطب نهض الشَّيخُ عبد الله مُسْرعاً، وصَعِدَ إلى مغارة التوبة، وكان نازلاً بها، فظننتُ أنه قد احتاج إلى الوضوء أو آلمه شيء، فلما صلَّينا الجمعة صَعِدْتُ وراءه، وقلت له: خير، ما الذي أصابك؟ فقال: هذا أبو عمر ما تَحِلُّ خَلْفه صلاة. قلتُ: ولِمَ؟ قال: لأنَّه يقول على المِنْبر ما لا يَصْلُح. قلتُ: وما الذي قال؟ قال: الملك العادل، وهو ظالم، فما يَصْدُق. وكان أبو عمر يقول في آخر الخطبة: اللهم، وأَصْلِحْ عبدَك الملِكَ العادِلَ سيفَ الدين أبا بكر بنَ أيوب. فقلتُ له: إذا كانتِ الصَّلاة خَلْفَ أبي عمر لا تصح، فيا ليتَ شِعْري خَلْفَ مَنْ تَصِح؟ وخَطَرَ لي قولُ عبدِ الرحمن بنِ عَوْف لما رأى عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنهما يمشي في أَزِقَّة المدينة، فتبعه، فأتى إلى بيتِ عجوزٍ، فدخله، قال: فقلتُ: لأُبْصِرَنَّ ما يَصْنَع. فتواريتُ، وإذا به قد خَرَجَ من عندها، فدخلتُ بعده، وقلت للعجوز: ما كان هذا يصنع عندك؟ فقالت: يحمل إليَّ ما آكل، ويخرج الأذى عني. قال عبدُ الرحمن: فقلت في نفسي: ويحك يا عبدَ الرحمن، أعثرات عمر تتبع؟![٣]

(١) في المطبوع: أبي عمر، وهو تحريف شنيع، والقائل: هو الموفق.

(٢) ويقال: اليونيني، وستأتي ترجمته ص ٣٣٦ (وفيات سنة ٦١٧ هـ) من هذا الجزء.

(٣) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٧ هـ).

قال أبو المظفر: وبينا نحن في الحديث، وإذا بالشيخ أبي عمر قد صَعِدَ إلى مغارة توبة، فدخل ومعه مئزر، فسلَّم، وحَلَّ المئزر، وفيه رغيفٌ، وخيارتان، فكسر الجميع، وقال: بسم الله، الصَّلاة ثم قال: ابتداءً قد جاء في الحديث أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «ولدتُ في زمن الملك العادل كسرى[1]»، فنظر إليَّ الشيخ عبدُ الله وتَبَسَّم، ومدَّ يده فأكل، وقام أبو عمر فنزل. فقال لي عبدُ الله: يا سيِّد، ماذا إلَّا رَجُلٌ صالح[2].

قلتُ: الشيخُ عبدُ الله اليونيني كان أيضاً من الصَّالحين، وقد رأيته، وسيأتي ذكره في أخبار سنة سبع عشرة بعد عشر سنين من وفاة الشَّيخ أبي عمر، وهو لفَرْطِ صلاحه وورعه ما رأى مسامحة مثل الشيخ أبي عمر في إطلاق لفظ العادل على مَنْ هو في ظَنِّه غيرُ مستحقِّه، وعُذْر الشيخ أبي عمر في ذلك أنه اسم من الأسماء الأعلام لا تلحظ فيه الصِّفة، فهو كالتسمية بسالم، وغانم، ومحمود، ومسعود، يُعَبِّر عن المسمَّى بذلك في حالةٍ يكون متصفاً بضد ما يقتضيه اشتقاق هذه الأسماء، فيكون عاطباً ولا يُدْعى إلا بسالم، ومذموماً ولا يدعى إلا بمحمود، تعريفاً لا مَدْحاً، فكذا إطلاق لفظ العادل في حقِّ مَنْ أطلقه فيه الشيخ أبو عمر، على أنَّه قد اعتذَرَ بعُذْرٍ آخر، وهو إطلاق هذا اللفظ على كافرٍ، ولا ظُلْمَ أعظم من الشِّرْك بالله. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾[3] وقال: ﴿وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾[4] أي: بشِرْك، فإذا لم يمنع الشرك المحقَّق

(١) حديث لا أصل له، وأورده السخاوي في «فتح المغيث» ٣/٣٦، وابن كثير في «البداية والنهاية» في ترجمة أبي عمر في وفيات سنة (٦٠٧ هـ)، وقال: هذا الحديث الذي احتج به الشيخ أبو عمر لا أصل له، وليس هو في شيء من الكتب المشهورة، وعجباً له ولأبي المظفر ثم لأبي شامة في قبول مثل هذا، وأخذه منه مسلماً إليه فيه، والله أعلم.

(٢) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٧ هـ).

(٣) سورة لقمان، الآية: ١٣.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٨٢.

من إطلاق لفظ العادل على من اتَّصفَ به، فأنْ لا يمنع ظلمٌ ما في شيءٍ من الأشياء التي دون الشرك أَوْلى.

بقي في قضية الشيخ عبد الله إشكال من جهة كونه تركَ صلاةَ الجمعة[١] الواجبة لما تخيَّله من هذا الأمر الذي لو كان صحيحاً لما أسقط فرض الجمعة[١]، ولعله كان مسافراً فلم تكن الجمعة واجبة عليه، والله أعلم.

قال أبو المُظَفَّر: وأصابني قُولَنْج عانيتُ منه شِدَّة، فَدَخَلَ عليَّ أبو عمر، وبيده خَرُّوب شامي مدقوق، فقال: استَفَّ هذا. كان عندي جماعةٌ فقالوا: هذا يزيد القولنج ويضره! فما التفتُّ إلى قولهم، وأخذته من يده، فأَكَلْتُهُ، فبرأت في الحال[٢].

٧٣ قال: وحكى الجمال البصراوي الواعظ قال: أصابني قُولَنْج في رمضان، فاجتهدوا بي أن أفطر، فلم أفعل، وصَعِدْتُ إلى قاسيون، فقعدت موضعَ الجامع اليوم، وإذا أنا بالشيخ أبي عمر قد أقبل من الجبل، وبيده حشيشةٌ، فقال: شُمَّ هذه تنفَعْك. فأخذتُها وشممتُها، فبرأت[٣].

قال: وجاءه رجل مغربي، فقرأ عليه القُرْآن، ثم غاب عنه مُدَّة، وعاد فلازمه. فَسُئِلَ عن ذلك، فقال: دخلتُ ديار بكر، فأقمت عند شيخٍ له زاوية وتلامذة، فبينا هو ذاتَ يومٍ جالسٌ بكى بكاءً شديداً، وأُغمي عليه، ثم أفاق، وقال: ماتَ القُطْب السَّاعة، وقد أقيم أبو عمر شيخ الصَّالحية مقامه. قال: فقلتُ له: ذاك شيخي. قال: فأيش قعودك ها هنا! قم فاذهبْ إليه، وسلِّمْ عليه عني، وقل له: لو أمكنني السَّعْي إليه لسعيتُ. ثم زوَّدني وسافرتُ[٤].

(١ ـ ١) ما بينهما ليس في (ك) و(ع) و(س).

(٢) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٧ هـ).

(٣) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٧ هـ).

(٤) المصدر السالف.

قال أبو المظفر: وقلتُ له يوماً أول ما قدمتُ الشّام، وما كان يرُدُّ أحداً في شفاعةٍ إلى مَنْ كان، وقد كَتَبَ ورقةً إلى الملك المُعَظَّم عيسى بن العادل، وقال فيها: إلى الولد المُعَظَّم. فقلتُ: كيف تكتب هذا والملك المعظم في الحقيقة هو الله تعالى؟ فتبسَّم، ورمى إليَّ الورقة، وقال: تَأَمَّلْها. وإذا به لما كتب المعظم كَسَرَ الظاء، فصار المُعَظِّم. وقال: لابُدَّ أن يكون يوماً قد عَظَّم الله تعالى. فتعجَّبْتُ من ورعه وتحفُّظه في منطقه عن مثل هذا[1].

قلتُ: وساعَدُه على تمشيةِ تلك الكسرة أَنَّ كلَّ مَنْ رآها يعتقد أنها للميم المستحقَّة للجَرِّ فلا ينكرها، وحَصَلَ له ما نواه، ونظيرُ هذا القَصْد ما يُروى عن سُفْيان الثَّوري أنه أنكر على ابن أبي ذئب ـ رحمهما الله ـ قوله للمنصور أبي جعفر في مخاطبته له: أنا أنصحُ لك من ابنك المَهْدي. وقال له: لِمَ قلتَ المهدي؟ فقال: يا أبا عبد الله، كلُّنا كان في المَهْد[2].

قال أبو المُظَفَّر: وقال أبو عمر يوماً للمبارز المعتمد: قد أكثرتُ عليك من الرِّقاع والشَّفاعات. فقال له: ربما تكتب إليَّ في حَقِّ أُناسٍ لا يستحقون الشَّفاعة، وأكره رَدَّ شفاعتك. فقال له الشيخ: أنا أقضي حقَّ مَنْ قصدني، وأنتَ إن شئت تقبل، وإن شئت فلا تقبل. فقال: ما أَرُدُّ ورقتك أبداً.

قال: وكان على مذهب السَّلَف الصَّالح، حَسَنَ العقيدة، متمسكاً بالكتاب والسُّنَّة والآثار المروية، ويمرُّها[3] كما جاءت من غير طَعْنٍ على أئمة الدِّين وعلماء المسلمين، وينهى عن صُحْبة المبتدعين، ويأمر بصحبة الصَّالحين.

وكان سببُ موته أنَّه حَضَرَ مجلسي بقاسيون في الجامع مع أخيه الموفَّق والعماد والجماعة، وكان قاعداً في الباب الكبير، وجرى الكلامُ في رؤية الله

---

(١) المصدر السالف.

(٢) قال الذهبي في «تاريخ الإسلام»: في هذا ومثله إنما يلحظ العلمية لا الصفة.

(٣) في المطبوع: وغيرها، وهو تحريف.

تعالى ومشاهدته، واستغرقتُ في ذلك، وكان وقتاً عجيباً، وأبو عمر جالسٌ إلى جانب أخيه الموفق، فقام، وطَلَبَ بابَ الجامع ولم أره، فالتفتُّ، وإذا بين يديه شخصٌ يريد الخروج من الجامع، فصحتُ على الرجل: اقعد، فظنَّ أبو عمر أنني أخاطبه، فجلس على عَتَبَة بابِ الجامع الجوَّانية إلى أن فَرَغَ المجلس، ثم حُمِلَ إلى الدَّير، فكان آخرَ العهدِ به، وأقام أياماً مريضاً، ولم يترك شيئاً من أوراده. فلما كان عشية الاثنين ثامن عشري ربيع الأول جَمَعَ أهله، واستقبلَ القِبْلة، ووصَّاهم بتقوى الله، ومراقبته، وأمرهم بقراءة يسن، وكان آخر كلامِهِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1]، وتوفي رحمه الله، وغُسِل في وقت السَّحَر، ومَنْ وصل إلى الماء الذي غُسِّل به نَشَّف به النِّساءُ مقانعَهُنَّ، والرِّجالُ عمائِمَهُمْ، ولم يتخلَّف عن جِنازته أحدٌ من القُضَاة، والأمراء، والعلماء، والأعيان، وعامة الخَلْق، وكان يوماً مشهوداً، ولما خرجوا بجنازته من الدَّير كان يوماً شديدَ الحَرِّ، فأقبلت غمامةٌ، فأظلَّتِ النَّاسَ إلى قبره، وكان يُسْمع منها دَوِيٌّ كدويِّ النَّحْلِ، ولولا المبارز المعتمد، والشُّجاع بن محارب، وشِبْلُ الدولة الحسامي ما وَصَلَ إلى قبره من كفنه شيء، ٧٤ وإنما أحاطوا به بالسُّيوف والدَّبابيس.

وكان قبل وفاته بليلة رأى إنسانٌ كأنَّ قاسيون قد وَقَعَ أو زال من مكانه، فأوَّلوه موته، ولما دُفِنَ رأى بعضُ الصَّالحين في منامه تلك الليلة النبيَّ ﷺ وهو يقول: مَنْ زار أبا عمر ليلة الجمعة فكأنَّما رأى الكعبة، فاخلعوا نعالكم قبل أن تصلوا إليه. وماتَ عن ثمانين سنة، ولم يخلِّف ديناراً ولا دِرْهماً، ولا قليلاً ولا كثيراً.

قال: وعلمني دعاء السَّنة، فقال: ما زال مشايخنا يواظبون على هذا الدُّعاء في أول كلِّ سنة وآخرها، وما فاتني طول عمري؛ فأما أول السنة فإنك تقول:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٢

اللهم أنتَ الأبدي القديم، وهذه سَنَةٌ جديدة، أسألك فيها العِصْمةَ من الشَّيطان وأوليائه، والعَوْنَ على هذه النفس الأمَّارة بالسُّوء، والاشتغال بما يقربني إليك، يا ذا الجلالِ والإكرام. فإنَّ الشيطانَ يقول: قد آيسنا مِنْ نفسه فيما بقي. ويوكل الله به ملكين يحرسانه.

وأما دعاء آخر السنة، فإنك تقول في آخر يوم من أيام السَّنة: اللهم ما عمِلْتُ في هذه السنة مما نهيتني عنه، ولم تَرْضَهُ ولم تنسه، وحَلُمْتَ عني بعد قُدْرتك على عقوبتي، ودعوتني إلى التوبة من بعد جرأتي على معصيتك، فإني أستغفرك منه، فاغفر لي، وما عملت فيها مما ترضاه، ووعدتني عليه الثواب، فأسألك أن تتقبله مني، ولا تقطع رجائي منك يا كريم.

قال: فإنَّ الشيطان يقول: تَعِبْنا معه طول السَّنة، فأفسد فِعْلَنا في ساعة[1].

قال: وأنشدني أبو عمر لنفسه:

ألم يكُ مَنْهاةً[2] عنِ اللَّهْو أنني ... بدا ليَ شيبُ الرَّأسِ والضَّعْفُ والألَمْ

ألَمَّ بيَ الخَطْبُ الذي لو بَكِيتُهُ ... حياتيَ حتَّى ينفَدَ الدَّمْعُ لم أُلَمْ

قال: وأنشدني أيضاً لنفسه:

أوصيكُمُ بالقَوْلِ في القُرْآنِ ... بقولِ أَهْلِ الحقِّ والإتقانِ

ليسَ بمخلوقٍ ولا بفانِ ... لكنْ كلامُ المَلِكِ الدَّيَّانِ

آياتُهُ مُشْرِقَةُ المعاني ... متلوَّةٌ لله باللِّسانِ

محفوظةٌ في الصَّدْرِ والجَنَانِ ... مكتوبةٌ في الصُّحْفِ بالبَنَانِ

والقَوْلُ في الصِّفاتِ يا إخواني ... كالذَّاتِ والعِلْمِ مَعَ البيانِ

(١) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٧ هـ).

(٢) في النسخ الخطية: ملهاة، والمثبت من «مرآة الزمان»، وفيه كذلك: عن الزَّهْو.

إمْـرَارُهـا[١] مِـنْ غـيـرِ مـا كُـفْـرانِ   مِـنْ غـيـرِ تـشـبـيـهٍ ولا عُـدْوانِ[٢][٣]

وكان له من الأولاد الذكور: عمر ـ والد أحمد بن عمر ـ وبه كني أبو عمر، والشَّرف عبد الله والد العِزّ، وأحمد، وعبد الرحمن، الباقي منهم في هذا الزمان ـ وهو سنة تسع وخمسين وست مئة[٤] ـ أصغرهم شمسُ الدِّين عبد الرحمن؛ خطيب جامع الجبل بعد أخيه الشرف عبد الله.

قال: وكان لأبي عمر بناتٌ كما قال الله تعالى: ﴿مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ﴾[٥] الآية.

ومما رُثي به أبو عمر قول محمد بن سَعْد المقدسي:

أَبَـعْـدَ أَنْ فَـقَـدَتْ عـيـنـي أبـا عُـمَـرٍ   يَـضُـمُّـنـي فـي بـقـايـا الـعُـمْـرِ عُـمْـرانُ

مـا لـلـمـسـاجِـدِ مـنـه الـيـومَ مُـقْـفِـرَةً   كـأنَّـهـا بـعـدَ ذاكَ الـجَـمْـعِ قِـيْـعـانُ

٧٥ مـا لـلـمـحـاريـبِ بعد الأُنْـسِ مُـوْحِـشَـةً   كـأنَّ لـم يُـتْـلَ فـيـهـا الـدَّهْـرَ قُـرْآنُ

تـبـكـي عـلـيـه عُـيـونُ الـنَّـاسِ قـاطـبـةً   إذْ كـانَ فـي كـلِّ عـيـنٍ مـنـه إنـسـانُ

وكـانَ فـي كـلِّ قـلـبٍ مـنـه نـورُ هـدى   فـصـارَ فـي كـلِّ قَـلْـبٍ مـنـه نـيـرانُ

وكـلُّ حـيٍّ رأيـنـا فَـهْـوَ ذو أَسَـفٍ   وكـلُّ مَـيْـتٍ رآه فَـهْـوَ فَـرْحـانُ

لا زالَ يَـسْـقـي ضـريـحـاً أنـتَ سـاكِـنُـهُ   سـحـائِـبٌ غَـيْـثُـهـا عَـفْـوٌ وغُـفْـرانُ

كـم مَـيِّـتٍ ذِكْـرُهُ حـيٌّ ومُـتَّـصِـفٍ   بـالـحـيِّ مَـيْـتٌ لـه الأثـوابُ أكْـفـانُ[٦]

قلتُ: وقبرُهُ في طريق مغارةِ الجوع، في الزُّقاق المقابل لدير الحَوْراني،

---

(١) في (ب): إقرارها. وقد تحرفت في المطبوع إلى إسرارها!

(٢) تحرفت في المطبوع إلى: ولا عطلان!

(٣) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٧ هـ).

(٤) هذا تاريخ كتابة القسم الأول من «المذيل على الروضتين»، انظر مقدمتي لهذا الكتاب.

(٥) سورة التحريم، الآية: ٥، وانظر «مرآة الزمان».

(٦) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٧ هـ).

على يمين المارِّ إلى المغارة، وإلى جانبه قبرُ أبيه الشيخ أحمد رحمه الله، وأول ما وقفتُ على قبره وزُرْتُهُ وجدتُ بتوفيق الله تعالى رِقَّةً عظيمةً، وبكاء صالحاً، وكان معي رفيقٌ لي، وهو الذي عَرَّفني قبره، وَجَدَ أيضاً مِثْلَ ذلك.

وأخبرني بعض أصحابنا الثقات أنَّه رأى الإمام الشافعيَّ رحمه الله في المنام، فسأله: إلى أين يمضي؟ فقال: أزور أحمد ابنَ حنبل. قال: فاتَّبعته أنظر ماذا يَصْنع، فدَخَلَ داراً، فسألت: لمن هي؟ فقيل: للشيخ أبي عمر. رَحِمَ اللهُ الجميع.

وفيها اتفقتِ الملوكُ على العادل، منهم سُلْطان الرُّوم، وصاحب المَوْصِل. وصاحب إِرْبل، وصاحب حَلَب، وصاحب الجزيرة، وصاحب سِنْجار، ومن تابعهم، اتفقوا على مشاققة العادل، وأن تكون الخُطْبة بالسَّلْطنة لصاحب الرُّوم خُسْرو شاه بن قَلِيْج أرسلان، وأرسلوا إلى الكُرْج بالخروج إلى جهة خِلاط، وخَرَجَ كلٌّ منهم بعساكره إلى حدود بلاده مُجْمِعاً على الاجتماع بصاحبه على قَصْدِ الملك العادل، وإيجافهم عليه بخيلهم ورَجْلهم، وكُتْبهم ورُسْلهم، وهو مقيمٌ ثابتٌ بظاهر حَرَّان، وعنده صِهْرُه صاحبُ آمد ابن قرا رسلان، ونَزَلَ الكُرْج على خِلاط سابع عشر ربيع الآخر مع مقدَّمهم إيواني، وصاحِبُها يومئذٍ الأوحدُ أيوبُ بن العادل، فزحفوا على البلد بين الصَّلاتين من يومِ الاثنين تاسع عشره، وهجموا الرَّبَض، وقدَّر الله تعالى وقوعَ مقدَّمهم إيواني بفرسه في حُفْرةٍ بالرَّبَض، وهو سكران، فأخذ أسيراً، وعَرَفه ياقوت الخادم الملطي، فحمله إلى الأوحد، فأكرمه، وخَلَع عليه، والتمس منه صَدَّ الكُرْج عن البلد، فاستدعى إليه منهم مَنْ يثق به ليشاهدَ أنه سالم، وأمرهم بالرَّحيل عن خِلاط، فرحلوا من ساعتهم نحو بلادهم، لم يجسروا على مخالفته، ولا تعرضوا لقريةٍ مِنْ عملها بأذيَّةٍ.

وقد كان مَنْ بخِلاط أيقن بذهابِ الأنْفُس والأموال، فدفَعَ الله عنهم،

وبادر الأوحد بإطلاع والده العادل على ما مَنَحَه الله من الظَّفَر، فكادَ يَذْهَلُ فرحاً، واستطارتِ الأخبارُ بذلك شرقاً وغرباً، وعَلِمَ مَنْ كان مُجْمِعاً على قَصْدِ العادل من الملوك بالحالة، فتفرَّقت آراؤهم، وبادر كلٌّ منهم بالرُّسُل إليه(١) يتنصَّل مما نُسِبَ إليه(١)، ويحيلُ على غيره، ويبذل الطَّاعة، فَقَبِلَ أعذارهم، وعَقَدَ معهم صُلْحاً في جُمادى الأولى.

ورَغِبَ إيواني إلى الأوحد في أن يفدي نفسه، وبذل ثمانين ألف دينار، وإطلاق ألفي أسيرٍ مسلمين، وتسليم إحدى وعشرين قلعة متاخمة لأعمال خِلاط كان تَغَلَّبَ عليها، وتزويج بنت الملكة بالأوحد، وتزويج ابنته لأخي الأوحد من أمه، وأن تكون الكُرْج معه أبداً سِلْماً، لا يؤذون شيئاً من أعماله، ومتى قصدَ بلادَه عدوٌّ سارعوا إلى دَفْعه عنها. فاستأذن الأوحد والدَه العادلَ في ذلك، فأمضاه، وأمر بإطلاقه بعد الاستيثاق منه بالأيمان والرِّهان، ففعل، وأطلقه في ثاني عشر جمادى الآخرة.

٧٦ قال العِزُّ بنُ تاج الأمناء: ومن أعجبِ ما سَمِعْتُه في هذه القضية أن إيواني لما نَزَلَ بخِلاط، قال له منجِّمه في بُكْرة يومه: إنَّك ستدخل إلى قلعة خِلاط قريب العَصْر من يومك، في زِيّ غير زِيِّك(٢). فتخيَّل قوله في نفسه، وشَرِبَ، فلما سَكِرَ ذكر قولَ المنجِّم ـ وكان قسيسه ـ فركب لوقته، وزحف، فكان من أمره ما قدَّر الله تعالى، وأُدخل القلعة وقتَ العصر أسيراً، لابساً خِلْعة الأوحد، فاعجب لهذا الاتِّفاق.

ولما وَصَلَ إلى بلاده عاد إلى ما كان عليه من التقدمة على عساكر الكُرْج، وحَمَلَ بعضَ ما كان بَذَلَ إلى الأوحد، وسومح بالباقي. ثم لما أنْ صارت خلاط للأشرف تزوج بابنته.

(١ ـ ١) ما بينهما ليس في (ك) و(ع) و(س).

(٢) في (س): زيك هذا.

وفي ثاني شعبان كان إملاكُ نور الدِّين رسلان شاه صاحب المَوْصِل على ابنة العادل، وعَقَدَ العَقْدَ بقلعة دمشق على صَدَاقِ ثلاثين ألف دينار، ثم وصَلَ الخبر بوفاة نور الدين هذا بالمَوْصِل في آخر رجب، وقام ولده عِزُّ الدين مسعود بالأمر، فكان العقدُ مع وكيله بعد موته، ولم يُعْلم بذلك.

وفي الخامس والعشرين من شعبان ظهرتْ عملة ابن السَّلار على المعروف بابن الدُّخَيْنة بعد طولِ مُكْثِهِ في السِّجْن، وموت زوجته تحت الضَّرْبِ، وعَصْره دفوعاً وعَصْر بناته وابنه، فلم يقروا بشيء، وكان أكثَرَ الذهب مدفوناً تحته بسجن القلعة، وانكشفَ أمرها بأيسر حال من جهة منصور بن السلار، فإنه كان الباحث عنها بسبب أنه كان حُبِسَ عليها، واتُّهم بها، وجُمع من المبلغ إلى آخر النهار عشرة آلاف ومئتا[١] دينار. ثم تحصَّل فيما بعد بقية مبلغها، ثم ماتَ ابن الدُّخَيْنة في الحبس، وصُلِبَ ميتاً بقيسارية الفرش يوم السبت الثَّامن والعشرين من رجب[٢]، وأنا رأيتُهُ مصلوباً وعمري يومئذٍ ثماني سنين ودخلتُ في التاسعة، اللهم استر في الدُّنيا والآخرة[٣].

وفيها في سابع شَوَّال شُرِعَ في عمارة المَصَلَّى[٤] بظاهر دمشق المجاور لمسجد النَّارنج برسم صلاة العيدين، وهُدِمَ حائطه القبلي ومنبره ليجدَّد، فبني بغير سقفٍ، بل أُنهيت حيطانه من الجوانب الأربعة، وفُتِحَتْ له الأبواب(٥ من كلِّ جانب٥)، وشُرِّفت أعالي حوائطه، وبُني له مِنْبرٌ كبير عالي بجانب

---

(١) قوله: ومئتا، ليس في (ك) و(ع) و(س).

(٢) يفهم من سياق الخبر أن صلب ابن الدُّخينة كان بعد انكشاف أمر العملة.. فإن كان ذلك كذلك فثمة اضطراب في ذكر الشهر، حيث ذكر في صدر الخبر أن انكشاف أمر العملة في شعبان، ثم صلب في رجب، والصواب تقديم رجب، والله أعلم.

(٣) انظر ما سلف من هذا الخبر ص ١٦٢ من هذا الجزء.

(٤) في هامش الأصل: بلغ مقابلة.

(٥ ـ ٥) ما بينهما ليس في (ك) و(ع) و(س).

المحراب، وفوقه قُبَّة مبيَّضة، وتحت أرض القُبَّة خِلْو إلى الأرض، يتَّصِلُ به الصف الأول خلفَ الإمام، وكان يُرْكَزُ العَلَمان الأسودان في أعلى الدَّرَج، ويقفُ الخطيب بينهما، فيراه جميع مَنْ في المُصَلَّى من كلِّ جانب، وكان بناءُ حيطانه وإغلاقُ أبوابه صيانةً له مما كان يوضع في أرضه من الدوابِّ الميتة، والعظام، والأرواث، ولاسيما مؤخر المُصَلَّى من شامه. ثم إنه بعد ذلك في سنةِ ثلاثَ عشرة وست مئة ترتَّبَ الخطيبُ لإقامة الجمعة فيه سابعَ عشر رمضان بعد أن جُدِّدَ في قِبْلته رواقان، سُقِفَ أحدُهما ولم يتمَّم الآخر لوفاة الملك العادل الآمر بذلك، ولَزِمَ من ذلك خَرَابُ ذلك المِنْبر، فَجُعِلَ له منبرُ خَشَبٍ كالذي في سائر الجوامع، ورُتِّبَ فيه إمامٌ راتب يُصَلِّي الجمعة وغيرَها.

وفيها في حادي عشر شَوَّال جُدِّدت أبوابُ الجامع[1] الغربية من جهة باب البريد بالنُّحاس الأصفر، ورُكِّبت.

وفي سادس عشر شوال شُرِعَ في إصلاح الفَوَّارة بجيرون، وعُمِلَ الشَّاذروان والبركة بساحتها، واتُّخِذَ فيها مسجدٌ بإمامٍ راتب، وأوَّلُ من ترتَّب فيه بأمر الصَّاحبِ الوزير ابن شُكْر النَّفيسُ المِصْري، كان يلقَّبُ بوق الجامع لقوَّة صوته، وكان قرأ على الشيخ أبي منصور الضرير[2] المتصدِّر بجامع دمشق، وكان حسنَ الصَّوت، وكنتُ أقرأ عليه في صباي، وكان يجتمع النَّاسُ إذا قرأ النَّفيسُ عليه كثيراً.

٧٧ قال العِزُّ بنُ تاج الأمناء: وفي العشر الأوسط من ذي الحِجَّة كان الابتداءُ

---

(١) في (ك) و(ع) و(س): جامع دمشق.

(٢) هو من شيوخ أبي شامة كما صرح بذلك، وقد توفي سنة (٦٣١ هـ)، ولم يترجم له في وفياتها في «المذيل»، ولعله سها عنه، انظر ترجمته في تاريخ الإسلام (ت ٦٣، وفيات سنة ٦٣١هـ)، والوافي بالوفيات: ٢٥/ ٢٨١، ونكت الهميان: ٢٨٧، وسيأتي ذكره ص ١٣٥، ١٧٤ من الجزء الثاني.

بعمارة حِصْن الطُّور بتولي الملك المعظم واقتراحِهِ، ومساعدةِ والده له برجالِ العَسْكر ودوابِّه نُوَباً.

وفي العشر الآخر من ذي الحِجَّة توجَّه البال القبرسي[1] ـ لعنه الله ـ في مراكب مِنْ عكا إلى الدِّيار المِصْرية، فوصَلَ إلى ساحل دمياط، فأرسى غربيّها، وسَلَكَ في البر بخيله ورَجْله إلى القرية المعروفة بنورة، وهي على ساحل النِّيل، فكبسها سَحَراً، وسبى أهلَها، وحاز ذخائرها، وعاد على إثره في بقية يومه إلى مراكبه. وبلغَ إلى دمياط خبرُه، فبادر بالرِّجال إليه، فألفاه قد حَصَلَ بظهر البحر في مراكبه، وامتنع عن طالبه، ووصل بالأسرى والغنائم إلى عكا، وقد نال بفعلته هذه والتي قبلها نوبة فوَّةٍ من الدِّيار المِصْرية في سنة ست مئة[2] ما لم يَنَلْه أحدٌ من الفرنج قَبْلَه، ولا أقدَمَ إقدامه.

قال: وفي عاشر المحرَّم وصل حسن الحجَّار من مكَّة سابقاً للحاج، وأخبر بأن قَتَادة صاحبَ مكة قتل المعروف بعبد الله الأسير، ثم وصل كتابٌ من مرزوق الطشتدار الأسدي في الخامس والعشرين من محرَّم ـ وكان حاجاً ـ يخبر فيه بأن قتادة قَتَلَ إمام الحنفية وإمام الشَّافعية بمكة، ونهب الحاجَّ اليمني. ثم وصل الحُجَّاج إلى دمشق صحبة ابن محارب يوم الاثنين ثاني صفر.

وفي عاشر صَفَر توفي المخلِّص بلدق الزَّاهد المعظمي بدمشق.

وفيها توفي مُظَفَّر بن شاشير الواعظ الصُّوفي البغدادي[3].

---

(١) هو: والتر أف مونتبليارد Walter of Montbeliard
وكانت قبرص تحت حكم الفرنج، وكان والتر هذا الوصي السَّابق على عرشها. انظر «الحملة الصليبية الخامسة» لمحمود سعيد عمران: ص ١٠٣.

(٢) انظر ص ١٦٢ من هذا الجزء.

(٣) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٧ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/٢٠٨، تاريخ الإسلام (ت ٣٧٠، وفيات سنة ٦٠٧ هـ)، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٧ هـ).

ولد سنة ثلاثٍ وعشرين وخمس مئة، وكان يعظ في الأعزية، وتُرَب الرُّصافة، والمساجد، والقُرى. وكان مطبوعاً كيِّساً ظريفاً، وكان يسكن دار العميد عند الصُّوفية، فتوفي في المحرَّم، ودفن عند قبر معروف الكَرْخي.

سمع أبا الوقت وطبقته، جلس يوماً في مسجد بالقرية، فقام إليه إنسان، فقال له: أنا مريض وجائع. فقال له: احمد رَبَّك، فقد عُوفيت.

واجتاز يوماً على قَصَّاب يبيع لحماً هزيلاً، والقصاب ينادي: أين مَنْ حلف لا يُغْبن؟ فقال له ابنُ شاشير: حتى تُحْنِثَهُ!

وقال: خرجتُ يوماً إلى بَعْقُوبا، فتكلمت بها في الليل في جامعها، فقام واحدٌ، فقال: عندي للشيخ نصفية. وقال آخر: عندي نصفية، فعدُّوا نحو خمسين نصفية. فقلتُ في نفسي: استغنيت الليلة. فلما أصبحنا، وإذا في زاوية المسجد مقدار كارة شعير. فقلتُ: ما هذا؟ فقالوا: النصافي كل كيل شعير نصفية.

قال: وجلستُ بباجِسْرى، فجمعوا شيئاً ما أعلم ما هو، فلما أصبحنا إذا في جانبِ المسجد صوف الجاموس وقرونه، فقام واحدٌ ينادي عليه: مَنْ يشتري صوف الشيخ وقرونه. فقلتُ: رَدُّوا صوفكم وقرونكم إليكم.

ثم دخلت سنة ثمانٍ وست مئة

والسُّلْطان العادل مخيِّم بالعساكر على الطُّور، وابنه المُعَظَّم مباشرٌ لعمارة حِصْنه، مجتهد في إدارته حوشاً.

ووصل الخبر من جهة طرابُلُس بأن الأخبار تتابعتْ إليها في البحر من الغَرْب بأنَّ ابن عبدَ المؤمن كَسَرَ الفرنج بأرضِ طُلَيْطُلة كسرةً عظيمة، أباد فيها خَلْقاً منهم، ونازل طليطلة، وربما فتحها. ٧٨

وفي ليلة السَّابع والعشرين من ذي القَعْدة حدثت زَلْزَلة عظيمة هَدَمَتْ

ولد سنة ثلاثٍ وعشرين وخمس مئة، وكان يعظ في الأعزية، وتُرَب الرُّصافة، والمساجد، والقُرى. وكان مطبوعاً كيِّساً ظريفاً، وكان يسكن دار العميد عند الصُّوفية، فتوفي في المحرَّم، ودفن عند قبر معروف الكَرْخي.

سمع أبا الوقت وطبقته، جلس يوماً في مسجد بالقرية، فقام إليه إنسان، فقال له: أنا مريض وجائع. فقال له: احمد رَبَّك، فقد عُوفيت.

واجتاز يوماً على قَصَّاب يبيع لحماً هزيلاً، والقصاب ينادي: أين مَنْ حلف لا يُغْبن؟ فقال له ابنُ شاشير: حتى تُحْنِثَهُ!

وقال: خرجتُ يوماً إلى بَعْقُوبا، فتكلمت بها في الليل في جامعها، فقام واحدٌ، فقال: عندي للشيخ نصفية. وقال آخر: عندي نصفية، فعدُّوا نحو خمسين نصفية. فقلتُ في نفسي: استغنيت الليلة. فلما أصبحنا، وإذا في زاوية المسجد مقدار كارة شعير. فقلتُ: ما هذا؟ فقالوا: النصافي كل كيل شعير نصفية.

قال: وجلستُ بباجِسْرى، فجمعوا شيئاً ما أعلم ما هو، فلما أصبحنا إذا في جانبِ المسجد صوف الجاموس وقرونه، فقام واحدٌ ينادي عليه: مَنْ يشتري صوف الشيخ وقرونه. فقلتُ: رَدُّوا صوفكم وقرونكم إليكم.

ثم دخلت سنة ثمانٍ وست مئة

والسُّلْطان العادل مخيِّم بالعساكر على الطُّور، وابنه المُعَظَّم مباشرٌ لعمارة حِصْنه، مجتهد في إدارته حوشاً.

ووصل الخبر من جهة طرابُلُس بأن الأخبار تتابعتْ إليها في البحر من الغَرْب بأنَّ ابن عبدَ المؤمن كَسَرَ الفرنج بأرضِ طُلَيْطُلة كسرةً عظيمة، أباد فيها خَلْقاً منهم، ونازل طليطلة، وربما فتحها. ٧٨

وفي ليلة السَّابع والعشرين من ذي القَعْدة حدثت زَلْزَلة عظيمة هَدَمَتْ

مواضعَ كثيرة بمِصْر والقاهرة، وأبراجاً ودوراً بالكَرَك والشَّوْبك، وهَلَكَ جماعةٌ من الصِّبْيان والنِّسوان تحت الهَدْم، وكان قوتُها من جهة أيلة مما يلي البحر، وقيل: إنه تقدَّمها بيوم ريحٌ سوداء، وتساقطَتْ نجومٌ كثيرة.

وفي خامس عشر رمضان رُئي دخان نازِلٌ من السَّماء إلى الأرض فيما بين الغَرْب والقِبْلة بنواحي أرضِ عاتكة ظاهر دمشق وقت العَصْر.

وفيها ابتاعَ الأشرفُ جوسقَ الرَّيِّس بالنَّيْرَب من الظَّافر خضر ابنِ عَمِّه.

وفيها قَدِمَ رسولُ جلال الدين حسن صاحب ألموت يخبرهم بأنهم قد تبرؤوا من الباطنية، وبنوا الجوامع والمساجد، وأُقيمت الجمعة والجماعات عندهم، وصاموا رمضان، فَسُرَّ النَّاسُ والخليفةُ بذلك، وقَدِمَتْ خاتون أمُّ[1] جلالِ الدِّين حاجَّةً، فاحتفل لها الخليفة.

وفيها أمر الخليفة أن يُقْرأ «مسند أحمد ابن حنبل» بمشهدِ موسى بن جعفر رضي الله عنه بحضرة صفي الدِّين محمد ابنَ مَعَدّ الموسوي بالإجازة عن الخليفة، وأوَّلُ ما قُرِئ منه مسند أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، وحديث فَدَك، وما جرى فيها.

وفيها نُهِبَ الحاجُّ العراقي؛ وكان حَجَّ بالنَّاس في هذه السنة من العراق علاء الدين محمد بن ياقوت نيابةً عن أبيه، ومعه ابنُ أبي فراس يثقفه ويدبِّره، وحَجَّ من الشَّام الصَّمْصام إسماعيل أخو سياروخ النجمي على حاجِّ دمشق، وعلى حاج القُدْس الشجاع علي بن السَّلار، وكانت ربيعة خاتون أُخت العادل في الحج، فلما كان يوم النَّحْر بمنى بعدما رمى النَّاسُ الجمرة وَثَبَ الإسماعيلية على رجلٍ شريف من بني عم قتادة، أشبه الناس به، وظنوه إياه، فقتلوه عند الجَمْرة، ويقال: إن الذي قتله كان مع أمِّ جلال الدين، وثار عبيد

(١) في (ك) و(ع) و(س): بنت، وهو خطأ، وقد أتى فيها على الصواب بعد أسطر.

مكة والأشراف، وصَعِدُوا على الجبلين بمنى، وهلَّلوا وكبَّروا، وضربوا الناسَ بالحجارة والمقاليع والنُّشَّاب، ونهبوا النَّاسَ يوم العيد والليلة، واليوم الثاني، وقُتِلَ من الفريقين جماعة، فقال ابنُ أبي فراس لمحمد بن ياقوت: ارحلوا بنا إلى الزَّاهر إلى منزلة الشَّاميين. فلما حَصَلَتِ الأثقالُ على الجمال حَمَلَ قَتَادة أميرُ مكة والعبيدُ فأخذوا الجميعَ إلا القليل، وقال قتادة: ما كان المقصود إلا أنا، والله ما أبقيت من حاجِّ العراق أحداً. وكانت ربيعة خاتون بالزَّاهرِ، ومعها ابنُ السَّلار، وأخو سياروخ وحاج الشَّام، فجاء محمد بن ياقوت أميرُ الحاج العراقي، فدخل خيمةَ ربيعة خاتون مستجيراً بها، ومعه خاتون أم جلال الدِّين، فبعثت ربيعة خاتون مع ابنِ السلار إلى قَتَادة تقول له: ما ذنبُ الناسِ، قد قتلتَ القاتل، وجعلتَ ذلك وسيلة إلى نهب المسلمين، واستحللتَ الدِّماء في الشهر الحرام في الحرم والمال، وقد عَرَفْتَ مَنْ نحن، والله لئن لم تنته لأفعلَنَّ ولأفعلن. فجاء إليه ابنُ السلار، فخوَّفه وهدَّده، وقال: ارجعْ عن هذا، وإلا قَصَدَك الخليفةُ من العراق، ونحن من الشَّام. فكَفَّ عنهم، وطلب مئة ألف دينار، فجمعوا له ثلاثين ألفاً من أمير الحاجِّ العراقي، ومن خاتون أم جلال الدين، وأقامَ النَّاسُ ثلاثة أيام حول خيمة ربيعة خاتون بين قتيلٍ وجريح، ومسلوب وجائع وعُرْيان. وقال قَتَادة: ما فَعَلَ هذا إلا الخليفة، ولئن عاد قَرَّب أحد من بغداد إلى هنا لأقتلنَّ الجميع. ويقال: إنه أخذ من المال والمتاع وغيره ما قيمته ألفا ألفِ دينار، وأَذِنَ للنَّاسِ في الدُّخول إلى مكة، فدخل الأصحاء الأقوياء، فطافوا وأي طواف، ومُعْظَم النَّاسِ ما دخل، ورحلوا إلى المدينة، ودخلوا بغداد على غايةٍ من الفقر والذُّلِّ والهَوَان، ولم ينتطِحْ فيها عَنْزان. ٧٩

وفيها توفي أبو سَعْد الحسن بن محمد بن الحسن[1]، ويلقب بتاج الدين بن حمدون مصنِّف كتاب «التذكرة»[2].

قرأ اللغة على أبي الحسن بن العَصَّار، وسمع أبا الفتح بن البطي وغيره، وولاه الخليفة المارَسْتان العَضُدي، وأُغري بجَمْعِ الكُتُب والخطوط المنسوبة، فجمع منها شيئاً كثيراً، وتوفي بمدائن كسرى، وحُمِلَ إلى مقابر قريش، فدفن بها، وكان فاضلاً بارعاً.

وفيها توفي الأمير فخر الدين شركس بن عبد الله الصَّلاحي[3].

ويقال أياز جركس، ويقال: جِهاركَس ـ يعني أنه اشْتُري بأربع مئة دينار ـ وكان من أمراء صلاح الدِّين، شهد معه الغزوات، وأعطاه العادل بانياس،

(١) له ترجمة في معجم الأدباء: ٩/ ١٨٤ ـ ١٨٩، الكامل: ١٢/ ٢٩٩، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٨ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٢٢٠ ـ ٢٢١، تاريخ الإسلام (ت ٣٨٦، وفيات سنة ٦٠٨ هـ)، العبر للذهبي: ٥/ ٢٧، المختصر المحتاج إليه: ٢/ ٢٣ ـ ٢٤، الوافي بالوفيات: ١٢/ ٢٢١ ـ ٢٢٢، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٨ هـ)، شذرات الذهب: ٥/ ٣٢ ـ ٣٣.

(٢) وهم أبو شامة في ذلك، متابعاً سبط ابن الجوزي في «المرآة»، وكذلك وهم من بعده الذهبي في «العبر»، وابن كثير في «البداية والنهاية»، والعماد في «شذرات الذهب»، والصواب أنه ابن مصنف التذكرة، وقد صرح بذلك الذهبي في «تاريخ الإسلام»، ووالده محمد مصنف التذكرة توفي سنة (٥٦٢ هـ)، وقد حقق كتابه د. إحسان عباس، ونشرته دار صادر في بيروت سنة ١٩٩٦ م.

(٣) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٨ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨، وفيات الأعيان: ١/ ٣٨١، مفرج الكروب: ٣/ ٢٠٨، المختصر في أخبار البشر: ٣/ ١١٤، تلخيص مجمع الآداب لابن الفوطي: ج٤/ ق٣/ ١٧٤، تاريخ الإسلام (ت ٣٨٥، وفيات سنة ٦٠٨هـ)، العبر للذهبي: ٥/ ٢٧، الوافي بالوفيات: ١١/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٨ هـ)، السلوك للمقريزي: ج١/ ق١/ ٢٠٥، الدارس: ١/ ٤٩٦ ـ ٤٩٨، القلائد الجوهرية: ١/ ٢٠٩، شذرات الذهب: ٥/ ٣٢، منادمة الأطلال: ١٦٣ ـ ١٦٤.

وفي «المختصر» و«مفرج الكروب» و«السلوك» وفاته سنة (٦٠٧ هـ)، وانظر أخباره في «كتاب الروضتين».

وتِبْنين، والشَّقيف، وهُونين، وقلعة أبي الحسن، وتلك البلاد، فأقام بها، وكان يتردَّدُ إلى دمشق، فمرض، وتوفي في رجب، ودُفِنَ بقاسيون، وخلَّف ولداً، فأَقَرَّه العادل على ما كان لأبيه، وقام بأمره الأمير صارم الدين خُطْلُبا المعروف بالتِّبْنيني[١] أحسنَ قيام، وسَدَّ تلك الثغور، وقوَّم الأمور، واشترى ضيعةً بوادي بردى تسمى الكَفْر، ووقفها على تُرْبة فخر الدين، وعَمَرَ له قُبَّةً عظيمة على الجادَّة قُبالة قُبَّة خاتون، ثم توفي ولد شركس بعد قليلٍ، وأقام صارم الدِّين بالحُصُونِ إلى سنة خمس عشرة، فانتُزعت منه، وسيأتي ذكره[٢].

وفيها توفي المعين عبد الواحد بن الشَّيْخ عبد الوهَّاب بن علي بن سُكَيْنة[٣].

ومولده سنة اثنتين وخمسين وخمس مئة، وسافر إلى الشَّام في أيام الملك الأفضل علي بن صلاح الدين، وبَسَطَ لسانه في الدولة، فأُرسل إليه من بغداد ابنُ التَّكْريتي ليقتله، فوثب عليه مراراً بدمشق فلم يقدر عليه، فكتب إلى الخليفة كتاباً يتنصَّل فيه مما قيل عنه، ويعتذر، ويسأله العفو، فعفا عنه، وكتب له كتاب أمان، فقدم بغداد، فولاه مشيخة الشيوخ، وأُعطي رباط المشرعة، ثم بعثه في رسالةٍ إلى جزيرة كيش[٤]، ومعه جماعة من الصُّوفية، فَغَرِقَ في البحر ومَنْ معه، وسَمِعَ جَدَّه لأُمه أبا القاسم عبد الرحيم شيخ الشيوخ، وأبا الفتح بن البَطِّي، وأبا زُرْعة، وغيرهم.

---

(١) توفي الأمير صارم الدين سنة (٦٣٥ هـ)، وله ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٣٥ هـ)، وتاريخ الإسلام (ت ٣٢٩، وفيات سنة ٦٣٥ هـ)، الوافي بالوفيات: ١٣/ ٣٤٧.

(٢) ص ٣٠٨، من هذا الجزء.

(٣) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ٢٩٨، ذيل تاريخ بغداد لابن النجار: ١/ ٢٥٦ ـ ٢٥٨، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٨ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨، تاريخ الإسلام (ت ٤٠٠، وفيات سنة ٦٠٨ هـ)، المختصر المحتاج إليه: ٣/ ٧٧، الوافي بالوفيات: ١٩/ ٢٦٠، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤، الدارس: ٢/ ١٤٤ ـ ١٤٥.

(٤) هي في الخليج العربي، قرب بندر عباس من جهة إيران، وتعرف الآن بجزيرة قشم، انظر «معجم البلدان»: ٤/ ٤٢٢، ٤٩٧.

وفيها أُخِذَ حاجبُ الباب كمالُ الدِّين محمد بن النَّاعم[١]، وكان حسنَ الصُّورة، قبيحَ الفِعال، صادَرَ جماعةً، وماتوا تحت الضَّرْب، فلما قُبِضَ عليه ضُرِبَ ضَرْباً مُبَرِّحاً، فلم يُقِرَّ بشيء، فماتَ تحت الضَّرْب، وَرُمي به في دِجْلة كما كان يَفْعَلُ بالنَّاسِ، وظهر له بعد ذلك أموالٌ عظيمة، ودفائنُ كثيرة. ٨٠

وفيها توفي الشَّيْخ العماد محمد بن يونس، الفقيه المَوْصِلي[٢].

ولد سنة خمسٍ وثلاثين وخمس مئة، وتفقَّه، وانتهت إليه رياسة مذهب الشَّافعي بالمَوْصِل، وبُعِثَ رسولاً إلى بغداد لما توفي صاحبها نورُ الدِّين رسلان شاه بن عِزِّ الدِّين مسعود، وكان به وسواس في الطَّهارة، يبعث كلَّ يومٍ غلامه إلى الجسر، فيقف وَسْط الشَط، ويملأ الأباريق، فيتوضأ بها، وكان على ما قيل يعامل النَّاس[٣]. فالتقاه قضيبُ البان المولَّه يوماً، فقال له العماد: سلامٌ عليك يا أخي، كيف أنت؟ فقال: أما أنا فبخير، بلى، قد بلغني عنك أنك تغسل أعضاءك بأباريق ماء كلَّ يوم، فلِمَ لا تشطف اللُّقْمة التي تأكلها؟! فَفَهِمَ العمادُ قوله، فرجع عن ذلك، وكانت وفاته في رَجَبٍ بالمَوْصل.

---

(١) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٨ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/٢٣٦، تاريخ الإسلام (ت ٤١٨، وفيات سنة ٦٠٨ هـ).

(٢) له ترجمة في الكامل: ١٢/٢٥٨، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٨ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/٢٢٦ ـ ٢٢٧، وفيات الأعيان: ٤/٢٥٣ ـ ٢٥٥، المختصر في أخبار البشر: ٣/١١٤، تاريخ الإسلام (ت ٤٢١، وفيات سنة ٦٠٨ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢١/٤٩٨، العبر للذهبي: ٥/٢٨ ـ ٢٩، المختصر المحتاج إليه: ١/١٦٢، الوافي بالوفيات: ٥/٢٩٢، طبقات الشافعية للسبكي: ٨/١٠٩ ـ ١١٣، طبقات الشافعية للإسنوي: ٢/٥٦٩ ـ ٥٧٠، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٨ هـ)، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: ٢/٨٤، شذرات الذهب: ٥/٣٤.

(٣) كذا في النسخ الخطية، ولعله تعبير معروف في ذلك العصر يدل على أن مكسبه لا يحل، وساق الخبر بصيغة التمريض، فالله أعلم بصحته، وقد أثبت ناشر المطبوع بين قوسين: بالعِيْنة، وما أدري من أين أتى بها!

وفيها توفي بنيسابور في شَعْبان منصور بن عبد المنعم بن عبد الله الفَرَاوي[١]، من أهل بيت الحديث روايةً ودراية.

ولد سنة اثنتين وعشرين وخمس مئة في رمضان، وقَدِمَ بغداد حاجّاً في سنةِ تسعٍ وتسعين وخمس مئة، وحدَّث بها عن أبيه وجَدِّ أبيه فقيه الحرم أبي عبد الله محمد بن الفَضْل الفَرَاوي، وزاهر بن طاهر الشَّحَّامي، وغيرهم. وحدَّثنا عنه شيخُنا أبو عمرو بن الصَّلاح، ومحمد بن أبي الفَضْل المُرْسي، وغيرهما. وكان له ثلاث كُنى: أبو القاسم، أبو بكر، أبو الفتح.

وفيها توفي صارمُ الدِّين بُزْغُش العادلي[٢] بدمشق في الثَّالث والعشرين من صَفَر، ودُفِنَ بتربته في الجبل غربي الجامع المُظَفَّري.

ووصل الخبرُ بقتلِ الأمير المعروف بأيبك فُطَيس[٣] بظاهر حلب في حَمَّام، قتله فيه مملوك له تركي خامس عشر رجب.

وتوفي قاسم الدِّين التُّرْكماني بالعُقَيْبة ظاهر دمشق في التَّاسع والعشرين من شَوَّال، وهو والد ابن قاسم الدِّين والي دمشق.

وفيها توفي صاحبُ الرُّوم خُسْروشاه بن قَلِيْج أرسلان[٤]، وخلَّف ولَدْين

---

(١) له ترجمة في معجم البلدان: ٤/ ٢٤٥، التكملة للمنذري: ٢/ ٢٢٨، تاريخ الإسلام (ت ٤٢٣، وفيات سنة ٦٠٨ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٤٩٤ ـ ٤٩٦، العبر للذهبي: ٥/ ٢٩، المختصر المحتاج إليه: ٣/ ١٩١، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: ٣٩٧ ـ ٣٩٨، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٠٤، شذرات الذهب: ٥/ ٣٤.

(٢) له ترجمة في تاريخ الإسلام (ت ٣٨٤، وفيات سنة ٦٠٨ هـ)، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٨ هـ)، القلائد الجوهرية: ١/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣، وقد سلفت أخباره ص ٨٧، ١١٥ من هذا الجزء، وانظر «كتاب الروضتين»: ٣/ ١٩٤.

(٣) سلفت أخباره في «كتاب الروضتين»: ٤/ ٣٦٢، ٤٨٥.

(٤) أخباره في الكامل: ١٢/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣، مفرج الكروب: ٣/ ١٦٦، ٢١٧، ٢٢٥، تاريخ الإسلام (ت ٣٨٨، وفيات سنة ٦٠٨ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ١٩، صبح الأعشى: ٥/ ٣٦٠، الدول الإسلامية: ١/ ٣٢٣، معجم الأسرات الحاكمة: ٢١٥ ـ ٢١٦.

وذكر الذهبي في «السير»، والقلقشندي في «صبح الأعشى» وفاته سنة (٦٠٧ هـ).

كِيْكَاوس، توفي سنة خمس عشرة وست مئة، كما سيأتي ذِكره[١]، وهو الذي تسلطن بعده، وكِيْقباذ تولَّى بعد أخيه.

ثم دخلت سنة تسعٍ وست مئة

ففيها كانت نكبة سامة الجِيْلي، صاحب دار سامة، داخل باب السَّلامة التي هي الآن مدرسة للشَّافعية[٢]، وكان أحدَ الأمراءِ الكبار، وهو الذي ذُكِرَ عنه أنه سَلَّم بيروت إلى الفرنج كما تقدَّم[٣].

قال أبو المُظَفَّر: اجتمع العادل وأولاده: الكامل، والفايز، والمُعَظَّم بدِمْياط، وكان سامة بالقاهرة قد استوحش منهم، واتهموه بمكاتبة الظَّاهر صاحب حلب، وحكى لي المُعَظم أنه وَجَدَ له كُتُباً إليه وأجوبة، فخرج سامة من القاهرة كأنَّه يتصيَّد، واغتنم اجتماعَ الملوكِ بدمياط، وساق إلى الشَّام في مماليكه يطلب قلاعه، وهما كوكب، وعجلون، وذلك يوم الاثنين سَلْخ جُمادى الآخرة، فأرسل والي[٤] بِلْبيس الحَمَامَ إلى دِمياط يخبرُهُم بذلك. فقال العادل: مَنْ ساقَ خَلْفه فله أموالُه وقلاعُه. فقال المعظم: أنا. وركب من دمياط يوم الثلاثاء غُرَّة رجب، وكنتُ معه، فقال لي: أنا أريد أن أسوق، فَسُقْ أنت مع قُمَاشي. ودَفَعَ لي بَغْلَةً، وساقَ ومعه نَفَرٌ يسير، وعلى يده حصان[٥]، وكان صباح يوم الجمعة في غَزَّة، ساق مسيرة ثمانية أيام في ثلاثة أيام، فسبق سامة.

٨١

---

(١) ص ٢٩٨ من هذا الجزء.

(٢) انظر ص ١٦٧ من هذا الجزء.

(٣) ص ٧٢ من هذا الجزء.

(٤) في (س): صاحب.

(٥) تعبير مستعمل في تلك الفترة، يعني: تحت تصرفه حصان، إذ كان في العادة أن يصطحبوا معهم حصاناً آخر إذا أرادوا قطع مسافة طويلة غير الذي يركبونه، ويسمى الجنيب، وهذا التركيب سلف ص ١٩٣ من هذا الجزء.

كِيْكَاوس، توفي سنة خمس عشرة وست مئة، كما سيأتي ذِكره[١]، وهو الذي تسلطن بعده، وكِيْقباذ تولَّى بعد أخيه.

ثم دخلت سنة تسعٍ وست مئة

ففيها كانت نكبة سامة الجِيْلي، صاحب دار سامة، داخل باب السَّلامة التي هي الآن مدرسة للشَّافعية[٢]، وكان أحدَ الأمراءِ الكبار، وهو الذي ذُكِرَ عنه أنه سَلَّم بيروت إلى الفرنج كما تقدَّم[٣].

قال أبو المُظَفَّر: اجتمع العادل وأولاده: الكامل، والفايز، والمُعَظَّم بدِمْياط، وكان سامة بالقاهرة قد استوحش منهم، واتهموه بمكاتبة الظَّاهر صاحب حلب، وحكى لي المُعَظم أنه وَجَدَ له كُتُباً إليه وأجوبة، فخرج سامة من القاهرة كأنَّه يتصيَّد، واغتنم اجتماعَ الملوكِ بدمياط، وساق إلى الشَّام في مماليكه يطلب قلاعه، وهما كوكب، وعجلون، وذلك يوم الاثنين سَلْخ جُمادى الآخرة، فأرسل والي[٤] بِلْبيس الحَمَامَ إلى دِمياط يخبرُهُم بذلك. فقال العادل: مَنْ ساقَ خَلْفه فله أموالُه وقلاعُه. فقال المعظم: أنا. وركب من دمياط يوم الثلاثاء غُرَّة رجب، وكنتُ معه، فقال لي: أنا أريد أن أسوق، فَسُقْ أنت مع قُمَاشي. ودَفَعَ لي بَغْلَةً، وساقَ ومعه نَفَرٌ يسير، وعلى يده حصان[٥]، وكان صباح يوم الجمعة في غَزَّة، ساق مسيرة ثمانية أيام في ثلاثة أيام، فسبق سامة.

٨١

(١) ص ٢٩٨ من هذا الجزء.

(٢) انظر ص ١٦٧ من هذا الجزء.

(٣) ص ٧٢ من هذا الجزء.

(٤) في (س): صاحب.

(٥) تعبير مستعمل في تلك الفترة، يعني: تحت تصرفه حصان، إذ كان في العادة أن يصطحبوا معهم حصاناً آخر إذا أرادوا قطع مسافة طويلة غير الذي يركبونه، ويسمى الجنيب، وهذا التركيب سلف ص ١٩٣ من هذا الجزء.

وأما سامة فإنه تقطَّع عنه مماليكه ومَنْ كان معه، وبقي وحده، وبه نِقْرِس، فجاء إلى بلد الدَّاروم؛ وكان المُعَظَّم قد أمسك عليه من البحر إلى الزَّرْقاء، فرآه بعضُ الصيَّادين في برية الدَّاروم، فعرفه، فقال له: انزل. فقال: هذه ألف دينار وأوصلني إلى الشَّام. فأخذها الصَّيَّاد، وجاء رفاقه فعرفوه أيضاً، فأخذوه على طريق الخليل عليه السَّلام ليحملوه إلى عجلون، فدخلوا به القُدْس يوم الأحد سادس رجب، جاء بعد المعظم بثلاثة أيام. فقال لي المُعَظَّم رحمه الله: ما كنتُ خائفاً إلا أن يُصادفني في الطريق غِلْمانهُ، فيقتلوني، لو رماني إيدكين بسهم قتلني. فملَّكه اللهُ إيدكين والجميعَ.

فأنزل سامة في صِهْيَوْن، وبَعَثَ إليه بثيابٍ وطعام، ولاطفه وراسله، وقال: أنت شيخٌ كبير، وبك نِقْرِس، وما يَصْلُح لك قلعة، سَلِّمْ إليَّ كوكب وعجلون، وأنا أحلف لك على مالك وملكك وجميع أسبابك، وتعيش بيننا مثل الوالد. فامتنع، وشَتَمَ المُعَظَّم، فلما يَئِسَ المعظم منه بَعَثَ به إلى الكَرَك، فاعتقله، واستولى على قلاعه وأمواله وذخائره وخيله، فكان قيمة ما أخذ منه ألف ألف دينار[1].

وحجَّ بالنَّاس من العراق حسام الدِّين ابن أبي فراس نيابةً عن محمد بن ياقوت، وكان معه مال وخِلَعٌ لقتادة حتى سكت عنهم. ومن الشَّام شجاع الدين ابن محارب على أيلة.

وفيها استولى البال القبرسي[2] ـ لعنه الله ـ على أنطاكية، فَرُمِيَتْ تلك الأعمال منه بداهية، وتابع الغارات على تركمانها، فشرَّدهم، فتجمعوا، وأخذوا عليه المضايق، وحصل في وادٍ، فقتلوه وجميعَ رجاله، وطافوا برأسه في أعمالهم، ثم حملوه في البحر إلى الملك العادل بمصر. وهذا الملعون هو الذي كان هَجَم على فوة وبورة كما تقدَّم[3].

---

(١) «مرآة الزمان» حوادث سنة (٦٠٩ هـ).

(٢) انظر حاشيتا رقم ١ ص ٢٢٧ من هذا الجزء.

(٣) انظر ص ١٦٢ و٢٢٧ من هذا الجزء.

وفيها كان عَزْلُ الوزير صفيِّ الدين بن شُكْر عن وِزَارة العادل، والقَبْضُ على أملاكه، ثم نفي إلى الشَّرْق.

وفيها تظاهرتِ الإسماعيلية بألموت وكردكوه وما والاهما من بلاد العجم بالإسلام، وإقامة شعائره، والرجوع عما كانوا عليه من الفساد، وأرسل زعيمهم جلال الدين حسن إلى الخليفة النَّاصر يبذل الطاعة، ويستدعي قُضَاةً وفقهاء يفقهونهم، ويقضون بينهم، فأُجيب. وبعثَ إلى الحصون الشَّامية مصياث، والخوابي، والعليقة، وما ينضاف إليها مما ينسب إلى الإسماعيلية مَنْ أَظْهَرَ فيها شعائِرَ الإسلام، وتجديد المساجد، وإقامة الحدود على منِ ارتكب مُحَرَّماً.

وفيها خُرِّبت حِصْن كوكب، ونقل ذخائرها إلى الطُّور.

وفيها توفي مادح الرحمن[1]، وفخر الدين بن إسرائيل، وعِزّ الدين عبدان الفلكي[2]، صاحب الدار والحَمَّام المنسوبين بعده إلى ابنِ موسك مقابلة دار الحديث النُّورية.

وفيها في ثامن ربيع الأول توفي الملك الأوحد، صاحب خِلاط. واسمه أيوب بن أبي بكر بن أيوب، ولقبه نجم الدين[3].

---

(١) في هامش الأصل: اسمه نصر الله بن أبي بكر.
قلت: له ترجمة في التكملة للمنذري: ٢/ ٢٤٩، وقال: يقال إنه كان قد قصر شعره على ذكر الله سبحانه وتعالى، والثناء عليه، ولم يمدح أحداً من المخلوقين.

(٢) له ترجمة في تاريخ الإسلام (ت ٤٥٦، وفيات سنة ٦٠٩ هـ)، الوافي بالوفيات: ١٩/ ٣٣٩، الدارس: ١/ ١٠٠.
وقد تحرف اسمه في (س) إلى عيدان.

(٣) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٩ هـ)، مفرج الكروب: ٣/ ٢٠٨، كنز الدرر: ٧/ ١٦٩، المختصر في أخبار البشر: ٣/ ١١٤، تاريخ الإسلام (ت ٤٣٩، وفيات سنة ٦٠٩ هـ)، الوافي بالوفيات: ١٠/ ٣٦ـ٣٨، السلوك: ج١/ ق١/ ٢٠٥، شفاء القلوب: ٢٧٣ـ٢٧٥، ترويح القلوب: ٥٠.
وقد ذكر ابن واصل في «مفرج الكروب» وفاته سنة (٦٠٧ هـ)، وتابعه أبو الفداء في =

وكان قد سَفَكَ دماءَ المقدَّمين من أهل خِلاط، فلم يَطُلْ عُمْرُه. ملك خلاط أقلَّ من خمس سنين، وابْتُلي بأمراضٍ مُزْمنة كان يتمنَّى الموت معها، وكان قد استزار أخاه الأشرف من حَرَّان، فأقام عنده أياماً، واشتدَّ مرضه، فطلب الأشرف الرجوع إلى حَرَّان لئلا يتخيَّل منه الأوحد، فقال له الأوحد: يا أخي، كم تَلِجُّ، والله إني مَيِّت، وأنتَ تأخذ البلاد.

٨٢ وكان الأوحد قد صاغ للأشرف طلعة ذهب من خمس مئة دينار للسَّنْجَق، وبقيت في الخزانة، واشتغلوا بمرض الأوحد، فتوفي، ومَلَكَ البلادَ الأشرفُ، وأول ركوبه في خِلاط بالسَّنْجَق كان بتلك الطلعة، وكانت وفاة الأوحد بملازكرد، فَدُفِنَ بها، وجاء الأشرف، فدخل خِلاط، فأحسنَ إلى أهلها، وخَلَعَ عليهم، وعَدَلَ فيهم، فأحبُّوه وأطاعوه.

وفيها توفي أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن أبي بكر القَفْصي[1]، المحدِّث المقرئ، سمع الكثير بدمشق وغيرِها، وكتَبَ كُتُباً كثيرة، وكانت وفاتُهُ في ربيع الأول، ودُفِنَ عند المُنَيْبِع بمقابر الصُّوفية.

وفيها توفي بمرو أبو الفتح محمد بن سَعْد بن محمد الدِّيباجي[2]، من أهل مرو.

ولد في المحرَّم سنةَ سبع عشرة وخمس مئة، وسمع الحديث، وقَدِمَ بغداد حاجًّا سنة ست مئة، ومعه كتابٌ سَمَّاه «المحصَّل في شرح المُفَصَّل» للزَّمَخْشري

= «المختصر»، والمقريزي في «السلوك». والصواب وفاته سنة (٦٠٩ هـ) كما ذكره أبو شامة متابعاً سبط ابن الجوزي.

(١) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٩ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٢٤٧، تاريخ الإسلام (ت ٤٣٣، وفيات سنة ٦٠٩ هـ)، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٩ هـ)، توضيح المشتبه: ٧/ ٢٤١.

(٢) له ترجمة في إنباه الرواة: ٣/ ١٣٩ ـ ١٤٠، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٩ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٢٤١، المختصر المحتاج إليه: ١/ ٥١، الوافي بالوفيات: ٣/ ٨٩ ـ ٩٠، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٩ هـ)، بغية الوعاة: ١/ ١١١ ـ ١١٢.

في النحو، وعاد إلى مَرْو، وسمع أبا سَعْد بن السَّمْعاني وغيره، وكان فاضلاً ثِقَةً.

وفيها توفي الشيخ أبو الثناء، محمود بن عثمان بن مكارم، النَّعَّال الحنبلي الزَّاهد[1].

ولد في سنة ثلاث وعشرين وخمس مئة ببغداد بالبدرية، وقرأ القرآن. وسَمِعَ الحديث، وكان آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، وكان له رياضاتٌ ومجاهداتٌ، وساحَ في بلاد الشام وغيرها، وبنى رباطاً بباب الأَزَج، يأوي إليه أهلُ العِلْم من المقادسة وغيرِهم، وكان يؤثرهم، وانتفع به خَلْقٌ كثير، وكان شيخاً مهيباً، لطيفاً كيِّساً، باشّاً متبسماً، يصوم الدَّهْر، ويختم القرآن كلَّ يومٍ وليلة، ولا يأكل إلا من غَزْلِ عَمَّته.

وحُكي أنه كان ببغداد رجل عواني[2] يقال له شروين، وكان فاتكاً ذا شَرّ؛ إذا رأى امرأةً أو صبياً مستحسناً في طريقٍ تبعه، وإذا صادفَ رجلاً من أولاد النَّاس لَزِمَه، وقال: كانت هذه أو هذا عندك. ومقصوده يأخذ منه شيئاً، ويقول له: امشِ إلى الحَبْس. فيأخذ ما معه. قال: فسألني جماعةٌ من الأخيار أن نمضي إلى زيارة معروف[3] الكَرْخي، واشتروا مأكولاً، وعَبَرْنا دِجْلة وقد تَبِعَنا شروين، ولم نعلم، فدخلنا بستاناً، وقعدنا نأكل، وإذا به قد هَجَمَ علينا، وقعد بيننا، فخافَ الجماعةُ منه، ومَدَّ يده فأخذ لُقْمة، فصُحْتُ عليه صيحةً عظيمةً؛ وقلتُ

---

(١) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٩ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٢٤٠ ـ ٢٤١، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ١٤، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٩ هـ)، ذيل طبقات الحنابلة: ٢/ ٦٣ ـ ٦٤، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٠٧، المقصد الأرشد: ٢/ ٥٤٨، المنهج الأحمد: ٤/ ٩٣ ـ ٩٤، شذرات الذهب: ٥/ ٣٨ ـ ٣٩. ويكنى كذلك بأبي الشكر.

(٢) رجل عواني يعني يسعى بالشر بين الناس، وهي كلمة عامية ما تزال دارجة، وسياق الخبر يفسر معناها.

(٣) في (س) قبر معروف.

له: ويلك، قُمْ فنحن ما يأكل معنا إلا مَنْ هو وليٌّ لله تعالى. قال: فتغيَّر لونه، ورمى باللُّقْمة من يده، وولَّى منصرفاً، وما عاد إلى مِثْلها. وكانت وفاةُ محمود في صَفَر، ودُفِنَ برباطه، رحمه الله.

ثم دخلت سنة عشر وست مئة

ففيها أَمَرَ العادِلُ بإحداث تركيب سلاسل على أفواه السِّكَك المجاورة للجامع[1]، ومدِّها في أيام الجُمَع، ليمنع الخيل من قرب أبواب الجامع؛ وذلك لما كان ينالُ النَّاسَ من المشقَّة من زَحْمةِ الخيل التي يركبها بعضُ المصلِّين إلى الجامع، فحصَلَ للنَّاسِ بذلك رِفْقٌ عظيمٌ، ثم تُرِكَ ذلك بعد زمان، وعادَ الأمرُ إلى ما كان إلى الآن[2].

وعمل بعضُ المتفرِّغين في ذلك نظماً كان يُغنى به في الأسواق، أوله:

إنَّ ذا عـــامٌ جـــديـــدْ ... إنَّ ذا يـــومٌ ســـعـــيـــدْ

والـــمـــديـــنـــةْ هـــارِبَـــةْ ... قَـــيَّـــدُوهـــا[3] بـــالـــحـــديـــدْ

كـــلُّ جُـــمْـــعـــةْ يَـــسْـــجُـــنـــوهـــا ... كـــأنَّـــهُـــمْ مـــا يـــعـــرِفُـــوهـــا

والـــنـــبـــيّ لـــو أطـــلـــقـــوهـــا ... مـــا بَـــرِحْ بـــاب الـــبـــريـــدْ

٨٣ **وفيها** وَصَلَ الفيل من الدِّيار المِصْرية ليُحْمَلَ هديةً إلى الكُرْج، وازدحم النَّاسُ للتفرُّج عليه؛ وذلك في ثاني صفر.

وفيها ولد الملك العزيز محمد بن الظَّاهر غازي بن صلاح الدِّين يوسف بن أيوب.

---

(١) يعني جامع دمشق.

(٢) يعني سنة (٦٥٩ هـ)، وهو تاريخ كتابة هذا القسم من الكتاب، انظر مقدمتي ص ١١ ـ ١٢ .

(٣) في (ب) قد قيدوها، بزيادة: قد، وهي مما انفردت به.

له: ويلك، قُمْ فنحن ما يأكل معنا إلا مَنْ هو وليٌّ لله تعالى. قال: فتغيَّر لونه، ورمى باللُّقْمة من يده، وولَّى منصرفاً، وما عاد إلى مِثْلها. وكانت وفاةُ محمود في صَفَر، ودُفِنَ برباطه، رحمه الله.

ثم دخلت سنة عشر وست مئة

ففيها أَمَرَ العادِلُ بإحداث تركيب سلاسل على أفواه السِّكَك المجاورة للجامع[1]، ومدِّها في أيام الجُمَع، ليمنع الخيل من قرب أبواب الجامع؛ وذلك لما كان ينالُ النَّاسَ من المشقَّة من زَحْمةِ الخيل التي يركبها بعضُ المصلِّين إلى الجامع، فحصَلَ للنَّاسِ بذلك رِفْقٌ عظيمٌ، ثم تُرِكَ ذلك بعد زمان، وعادَ الأمرُ إلى ما كان إلى الآن[2].

وعمل بعضُ المتفرِّغين في ذلك نظماً كان يُغنى به في الأسواق، أوله:

إنَّ ذا عـــامٌ جـــديـــدْ ... إنَّ ذا يـــومٌ ســـعـــيـــدْ

والـــمـــديـــنـــهْ هـــارِبَـــهْ ... قَـــيَّـــدُوهـــا[3] بـــالـــحـــديـــدْ

كـــلُّ جُـــمْـــعـــهْ يَـــسْـــجُـــنـــوهـــا ... كـــأنَّـــهُـــمْ مـــا يـــعـــرِفُـــوهـــا

والـــنـــبـــيّ لـــو أطـــلـــقـــوهـــا ... مـــا بَـــرِحْ بـــاب الـــبـــريـــدْ

٨٣ **وفيها** وَصَلَ الفيل من الدِّيار المِصْرية ليُحْمَلَ هديةً إلى الكُرْج، وازدحم النَّاسُ للتفرُّج عليه؛ وذلك في ثاني صفر.

وفيها ولد الملك العزيز محمد بن الظَّاهر غازي بن صلاح الدِّين يوسف بن أيوب.

---

(١) يعني جامع دمشق.

(٢) يعني سنة (٦٥٩ هـ)، وهو تاريخ كتابة هذا القسم من الكتاب، انظر مقدمتي ص ١١ ـ ١٢ .

(٣) في (ب) قد قيدوها، بزيادة: قد، وهي مما انفردت به.

وفيها قَدِمَ إلى بغداد شمسُ الدِّين التِّنَّبي[١] رسولاً من العادل، وكان قد أحسن إلى العادل لما حُوصِرَ بدمشق، واقترض له أموالَ التجار وضمنها، فرأى له العادل ذلك، فأحَبَّه وقَرَّبه، وحَسَدَه الصَّفي بن شُكْر، فأبعده عنه بالرِّسالة[٢].

وحجَّ بالنَّاسِ ابنُ أبي فراس من العراق. ومن الشَّام الغرز صديق بن تمرتاش التركماني على أيلة بحاج الكَرَك والقُدْس.

وفيها قَدِمَ الملك الظافر خضر ابن السُّلْطان صلاح الدين رحمه الله من حَلَب بعزم التوجُّه إلى الحج، فنزل بالقابون يوم الأحد رابع شَوَّال، ثم انتقل إلى مسجد القدم خامسه، ووصل ابنُ عمه المُعَظَّم من حيث كان بنواحي شام حوران، واجتمع على جسر الخشب سادسه، وعمل له دعوة بداره تاسعه، ودعتهما جميعاً عمتهما ست الشَّام إلى دارها ثامن عشره، ورحل من دمشق متوجهاً إلى الحج [في جَمْعٍ من الحُجَّاج][٣] تاسعِ عشر شوال، وخَرَجَ معه المُعَظَّم، فودَّعه، وتوجَّه نحو الجابية، واجتمع الحُجَّاج ببصرى، فرحل بهم الظافر منها ضحوةَ يومِ الأربعاء الثامن والعشرين من شوال، الموافق لثاني عشر آذار، فسلكوا طريق تيماء إلى مدينة النبي ﷺ، فحصل على الزِّيارة، [ثم أَحْرَمَ بالحجِ][٤]، فلما وَصَلَ إلى بَدْر رُدَّ من الطريق.

قال أبو المظفر: وكان حَجَّ معه يعقوب الخياط المغاري، كان مقيماً بمغارة الجوع بقاسيون، وكان صديقَ الظَّافر، فلما وصل الظافر إلى بَدْر وَجَدَ عسكر الكامل ابن عمه العادل صاحب مِصْر قد سَبَقه خوفاً منه على اليمن، فقالوا:

---

(١) هو عبد المجيد بن صاعد بن سلامة، والتِّنَّبي، نسبة إلى تِنَّب: قرية بقرب قنسرين من حلب. له ترجمة في التكملة للمنذري: ٢/ ٣٧٣، وتوضيح المشتبه: ٢/ ٦٦، وقد توفي بمصر سنة (٦١٣هـ).

(٢) كذا قال أبو شامة متابعاً سبط ابن الجوزي في «المرآة»، وسينقل عن العز بن تاج الأمناء: ص ٣١٢ أن الصفي عُزِلَ عن الوزارة في سنة (٦٠٩ هـ)، فلعله أرسله قبل عزله بقليل، والله أعلم.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و(ك) و(ع) و(س).

(٤) ما بين حاصرتين من (ب) و(ك) و(ع) و(س).

ترجع. فقال: قد بقي بيني وبين مكة مسافة يسيرة، ووالله ما قَصْدِي اليمن، وإنما أريد الحج، فَقَيِّدوني واحتاطوا بي حتى أقضيَ المناسك، وأعودَ إلى الشَّام. فلم يلتفتوا إليه، فرجع إلى الشَّام، وعاد يعقوب الخياط معه، ولم يحجَّ[1].

قلت: وحكى لي والدي رحمه الله، وكان ممن حَجَّ معه [في][2] تلك السنة أَنَّه شَقَّ على النَّاس ما جرى عليه، وأراد كثيرٌ منهم أن يقاتلوا الذين صَدُّوه عن المضي في حَجِّه، فنهاهم عن ذلك، واختار الرُّجوع على الفِتْنة، وفعل ما فعله النبيُّ ﷺ عام الحُدَيْبية حين صَدَّه الكُفَّار عن البيت، فقصَّر من شَعْره، وذبح ما تيسَّر، وكان مُحْرِماً من ذي الحُلَيْفة، ولبس ثيابه، وودَّع النَّاس، ورجع وعيونُ النَّاسِ باكية، ولهم ضجيجٌ وعويل، ولحقهم عليه حُزْنٌ طويل من جهة صَدِّه عن مشاعر الدِّين، وهو ابن مثلِ صلاح الدين، رحم الله الجميع.

وفيها[3] وَصَلَ كتابٌ من جهة بلاد خُرَاسان من بعض فقهاء الحنفية إلى الشيخ تاج الدِّين الكِنْدي بدمشق يخبر فيه بخلاص خُوارَزْم شاه محمد من أسر التَّتر، وعوده إلى مملكته؛ وهو أَنَّه كان منازلاً لطوائف التتر بعساكره، فخطر له أن يكشف أمورهم بنفسه، فتنكر، ودخل عسكرهم، ومعه ثلاثةُ نَفَرٍ في زِيِّ القوم، فأنكروهم، فقبضوهم، وضربوا اثنين فماتا تحت الضَّرْب ولم يُقِرَّا، ووكلوا بخوارَزْم شاه ورفيقه، فهربا بالليل، ووَصَلَ محمد إلى معسكره سالماً، ٨٤ وعاد إلى ما كان عليه من التصدِّي لمنازلتهم.

وفيها ظهرتْ بلاطةٌ وهم يحفرون [في][4] خندق حلب، فَقُلِعَتْ، فوجد

(١) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦١٠ هـ).

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ك) و(ع) و(س).

(٣) هذا الخبر ليس في (ب).

(٤) ما بين حاصرتين من (ب) و(ك) و(ع) و(س).

تحتها تسع عشرة قطعةً من ذهب وفِضَّة على هيئة اللَّبِن، فاعْتُبِرَتْ، فكان منها ذهباً مِصْرياً ثلاثة وستون رطلاً بالحلبي، وعشرة أرطال ونصف صُوري، وأربعة وعشرون رطلاً فِضَّة، ثم وجدوا حَلْقةً من ذهب وزنها رطلان ونصف، فَكَمَلَ الجميعُ قِنْطاراً.

وفيها قُتِلَ أحمد بن محمد بن عمر الأَزَجي[1]، ويعرف بالمُوَفَّق.

نشأ بباب الأَزَج، وسمع الحديث من ابن كُلَيْب، وابن بَوْش، وابن طَبَرْزد، وغيرهم. وكان فقيراً، خَرَجَ إلى الشَّام، واجتمعَ بالملكِ الظَّاهر صاحب حلب، وقال له: قد بعث لك الخليفة معي إجازة. وتقوَّلَ على الخليفة، فخلع عليه، وأعطاه خمسين ديناراً، ودارَ على ملوكِ البلاد، فحَصَلَ له منهم ثلاث مئة دينار.

قال أبو المُظَفَّر: واجتمعتُ به في دمشق وقد رجع من زيارة القُدْس، فقلت له: إلى أين انتهت زيارتُك؟ فقال: إلى لوط. وكان مطبوعاً. وبلغني حديثه فقلتُ له: قد فعلتَ ما فعلت فلا تَقْرَبْ بغداد. فقال: أتتك بحائنٍ رِجْلاه[2]. فقلتُ: ما أخوفني أن يصحَّ المَثَلُ فيك. فكان كما قلتُ؛ نَزَلَ إلى بغداد في سفينةٍ من المَوْصِل، وصَعِدَ بباب الأَزَج إلى بيت أُخته وقتَ المغرب، فلما كان بعد العِشاء الآخرة طَرَقَ البابَ طارقٌ، فقال: مَنْ هذا؟ فقال: كلِّمْ مَنْ يطلبك. فخَرَجَ، وإذا برجلٍ، فسحَبَهُ عن الباب، وضربه بسكِّين حتى قَتَلَه، ثم صاح على الباب: اخرجي خذي أخاك وما معه. فخرجتْ أُخته، وإذا به مقتول، فأخذتِ المالَ، ودفنتْهُ في الليل[3].

---

(١) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٠ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٢٧٤، تاريخ الإسلام (ت ٤٩٦، وفيات سنة ٦١٠ هـ)، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: ١٨٣ ـ ١٨٤، الوافي بالوفيات: ٨/ ٧٢.

(٢) الحائن: الأحمق، وهو مثل، انظر «المستقصى» للزمخشري: ١/ ٣٧ ـ ٣٨.

(٣) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٠ هـ).

وفيها توفي أبو الفَضْل أحمد بن مسعود بن علي، التُّرْكستاني، الحنفي[١].

قَدِمَ بغداد وكان قد تفقَّه، وبَرَعَ في عِلْم النَّظَر، وانتهت إليه الرياسة في مذهب أبي حنيفة، ولاَّه الوزير ابنُ مهدي المظالم والتدريس بمشهد أبي حنيفة[٢]، ورسَّله إلى الأطراف، وكان عفيفاً نَزِهاً، وتوفي في ربيع الآخر، ودفن عند مشهد أبي حنيفة، رحمهما الله[٢].

وفيها توفي أبو محمد، إسماعيل بن علي بن الحسين[٣] الملقب بالفَخْر غلام ابنِ المَنِّي، ويُعرف بابنِ الرَّفَّاء، وبابن الماشطة الحنبلي.

ولد سنة تسعٍ وأربعين وخمس مئة، وقرأ المذهب والخلاف على أبي الفَتْح بن المنِّي، وقرأ طريقة الشريف، وصنَّف له تعليقةً وجدلاً من كلام الشَّريف، وزاد عليه ونَقَّصَ منه، حتى سماه أهل بغداد «النظيف من تعليق الشَّريف»، وكان فصيحاً، وله عبارةٌ جيدة، وصوت رفيع. وكان له حَلْقة بجامع الخليفة يجتمع إليه الفقهاء فيها ويناظرهم، وولاه الخليفة ضياع الخاص، فظلم الرَّعية، وجبى الأموال من غير حِلِّها، فشكوه إلى الخليفة، فسَخِطَ عليه، وعَزَله، فأقام في بيته خاملاً فقيراً يعيش من صدقاتِ النَّاس إلى أن مات في ربيع

(١) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ٣٠٢، التكملة للمنذري: ٢/ ٢٧٤، تاريخ الإسلام (ت ٤٩٧، وفيات سنة ٦١٠ هـ)، العبر للذهبي: ٥/ ٣٤، المختصر المحتاج إليه: ١/ ٢١٧، الوافي بالوفيات: ٨/ ١٧٨، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١٠ هـ)، الجواهر المضية: ١/ ٣٣١ ـ ٣٣٣، الطبقات السنية: ٢/ ١٠٦ ـ ١٠٧، شذرات الذهب: ٥/ ٤٠.

(٢ ـ ٢) ما بينهما ليس في (س).

(٣) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٠ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣، تلخيص مجمع الآداب: ج٤/ت ١٩٩٣، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ٢٨ ـ ٣٠، العبر للذهبي: ٥/ ٣٤، تاريخ الإسلام (ت ٥٠٢، وفيات سنة ٦١٠ هـ)، المختصر المحتاج إليه: ١/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥، الوافي بالوفيات: ٩/ ١٥٧ ـ ١٥٩، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١٠ هـ)، ذيل طبقات الحنابلة: ٢/ ٦٦ ـ ٦٨، لسان الميزان: ٢/ ١٥٣ ـ ١٥٤، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢١٠، المقصد الأرشد: ١/ ٢٦٨، المنهج الأحمد: ٤/ ٩٧ ـ ٩٨، شذرات الذهب: ٥/ ٤٠ ـ ٤١.

الأول، ودُفِنَ بداره بدرب الجب، ثم نُقِلَ بعد مُدَّةٍ إلى باب حَرْب، وبيعت الدَّار.

وقال أبو المظفر: وولده محمد بن إسماعيل الملقب بالشَّمْس، قَدِمَ الشَّامَ بعد سنة عشرين وست مئة، وتعاطى الوعظ، وكان فاسقاً مجاهراً، هجَّاءً، خبيثَ اللِّسان، وكان معه جماعة من المُرْدان من أبناء النَّاس يقول: إنهم مماليكه، وسمى نفسه ابن المني، وإنما هو ابنُ غلام ابن المني، وبَدَتْ منه بدمشق ومصر والشَّام هَنَاتٌ قبيحة، وكان يضرِبُ الزَّغَل[1] مع هذه الهَنَات.

٨٥ وورد خالي أبو محمد يوسف رسولاً إلى الكامل، فكتب في حَقِّه أشياء إلى بغداد[2]، وشنَّع عليه، وكان الخليفة هو المستنصر، فلم يسمع منه، ونفاه الكامل من مِصْر، فجاء إلى دمشق وأنا بها، فهجا قاضيها شمسَ الدِّين الخُوَيِّي، ومحتسبها، وشيخَ شيوخِها الصَّدْر البكري، وأعيانَ الدَّماشقة، هجاهم بقصيدةٍ يقول فيها:

شيخُ شيوخِ الشَّآم مَسْخَرَةٌ   هذا وقاضي قُضاتهم نَرْدِي

وكان نازلاً في مدرسة الحنابلة عند النَّاصح ابن الحنبلي، فهجا النَّاصِحَ والمقادسة، واتَّفق أنه أُخِذَ غلامه في السُّوق، ومعه دراهم زَغَل، ووصل الخبر إلى المُعَظَّم، فأراد قَطْعَ يده، ثم نفاه، ومات المُعَظَّم وهو بدمشق، وأقام بالشَّام مُدَّة، ثم خَطَرَ له النزول إلى بغداد، فقدمها في أيام المستنصر بالله، وتوصَّل حتى جلسَ بباب بَدْر، ثم شَرَعَ في السِّعايات بالنَّاس، واتفق أنَّ غلاماً له تعرَّض لبعضِ حُرَمِ النَّاس من السطح، فجاء زوجها إلى الباب[3]، وشَنَّع عليه، فمضى إلى أستاذ الدَّار، ولبَّس عليه، وقال: أَمَرَكَ الوزيرُ أن تَضْرِبَ

---

(١) كلمة مولدة بمعنى الغش، وزيف النقود. انظر «تاج العروس» (زغل).

(٢) في (ب) و(ك) و(ع) و(س): فكتب في حقه إلى بغداد أشياء.

(٣) قوله: إلى الباب، ليس في (س).

زوجَها مئة خشبة وتحلِقَ لحيتَهُ. فَفُعِلَ بالرجل ذلك، وبلغ المستنصر[١]، فقامت عليه القيامة، وبعث إلى الوزير، فأنكر عليه؛ فأحضر أستاذ الدار، وسأله عن القضية، فأحال على غلام ابن المني، فأمر الخليفة بأن يخرج إلى باب النوبي، ويُضْرَبَ مئة خشبة، ويقطعَ لسانه، ففعلوا به ذلك، وأعطوه لسانه في مَدَاسِهِ بيده، ونادوا عليه: هذا جزاء مِنْ يكثُرُ كلامُه. وحُمِلَ إلى البيمارَسْتان العَضُدي، فتكلَّم، وكان قَطْعُ لسانه من أصله، وبَرأ، فأُخرج من البيمارَسْتان، فعاد إلى السِّعاية بالنَّاس؛ فقال المستنصر: لا يجيءُ مِنْ هذا خيرٌ أبداً، يُحمل إلى واسط، ويُرْمى في مطمورة. فَنُفِيَ إلى واسط، وأُلقي في مطمورة، فماتَ بها في أيام المستنصر، وكان ما فَعَلَ به المستنصر من أكبر حسناته[٢].

وفيها توفي ابن حديدة الوزير[٣]. واسمه سعيد بن علي بن أحمد، أبو المعالي، ولقبه معز الدين؛ وهو من ولد قُطْبة بن عامر بن حديدة الأنصاري الصَّحابي، رضي الله عنه.

ولد بكَرْخ[٤] سامَرَّاء سنة ستٍّ وثلاثين وخمس مئة، ونشأ ببغداد، وكان أحدَ الموسرين، له مالٌ كثير، وجاه عريض، واستوزره الإمام النَّاصر في سنة أربعٍ وثمانين وخمس مئة، وخلع عليه خِلْعَة الوِزَارة الكاملة: القميص الأطلس، والفَرَجية الممرج، والعِمامة القصب الكحلية بأعلام الذهب، وقلَّده سيفاً محلًّى، وقدَّم له فرساً من خيل الخليفة، فركبه، وخرج أربابُ الدَّولة يمشون بين يديه من بابِ حُجْرة الخليفة إلى دار الوزارة.

---

(١) في (س): وبلغ الخبر المستنصر، بزيادة الخبر، وهي ليست في بقية النسخ، ولا في «المرآة».

(٢) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٠ هـ)، وفي هامش الأصل: بلغ مقابلة.

(٣) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ٣٠٢، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٠ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦، الفخري: ٣٢٤، تاريخ الإسلام (ت ٥١٠، وفيات سنة ٦١٠ هـ)، المختصر المحتاج إليه: ٢/ ٩١ ـ ٩٢، الوافي بالوفيات: ٥/ ١٨٠ ـ ١٨١، ٢٤٣ ـ ٢٤٤، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١٠ هـ)، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٠٩.

(٤) بكرخ، ليس في (س).

وهو الذي كان الشيخ أبو الفرج بن الجوزي يجلس في داره ويمدحه.

ولم يزل على الوزارة حتى ولي ابنُ مهدي نقابةَ العلويين، فَشَرَعَ فيه، ومازال بالخليفة حتى عزله، واعتقله، وطالبه بمالٍ، فالتجأ إلى التربة الإخلاطية، فلم ينفعه، وأدَّى المال، وأقام في بيته إلى أن ولي ابن مهدي الوزارة، فَسُلِّم إليه، فاعتقله في داره بدرب المطبخ، وعَزَمَ على تعذيبه، فواطأ الموكلين به، وحَلَقَ رأس نَفْسِهِ ولحيته، وخرج في زِيِّ النساء إلى مَرَاغة، فأقام بها حتى[١] عُزِلَ ابنُ مهدي، وعاد إلى بغداد، فنزل داره بالقيوثين[٢] وأقام بها[١] حتى توفي في جُمادى الأُولى، وحُمِلَ إلى الكوفة، فدفن بمشهد أمير المؤمنين، وكان جَوَاداً، سَمْحاً، كثيرَ الصَّدقات والمعروف، متواضعاً.

وفيها في شَوَّال توفي سِنْجر بن عبد الله النَّاصري[٣] الذي كان عصى على الخليفة، ثم عفا عنه[٤]. وكان ذليلاً بخيلاً، ساقِطَ النَّفْسِ مع كثرةِ البلادِ والأموال، تولى إمارة الحاجّ في سنة تسع وثمانين وخمس مئة، وعاد في صفرِ سنةَ تسعين، فاعترض الحاجَّ رجلٌ بدوي من غزِيَّة يقال له دهمش في نَفَرٍ يسير، ومع سنجر خمس مئة فارس، فلم يلقه، وذلَّ، فطلب دهمش منه خمسين ألف دينار، فجمعها سنجر من الحاج، وضيَّق عليهم، ولما ورد بغداد وكل عليه الخليفة بذلك المال، وأخذه منه، ورَدَّه على أصحابه، وعزله عن إمرة الحاج، وولاها طاشْتِكِين. ٨٦

(١ ـ ١) ما بينهما ليس في (ب).

(٢) في النسخ الخطية مهملة، ولم أهتد إلى معرفتها، ولعلها تحريف عن القلائين، وهي محلة كبيرة غربي بغداد، انظر «معجم البلدان»: ٥/ ٣٢٢، و«الكامل» لابن الأثير: ١٠/ ٩٧، ١٢٤، ١١/ ٢١٣، و«توضيح المشتبه»: ١/ ٦٢٢، و«خطط بغداد في القرن الخامس»: ص ٥٢.

(٣) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠، ومرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٠ هـ)، والوافي بالوفيات: ١٥/ ٤٧٥.

(٤) وذلك سنة (٦٠٧ هـ)، انظر «مرآة الزمان» في حوادثها.

وفيها[١] توفي عبد الجليل[٢] والد الشَّمْس صديقنا السيرجاني[٣]، راوي كتاب البخاري عن أبي الوقت، سمعه عليه خَلْقٌ كثير بدمشق، وكان نازلاً بدويرة حمد في سابع عشر جُمادى الأولى، ودُفِنَ بالجبل.

وفيها توفي تاج الأُمناء، أبو الفَضْل أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله، من بني عساكر[٤]؛ أخو الفَخْر، وزين الأمناء، وهو أكبر منهما.

سمع عمَّيه الصَّائن أبا الحسين[٥]؛ والثقة الحافظ أبا القاسم، وغيرهما، ودُفِنَ عند مسجد القدم، وخلَّف أولاداً كثيرين، وكان من أصدقاء الشيخ تاج الدِّين الكِنْدي، وكان له سَمْتٌ حسن، وكانت وفاته يوم الأحد ثاني رجب، ودفن من الغد بمقبرة مسجد القدم على جَدِّه لأُمه ابن الرَّان قبلي المحراب.

وفيها توفي الصَّفي إبراهيم بن التِّنَّبي، ودُفِنَ بالجبل، وهو والد البَدْر[٦].

وفيها توفي بحلب تاج العلاء النسابة الشَّريف الحسني الرَّمْلي[٧] الذي كان

---

(١) هذه الترجمة جاءت في النسخ ـ عدا الأصل ـ آخر التراجم في وفيات هذه السنة.

(٢) له ترجمة في التكملة للمنذري: ٢/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩، مشيخة ابن البخاري: ١٣٠ ـ ١٣٤، تاريخ الإسلام (ت ٥١٧، وفيات سنة ٦١٠ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ٢١ ـ ٢٢، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٠٩ ـ ٢١٠، شذرات الذهب: ٥/ ٤٢.

(٣) كذا في النسخ الخطية، وفي مصادر ترجمته: السَّريجاني، نسبة إلى قرية بأصبهان، وقيدها بعضهم بضم السين وكسر الراء ونون ساكنة، وبعدها جيم مفتوحة: السُّرِنجاني. انظر «التكملة» و«مشيخة ابن البخاري»، وضبطها ياقوت سُرَيجان بلفظ تثنية سرج، «معجم البلدان»: ٣/ ٢١٨.

(٤) له ترجمة في التكملة للمنذري: ٢/ ٢٨١ ـ ٢٨٢، تاريخ الإسلام (ت ٤٩٤، وفيات سنة ٦١٠هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ٢٦ ـ ٢٧، العبر للذهبي: ٥/ ٣٣، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١٠ هـ)، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢١٠، شذرات الذهب: ٥/ ٤٠.

قلت: وهو والد العز بن تاج الأمناء الذي ينقل عنه أبو شامة في «مذيله» هذا، وستأتي ترجمته ص ٧٠ من الجزء الثاني.

(٥) في (س) الضياء بن أبي الحسن، وهو تحريف متراكب!

(٦) سترد وفاته ص ١١٦ من الجزء الثاني.

(٧) هو الأشرف بن الأعز بن هاشم العلوي الحسني، له ترجمة في تاريخ الإسلام (ت ٥٠٤، =

بآمد، وكان اجتمع هو وأبو الخَطَّاب بن دِحْية، فقال له تاج العلاء: إنَّ دِحْيَةَ لم يُعْقِبْ. فرماه ابنُ دِحْية بالكذب[١] في مسائله المَوْصِلية.

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وست مئة

ففيها شُرِعَ في تبليط رواقات الجامع الدَّاخلة، وابتدئ بالجهة الشَّرقية مكان السبع الكبير في ثالث عشر محرَّم، وكانت أرض الجامع كلها قد تكسَّر رُخامُها، فبقي حُفَراً وجُوَراً.

وفيها فوِّضَ تدريسُ المدرسة النُّورِيَّة الحنفية إلى الشَّيخ جمال الدين محمود الحَصِيري العَجَمي، وحَضَرَ المُعَظَّم مع الفقهاء دَرْسَه[٢] في ثالث ربيع الأول.

وفيها توفي ابنُ سيف الإسلام صاحب اليمن، واستولى عليها سليمان بن شاهنشاه بن تقي الدِّين عمر بن شاهنشاه بن أيوب باتفاقٍ من أجنادها، وتزوَّج بأُمِّ ابن سيف الإسلام المتوفى، فأذِنَ العادلُ للكامل في تنفيذ ابنه إلى اليمن ليملكها، ففعل، فملك أقسيس[٣] بن الكامل بن العادل اليمن، وتلقب بالملك المسعود، وكان جَبّاراً، فاتكاً، قيل: إنه قتل باليمن ثماني مئة شريف، وخَلْقاً من الأكابر والعظماء.

وفيها أَخَذَ المعظم قلعة صَرْخد من ابن قراجا، وعوَّضه عنها مالاً وإقطاعاً.

وحجَّ بالنَّاسِ من العراق أبو فراس بن ورام نائباً عن محمد بن ياقوت. ومن الشَّام علم الدِّين الفقيه نَصْر الله الجَعْبَرِي؛ إمام الملك المعظَّم عيسى.

وفيها أُحدثت المعاملة بالقراطيس السُّود العادلية، فبقيت زماناً، ثم بَطَلَ ضربُها، وتناقصت من أيدي النَّاس إلى أن فنيت.

= وفيات سنة ٦١٠ هـ)، والوافي بالوفيات: ٩/ ٢٦٨، ١٠/ ٣٧٣، ونكت الهميان: ١١٩ ـ ١٢٠، ولسان الميزان: ٢/ ١٩٣ ـ ١٩٤.

(١) في النسخ الخطية ما عدا الأصل: بالكفر.

(٢) في (س): ودرس، وهو تحريف.

(٣) في (ب): وفيها تملك أقسيس..

بآمد، وكان اجتمع هو وأبو الخَطَّاب بن دِحْية، فقال له تاج العلاء: إنَّ دِحْيَةَ لم يُعْقِبْ. فرماه ابنُ دِحْية بالكذب[١] في مسائله المَوْصِلية.

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وست مئة

ففيها شُرِعَ في تبليط رواقات الجامع الدَّاخلة، وابتدئ بالجهة الشَّرقية مكان السبع الكبير في ثالث عشر محرَّم، وكانت أرض الجامع كلها قد تكسَّر رُخامُها، فبقي حُفَراً وجُوَراً.

وفيها فوِّضَ تدريسُ المدرسة النُّورِيَّة الحنفية إلى الشَّيخ جمال الدين محمود الحَصِيري العَجَمي، وحَضَرَ المُعَظَّم مع الفقهاء دَرْسَه[٢] في ثالث ربيع الأول.

وفيها توفي ابنُ سيف الإسلام صاحب اليمن، واستولى عليها سليمان بن شاهنشاه بن تقي الدِّين عمر بن شاهنشاه بن أيوب باتفاقٍ من أجنادها، وتزوَّج بأُمِّ ابن سيف الإسلام المتوفى، فأذِنَ العادلُ للكامل في تنفيذ ابنه إلى اليمن ليملكها، ففعل، فملك أقسيس[٣] بن الكامل بن العادل اليمن، وتلقب بالملك المسعود، وكان جَبّاراً، فاتكاً، قيل: إنه قتل باليمن ثماني مئة شريف، وخَلْقاً من الأكابر والعظماء.

وفيها أَخَذَ المعظم قلعة صَرْخد من ابن قراجا، وعوَّضه عنها مالاً وإقطاعاً.

وحجَّ بالنَّاسِ من العراق أبو فراس بن ورام نائباً عن محمد بن ياقوت. ومن الشَّام علم الدِّين الفقيه نَصْر الله الجَعْبَرِي؛ إمام الملك المعظَّم عيسى.

وفيها أُحدثت المعاملة بالقراطيس السُّود العادلية، فبقيت زماناً، ثم بَطَلَ ضربُها، وتناقصت من أيدي النَّاس إلى أن فنيت.

= وفيات سنة ٦١٠ هـ)، والوافي بالوفيات: ٩/ ٢٦٨، ١٠/ ٣٧٣، ونكت الهميان: ١١٩ ـ ١٢٠، ولسان الميزان: ٢/ ١٩٣ ـ ١٩٤.

(١) في النسخ الخطية ما عدا الأصل: بالكفر.

(٢) في (س): ودرس، وهو تحريف.

(٣) في (ب): وفيها تملك أقسيس..

٨٧ وفيها أعطى المعظَّم صَرْخد وأعمالها لمملوكه أستاذ داره عز الدين أيبك المُعَظَّمي، فبقيت في يده إلى أن أخرجه منها الصَّالح أيوب بن الكامل سنةَ أربعٍ وأربعين وست مئة، كما سيأتي ذكره[١].

وفيها حجَّ بالنَّاس المعظَّم بنُ العادل، فسار من الكرَك على الهُجْنِ حادي عشر ذي القعدة[٢] ومعه جماعة من خواصِّه: عز الدين أيبك[٢]، وعماد الدين بن موسك، والظَّهير بن سُنْقُر الحلبي، وغيرهم، وسلكوا طريق العُلا وتبوك، وجدَّد المعظم البِرَك والمصانع، وأحسن إلى النَّاس، وتلقَّاه سالم أمير المدينة وخدمه، وقَدَّم له الخيل والهدايا، وسَلَّم إليه مفاتيح المدينة، وفتح الأهراء، وأنزله في داره، وخدمه خدمةً عظيمة. ثم سار إلى مكة، فوصلها يوم الثلاثاء سادس ذي الحِجَّة، وكانت وقفة تلك السنة يوم الجمعة، وانفصل عن مكة بعد أداء الفرض يوم الثلاثاء ثالث عشر الشهر، وقَدِمَ المدينة، فأقام بها، ثم انفصل عنها عائداً إلى الشَّام وصحبته[٣] الأمير سالم صاحبها في الخامس والعشرين منه.

قال أبو المظفر[٤] سبط [بن] الجوزي: والتقاه قتادة أبو عزيز أمير مكة، وحضر في خدمته.

قال[٤]: وحكى لي رحمه الله قال: قلتُ له: أين ننزل. فأشارَ إلى الأبطح بسوطه، وقال: هناك. فنزلنا بالأبطح، وبعث لنا هدايا يسيرة، وحجَّ السُّلْطان على مذهب أبي حنيفة، وأتى بجميع المناسك وإحياء السنة؛ أحرم قارناً، وبات

(١) ص ٨٢ من الجزء الثاني.

(٢ ـ ٢) ما بينهما ليس في (ك) و(ع) و(س).

(٣) في (س) صحبة.

(٤ ـ ٤) ما بينهما ليس في (س). وفي (ك) و(ع) قال أبو المظفر الجوزي، وفي (ب) قال أبو المظفر بن الجوزي. فما بين حاصرتين منها.

بمنى ليلة عرفة، وصلّى بها الصلوات الخمسة، وسار إلى عرفة، وقضى نُسُكَه كما أمره الله تعالى. ولقد رأيتُ كتفه بعدما عاد وقد أكلته الشَّمْس وانكشط، وقيَّح. فقلت: ما هذا؟ قال: ما غطَّيْتُ رأسي ولا كتفي منذ ثلاثة عشر يوماً[١].

قلت: لم تكن له حاجة إلى كَشْفِ كتفه، فإنه لا يستحبُّ إلا حالة الاضطباع في طواف القدوم، والله أعلم.

قال أبو المُظَفَّر: وتصدَّق على فقراء الحَرَمين بمالٍ عظيم، وحَمَلَ المنقطعين، وزوَّدَهم، وأحسن إليهم. ولما عاد إلى المدينة شكا إليه سالِمٌ من جَوْر قتادة، فوعده أن ينجده عليه.

قال: ولما رجع كنتُ مقيماً بالكَرَك، فخرجت للقائه مع جماعةٍ من الأعيان والأمراء والفُقَراء والفقهاء، فما التفتَ إلى أحدٍ منهم، ولما رآني ترجَّل عن ناقته، وعانقني، وسُقْنا إلى زيزاء، وكان لقاؤنا له على غدير الطرفاء في البرية، وشَرَعَ يحكي لي صفةَ حَجِّه وما فعل. وكان والده العادل نازلاً على خربة اللصوص فقال: أريد أن أبغته حتى لا يلتقيني أحد. وسار إليه، واجتمع به، وحكى له خدمة سالم وتقصير قتادة. فجهَّزَ جيشاً مع النَّاهض بن الجَرْخي إلى المدينة، والتقاهم سالم فأكرمهم، وقصدوا مكة، فانهزم قَتَادة منهم إلى البريَّة، ولم يقف بين أيديهم[٢].

وفيها هُدِمَتِ الدُّورُ والحوانيت المجاورة للقلعة لتوسيع الخندق، ومن جُمْلة ما هُدِمَ حَمَّامُ قايماز النَّجْمي؛ ووقف دار الحديث النُّورية ـ وكان فُرْناً ـ وحوانيت تقابل المارَّ من جهة دار الحديث إلى القلعة.

وفيها في الثَّامن والعشرين من ذي القعدة الموافق لآخر آذار على إحدى عشرة ساعة منه أظلمَ الجو، ووقع شبيه بالرَّمل إلى بعد المغرب، ثم ارتفع ذلك.

---

(١) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦١١ هـ).

(٢) المصدر السالف.

وفيها أنشأ المُعَظَّم الفندقَ الكبير المنسوب إليه بأرض عاتكة، قبلي القنوات.

وفيها توفي الأمير بدر الدين دُلْدُرُم الياروقي[١]، صاحب تل باشر في آخر السنة.

وفيها توفي إبراهيم بن علي بن محمد بن بَكْروس، الفقيه الحنبلي[٢].

ولد سنة سبعٍ[٣] وخمسين وخمس مئة، قرأ القرآن، وتفقه على مذهب أحمد، وسمع الحديث على أبيه وغيره، وشَهِدَ عند القاضي ضياء الدين الشهرزوري. وناظر وأفتى، ثم إنَّ الله تعالى مكر به، فصار صاحبَ خبرٍ بباب ٨٨ النوبي. ورمى الثَّوبَ الواسع، ولبس المزند، وتقلَّد السيف، وظلم، وفَتَك في المال والحريم، وضرب جماعةً بالخشب، ورماهم في دِجْلة، وما كانت تأخذه في أذى مسلم لومةُ لائم، وولي نيابة الباب، فكان مآله إلى أن ضُرِبَ بالخشب حتى مات تحت الضَّرْب، فكان يقول وهو يُضْرَب: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾[٤] فكان ذلك آخر كلامه، ورُمي به في دجلة ليلاً؛ وسُرَّ الناسُ بموته، لأنه فَتَكَ في المال والحريم[٥]، وكان أبوه من الصَّالحين، زَوَّجه أبو الفرج بنُ الجوزي إحدى بناته، وليست أُمَّ المذكور.

---

(١) له ترجمة في الوافي بالوفيات: ١٤/ ٢٤، وقد سلفت أخباره في «كتاب الروضتين».

(٢) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١١ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٢٩٦، تاريخ الإسلام (ت ٧، وفيات سنة ٦١١ هـ)، المختصر المحتاج إليه: ١/ ٢٣٣، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١١ هـ)، ذيل طبقات الحنابلة: ٢/ ٦٩ ـ ٧٠، المنهج الأحمد: ٤/ ١٠٠ ـ ١٠١.

(٣) في النسخ الخطية: تسع، وهو خطأ، والمثبت من «مرآة الزمان»، وكذلك هو في «التكملة» و«المختصر».

(٤) سورة يس، الآية: ٤٩.

(٥) حمل ابن رجب في «ذيل طبقات الحنابلة»: ٢/ ٧٠ على أبي شامة، وعد ما ساقه في ترجمته تحاملاً عليه، وأبو شامة إنما هو ناقل لترجمته من «مرآة الزمان» لسبط ابن الجوزي، لكنه لم يصرح بذلك.

وفيها توفي ركن الدين عبد السَّلام بن عبد الوهَّاب[(١)]، ابن الشيخ عبد القادر الذي أُحرقت كتبه بالرحبة، وحكم القاضي بتفسيقه على ما ذكرناه في أخبار سنة ثلاثٍ وست مئة، وكان الخليفة قد استأصله حتى طلبَ من الناس. ثم توصَّلَ حتى ولي وكالة الأمير الصغير علي ابن الخليفة.

قال أبو المظفر: وكان خالي أبو القاسم صديقه، وكذا كانت عادته يوالي مَنْ يعادي أباه. قال لي خالي أبو القاسم يوماً بعد ما مات جدي بيسير: لي صديقٌ يشتهي أن يراك. ولم يعرِّفني مَنْ هو، فأدخلني إلى دارٍ شممتُ من دِهْليزها رائحة الخمر، ودخلنا، فإذا الركن عبد السلام جالس، وعنده صبيان مُرْدان وهو في حالةٍ قبيحة، فلم أقعد، فصاح خالي والركن، فخرجت ولم التفت، فتبعني خالي وقال: خَجَّلتني من الرجل. فقلتُ له: لا جَزَاك الله خيراً. وأسمعتُه غليظَ الكلام، ومَرِضَ عبدُ السلام بعِلَّة البطن، فرمى كَبِدَه قِطَعاً، ومات في هذه السنة[(٢)].

وفيها توفي أبو محمد، عبد العزيز بن محمود بن المبارك البَزَّاز، المعروف بابنِ الأخضر[(٣)].

---

(١) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ٣٠٥، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١١ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤، المختصر في أخبار البشر: ٣/ ١١٦، تاريخ الإسلام (ت ٢٢، وفيات سنة ٦١١هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ٥٥ ـ ٥٦، المختصر المحتاج إليه: ٣/ ٣٩ ـ ٤٠، الوافي بالوفيات: ١٨/ ٤٢٩ ـ ٤٣١، فوات الوفيات: ٢/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١١ هـ)، ذيل طبقات الحنابلة: ٢/ ٧١ ـ ٧٣، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٩٢، المقصد الأرشد: ٢/ ١٥٦، شذرات الذهب: ٥/ ٤٥ ـ ٤٦.

(٢) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١١ هـ).

(٣) له ترجمة في معجم البلدان: ٢/ ١٦٥، الكامل: ١٢/ ٣٠٥، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١١هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٣١٧ ـ ٣١٨، المختصر في أخبار البشر: ٣/ ١١٦، طبقات علماء الحديث: ٤/ ١٦٣ ـ ١٦٥، تاريخ الإسلام (ت ٢٣، وفيات سنة ٦١١ هـ)، تذكرة الحفاظ: ٤/ ١٣٨٣ ـ ١٣٨٥، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ٣١ ـ ٣٢، المختصر المحتاج إليه: =

ولد سنة ستٍّ وعشرين وخمس مئة، وقيل في سنة أربع وعشرين، وقيل: هو جُنابِذي[1] الأصل، بغداديُّ الدار والمولد. سَمِعَ الحديثَ الكثير، وصنَّف الكتب الحِسَان من الأبواب والشيوخ والفضائل، وأوَّلُ سماعه سنة ثلاثين وخمس مئة، وكانت له حَلْقة بجامع القَصْر يَقْرأ فيها الحديث، ويُقرأ عليه، وتصانيفه تدلُّ على فهمه وضَبْطه، وحُسْن معرفته، وكان له دكان بَزّ في الرَّيحانيين بخان الخشبة، وكانت وفاته في شَوَّال، وصُلِّي عليه بجامع القَصْر، وحَضَرَ جِنازَته العلماءُ والأعيان، ودفن بباب حَرْب إلى جانب أبي بكر المَزْرَفي[2]، سَمِعَ قاضي المارَسْتان، وابن السَّمَرْقَنْدِي، وأبا الوقت، وابن ناصر، والأنماطي، وسَعْد الخير، وغيرهم، وكان فاضلاً، صالحاً، ديناً، عفيفاً، لطيفاً، رحمه الله.

وفيها في شعبان توفي محمد بن علي بن نَصْر الحنبلي الواعظ، الدُّوري[3]، أَصلُه من الدُّور؛ قريةٌ بدُجَيْل.

= ٣/ ٤٧ ـ ٤٨، الوافي بالوفيات: ١٨/ ٥٥٨، ذيل طبقات الحنابلة: ٢/ ٧٩ ـ ٨٢، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢١١، المقصد الأرشد: ٢/ ١٨٢، المنهج الأحمد: ٤/ ١٠٧ ـ ١٠٩، شذرات الذهب: ٥/ ٤٦ ـ ٤٧، (وعندهم ـ ما عدا سبط ابن الجوزي ـ ولادته سنة ٥٢٤ هـ).

(١) نسبة إلى جنابذ ـ بفتح الباء وكسرها ـ وهي قرية بنواحي نيسابور، انظر «معجم البلدان»: ٢/ ١٦٥، و«الأنساب»: ٣/ ٣٠٦.

(٢) هو شيخ القراء، وقد توفي سنة (٥٢٧ هـ)، والمَزْرفي ـ بفتح الميم، وضبطها الذهبي بكسرها ـ نسبة إلى مزرفة: قرية كبيرة بالقرب من بغداد على طريق الموصل. انظر «سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٦٣١ ـ ٦٣٢، و«توضيح المشتبه»: ٨/ ١٤٠.

(٣) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ٣٠٥، التكملة للمنذري: ٢/ ٣٠٨ـ٣٠٩، تاريخ الإسلام (ت ٤٠، وفيات سنة ٦١١ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ٧٥ـ٧٦، المختصر المحتاج إليه: ١/ ١٠٠، الوافي بالوفيات: ٤/ ١٨٠ ـ ١٨١، ذيل طبقات الحنابلة: ٢/ ٧٤ـ٧٦، توضيح المشتبه: ٢/ ٥٥، المقصد الأرشد: ٢/ ٤٧٦، المنهج الأحمد: ٤/ ١٠٣ـ١٠٥، شذرات الذهب: ٥/ ٤٨.
ويلوح على هذه الترجمة أن أبا شامة نقلها عن سبط ابن الجوزي في «المرآة» إلا أنني لم أجدها في نسخه المختصرة التي بين يدي.

سمع ابن ناصر، وأبا الوقت وغيرهما، وتعانى الوعظ، ولم يكن من صنعته، وكان يضاهي أبا الفرج بنَ الجوزي حتى قيل له: أيما أعلم أنتَ أم أبو الفرج؟ فقال: ما أرضاه يقرأ عليَّ الفاتحة. وبلغ ذلك أبا الفرج، فقال: ما أقرأ عليه الفاتحة؛ بل أقرأ عليه ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾. وكان يتعصَّبُ له حاكةُ قَطُفْتا، ودُفِنَ في رباطه بقَطُفْتا، وكان ينتحل أشعارَ النَّاسِ؛ ادَّعى يوماً بيتين لنفسه[1]، وأنشدهما على المنبر مشيراً إلى الخليفة، وهما لأبي الفتح البُسْتي[2]:

عَلَمٌ في دُجى الدُّجى وشِهابٌ ... كلُّنا في ضيائِهِ واقتباسِهْ

مُتْلِفٌ للأموالِ في وَقْتِ بُؤْسٍ ... وجَوَادٌ بالعَفْوِ في وَقْتِ باسِهْ

٨٩

ثم دخلت سنة اثنتي عشرة وست مئة

ففيها شُرِعَ في عمارة المدرسة العادلية.

وفيها وَصَلَ الملكُ المُعَظَّم من الحجاز بعد أدائه فريضةَ الحَجِّ والعمرة إلى والده الملك العادل، وهو بخربة اللصوص بعد المغرب من ليلة الاثنين سابع عشر المحرَّم، وفي بُكْرته وَصَلَ الأميرُ سالم صاحب المدينة النبوية، على ساكنها أفضلُ الصلاة والسلام والتحيَّة، فركب العادل، وتلقَّاه، وبالغ في إكرامه، ودخل الجميعُ دمشق في الثَّالث والعشرين من محرَّم، وقدَّم الأميرُ سالم هديته من تحفِ الحجاز، وعشرين رأساً من الخيل العِرَاب.

وفيها وَصَلَ الخبر بغارةِ الفرنج على بلاد الإسماعيلية، وأَخْذِهم منها نحو ثلاث مئة أسير. وبغارة الكُرْج على أذْرَبيجان، فحازوا ذخائرها، وما يزيد على مئة ألف أسير.

---

(١) قال ابن رجب في «ذيل طبقات الحنابلة»: ٢/ ٧٥: لا يلزم من إنشاده شعر غيره أنه يدعيه لنفسه، وقد كان موصوفاً بالصلاح والديانة.

(٢) هما في «ديوانه»: ص ١١٠ مع اختلاف في اللفظ.

سمع ابن ناصر، وأبا الوقت وغيرهما، وتعانى الوعظ، ولم يكن من صنعته، وكان يضاهي أبا الفرج بنَ الجوزي حتى قيل له: أيما أعلم أنتَ أم أبو الفرج؟ فقال: ما أرضاه يقرأ عليَّ الفاتحة. وبلغ ذلك أبا الفرج، فقال: ما أقرأ عليه الفاتحة؛ بل أقرأ عليه ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾. وكان يتعصَّبُ له حاكةُ قَطُفْتا، ودُفِنَ في رباطه بقَطُفْتا، وكان ينتحل أشعارَ النَّاسِ؛ ادَّعى يوماً بيتين لنفسه[1]، وأنشدهما على المنبر مشيراً إلى الخليفة، وهما لأبي الفتح البُسْتي[2]:

عَـلَـمٌ فـي دُجـى الـدُّجـى وشِـهـابٌ كـلُّـنـا فـي ضـيـائِـهِ واقـتـبـاسِـهْ

مُـتْـلِـفٌ لـلأمـوالِ فـي وَقْـتِ بُـؤْسٍ وجَـوَادٌ بـالـعَـفْـوِ فـي وَقْـتِ بـاسِـهْ

٨٩

ثم دخلت سنة اثنتي عشرة وست مئة

ففيها شُرِعَ في عمارة المدرسة العادلية.

وفيها وَصَلَ الملكُ المُعَظَّم من الحجاز بعد أدائه فريضةَ الحَجِّ والعمرة إلى والده الملك العادل، وهو بخربة اللصوص بعد المغرب من ليلة الاثنين سابع عشر المحرَّم، وفي بُكْرته وَصَلَ الأميرُ سالم صاحب المدينة النبوية، على ساكنها أفضلُ الصلاة والسلام والتحيَّة، فركب العادل، وتلقَّاه، وبالغ في إكرامه، ودخل الجميعُ دمشق في الثَّالث والعشرين من محرَّم، وقدَّم الأميرُ سالم هديته من تحفِ الحجاز، وعشرين رأساً من الخيل العِرَاب.

وفيها وَصَلَ الخبر بغارةِ الفرنج على بلاد الإسماعيلية، وأَخْذِهم منها نحو ثلاث مئة أسير. وبغارة الكُرْج على أَذْرَبيجان، فحازوا ذخائرها، وما يزيد على مئة ألف أسير.

---

(١) قال ابن رجب في «ذيل طبقات الحنابلة»: ٢/ ٧٥: لا يلزم من إنشاده شعر غيره أنه يدعيه لنفسه، وقد كان موصوفاً بالصلاح والديانة.

(٢) هما في «ديوانه»: ص ١١٠ مع اختلاف في اللفظ.

وفيها وَصَلَ الصَّلاح بن شعبان الإِرْبِلي من مِصْر مبشراً بفتوح اليمن، واستيلاء ولد الكامل عليه، وطاعة مَنْ به مِنَ العسكر له بغير حَرْب، وانضمام سليمان شاه المستولي عليه إلى قلعة تعز بعياله وأمواله، ثم وَصَلَ الخبرُ بتملُّكِ ولد الكامل قلعةَ تعز بعد[1] حصرها، وقَبْضِ سليمان شاه بن تقي الدِّين منها، وأُحضر إلى مِصْر تحت الحوطة هو وزوجتُهُ بنتُ سيفِ الإسلام.

ووصل الخبر من جهة الحجاز بنزول قَتَادة صاحبِ مكة على المدينة ـ حرسها الله ـ تاسع صفر، وحَصَرَها أياماً، وقَطَعَ ثمرَها جميعه، وكثيراً من نخيلها، فقاتله مَنْ فيها، وقُتِلَ جماعةٌ من أصحابه، ورَحَلَ عنها خاسراً.

وفي سابع ربيع الآخر عُزِلَ القاضي الزكي بن المحيي[2] عن الحكم بدمشق وأعمالها، وولي من الغد جمال الدين ابن الحَرَسْتاني، وهو ابنُ اثنتين وتسعين سنة، فقضى بالحق وحكم بالعدل، رحمه الله.

وفي رابع عشر[3] جُمادى الآخرة شُرِعَ في عمارة المدرسة العادلية المقابلة لدار العقيقي من الغَرْب، وحَضَرَ السُّلْطان لترتيب وضعها بين الصَّلاتين يوم السبت، ثم احترقت[4] في رمضان سنةَ أربعَ عشرة[5].

وفيها أبطل السُّلْطان ضمانَ الخمرِ والقِيان في الرَّابع والعشرين من جُمادى الآخرة، وبقي الأمر على ذلك إلى أن توفي العادل في سنة خمس عشرة نحو

---

(١) قوله: بعد، ليست في (ك) و(ع) و(س).

(٢) هو زكي الدين الطاهر بن محيي الدين محمد بن علي القرشي، وقد أعيد إلى القضاء سنة (٦١٤هـ)، وتوفي سنة (٦١٧ هـ)، انظر ص: ٢٩٦، ٣١٦ ـ ٣١٨ من هذا الجزء.

(٣) عشر، ليست في (س).

(٤) في (س) ثم أحرقت بالنار، وفي (ك) و(ع): ثم أحرقت في رمضان.

(٥) تحرفت في المطبوع إلى أربع وعشرين!

ثلاث سنين، فكان الذين يريدون شُرْبَ الخمرِ يتكلَّفون الخروج إلى ضياع جبل سَنِيْر في صَيْدَنايا ومَعْرَبا[١] ونحوهما.

وفيها وَصَلَ رسولُ الخليفة من بغداد إلى دمشق؛ وهو الشيخ شهاب الدين السُّهْرَوَرْدِي، ونَزَلَ بجوسق العادل في رمضان، وسار إلى لحاق السُّلْطان بالقُدْس، وعاد راحلاً إلى بغداد في خامس عشر شوال.

وفي ثالث شعبان سار الأمير سالم صاحبُ المدينة بمن استخدمه من التركمان والرَّاحل إليها من المخيَّم السُّلْطاني بالكسوة، ثم توفي بالطَّريق قبل وصوله إلى المدينة[٢]، وقام ولد أخيه جماز بالأمر بعده، واجتمع أهله على طاعته، فمضى بمن كان مع عَمِّه لقصد قتادة صاحب مكة، فجَمَعَ قتادة عسكره وأصحابه، والتقوا بوادي الصفراء، فكانت الغَلَبة لعسكر المدينة، فاستولوا على عسكر قتادة قتلاً ونَهْباً، ومضى قتادة منهزماً إلى اليَنْبُع، فتبعوه وحصروه بقلعته، وحصل لحميد بن راجب من الغنيمة ما يزيد على مئة فرس، وهو واحد من جماعةٍ كثيرة من العرب الطَّائيينِ، وعاد الأجناد الذين كانوا مَضَوْا مع الأمير سالم من الشَّام من التركمان وغيرهم صحبة النَّاهض بن الجَرْخي خادم المعتمد، وفي صحبتهم كثيرٌ مما غنموه من أعمال قتادة، ومن وقعة وادي الصفراء من نساءٍ وصبيان، فظهر فيهم أشراف حسنيون وحسينيون، فاستعيدوا منهم، وَسُلِّموا إلى المعروفينِ من أشراف دمشق ليكفلوهم، ويشاركوهم في قسمهم من وقفهم. ٩٠

---

(١) جبل سَنِير يعرف الآن بجبل القلمون، وتقع صيدنايا على سفحه، وقربها معربا. انظر «المعجم الجغرافي»: ٤/ ١٦٦ ـ ١٦٧.

(٢) له ترجمة في الوافي بالوفيات: ١٥/ ٩٦.

وفيها كَسَرَ كِيْكاوس ملكُ الرُّوم الفرنج[١] المتغلِّبين على أَنْطالية[٢][٣]، وأخذها منهم.

وأخذ خوارَزْم شاه محمد غَزْنة بغير قتالٍ.

وأخذ ابن لاون أنطاكية[٣] من الفرنج[١]، ثم عاد إبرنس طرابلس أَخَذَها من ابنِ لاون.

وفيها في العشرين من المحرَّم توفي بدمشق الشيخ الفقيه كمال الدين مودود بن الشَّاغوري، الشَّافعي[٤].

وكان فقيهاً صالحاً، ديناً خيراً، متواضعاً زاهداً، وكان يُقرئ النَّاس الفِقْه بالجامع قُبالة مقصورة الخطابة احتساباً، ويشرح «التنبيه» للطلبة، ويطوِّل روحه على تعليمهم وتفهيمهم لله تعالى، ودفن بمقبرة باب الصَّغير شمالي الحظيرة التي فيها قبر معاوية وغيره من الصَّحابة رضي الله عنهم، وكُتِبَ على قبره في نُصَيْبة حجرٍ [عالية][٥] أبياتٌ حسنة من نَظْمِ الشِّهاب فِتْيان الشَّاغوري ـ رحمهما الله ـ أفادني قراءة ذلك على قبره شيخنا أبو الحسن السَّخاوي رحمه الله، وقد خرجتُ معه لزيارة القبور، فوقفَ عليه مترحِّماً، وقال لي: اقرأ ما على القبر، فإنه من نظم الشهاب فتيان. فقرأتُ الأبيات، وهو يستحسنها:

كم ضَمَّ قَبْرُكَ يا مودودُ من دِيْنِ ... ومِنْ عَفَافٍ ومن بِرٍّ ومن لِيْنِ

ما كنتَ تَقْرَبُ سُلْطاناً لتخدِمَهُ ... لكنْ غنيتَ بسُلْطانِ السَّلاطِيْنِ

(١ ـ ١) ما بينهما ليس في (ك).

(٢) في (ب) و(س): أنطاكية، وهو تحريف، والمثبت من الأصل و(ع)، وأنطالية: هي حصن للروم على شط البحر، يأتي بعده خليج القسطنطينية، والمراد بالفرنج هم المستولون على القسطنطينية وقتئذٍ. انظر «معجم البلدان»: ١/ ٢٧٠، وص ١٦٧ من هذا الجزء.

(٣ ـ ٣) ما بينهما ليس في (ب).

(٤) لم أهتد إلى مصادر ترجمته، ولعل أبا شامة قد انفرد بترجمته، والله أعلم.

(٥) ما بين حاصرتين من (ب)، وقد تحرفت في (ك) و(ع): عليه!

نبكي عليكَ وعَنَّا أنتَ في شُغُلٍ بردٌ تسليمِ حُورٍ خُرَّدٍ عِيْنِ[١]

سقى الإله ضريحاً أنتَ ساكِنُهُ حتى يُرى مُنْبِتاً خُضْرَ الرَّياحِيْنِ

وفيها توفي بحرَّان يوم السبت ثاني جُمادى الآخرة الحافظ عبد القادر بن عبد الله بن عبد الرحمن، أبو محمد الرُّهاوي[٢].

ولد بالرُّها سنةَ ستٍّ وثلاثين وخمس مئة، ونشأ بالمَوْصِل، وكان مولى لبعضِ المواصلة، فأعتقه، فطلب العلم، وسمع الحديث الكثير، ويقال: إنه مولى لبني أبي الفَهْم[٣] الحرَّانيين. سافر إلى البلاد[٤]: بغداد وأصفهان ونيسابور والشَّام ومِصْر، وغيرها، وأقام بالموصل بدار الحديث المُظَفَّرية يحدِّث بها مُدَّة، ثم خرج إلى حَرَّان، فأقام بها إلى أن مات، ودفن بها.

سمع بمصر الحافظ السِّلَفي، وببغداد ابن الخشَّاب، وشُهْدَة، وبأصبهان أبا عبد الله الرُّسْتُمي وغيرهم. وكان صالحاً مهيباً، زاهداً ناسكاً، خَشِنَ العيش، صدوقاً وَرِعاً، رحمه الله.

وفيها توفي ببغداد في شعبان الوجيه النَّحْوي، واسمه المبارك بن المبارك، أبو بكر الواسطي[٥].

---

(١) خُرَّد، جمع نادر لخريدة، وهي البكر الخفرة، الطويلة السكوت، الخافضة الصوت، المستترة، والعِين: الواسعات العيون، وذلك من حسنهن.

(٢) له ترجمة في معجم البلدان: ٣/ ١٠٦، التكملة للمنذري: ٢/ ٣٣٢ - ٣٣٤، طبقات علماء الحديث: ٤/ ١٦٦ - ١٦٨، تاريخ الإسلام (ت ٨٥، وفيات سنة ٦١٢ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ٧١ - ٧٥، تذكرة الحفاظ: ٤/ ١٣٨٧ - ١٣٨٩، العبر للذهبي: ٥/ ٤١ - ٤٢، المختصر المحتاج إليه: ٣/ ٨١ - ٨٢، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: ٣٠٧ - ٣٠٨، الوافي بالوفيات: ١٩/ ٤٠ - ٤١، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١٢ هـ)، ذيل طبقات الحنابلة: ٢/ ٨٢ - ٨٦، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢١٤، المقصد الأرشد: ٢/ ١٥٧، المنهج الأحمد: ٤/ ١٠٩ - ١١١، شذرات الذهب: ٥/ ٥٠ - ٥١.

(٣) في (ك) و(ع) و(س): لبني الفهم، وقد أشير في هامش (ع): إلى ما في الأصل و(ب).

(٤) قوله: البلاد ليس في (س).

(٥) له ترجمة في معجم الأدباء: ١٧/ ٥٨ - ٧١، الكامل: ١٢/ ٣١٢، إنباه الرواة: ٣/ ٢٥٤ - ٢٥٦، =

ولد سنة أربع وثلاثين وخمس مئة[١]، وكان حنبلياً، فآذاه الحنابلة، فانتقل إلى مذهب أبي حنيفة، ثم انتقلَ إلى مذهب الشَّافعي لأسبابٍ عَرَضَتْ له، وكان يقول: ما انتقلتُ عن مذهبي. وهُجي بأبيات تقدَّم ذِكْرُها في أخبار سنة تسعٍ وتسعين وخمس مئة[٢]، وقرأ الأدب على ابنِ الخَشَّاب وغيره، وبَرَعَ فيه، وكان يقرئه بالمدرسة النِّظامية، وله مقدِّمة في النحو، وصُلِّي عليه بالنظامية، ودُفِنَ بالوردية عند ابنِ فَضْلان، رحمه الله.

٩١

وفيها توفي بدمشق يوم السبت الثَّالث والعشرين من شوال الشيخ الوجيه ابن البُوني، واسمه إبراهيم بن يوسف بن محمد، أبو الفرج المغربي[٣].

أحد مشايخ القُرَّاء المعتبرين بجامع دمشق، وكان يؤم بمقصورة الحنفية الغربية داخل الجامع، وكان يعقد حَلْقة الإقراء بحلقة ابن طاوس شرقي البرادة

= مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٢ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٣٤٢ـ٣٤٣، وفيات الأعيان: ٤/ ١٥٢ ـ ١٥٣، المختصر في أخبار البشر: ٣/ ١١٦ـ ١١٧، إشارة التعيين: ٢٨٢ ـ ٢٨٣، تاريخ الإسلام (ت ١١٣، وفيات سنة ٦١٢ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ٨٦ـ ٨٩، الوافي بالوفيات: ٢٥/ ٩١ ـ ٩٥، نكت الهميان: ٢٣٣ ـ ٢٣٤، طبقات الشافعية للسبكي: ٨/ ٣٥٤، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١٢ هـ)، غاية النهاية: ٢/ ٤١، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢١٤، بغية الوعاة: ٢/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤، شذرات الذهب: ٥/ ٥٣.

(١) نقل الذهبي في «السير» عن ابن النجار أنه ولد سنة (٥٣٤ هـ)، وكذلك ذكره سبط ابن الجوزي في «المرآة»، ونقله عنه أبو شامة، وفي تتمة مصادر ترجمته أنه ولد سنة (٥٣٢ هـ)، وتحرفت في مطبوع معجم الأدباء، ونكت الهميان إلى (٥٠٢ هـ)!

(٢) ص ١٣٥ من هذا الجزء.

(٣) له ترجمة في «مرآة الزمان» (وفيات سنة ٦٠٧ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٣٥٠، المشتبه للذهبي: ١/ ١٠١، الوافي بالوفيات: ٦/ ١٧٣، الجواهر المضية: ١/١١٨، توضيح المشتبه: ١/ ٦٥٤ ـ ٦٥٥، تبصير المنتبه: ١/ ١٨٢، الطبقات السنية: ١/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤، وأخطأ السبط في «المرآة» في ذكره في وفيات سنة (٦٠٧ هـ).
وبونة التي ينتسب إليها هي مدينة بالمغرب على ساحل البحر، انظر «معجم البلدان»: ١/ ٥١٢، و«الروض المعطار»: ١١٥.

قُبالة حَلْقة جمال الإسلام ابن الشَّهْرُزُوري[١]، وكان فاضلاً، خيِّراً، متواضعاً، ساعياً في حوائج النَّاس. قرأتُ عليه الجزء الأول من القرآن[٢] العظيم، وكان عفيفاً صالحاً ـ وَلَدَ شيخٍ صالح، مغربي الأصل، عاكفٍ على تلاوة القرآن[٢] ـ ودفن بالجبل، وكان يوماً مشهوداً.

وفي شوال توفي السَّديد إبراهيم بن عمر بن سَمَاقة الإسْعَرْدِي، الفقيه الشَّافعي بخِلاط[٣].

وفيها توفي يوم الجمعة العشرين من ذي القَعْدة ولدُ الخليفة النَّاصر، وهو الولد الصَّغير الذي جُعِلَ ولي العهد بدل الكبير، واسمه أبو الحسن علي[٤].

قال أبو المُظَفَّر: ويلقب بالملك المعظم، وكان جَوَاداً، كثيرَ الصَّدَقات، وافِرَ المعروف، كريمَ الأخلاق، حَسَنَ العِشْرة، مَرِضَ أياماً، ثم توفي، وصُلِّي عليه بتاج الخليفة، وأُخرج التابوت، وبين يديه أربابُ الدولة لم يتخلَّف سوى الخليفة، وحُمِلَ إلى تربة أم الخليفة، فدفن معها في القُبَّة[٥].

(١) هو جمال الإسلام أبو الحسن علي بن المُسَلَّم بن محمد السُّلَمي، مفتي الشام، توفي سنة (٥٣٣ هـ)، وهو في عشر التسعين، انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٣١ ـ ٣٣، وقد سلفت ترجمة حفيده شرف الدين ص ١٧٣ من هذا الجزء.

(٢ ـ ٢) ما بينهما ليس في (س).

(٣) له ترجمة في التكملة للمنذري: ٢/ ٣٥٢، تاريخ الإسلام (ت ٦٤، وفيات سنة ٦١٢ هـ)، طبقات الشافعية للإسنوي: ٢/ ٦٢، توضيح المشتبه: ٥/ ١٥٩ (وفيه وفاته سنة ٦١٣ هـ)، حسن المحاضرة: ١/ ٤٠٩.

(٤) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ٣٠٨ ـ ٣٠٩، ذيل تاريخ بغداد لابن النجار: ٣/ ٤٦ ـ ٤٧، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٢ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥، المختصر في أخبار البشر: ٣/ ١١٦، تاريخ الإسلام (ت ٩٥، وفيات سنة ٦١٢ هـ)، المختصر المحتاج إليه: ٣/ ١١٨، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١٢ هـ)، السلوك: ج١/ ق١/ ٢١٥ ـ ٢١٦، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢١٣.

(٥) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٢ هـ).

قال: ومن العجائب أنه دخل يوم الجمعة رأس منكلي مملوك السلطان أزبك الذي كان قد عصى على مولاه وعلى الخليفة، وقَطَعَ الطَّريق، وسَفَك الدِّماء، وأخذ المال، ثم نفِّذت إليه العساكر، فَقُتِلَ أصحابُهُ، ونُهبت أثقاله، وذلك بالقُرْب من هَمَذَان، فهرب في الليل، فَضَلَّ عن أصحابه، فجاء إلى بيت صديقٍ له في بعض القرى، فقيَّده الرجل، ثم قتله، وحمل رأسه إلى أزبك، فبعث به إلى ابن زين الدين، فبعث به إلى الخليفة، وأُدخل رأسُه بغدادَ على خشبة، وقد زُيِّن له البلد، وأُظهر السرور والفرح، فلما وَصَلَ الرأس إلى باب دَرْب حبيب وافق في تلك السَّاعة وفاة علي بن الخليفة، فوقع صُراخٌ عظيم من دار الخليفة، فَرُدَّ الرأس إلى عقد اللكافين، ورمي في بيتٍ في الخان، وكوسات منكلي مشققة، وأعلامه منكسة، وانقلب ذلك السرور حُزْناً، وأمر الخليفة بالنِّياحة عليه في أقطار بغداد، ففرشوا البواري والرَّماد، وخَرَجَ العواتق من خدورهن، ونَشَرْنَ شعورَهُنَّ، ولَطَمْنَ، وقام النَّوائح في كلِّ ناحية، وعَظُمَ حُزْنُ الخليفة بحيثُ امتنع من الطَّعام والشَّراب؛ وغُلِّقَتِ الأسواق[1]، وعُطِّلتِ الحمامات، وبَطَلَ البيعُ والشِّراء، وجرى في بغداد ما لم يجرِ في بلدٍ آخر، وكان الخليفة قد رشَّحه للخلافة، ففعل الله في ملكهِ ما أراد، وَرَدَّ الخلافة إلى أخيه الأكبر أبي نَصْر بعدما كان قد[2] صُرِفَ عن ولاية العهد لأجله. وخلَّف عليٌّ ولدين: أبا عبد الله الحسين، ولقبه المؤيد، ويحيى، ولقبه الموفق[3].

٩٢

وفيها توفي بدمشق الصَّمْصام أخو سياروخ النَّجْمي، والشريف مؤمن.

وفي رابع ذي الحِجَّة توفي الشريف مجد الدولة إبراهيم بن أبي الحسن، الحسيني بدمشق، رحمه الله تعالى.

---

(١) في (س): الأبواب، وهو تحريف.

(٢) قوله: قد، ليست في (ك) و(ع) و(س).

(٣) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٢ هـ).

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وست مئة

ففيها أُحضرتِ الأوتاد[١] الخشب لأجل نَشْر قُبَّة الجامع بدمشق، وعِدَّتُها أربعة أعواد، طولُ كلٍّ واحدٍ منها اثنان وثلاثون ذراعاً بذراع النجَّار من حيث كانت قُطِعَتْ من الغوطة[٢]، والدُّخول بها من باب الفَرَج إلى المدرسة العادلية إلى باب النَّاطفانيين، وأقيم هناك لها الصَّاري، ورفعت، ثم وُضِعَتْ.

وفيها في المحرَّم أيضاً شُرِعَ في تحرير خندق باب السِّر، وهو المقابل لدار الطُّعْم العتيقة المجاورة لنهر باناس، وكان المعظَّم ومماليكُه وعسكره ينقلون التراب، كلُّ واحدٍ يأخذ قُفَّة[٣] يجعلها على قَرَبوس سَرْجه، ويمضون جميعاً مع المعظَّم نحو الميدان الأخضر يُفْرغون القفاف، ويرجعون يفعلون ذلك كلَّ يوم، ثم انقسموا فرقتين، فكان المعظم وعسكره ينقلون يوماً، وكان أخوه الصَّالح إسماعيل مع مَنِ انضمَّ إليه من العسكر ينقلون يوماً، والناس في الخندق يعملون، وكثيرٌ منهم يتفرَّجون، وكان كل يوم عمل الخندق على طائفةٍ من أهل البلد، وعمل فيه الفقهاء والصُّوفية ولم يبق أحد، ونُظِمَ في ذلك أشعار كان يُغَنَّى بها في الأسواق، وتحت القلعة.

وفيها كانتِ الحادثة بدمشق بين أهل الشَّاغور والعُقَيبة، وحَمْلهم السِّلاح، وقتالهم بالرحبة والصيارف، وركوب العسكر لابساً[٤] للفَصْل بينهم، وحضور

---

(١) في النسخ الخطية: الأوتار، والمثبت من إحدى نسخ الروضتين: ١/ ٣٠٤، وهو الصواب، يدل عليه ما جاء في أحد أبيات ابن القيسراني في قصيدة دالية، يقول فيها:

تبوأت من عزها قبة ... سمر القنا أطناب أوتادها

وانظر «كتاب الروضتين»: ١/ ٢٧٣، ٢٠٧، ٢٥١.

(٢) في جورة عطاء ببيت أبيات، وهي أرض فيها أخشاب كبار من الحور تربى أوتاداً لجامع دمشق، وهي وقف عليه. انظر «كتاب الروضتين»: ١/ ٣٠٤.

(٣) في (س): يأخذ معه قفة.

(٤) أي لابساً الدروع.

المعظَّم من جَوْسق الرَّيِّس لتسكين الفتنة، وكان مقيماً به، وقَبْضه جماعةً من مقدَّمي الحارات، منهم رَيِّسُ الشَّاغور، وأودعوا السِّجْن في السادس والعشرين من ربيع الأول.

ووصل الخبر بتسلُّم نوَّاب الكامل اليَنْبُع من نوَّاب قَتَادة حمايةً له من قاسم بن جماز صاحب المدينة، على ساكنها الصَّلاة والسَّلام، وبأنَّ قاسم بن جماز أخذ وادي نخلة[1] من قتادة، وهو مقيمٌ به ينتظر الحاجّ حتى يقضوا مناسكهم، وينازل هو مكة بعد انفصالهم عنها.

وفيها سارَ المُعَظَّم من قرية العَبَّادية بالمَرْج إلى أخيه الأشرف على الهُجْن في البرية، واجتمع به على مسلة بظاهر حَرَّان بعد أن كان ضَلَّ في سيره، ففاوضه في أمر حلب، وذلك حين كان بلغه موتُ صاحبها ابنِ عَمِّه الظاهر غازي بن صلاح الدين، وكان قد سبق من الأشرف الاتفاق مع القائم بأمرها، ورجع إلى العَبَّادية بعد سبعةَ عشرَ يوماً، ولم يظهر للنَّاس إلا أنه كان متصيِّداً.

وفيها ترتَّبَ الخطيبُ بالمُصَلَّى[2] لإقامة الجمعة به تاسع عشر رمضان، وأول من خَطَبَ به الصَّدْر[3]، وكان شيخاً صالحاً، فقيهاً معيداً بالمدرسة الفَلَكية، ثم خَطَبَ بعده بهاءُ الدين بن أبي اليسر، ثم بنو حَسَّان إلى الآن[4]. ٩٣

وفيها امتنع تُجَّار الفرنج من الوصول إلى الإسكندرية، وصار وصولهم إلى عكا بالبضائع وبيعهم بها، فحصل لملك عكا جملةٌ وافرة، وبلغ ضمان قصبتها مئة وعشرين ألف دينار، وكانت سنةً قليلة الأمطار، غالية الأسعار[5].

---

(١) في (س): أخذ وادي القرى نخلة.
وادي نخلة بينه وبين مكة مسيرة ليلتين. انظر «معجم البلدان»: ٥/ ٢٧٨.

(٢) سلف خبر بنائه ص ٢٢٥ من هذا الجزء.

(٣) بيض له أبو شامة ولم يذكر اسمه، وقد ذكره كذلك مغفلاً في خبر بنائه ص ٢٢٦.

(٤) يعني سنة ٦٥٩هـ، انظر ص ٢٢٢ من هذا الجزء.

(٥) في الأصل: بلغ مقابلة.

وفيها سافَرَ أبو المُظَفَّر سِبْط ابن الجوزي إلى خِلاط، قال: وبَعَثَ الخليفةُ كتاب «روح العارفين» إلى الأشرف، وعَرَضَه على العُلَماء الذين هم في خدمته، وأمرهم أن يشرحوه، فلم يقدروا على شرح حديثٍ واحد، فأشار إليَّ بشَرْحِهِ وتبيين ما فيه من الفوائد، فَشَرَحْتُهُ، والنسخة موقوفه بدار الحديث الأشرفية بدمشق[١].

قال: وجلستُ بقلعة خِلاط، وحَضَرَ الأشرف وبكى وانتفع. ووصل شهابُ الدِّين عبد السلام بن أبي عَصْرون من حلب رسولاً من الملك العزيز محمد بن الظَّاهر إلى الخليفة يسأله تقريره على ما كان عليه أبوه.

ونَزَلَ الأشرف من خِلاط إلى حَرَّان في شعبان، وسألني الجلوس بجامع حَرَّان، وضُرِبَتْ له خركاة في الجامع، وحضر، وكان يوماً مشهوداً، وجلس في الخركاة، وجاء فخر الدين ابن تيمية الخطيب، فقعد عنده. وكتبوا إليَّ رقاعاً كثيرة، فجمعتُها، وقلتُ: اتركوا هذه[٢] إلى يوم يجلس شيخكم يجيب عنها، فهو يطوِّل روحه عليكم، أما هذا اليوم فالوقت ما يحتمل. فأُعجب الأشرف، وانقضى المجلس. فقلتُ للأشرف: لابُدَّ لي في هذه السنة من شيئين؛ أحدهما الحج على بغداد، والثَّاني الاعتكاف بالرَّقَّه. فقال: مبارك.

وخرجتُ من حَرَّان في آخر شعبان أريد الرقة، فبينا أنا بين مسلة والرَّقَّة، وإذا بنجَّابين بينهم رجلٌ عليه بغلطاق أحمر، فقلتُ لأصحابي: هذه شمائل الملك المعظم. فقالوا: المعظم في دمشق، أيش جاء به إلى هنا؟ فلمَّا قربوا منا إذا به المُعَظَّم، وقد أعيت ناقته، فنزل، وتحدَّثنا، وأكلنا شيئاً كان معنا، وأعطانا ناقته، وأخذ فرسي، وقال: أين أخي؟ قلتُ: في الزَّرَّاعة. فساق إليه، واجتمعا، وفاوضه في أمر حلب، وكان الأشرف قد حلف لشهاب الدين طغريل

(١) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦١٣ هـ).

(٢) في النسخ ما عدا الأصل: اتركوها.

الخادم، وأنه أتابك العزيز محمد بن الظَّاهر، فشقَّ ذلك على المُعَظَّم، ولم يقل شيئاً، وجاءا معاً إلى الرَّقة وأنا معتكفٌ بالخانكاه، وحضرا عندي، وسار المعظم إلى دمشق، وجهزني الأشرف إلى الحج، وعمل لي سبيلاً مثل سبيله، وتوجَّهْتُ إلى بغداد. وحَجَّ بالنَّاس من العراق ابنُ أبي فراس، ومن الشَّام عَلَمُ الدين الجَعْبري، وعدتُ من الحج على طريق العُلا وتبوك، وجمعتُ بين زيارة النبيِّ ﷺ وبين زيارة الخليل عليه السَّلام في المحرَّم[١].

وفيها في ثاني صَفَر توفي بالقاهرة العَضُد مُرْهف بن مُؤَيَّد الدَّوْلة أُسامة ابن منقذ[٢]، وله من العمر اثنتان وتسعون سنة ونصف، وشيَّع السُّلْطان جنازته. وكان جليلاً عند الملوك، وأبوه مِنْ قبله، وقد ذكرنا من أخباره[٣] في «التاريخ» وفي «كتاب الروضتين» ما دَلَّ على جلالة بيته وأدبه، وشجاعته وفضائله مع طول عمره، رحمه الله. ٩٤

وفي جمادى الأولى قُتِلَ المعروف بابن الطَّبيب ـ الكُتُبي بباب الجامع ـ بيد الإسماعيلية، وكان يُنْسَبُ إلى خدمتهم، ومتهوماً بمذهبهم بقُرْب بابِ السَّلامة عند غروب الشمس من يوم الأحد السَّادس والعشرين منه.

وفيها في الرَّابع والعشرين من جُمادى الآخرة توفي الشيخ حَسَّان بن قوام الرُّصافي بدمشق.

وفي أول رجب توفي الشَّريف إسماعيل بن ثعلب بالقاهرة[٤].

---

(١) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦١٣ هـ).

(٢) له ترجمة في الاعتبار لابن منقذ: ٥٢، ١٥١، خريدة القصر، قسم شعراء الشام: ١/ ٥٧١ ـ ٥٧٢، معجم الأدباء: ٥/ ٢٤٣ ـ ٢٤٥ (في ترجمة أسامة ابن منقذ)، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٣هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٣٦٠ ـ ٣٦١، تاريخ الإسلام (ت ١٨٣، وفيات سنة ٦١٣ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ١٦٧، فوات الوفيات: ٤/ ١٢٤ ـ ١٢٥، الوافي بالوفيات: ٢٥/ ٤٣٢ ـ ٤٣٣.

(٣) أي من أخبار أبيه أسامة، انظر «كتاب الروضتين»: ١/ ٣٥٢ ـ ٣٥٩، ٢/ ٤٣٢ ـ ٤٣٦ بتحقيقي.

(٤) هو من ذرية جعفر بن أبي طالب، وقد بنى المدرسة الشريفة سنة ٦١٢ هـ بمصر، ووقفها لفقهاء الشافعية، انظر «خطط المقريزي»: ٣/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣.

وفي ثامن ذي القَعْدة توفي الشريف المدعي الخلافة، المستولي على صنعاء وما والاها من أرض اليمن، وقام ولده مقامه فلم يغنِ شيئاً، واستعيد منه كثير مما تغلَّب عليه أبوه.

وفي ثالث المحرَّم توفيت بدمشق خاتون الشَّيْزَرِيَّة، وبلغت من العمر حدود مئة سنة.

وفيها توفي صاحب حلب الملك الظَّاهر غازي بن يوسف بن أيوب[١]، وعمره أربعٌ وأربعون سنة، وتسعة أشهر وخمسة أيام، ومُدَّةُ ولايته حلب ثلاثون سنة وتسعة أشهر وأيام، ولمَّا اشتدَّ مرضه أوصى بالملك لولده الأصغر محمد[٢]، لأنه من بنت عمِّه العادل، وطلبَ بذلك أن يستمر الأمر له لأجل جَدِّه العادل، وأخواله، وأولاده، لأنهم ملوك البلاد يومئذٍ، وأوصى بالملك من بعده لولده الأكبر أحمد[٣]، ثم من بعده للمنصور محمد بن أخيه العزيز عثمان بن صلاح الدين ـ الذي كان أبوه أوصى له بملك مصر، فلم يتمِّم العادلُ له ذلك، وكان العادل قد زوَّجه[٤] ابنته ـ وفوَّض ولاية القلعة إلى خادمٍ أبيضَ يعرف بالشهاب طغريل، كان وَصَلَ إلى خدمته من بلاد الرؤم، وكان مشتهراً بالزُّهد، فصارَ له عنده مكانة.

---

(١) له ترجمة في الكامل: ١٢/٣١٣ ـ ٣١٤، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٣ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/٣٦٨، وفيات الأعيان: ٤/٦ ـ ١٠، مفرج الكروب: ٣/٢٣٧ ـ ٢٤٨، المختصر في أخبار البشر: ٣/١١٧، تاريخ الإسلام (ت ١٦٧، وفيات سنة ٦١٣ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢١/٢٩٦ ـ ٢٩٩، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١٣ هـ)، السلوك للمقريزي: ج١/ق١/ ٢٢٠، شفاء القلوب: ٢٥٢ ـ ٢٥٥، النجوم الزاهرة: ٦/٢١٧ ـ ٢١٨، شذرات الذهب: ٥/٥٥ ـ ٥٦، ترويح القلوب: ٧٠ ـ ٧١.

وقد سلفت أخباره في «كتاب الروضتين».

(٢) سيرد ذكر وفاته ص ٤٠ من الجزء الثاني.

(٣) هو صاحب عين تاب، وفيها توفي في سنة (٦٥١ هـ)، وكانت ولادته سنة (٦٠٠ هـ) بحلب، انظر «وفيات الأعيان»: ٤/١٠، و«مفرج الكروب»: ٣/١٦٦، وفيه ولادته سنة (٦٠١ هـ).

(٤) أي زوَّج العزيز عثمان بن صلاح الدين. انظر ص ٥٧ من هذا الجزء.

قال أبو المُظَفَّر: وكان الظَّاهر مهيباً، له سياسةٌ وفِطْنة، وكانت دولته معمورةً بالعلماء والفُضَلاء، مُزَيَّنة بالملوك والأمراء، وكان محسناً إلى الرَّعية وإلى الوافدين عليه، وحَضَرَ معظم غزوات والده، وانضمَّ إليه أخوته وأقاربه، وكان ملجأ للغُرَباء، وكهفاً للفقراء، يزور الصَّالحين ويعتقدهم، ويغيث الملهوفين ويرفدهم[1].

قال: وكان يتوقَّد ذكاءً وفِطْنةً، سريعَ الإدراك. جلستُ عنده في سنة اثنتي عشرة وست مئة، وكان الأشرف قد أرسلني إليه في قضايا لا يطَّلع عليها كاتبٌ، وكتبَ كتاباً بيده إلى الظاهر، وكان بحلب فقير يحضر مجالسي قبل ذلك في سنة ثلاثٍ وأربع وخمس وست مئة، وكان ذلك الفقير يقوم في المجلس ويصيح: واه. واه. فيزعج الحاضرين، وكان صالحاً، والظَّاهر أنه تغيَّر حاله، فلما جلستُ سنة اثنتي عشرة عند الظاهر بقي ذلك الفقير يحترق ويقول: كيف أعمل، ويردِّدُها. فقال الظاهر: قَدِّموه إلى عندي. فقدَّموه. فقال له: هذا الذي يقول الشيخ ما هو مليح؟ قال: بلى. قال: إنْ أردتَ أن تصيح صيح. فعجب الحاضرون.

وحضر في ذلك المجلس رجلٌ عجمي يقال له أبو بكر النصبة، وكان صالحاً، وكان يحمل عصا أبنوس، فطابت قلوب الجماعة في ذلك اليوم، وبكوا، فقام النصبة، ودار وجاء إلى الظَّاهر، وقال له: أنتَ فرعون، ما تتحرَّك؟! وثار في وجه النصبة مثل التفاحتين، وخرج من المجلس، فمات بعد ثلاث.

وحضرنا عنده يوم الخميس في دار العَدْل، فجيء بامرأةٍ قد تحدثت على شخص، واعترفت بالكذب، فقال للقاضي ابن شداد: ماذا يجب عليها؟ قال: التأديب. فقال: تُضْرَبُ بالدُّرَّة شريعةً، ويقطع لسانها سياسةً. فقلتُ له: الشريعة

---

(١) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٣ هـ).

هي السياسة الكاملة، وما عداها يكون تعاطياً عليها. فأطرق، فأدّبَتِ المرأةُ، وسَلِمتْ من قطع اللِّسان. وله من هذا الجنس نوادر في الموارد والمصادر.

وتوفي ليلة الثلاثاء العشرين من جُمادى الآخرة بعِلَّة الذَّرَب، ودُفِنَ بقلعة حلب، ثم نُقِلَ بعد ذلك إلى مدرسته التي أنشأها، وقام بعده ولده الملك العزيز محمد، وأتابكه شهاب الدين طغريل الخادم، فقام بأمره أحسنَ قيام، واستمال الملك الأشرف، يدنيه متى شاء، ويقصيه متى شاء، فحفظ مملكةَ حلب على ولد الظَّاهر بحسن تدبيره إلى أن كبِرَ، واستقلَّ به[1]. ٩٥

وفيها توفي الشيخ العلامة تاج الدين، أبو اليُمْن، زيد بن الحسن بن زيد، الكِنْدي البغدادي[2] أوحد العَصْر، وفريد الدَّهر روايةً ودراية بأنواع علم الأدب، وجمع أصول الكتب، ومتَّعه الله تعالى بطول العمر، وعلوِّ المنزلة عند الملوك والأمراء، والقضاة والأعيان، وجلالةِ مَنْ كان يتردَّدُ إلى منزله وحيثُ كان، للسَّماع عليه، والاقتباس من فوائده وفرائده.

ومولده في الخامس والعشرين من شعبان سنةَ عشرين وخمس مئة، وقرأ

---

(١) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٣ هـ).

(٢) له ترجمة في خريدة القصر، قسم شعراء العراق: مج١/ج٣/ ٢١٩ ـ ٢٢٧، معجم الأدباء: ١١/ ١٧١ ـ ١٧٥، الكامل: ١٢/ ٣١٥، إنباه الرواة: ٢/ ١٠ ـ ١٤، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٣ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٣٨٣ ـ ٣٨٥، وفيات الأعيان: ٢/ ٣٣٩ ـ ٣٤٢، مشيخة ابن البخاري: ١٧٠ ـ ١٩٧، تاريخ الإسلام (ت ١٤٣، وفيات سنة ٦١٣ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ٣٤ ـ ٤١، معرفة القراء الكبار: ٣/ ١١٤٠ ـ ١١٤٤، العبر للذهبي: ٥/ ٤٤ ـ ٤٥، المختصر المحتاج إليه: ٢/ ٧١ ـ ٧٢، الوافي بالوفيات: ١٥/ ٥٠ ـ ٥٧، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١٣ هـ)، الجواهر المضية: ٢/ ٢١٦ ـ ٢١٧، غاية النهاية: ١/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢١٦ ـ ٢١٧، بغية الوعاة: ١/ ٥٧٠ ـ ٥٧٣، الطبقات السنية: ٣/ ٢٧٠ ـ ٢٧٤، شذرات الذهب: ٥/ ٥٤ ـ ٥٥.

وللدكتور سامي مكي العاني والأستاذ هلال ناجي كتاب «أبو اليمن تاج الدين زيد بن الحسن الكندي البغدادي، حياته، وما تبقى من شعره».

القرآن بالرِّوايات، وله عَشْرُ سنين على شيخه الشيخ أبي محمد عبد الله بن علي سبط الشيخ أبي منصور الحافظ، وهو الذي رَبَّاه، وكان خصيصاً به، فأسمعه عليه وعلى غيره كتباً كثيرة مثل «كتاب سيبويه»، و«المقتضب» للمبّرد، و«الحُجَّة» لأبي علي الفارسي، وقرأ العربية أيضاً على أبي السَّعادات ابن الشَّجَري، واللغة على أبي منصور بن الجَوَاليقي.

وسمع الحديث الكثير من ابن ناصر، وابن السمرقندي، والأنماطي، وسَعْد الخير، ومحمد بن عبد الباقي الأنصاري، وأبي منصور القَزَّاز ـ وروى عنه «تاريخ بغداد» للخطيب ـ وغيرهم.

وكان مسكنه بدمشق بجيرون بدرب العَجَم، فكم ازدحم في ذلك الدَّرْب من شيوخ العِلْم وطلبته، وأولاد الملوك وخدمته، ومتى ما أريد اعتبار ذلك، فلينظر في الكتب التي عليها طبقات السماع عليه، ليعلم جلالة مَنْ كان يتردَّد إليه.

وكان فارق بغداد في سنة ثلاث وستين وخمس مئة، ووَرَدَ الدِّيار المِصْرية، فَسُمِعَ بفَضْله، فتقرَّبَ إليه مَنْ هو مِنْ أهله، فاشتمل عليه عِزُّ الدِّين فَرُّخْشاه بن شاهنشاه بن أيوب، وهو ابنُ أخي صلاح الدين، ثم ولده الملك الأمجد صاحب بعلبك من بعده، ثم بالشَّام تردَّدَ إليه الملكُ الأفضل علي في سَلْطنته، وأخوه الملك المحسن ابنا صلاح الدين، والملك المُعَظَّم عيسى بن العادل، وغيرهم.

وأخبرني القاضي ضياءُ الدِّين بن أبي الحَجَّاج[1]، صاحب ديوان الجيوش المِصْرية رحمه الله، وكان أعلم مَنْ رأيتُ بأخبار الناس، وعَمِلَ للشيخ أبي

---

(١) ستَرِد ترجمته ص ٩٣ من الجزء الثاني، وكان أبو شامة قد التقاه في دمشق سنة (٦٤٤ هـ). انظر ص٨٢ من الجزء الثاني. وقد أورد أبو شامة هذا الخبر كذلك في «كتاب الروضتين»: ١٣٣/٣.

اليُمْن مشيخةً حسنة، قال: سألتُهُ كيف كان اتصاله بعِزِّ الدين فَرُّخْشاه؟ فقال: كنتُ بمجلس القاضي الفاضل رحمه الله في داره بالقاهرة، فدخل عليه فَرُّخْشاه، فلما استقرَّ بمجلسه جَرَى ذِكْرُ شرحِ بيتٍ من الشِّعْر لأبي الطَّيِّب المتنبي، فذكرتُ منه شيئاً، فأعجبَ فَرُّخْشاه، فسأل القاضي الفاضل عني، فقال: مَنْ هذا؟ قال: هذا العلامة تاج الدين الكندي، أو كما قال. فنهضَ فَرُّخْشاه، وقبضَ على يدي، وأخرجني معه إلى منزله، ودام اتصالي به.

وكان يحضُرُ مجلِسَهُ للقراءة عليه في داره، والسماعِ منه جميعُ المتصدِّرين بجامع دمشق من المشَايخ المعتبرين، كأبي الحسن السخاوي، ويحيى بن مُعْطي، والوجيه بن البوني، والفخر التركي، وغيرهم.

وقال لي شيخنا أبو الحسن رحمه الله: أنا حَرَّضت الملك المُحْسِن على التردُّدِ إليه، فحمل ذلك ابن عمه الملك المعظم على ملازمته، والقراءة عليه.

وقال[1] في كتابه «شرح المُفَصَّل»: لقيتُ جماعةً من أهل العربية، منهم الشيخ الفاضل أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي، رحمه الله، وكان عنده في هذا الشأن ما لم يكن عند غيره، وأخذتُ عنه «كتاب سيبويه»، وقرأتُ عليه كتاب «الإيضاح» لأبي علي مستشرحاً، وأخذت عنه كتاب «اللُّمَع» لأبي الفَتْح، وكان واسع الرِّواية، وافر الدِّراية، ومن العجيب أنَّ سيبويه اسمه عمرو، والكندي زيد، فقلتُ في ذلك:

لم يكن في عَصْر عمرو مِثْلَهُ ... وكذا الكِنْدِيُّ في آخر عَصْرِ

وهما زَيْدٌ وعمروٌ إنَّما ... بُنيَ النَّحْوُ على زيدٍ وعَمْرِو

وهذا معنًى حسن، وهو نظيرُ قولِ أبي شجاع بن الدَّهَّان من أبياتٍ فيه تقدَّم ذِكْرُها في أخبار سنة اثنتين وتسعين وخمس مئة[2]: ٩٦

(١) أي السخاوي.

(٢) ص ٦٧ من هذا الجزء.

النَّحْو أنتَ أحقُّ العالَمينَ به   أليسَ باسْمِكَ فيه تُضْرَبُ المُثُلُ

وقرأتُ على شيخنا أبي الحسن من نَظْمه قصيدةً فائقةً جامعةً لفضائل أبي اليُمْن الكِنْدي، رحمهما الله، وهي:

أيُّها الدَّائِبُ المُعَنَّى المُعَاني   مَضَضَ الكَدِّ في معالي المَعَاني

لُذْ ببابِ الكنديِّ زيدِ أبي اليُمْـ   ـنِ إمامِ الأنامِ فَرْدِ الزَّمانِ

فعقولُ الورى إلى الفَهْمِ عنه   ذاتُ فَقْرٍ للفَضلِ والعِرْفانِ

هُوَ بحرٌ فيهِ نَفِيْسُ لآلٍ   وسواهُ كالآلِ[1] عندَ العِيانِ

غيرُ بِدْعٍ إنْ قَرَّ في البَحْرِ دُرٌّ   وَهْوَ تاجٌ والدُّرُّ للتِّيجانِ

صورةٌ صُوِّرَتْ من السُّؤْدَدِ المَحْـ   ـضِ وطِيْبِ الأنفاسِ والإحسانِ

مُحْكِمٌ سيبويه مُنْفَرِدٌ فيـ   ـه بإسنادِهِ وبالإتقانِ

وكذا شَرْحَ سيبويه وما حَلَّ   بأَقْطارِها لهُ فيه ثانِ

وكتابُ «الإيضاح» قد فاقَ فيهِ   بحُليِّ الإيضاحِ والتِّبْيانِ

وكذا «كامِلُ» المُبَرِّدِ مَعْ مُقْـ   ـتَضَبِ النَّحْوِ ذي الفُصُولِ الحِسَانِ

و«أُصُولُ» السَّرَّاجِ و«اللُّمَع» الفَرْ   دِ وَشَرْحاه حَبَّذا الشَّرْحانِ

والذي حَرَّرَ ابنُ بُرْهانَ في النَّحْـ   ـوِ وما قالَ قَبْلَه الرُّمَّاني

وكذا «الحُجَّةُ» الذي فاقَ فيهِ   علماءَ الأعصارِ والأزمانِ

والتَّفاسيرِ والقراءات والتَّجْـ   ـويدُ فيها ومُشْكِلُ القُرآنِ

وحديثُ النَّبيِّ والقَوْلُ فيهِ   قَوْلُهُ في غَرِيْبِهِ والبَيَانِ

والتَّواريخُ والقوافي من الشِّعْـ   ـرِ وعِلْمُ العَرُوضِ والأَوْزَانِ

ولهُ في العَرُوضِ ما لم تَجِدْهُ   لمُجِيْدِ القَرِيْضِ في ديوانِ

بين جَزْلٍ غدا حبيبَ حبيبٍ   وحِسَانٍ كانتْ هوى حَسَّانِ

---

(١) الآل: السراب.

يَـقِظٌ واسعُ المجالِ رحيبُ الـ ـباعِ فيما نبا عنِ الأذهانِ
يُرْشِدُ الغافِلَ الذَّكيَّ مِنَ السَّهْـ ـوِ بقلبٍ ذي فِطْنَةٍ يَقْظانِ
وجَنانٌ لهُ وقد ناهَزَ التِّسْـ ـعينَ حَوْلاً ثَقَابةُ العُنْفُوانِ
وَيَدٌ تَرْقُمُ الطُّروسَ كما فُصِّـ ـلَ عِقْيانٌ ناظمٌ بجُمانِ
فانظُرِ الخطَّ واسْمعِ اللَّفْظَ تَنْعَمْ ثَمَّ في رَوْضَتي يدٍ ولسانِ
وَفَّرَ اللهُ بعدَ طُولِ بقاءٍ في نعيمٍ نعيمَهُ في الجِنَانِ

قال أبو المُظَفَّر سبط ابن الجوزي: شيخنا تاجُ الدِّين الكِنْدِي انتهت إليه القراءات، والرِّوايات وعلم النَّحْو واللُّغات. قرأتُ عليه من كتابِ «الصّحاح»، و«المتنبي» و«الحماسة»، و«الإيضاح»، و«المُعَرَّب» لابن الجواليقي، وكان يحضُرُ مجالسي بجامع دمشق وقاسيون، ويقول: أنا قد صرتُ من زبونِ المجلس. وكان حَسَنَ العقيدة، طَيِّبَ الخُلُق، ظريفاً، لا يسأم الإنسان من ٩٧ مجالسته، وله النوادر العجيبة. ولما خرجتُ في سنة سبعٍ وست مئة إلى الغَزَاة كتبَ إليَّ إلى نابُلُس كتاباً بخطِّه، وكان يكتُبُ مِثْلَ الدُّرِّ:

جَزَى الله بالحُسْنى ليالِيَ أحْسَنَتْ إلينا بإيناسِ الحبيبِ المُسَافِرِ
ليالِيَ كانتْ بالسُّرورِ قصيرةً ولم تكُ لولا طِيْبُها بالقصائرِ
فيالك وَصْلاً كان وَشْكُ انقضائِهِ كَزَوْرَةِ طَيْفٍ أو كنَغْمَةِ طائرِ[1]

قال: وكتب إليَّ أيضاً:

أيا ساكني قَلْبي على بُعْدِ دارهِمْ لقد عِيْلَ صَبْري منذُ شَطَّتْ نَوَاكُمُ
سَرَى معكمْ نومي فأصْبَحْتُ بَعْدَكُمْ ألومُ السُّرى منهُ وأبكي سُرَاكُمُ
رَضِيْتُمْ بِعَادِي عنكُمُ فَرَضِيْتُهُ لأنيَ أهواكُمْ وأهوى هَوَاكُمُ
شَجَاني غَرَامٌ لو وَفَيْتُمْ بِبَعْضِهِ لقلبِ المُعَنَّى فيكُمُ لشَجَاكُمُ

(١) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٣ هـ).

أعيدُوا لنا عِيْدَ الوِصَالِ على اللِّوَى ... سقى اللهُ أيَّامَ اللِّوى وسَقَاكُمُ
وداووا بِلُقْياكُمْ فؤادي منَ الضَّنا ... فهيهاتِ أنْ يَلْقَى طبيباً سِوَاكُمُ[(١)]
دَهَاني[(٢)] اشتياقٌ لم تُصِبْكُمْ سِهَامُهُ ... فيا لَيْتَهُ لَمَّا دَهَاني دَهَاكُمُ
وإني لأخشى أنْ أموتَ بِغُصَّتي ... عليكُمْ ولا أبقى إلى أنْ أراكُمُ
ولو كان قلبي كالقُلُوبِ لغيركُمْ ... لقد كانَ لَمَّا أنْ سَلَوْتُمْ سلاكُمُ[(٣)]

وله ديوانُ شِعْر.

قال: وحكى لي قال: كتبتُ إلى الملك الأمجد إلى بَعْلَبَكَّ:

لا تُضْجِرَنَّكُمُ كُتْبي إذا كَثُرَتْ ... فإنَّ شوقيَ أضعافُ الذي فيها
واللهِ لو مَلَكَتْ كَفِّي مُهَادنةً ... من اللَّيالي التي بخَتْي يعاديها
لَمَا تصرَّمَ لي في غيرِ داركُمُ ... عُمْرٌ ولا مِتُّ إلَّا في نواحيها
عُدُّوا احتمالكُمُ لي حينَ أُضْجِرُكُمْ ... من الصِّلاتِ التي منكُمْ أُرَجِّيها

قال: فكتَبَ إليَّ بخطِّه، وهي له:

إنَّا لَتُتْحِفُنا بالشَّوقِ كُتْبُكُمُ ... وإنْ بَعُدْتُمْ فإنَّ الشَّوْقَ يُدْنيها
وكيفَ نَضْجَرُ منها وَهْي مُذْهِبَةٌ ... مِنْ وَحْشَةِ[(٤)] الشَّوْقِ لوعاتٍ نعانيها
وإنْ ذَكَرْتُمْ لنا فيها اشتياقَكُمُ ... فعندنا مِنْكُمُ أضعافُ ما فيها
سَلُوا نَسِيْمَ الصَّبا يُهدي تحيَّتَنا ... إليكُمُ فَهْي تَدْري كيفَ تُهْدِيْها

قال: وكان الملك المُعَظَّم عيسى ـ رحمه الله ـ يقرأ عليه دائماً؛ قرأ عليه كتاب سيبويه نَصّاً وشَرْحاً، و«الإيضاح»، و«الحماسة»، وشيئاً كثيراً، وكان يمشي من القلعة راجلاً إلى دار تاج الدين، والكِتابُ تحتَ إبطه. ٩٨

---

(١) هذا البيت ليس في (ب) و(ك) و(ع) و(س).
(٢) في (ك) و(ع) و(س): دعاني، وهو تحريف.
(٣) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٣ هـ).
(٤) في الأصل: لوعة، والمثبت من بقية النسخ، وهي كذلك في «مرآة الزمان». والأبيات ليست في ديوانه المطبوع.

ثم توفي رحمه الله يوم الاثنين سادس شَوَّال وأنا يومئذٍ متوجِّه إلى الحج على بغداد، وصُلِّي عليه بجامع دمشق، وحُمِلَ إلى قاسيون، فدفن به، ولم يتخلَّف عن جِنازته أحدٌ من الأعيان، وعمره ثلاثٌ وتسعون سنة وشهر وستة عشر يوماً، وكان صدوقاً[1] ثِقَةً.

قلتُ: وقرأتُ في «ديوانه» بخطِّه:

لَبِسْتُ من الأعمال تسعينَ حِجَّةً ... وعندي رجاءٌ بالزِّيادةِ مُوْلَعُ

وقد أقْبَلَتْ إحدى وتسعونَ بعدَها ... ونَفْسي إلى خَمْسٍ وسِتٍّ تَطَلَّعُ

ولا غَرْوَ أنْ آتي هُنيدةَ سالماً ... فقد يُدْرِكُ الإنسانُ ما يتوقَّعُ

وقد كان في عَصْري رجالٌ عَرَفْتُهُمْ ... حَيُوها وبالآمالِ فيها تمتَّعوا

وما عافَ قبلي عاقِلٌ طولَ عُمْرِهِ ... ولا لامه مَنْ فيهِ للعقلِ مَوْضِعُ

هُنيدة اسمُ عَلَمٍ على المئة.

وقرأتُ بخطِّه فهرست كُتُبه التي وقَفَها على فتاه ياقوت، ثم على ولده، ثم على العلماء، فوجدتها سبع مئة وإحدى وستين مجلداً: في علوم القرآن مئة وأربعون، الحديث تسعة عشر؛ الفِقْه تسعة وثلاثون، اللغة مئة وثلاثة وأربعون، الشِّعْر مئة واثنان وعشرون، النحو والتصريف مئة وخمس وسبعون، علوم الأوائل من طبٍّ وغيره مئة وثلاثة وعشرون.

وكان مُعْتَقُهُ نجيب الدِّين ياقوت قد هيأ لها خزانةً كبيرة بمقصورة ابن سِنَان الحنفية، المجاورة لمشهد زين العابدين بجامع دمشق، ونقل إليها جملةً من هذه الكتب، ثم إنها تفرَّقَتْ وخَرَجَتْ عن الخزانة وعَدِمَتْ، وبِيْعَ جملةٌ منها سراً وجَهْراً، نسأل الله عَفْواً وغَفْراً، وصيانةً وسِتْراً.

وكان الشيخُ تاج الدين ـ رحمه الله ـ قد عَمِلَ شرحاً لديوان أبي الطَّيِّب

---

(١) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٣ هـ).

أحمد بن الحسين المتنبي، فلما انتهى سماعه عليه كتبَ شيخُنا أبو الحسن الثَّبَتَ، وفيه بيتان يمدح بهما مُصَنِّفَه أبا اليمن الكِنْدِي، وهما:

فلو أنَّ أحمدَ يَدْرِي بما ينالُ مِنَ السَّعْدِ ما قالَهُ
لرامَ مِنَ التِّيْه وَطْءَ السَّما وجَرَّ على النَّجْمِ أذيالَهُ

وأخبرني صاحِبُنا جمال الدين أحمدُ بنُ عبد الله [بن شعيب][1] ـ وكان أحدَ مَنْ قرأ على الشيخ تاج الدين ـ أنَّه كان مع علوِّ منزلته وجلالته متواضعاً مع طلبته، يخاطب كلاً منهم بقوله: يا سيدنا. قال: وكُنَّا نقرأ يوماً عنده أنا ورفيقاي، فدخل الملك المعظم، فجلس، فسكتنا، فقال الشيخ للمعظم: إنما سكتوا لأجلِ السُّلْطان، ولم يَفْرُغوا من حِزْبهم. فقال: لا والله، إنما القراءة بالنَّوْبة، فليتمِّموا. فأمرنا الشيخُ، فأتممنا حِزْبَنا.

قال: وكان مُنْصِفاً لمن يدخل إليه، ولقد سَمِعْتُهُ وهو يعتذر عن تَرْكِ القيام لهم لكبره، وأنشد:

تركتُ قيامي للصَّديقِ يزورني ولا ذنبَ لي إلا الإطالةُ في عُمْري
فإنْ بلَغُوا مِنْ عَشْر تسعينَ نِصْفَها تَبَيَّنَ في تَرْكِ القيامِ لهمْ عُذْرِي

ومن شِعْره ـ رحمه الله ـ وقد شَرِبَ دواءً:

تداويتُ لا مِنْ عِلَّةٍ خَوْفَ عِلَّةٍ فأصْبَحَ دائي في حَشَاي دَوَائي
فيا عَجَبَ الأقدارِ مِنْ مُتَحَذْلِقٍ يحاولُ بالتَّدْبيرِ رَدَّ قَضَاءِ

٩٩ وفيها توفي أبو الغنائم، سعيد بن حمزة بن أحمد، ويقال له ابن ساروخ، الكاتب النِّيْلي العِرَاقي[2].

---

(١) ما بين حاصرتين من (ك) و(ع) و(س). وستأتي وفاته ص٢١٣ من الجزء الثاني.

(٢) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٣ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣، تاريخ الإسلام (ت ١٤٤، وفيات سنة ٦١٣ هـ)، المختصر المحتاج إليه: ٢/ ٩٣ ـ ٩٤، الوافي بالوفيات: ١٥/ ٢١١، توضيح المشتبه: ١/ ٦٨٧، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢١٧. =

ولد بالنِّيل سنةَ ثماني عشرة وخمس مئة، وسَمِعَ شيوخَ ذلك العَصْر، وسافر إلى الشَّام والرُّوم، ومَدَحَ الملوك والأمراء، وذكره العماد في «الخريدة»[1]، وقال: قَدِمَ دمشقَ، ومَدَحَ أمراءها، وعاد إلى بغداد، فكَبِرَ وأسنَّ، وانقطع في بيته إلى آخرِ عُمُره، وكان بارعاً، وله رسائِلُ، ومكاتب، وأشعارٌ رائقة، وألفاظ فائقةٌ شائقة، فمن شِعْره:

يا شائمَ البَرْقِ مِنْ نجديٍّ كاظِمَةٍ ... يَبْدُو مِراراً وتُخْفيه الدَّياجِيْرُ
إذا سُقِيْتَ الحيا مِنْ كلِّ مُعْصِرَةٍ ... وعادَ مَغْناكَ خِصْباً وَهْوَ ممطورُ
سَلِّمْ على الدَّوْحَةِ الغَنَّاءِ مِنْ سَلَمٍ ... وعَفِّرِ الخَدَّ إنْ لاحَ اليعافيرُ[2]
أَحِنُّ شَوْقاً إلى تلكَ الرِّياضِ وقد ... ضَاهَا بَنَفْسَجها وَرْدٌ ومَنْثُورُ
ومالتِ السَّرْوُ في خُضْرِ الثِّيابِ كما ... تمايلتْ في الحريرِ الأَخْضَرِ الحُوْرُ
والغُصْنُ سكرانُ مِنْ طلِّ النَّدى فإذا ... دعا ابنُ وَرْقاءَ أضحى وَهْوَ مخمورُ
وهاتِفَاتٍ على الأغصانِ قد رَقَدَتْ ... عنهنَّ في غَسَقِ الدَّاجي النَّواطِيْرُ
فَظَلْنَ يَسْجَعْنَ حتى كِدْتُ مِنْ وَلَهي ... أقضي ولكنَّما في العُمْرِ تأخيرُ
لكنَّ وَجْدي بتَرْجِيْعِ الهَدِيْلِ وما ... غَرَّدْنَ باقٍ إلى أنْ يُنْفَخَ الصُّورُ

وكانت وفاتُهُ ببغدادَ في رمضان.

وفيها توفي محمد بن الحافظ عبد الغني المقدسي، ولقبه عِزُّ الدِّين[3].

= وهو منسوب إلى النيل، نهر وبلدة قريبة من الحلة المزيدية، وهو نهر حفره الحجاج بن يوسف الثقفي، وسماه باسم نيل مصر، قاله المنذري.

(١) لم أقف على ترجمته في الأجزاء المطبوعة من «الخريدة».

(٢) اليعافير، جمع يعفور: الظبي الذي لونه كلون العفر، وهو التراب.

(٣) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٣ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٣٨٥_٣٨٦، مشيخة ابن البخاري: ١٩٧_٢٠٦، طبقات علماء الحديث: ٤/ ١٨٣_١٨٥، تاريخ الإسلام (ت١٧٦، وفيات سنة ٦١٣ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ٤٢_٤٤، تذكرة الحفاظ: ٤/ ١٤٠١_١٤٠٢، العبر للذهبي: ٥/ ٤٧، الوافي بالوفيات: ٣/ ٢٦٦_٢٦٧، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١٣هـ)، =

ولد سنةَ ستٍّ وستين وخمس مئة، وسَمِعَ الحديث، ورحل إلى أصبهان، ثم عاد إلى بغداد، وقرأ «مسند» الإمام أحمد ببغداد، وسمع أبا الفرج ابن الجوزي وغيره، وعاد إلى دمشق، وحدَّث عن أصحاب الحَدَّاد وغيرهم، وكانت له حَلْقة بجامع دمشق، وصَحِبَ الملك المُعَظَّم عيسى، وسمع بقراءته الكثير، وكان حافظاً ديناً زاهداً وَرِعاً، وتوفي بقاسيون، رحمه الله.

وفيها توفي أبو الفتوح، محمد بن علي بن المبارك بن الجَلاجلي[1]، البغدادي التاجر، ويلقب بالكمال.

ولد سنة إحدى وأربعين وخمس مئة، وقرأ القرآن، وسافر إلى الأقطار، وسمع الشُّيوخ، وكان يتردَّدُ من الخليفة إلى الأشرف في رسائِلَ خَفِيَّةٍ. سَمِعَ ببغداد أبا السَّعادات المبارك بن علي الوكيل، وأبا بكر عبد الله بن النَّقُّور، وابن البَطِّي. وبالإسكندرية الحافظ أبا الطَّاهر السِّلَفي وغيرهم، وكان عاقلاً ديناً، صالحاً ثِقَةً، صدوقاً بَسَّاماً متواضعاً، ومات بالقدس، رحمه الله.

وفيها توفي محمد بن يحيى بن هبة الله، أبو نَصْر بن النَّحَّاس، الواسطي[2]، الأديب بواسط.

= ذيل طبقات الحنابلة: ٢/ ٩٠-٩٢، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢١٨، المقصد الأرشد: ٢/ ٤٤٦، المنهج الأحمد: ٤/ ١١٥-١١٧، القلائد الجوهرية: ٢/ ٥٦٨، شذرات الذهب: ٥/ ٥٦-٥٧.

(١) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٣ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٣٤٤-٣٤٥، مشيخة ابن البخاري: ١٣٤-١٤٣، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ٥٢، المختصر المحتاج إليه: ١/ ١٠٠-١٠١، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١٣ هـ)، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢١٥، شذرات الذهب: ٥/ ٥٣.
وقد وهم سبط ابن الجوزي في ذكر وفاته سنة (٦١٣ هـ)، وتابعه أبو شامة، وتابعَ أبا شامة ابنُ كثير في البداية والنهاية، والصواب أنه توفي سنة (٦١٢ هـ) كما في بقية مصادر ترجمته.
وقال المنذري في «التكملة»: وسمعته يذكر أن جده كان حسن الصوت بالقرآن، فعرف بالجلاجلي.

(٢) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٣ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٣٧١، تاريخ الإسلام (ت ١٨١، وفيات سنة ٦١٣ هـ)، الوافي بالوفيات: ٥/ ١٩٩، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١٣ هـ)، توضيح المشتبه: ٦/ ٢٢٠.

كتب من واسط إلى أبي المُظَفَّر سِبْط ابن الجوزي، رحمهما الله تعالى:

وقـائـلـةٍ لـمَّـا عَـمِـرْتُ وصـارَ لـي ثـمانون عاماً عِشْ كذا وابْقَ واسْلَمِ ١٠٠

وَدُمْ وانْـتَـشِـقْ رُوْحَ الـحـيـاةِ فـإنَّـهُ لأطْـيَـبُ مِـن بَـيْـتٍ بـصَـعْـدَةَ مُـظْـلِـمِ

فـقـلـتُ لـهـا عُـذْري لـديك مُـمَـهَّـدٌ بـبـيـتِ زُهَـيْـرٍ فـاعْـلَـمـي وتَـعَـلَّـمـي

سَئِمْتُ تكاليفَ الحياةِ وَمَنْ يَعِشْ ثـمـانـيـنَ حَـوْلاً لا مَـحَـالـةَ يَـسْـأَمِ[1]

وفيها توفي أبو جعفر، يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد ـ أربع مَرَّات ـ العلوي الحسني البَصْري، يعرف بابن أبي زيد[2].

ولي نقابة الطَّالبيين بالبصرة بعد أبيه مُدَّة، وسَمِعَ الحديث من أبيه وغيره، وقرأ الأدب على أبي علي بن الأحمر الحِمَّاني بالبَصْرة، ومولده سنة ثمانٍ وأربعين وخمس مئة، وقَدِمَ بغداد، ومَدَحَ الإمام الناصر بقصائد، وكان رقيقَ الشِّعْر، توفي ببغداد في رمضان، ودفن بمقابر قريش.

ومن شِعْره:

هذا الـعـقـيـقُ وهـذا الجزع والـبـانُ[3] فـاحـبِـسْ فَـلـي فـيـه أوطـارٌ وأوطـانُ

آلـيـتُ والـحُـرُّ لا يَـلْـوِي ألـيَّـتَـهُ[4] أنْ لا يَـلَـذَّ بِـطِـيْـبِ الـنَّـوْمِ أَجْـفـانُ

حـتـى تـعـودَ لـيـالـيَّ الـتـي سَـلَـفَـتْ بـالأَجْـرَعَـيْـنِ وجـيـرانـي كـمـا كـانـوا

---

(١) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٣ هـ).

(٢) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٣ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٣٧٩، تاريخ الإسلام (ت ١٩٢، وفيات سنة ٦١٣ هـ)، المختصر المحتاج إليه: ٣/ ٢٤٩، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١٣ هـ).

وللعلامة مصطفى جواد رسالة في سيرته بعنوان «أبو جعفر النقيب».

(٣) في (ك) و(ع) و(س): هذا العذيب وهذا الرند والبان.

(٤) أي لا يحنث بقسمه.

ثم دخلتْ سنةُ أربعَ عشرةَ وستٍّ مئة[(١)]

قال أبو المُظَفَّر: ففيها قَدِمَ شيخُ الشيوخ صَدْرُ الدِّين بن حَمُّوية إلى بغداد رسولاً من العادل، وقَدِمَ بعده ولدُه فخر الدين رسولاً من الكامل بن العادل إلى أخيه المَعَظَّم في خِطْبة بنته لابنه[(٢)].

وحضر[(٣)] المعتمد لطرح البلاطة الخاتمة بيده بحضرة مقصورة الخَضِر في ثالث المحرَّم[(٣)].

وفيها قُدِمَ بأَسْرى فرنج، وعلى صَدْرِ كلِّ واحدٍ منهم رأسُ فرنجي مقتولٍ معلَّق، وأُحضرت خيمة فرنجية سرقها العَرَب من مخيَّم الفرنج بظاهر عكا، قيل: إنها كنيسةٌ لهم، فَنُصِبَتْ في الميدانِ الأَخْضر الصَّغير، وعُمِلَ فيها طعامٌ للفقراء.

وفيها ذكر محيي الدِّين محمد بن يحيى بن فَضْلان الدَّرْسَ في النِّظامية.

وفيها زادتْ دِجْلة زيادةً عظيمة، وركب الخليفة في شبَّارة، وخاطبَ النَّاس، وجَعَلَ يتأوَّه لهم ويقول: لو كان هذا الماء يُرَدُّ بمالٍ أو حَرْبٍ دَفَعْتُهُ عنكم، ولكنَّ أمرَ الله ما لأحدٍ فيه حِيْلة، وانهدمت بغدادُ بأسرها والمحالُّ، ووصَلَ الماء إلى رأس السُّور، وبقي مقدار أصبعين حتى يَطْفَحَ على السُّور، فأيقنَ النَّاسُ بالهلاك، ودام سبعَ ليالٍ وثمانية أيام، ثم نَقَصَ الماء، وبقيتْ بغداد من الجانبين تلولاً لا أثر لها[(٤)].

---

(١) في هامش الأصل: بلغ مقابلة.

(٢) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦١٤ هـ).

(٣ ـ ٣) ما بينهما ليس في الأصل و(ب)، والمثبت من (ك) و(ع) و(س).

(٤) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦١٤ هـ)، وعد الذهبي هذا الخبر من مجازفات سبط ابن الجوزي، انظر «سير أعلام النبلاء»: ٢٢/ ٢٣٠ ـ ٢٣١، وقال: العجب من أبي شامة ينقل أيضاً هذا ولا يبالي بما يقول!

قال: **وفيها** قَدِمَ محمد خوارزم شاه إلى هَمَذَان على قصد بغداد في أربع مئة ألف على ما قيل، وقيل: ست مئة ألف، واستعدَّ له الخليفة، وفرَّق الأموال والسِّلاح. وأرسل إليه الشيخَ شهابَ الدين السُّهْرَوَرْدِي في رسالة[١] فأهانه واستدعاه، وأوقفه إلى جانب تخته، ولم يأذن له في القعود، فحكى شهابُ الدين، قال: استدعاني، فأتيتُ إلى خيمةٍ عظيمةٍ لها دِهْليز لم أر في الدنيا مِثْلَه، والدِّهْليز والشقة أطلس، والأطناب حرير، وفي الدِّهليز ملوك عراق[٢] العجم على اختلاف طبقاتهم: صاحب هَمَذَان، وأصفهان، والرَّي وغيرها، ثم دخلنا إلى خيمةٍ أُخرى إبْرَيْسَم[٣]، وفي دِهْليزها ملوك خُرَاسان: مرو، ونَيْسابور، وبَلْخ، وغيرها، ثم دخلنا خيمةً أخرى وملوك ما وراء النهر في دِهْليزها كذلك ثلاث خيام، ثم دخلنا عليه وهو في خركاة عظيمة من ذهب، وعليها سجافٌ مُرَصَّع بالجواهر، وهو صبي له شَعَراتٌ، قاعدٌ على تختٍ ساذج، وعليه قَبَاء بخاريٌّ يساوي خمسة دراهم، وعلى رأسه قطعةٌ من جلدٍ تساوي دِرْهماً. فسلَّمْتُ عليه، فلم يَرُدَّ، ولا أمرني بالجلوس، فشرعت، فخطبت خطبةً بليغة ذكرت فيها فَضْل بني العَبَّاس، ووصفتُ الخليفة بالزُّهْد، والوَرَع، والتُّقى، والدِّين، والترجمان يعيد عليه قَوْلي، فلما فرغتُ قال للترجمان: قل له هذا الذي تصفه ما هو في بغداد، بل أنا أجيء وأُقيمُ خليفةً يكون بهذه الأوصاف. ثم رَدَّنا بغير جواب، ونَزَلَ الثلج عليهم، فهلكت دَوابُّهم، وركب خوارزم شاه يوماً، فعثر به فرسه، فتطيَّر، ووقع الفساد في عسكره، وقلَّتِ الميرةُ، وكان معه سبعون ألفاً من الخطا، فَرَدَّه الله تعالى[٤].

١٠١

(١) في رسالة، ليست في الأصل و(ب).

(٢) قوله: عراق، ليست في (ك) و(ع) و(س).

(٣) أي حرير.

(٤) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦١٤ هـ).

قلتُ: وذكر المنشئ محمد بن أحمد النَّسَوي في كتابه الذي ذكر فيه وقائع التَّاتار مع علاء الدين محمد خوارزم شاه المذكور، ومع ولده جلال الدين ـ وقدِ اختصرتُهُ ـ قال: حكى القاضي مجير الدين عمر بن سَعْد الخوارزمي أنه أُرسل إلى بغداد مراراً، آخرها مطالبة الدِّيوان بما كان لبني سَلْجوق من الحكم والملك ببغداد، فأَبَوْا ذلك، وأصحب في عَوْدِهِ بالشيخ شهابِ الدِّين السُّهْرَوَرْدِي رسولاً مُدافعاً قال: وكان عند السُّلْطان من حُسْنِ الاعتقاد برفيع منزلته ما أوجبَ تخصيصَهُ بمزيدِ الإكرام، ومزية الاحترام تمييزاً له عن سائر الرُّسُل الواردة عليه من الدِّيوان، فوقف قائماً في صَحْن الدَّار، ثم أُذِنَ للشيخ في الدخول، فلمَّا استقرَّ المجلسُ بالشَّيْخ، قال رحمه الله: إنَّ مِنْ سُنَّةِ الدَّاعي للدولة القاهرة أن يُقَدِّمَ على أداء رسالته حديثاً من أحاديث النبيِّ ﷺ تيمُّناً وتبرُّكاً. فأَذِنَ له السُّلْطان في ذلك، وجلس على رُكبتيه تأدُّباً عند سماعِ الحديث، فذكر الشَّيْخُ حديثاً معناه التحذير من أَذِيَّة آل العَبَّاس رضي الله عنه. فلما فَرَغَ الشَّيخ من رواية الحديث، قال السلطان: أنا ما آذيت أحداً من ولد العباس، ولا قَصَدْتُهُمْ بسوء، وقد بلغني أنَّ في محابس أمير المؤمنين منهم خَلْقاً مخلَّدين يتناسلون بها، فلو أعاد الشيخ الحديثَ بعينه على مسامع أمير المؤمنين كان أَوْلى وأنفع. فعاد الشيخ والوَحْشة قائمةٌ بحالها، ثم عَزَمَ على قَصْدِ بغداد، وقَسَمَ نواحيها إقطاعاً وعملاً، وسار إلى أن علا عقبةَ أسدَ أباد، فنزلَ عليه ثلوجٌ طمَّتِ الأباطحَ والأعلام، وغَطَّتِ الخراكي والخيام، ودام ثلاثةَ أيام بلياليها، فَعَظُمَ إذ ذاك البلاء، وأعضل الدَّاء، وشَمِلَ الهلاكُ خَلْقاً من الرِّجال، ولم يَنْجُ شيءٌ من الجِمال، وتَلِفَتْ أيدي رجالٍ وأَرْجُلَ آخرين؛ فَرَجَعَ السُّلْطان عن وجهه ذلك على خيبةٍ مما هَمَّ به، ويأسٍ من مطلبه[1].

(١) انظر «سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي» ص ٥٠ ـ ٦٤، ط. القاهرة، وقد اختصر أبو شامة كلامه هنا اختصاراً آخر، وانظر حاشيتنا رقم ٣ ص ٨٩ من هذا الجزء.

وفيها كانت جَفْلَةُ السُّلْطانِ العادل من الفرنج لمَّا اجتمعوا وخرجوا عليه، ووصلوا إلى عين جالوت وهو ببيسان، فأحَرَقها[1]، وظَهَرَ إلى جهة عجلون، ووصل الفوّار، وقطع الفرنج خلفه الأُرْدُنّ، وأوقعوا باليزك[2]، وغاروا على البلاد، وورد الأمر إلى المعتمد والي دمشق بالاهتمام والاستعداد، واستخدام الرجال؛ وتدريب دروب قَصْرِ حَجّاج[3] والشَّاغور، وطَرَفِ البساتين، ونَقْلِ غَلَّةِ ١٠٢ داريًّا إلى القلعة، وتَغْريق أراضيها بالماء، فإنَّ الفرنجَ مظهرون قَصْدَها، واختبط البلد لأجلِ هذه الشَّناعة، وأرسل السُّلْطانُ إلى ملوكِ الشرق مستحِثًّا لعساكرهم، ووصل إلى مَرْج الصُّفَّر، ونَزَلَ به بنيَّةِ المقام لاجتماع العساكر إليه، ورَدَّ خزانته إليه بعد أن كانت وصلت في السَّحَر إلى مسجد القَدَم للدخول إلى دمشق، وجَفَلَتْ أهلُ القُرَى من عَقْربا وحَرَسْتا وغيرهما، وغلتِ الأسعار، وعَزَمَ النَّاسُ على النُّزوح عن البلد متى تحقَّقوا طلوع الفرنج من الغَوْر، وكان للنَّاس ضجيجٌ بالجامع في أوقات الصَّلوات، وبكاء ودعاء، ثم رَجَعَ الفرنج متوجِّهين إلى عكا بمن حَصَلَ في أيديهم من الأسارى بعد أن كانت غيارتهم قد وصلت إلى زحر النَّصارى وما قَرُبَ منها، وإلى أفيق، وإلى كثيرٍ من أعمال الشَّعْراء، والنَّاسُ بين أيديهم جافلين.

ووصل الملك المجاهد أسد الدِّين صاحب حِمْص مع مَنِ اجتمع معه من العساكر لنجدة الإسلام، ولم يبق بالبلد أحدٌ إلا خَرَجَ لتلقِّيه، وكان يوماً مشهوداً، طلعَتْ له الشَّمْسُ عند حرستا فما وَصَلَ إلى البلد إلا وقت الظهر من كَثْرَة النَّاس في طريقه، ودَخَلَ من باب الفَرَج، ومضى على فوره إلى دار ستِّ

(١) رواية سبط ابن الجوزي الآتية تدل على أن العادل لم يحرق بيسان، وانظر كذلك «الكامل» لابن الأثير: ١٢/ ٣٢٠ ـ ٣٢١.

(٢) كلمة فارسية تعني: الحرس، أو طلائع الجيش، انظر «تكملة المعاجم العربية» لدوزي.

(٣) من هنا يبدأ خرم في الأصل، حتى قوله: وأقاموا ثلاثة أيام ينهبون ويقتلون، والمثبت من (ب) و(ك) و(ع) و(س).

الشَّام[١] أخت العادل الكُبرى، أقام عندها ساعة، ثم عاد إلى داره، وباتَ بها، وأصبح متوجِّهاً إلى السُّلْطان، فسكَنَتْ نفوسُ النَّاسِ بدمشق إلى قدومه، وزالَ خوفُهم.

وقال أبو المظفر: **وفيها** انفسختِ الهُدْنة بين المُسْلمين والفرنج، وجاء العادل من مِصْر بالعساكر، فنزل على بَيْسان، والمُعَظَّم عنده في العساكر الشَّامية، وخَرَجَ الفرنج من عكا ومقدَّمهم ملك الهنكر، فنزلوا عين جالوت في خمسةَ عشر ألفاً، وكان شجاعاً مقداماً، ومعه جميعُ ملوكِ السَّاحل، فلمَّا أصبحوا رَكِب الهنكر في أوائلهم وقَصَدَ العادل، وكان العادِلُ على تَلِّ بيسان، فنظَرَ، فرأى أنه لا قِبَلَ له بهم، فتأخَّر، فقال له المُعَظَّم: إلى أين؟ فشتمه بالعجمية، وقال له: بمن أقاتل؟ أقطعتَ الشَّام مماليكك، وتركتَ أولادَ النَّاسِ الذين يرجعون إلى الأصول! وذكر كلاماً في هذا المعنى، وساق، فَعَبَرَ الشَّريعةَ، وجاء الهنكر إلى بَيْسان، وبها الأسواقُ والغِلال والمواشي شيء لا يعلمه إلا الله تعالى، فأخذ الجميع، وارتفع العادِل إلى عجلون، ومضى المُعَظَّم، فَنَزَلَ بين نابُلُس والقدس على عقبة اللبن خوفاً على القُدْس، وأقام الفرنج على بَيْسان ثلاثةَ أيام، ورحلوا طالبين قَصْرَ ابنِ معين الدِّين. وسار العادل، فنزل رأس الماء، وصَعِدَ الفرنج عقبة الكرسي إلى خربة اللصوص والجولان وأقاموا[٢] ثلاثةَ أيام ينهبون ويقتلون ويأسرون، ثم عادوا ونزلوا الغَوْر، وبَعَثَ العادِلُ أثقاله إلى بُصْرى ونساءه، وأقام على رأس الماء جريدةً، ولما نَزَلَ الفرنجُ الغور جاء العادل فنزل عالقين.

ثم نزل الفرنج تحت الطور يوم الأربعاء ثامن عشري شعبان، وأقاموا إلى

(١) كانت دارها قبلي البيمارستان النوري، وقد وقفتها بعد موتها مدرسة للشافعية، وهي التي تعرف بالمدرسة الشَّامية الجوانية، انظر ٣١٦، ٣٢١ من هذا الجزء.

(٢) إلى هنا ينتهي الخرم في الأصل. انظر حاشيتنا رقم ٣ ص ٢٨٣ من هذا الجزء.

يوم الأحد ثاني رمضان، وكان يوماً كثير الضَّباب، فما أَحَسَّ بهم أهلُ الطُّور إلا وهم عند الباب قد ألصقوا رماحهم بالسُّور، ففتح المسلمون الباب، وخَرَجَ إليهم الفارس والرَّاجل، وقاتلوهم حتى رَمَوْهم أسفلَ الطور، فلما كان يوم الثلاثاء رابع رمضان طلعوا بأَسْرهم ومعهم سُلَّمٌ عظيم، فزحفوا من ناحية بابِ دمشق، وألصقوا السُّلَّم بالسُّور، فقاتلهم المسلمون، ودخلتْ رماحُ الفرنج من المَرَامي من كلِّ ناحية، فضَرَبَ بعضُ الزَّرَّاقين السُّلَّم بالنِّفْط، فأحرقه، وقُتِلَ عنده جماعةٌ من أعيان الفرنج منهم كند كبير، فلما رَأَوْه مقتولاً صاحوا، وبكوا، وكسروا عليه رماحهم. واستُشْهد في ذلك اليوم من أبطال المسلمين الأمير بدر الدين محمد بن أبي القاسم، وسيف الدين بن المَرْزُبان، وكانا من الصَّالحين الأجواد. وأغلق المسلمون بابَ الطور، وباتوا يداوون الجرحى، واتفقوا على أنهم يقاتلون قتال الموت، ولا يُسَلِّمون أنفسهم لئلا يجري عليهم ما جرى على أهلِ عكا. وكان في الطور أبطالُ المسلمين، وخيارُ عسكر الشَّام، وأوقد الفرنج حول الطور النِّيران، فلما كان وقتُ السَّحَر يوم الخميس سادس رمضان رحلوا طالبين عكا، وجاء المُعَظَّم، فصَعِدَ الطور، وأطلق المال والخِلَع، وطَيَّبَ قلوبَ النَّاس. ثم اتفق العادِلُ والمُعَظَّم على خَرَاب الطور كما سيأتي ذكره[1]. ١٠٣

وقيل: إنَّ المُعَظَّم أنفذ كتاباً إلى الخليفة، وفي أَوَّله بيتان، وهما للأمير عبد المحسن الكاتب الحلبي:

قُلْ للخليفةِ لازالتْ عساكِرُهُ لها إلى النَّصْرِ إصْدارٌ وإيرادُ
إنَّ الفرنج بحِصْنِ الطُّور قد نزلوا لا تَغْفُلَنَّ فحِصْنُ الطُّور بغدادُ[2]

ولما انفصل الفرنج عن الطُّور قَصَدَ ابنُ أخت الهنكر جبل صيدا، وقال: لابُدَّ لي من أهل هذا الجبل. فنهاه صاحبُ صيدا: وقال: هؤلاء رماةٌ، وبلدهم

(١) انظر ص ٢٩٨ من هذا الجزء.
(٢) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦١٤ هـ).

وَعْرٌ. فلم يقبل، وصَعِدَ في خمس مئةٍ من أبطال الفرنج إلى جزّين ضيعة الميادنة قريباً من مَشْغَرى، فأخلاها أهلُها، وجاء الفرنج، فنزلوا بها، وترجَّلوا عن خيولهم ليستريحوا، فتحدَّرَتْ عليهم الميادنة من الجبال، فأخذوا خيولهم، وقتلوا عامَّتهم، وأسروا ابنَ أختِ الهنكر، وهرب مَنْ بقي منهم نحو صيدا، وكان معهم رجلٌ يقال له الجاموس من المُسْلمين قد أسروه، فقال لهم: أنا أعرف إلى صيدا طريقاً سهلاً أوصلكم إليها. فقالوا: إن فعلتَ أغنيناك. فَسَلَكَ بهم أوديةً وعرةً، والمسلمون خلفهم يقتلون ويأسرون؛ ففهموا أن الجاموس غَرَّهم، فقتلوه، ولم يُفْلت منهم إلى صيدا سوى ثلاثة أنفس بعد أن كانوا خمس مئة، وجاؤوا إلى دمشق بالأسارى، وكان يوماً[(١)] عظيماً[(٢)].

وفيها توفي بهاءُ الدين أحمد بن أبي الفَضَائل المِيْهني[(٣)]؛ شيخ رباط الخِلاطية من بيتِ التصوف، وكان أبوه أبو الفضائل عبد المنعم شيخُ المشايخ وسيِّدُ الصُّوفية.

وكان الخليفةُ قد سَلَّمَ إلى بهاء الدين رباط الخِلاطية وأوقافها ثِقَةً فيه من غير مُشْرف ولا عَمَلِ حساب، فأقام مُدَّة يَقْصِدُه النَّاسُ من البلاد وأطراف بغداد، وأرباب البيوت والفقهاء والفقراء والأعيان، فما رَدَّ قاصداً، ولا مَنَعَ سائلاً، وكان له الجاه العظيم، والذِّكْرُ الجميل، وكان له مملوكٌ عبدٌ أسود اسمه ريحان، فخان في الأموال، وبلغ الخليفة، فأخذه فأَقَرَّ، وقال: المال عند أُخت بهاء الدين، فَعَزَلَ بهاءَ الدِّين عما كان عليه، فرأى الذُّلَّ والهَوَان بعد العِزِّ والإمكان، ومَرِضَ بهاءُ الدين في تلك الحال، فولَّى الخليفةُ القاضي الزَّنْجانيَّ

---

(١) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦١٤هـ).

(٢) في المطبوع: وحج بالناس من العراق ابن أبي فراس.

(٣) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ٣٣٢، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٤ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٤٠٥، تاريخ الإسلام (ت ١٩٧، وفيات سنة ٦١٤ هـ)، الوافي بالوفيات: ٧/ ١٥٧.

أمر الرِّباط، وحُمِلَ بهاء الدِّين إلى بيت أُخته على نهر عيسى، فتوفي ثامن رجب، ودُفِنَ في الشُّونيزية في صُفَّة الجُنَيْد عند أبيه.

سَمِعَ شُهْدة الكاتبة، وابنَ البَطِّي، وغيرهما، وصحِبَ أباه، وأخذ عنه طريقة التصوف.

١٠٤ **وفيها** توفي الشيخ العماد الحنبلي[(١)]، [الزَّاهد العابد، الورع العالم][(٢)]، وهو أخو الحافظ عبد الغني، واسمه أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور، المَقْدِسي.

ولد بجمَّاعيل سنةَ ثلاثٍ وأربعين وخمس[(٣)] مئة، وكان أخوه الحافظ أسنَّ منه بسنتين، وهاجر من جمَّاعيل إلى دمشق في سنة إحدى وخمسين وخمس مئة، ثم سافر إلى بغداد، وقرأ القرآن على أبي الحسن علي بن عساكر بن المرحب البطائحي وغيره، وسمع الحديثَ الكثيرَ ببغداد ودمشق، وكان معتدلَ القامة، شَعْرُهُ إلى أُذُنيه، مليحَ الوجه بساماً، عابداً مجتهداً، لا يدَّخر من الدُّنيا شيئاً، حَسَنَ الصَّلاة، كثيرَ السُّجُود والدُّعاء، يقرئ القرآن والفِقْهَ دائماً في الحَلْقة بجامع دمشق، ويجتمع إليه الطلبة كلَّ ليلة بعد العِشاء الآخرة، فيحملهم إلى بيته، ويُحْضِرُ لهم من الطَّعام ما تيسَّر، وما تعرَّفَ إلى أحدٍ من أبناء الدُّنيا قط، لا إلى سُلْطانٍ ولا إلى غيره.

---

(١) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٤ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٤١٣ ـ ٤١٤، مشيخة ابن البخاري: ٢٢٠ ـ ٢٣١، تاريخ الإسلام (ت ٢١٠، وفيات سنة ٦١٤ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ٤٧ ـ ٥٢، العبر: ٥/ ٤٩، المختصر المحتاج إليه: ١/ ٢٣١، الوافي بالوفيات: ٦/ ٤٩، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١٤ هـ)، ذيل طبقات الحنابلة: ٢/ ٩٣ ـ ١٠٦، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٢٠، المقصد الأرشد: ١/ ٢٢٦، المنهج الأحمد: ٤/ ١١٩ ـ ١٢٧، القلائد الجوهرية: ٢/ ٤٥٩ ـ ٤٦٣، شذرات الذهب: ٥/ ٥٧ ـ ٦٠.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في التكملة للمنذري: ولد سنة ٥٤٤ هـ.

قال أبو المُظَفَّر: ولا تحرَّك حركةً، ولا مشى خطوة، ولا تكلَّم كلمةً إلا لله تعالى، وكان يتعبَّد بالإخلاص، ولقد رأيته مِرَاراً بالحَلْقة بجامع دمشق، والخطيب يوم الجمعة على المنبر، فيقوم، ويأخذ الإبريق، ويضع بلبلته في فِيْه على رؤوس الأشهاد، ويوهم النَّاسَ كأنَّه يشربُ، وإنه لصائم.

وكان الشيخ موفق الدين يثني عليه، ويقول: أعرف العماد من صِغَره، وما عرفتُ أنه عصى الله تعالى قط. وكان من خيار أصحابنا، وأعظمهم نفعاً، وأشدِّهم عبادةً وورعاً، وأكثرِهم صَبْراً على تعليم القرآن والفِقْه، داعيةً إلى السُّنَّة، أقامَ بدمشق يعلِّم الفقراء، ويُطْعِمُهُمْ، ويبذُلُ لهم ماله ونَفْسَه وطعامه، وكان من أشدِّ النَّاس تواضعاً واحتقاراً لنفسه، وما رأيتُ أشدَّ خوفاً لله تعالى منه، وكان كثيرَ الدُّعاء والسؤال، طويلَ الركوعِ والسُّجود، يصوم يوماً، ويُفْطر يوماً؛ وكان إذا سُمِعَ عليه جُزْءٌ، وكَتَبوا على ظهره: سُمِعَ على العالم الورع، ينهاهم عن ذلك.

وسافر إلى بغداد مَرَّتين: الأولى في سنةِ تسعٍ وستين وخمس مئة صحبة الموفق بعد أن حَفِظَ القرآن وغريب الحديث والخِرَقي، وتفقَّه ببغداد على أبي الفَتْح بن المَنِّي، وأفتى وناظر. والسفرة الثانية سنة إحدى وثمانين صحبة العز ابن أخيه عبد الغني الحافظ، وصنَّف كتاب «الفروق بين المسائل الفقهية» وكتاب «الأحكام»، ولم يتمَّه[١].

قال: وكان يحضُرُ مجالسي دائماً بجامع دمشق وقاسيون، لا ينقطع إلا من عُذْر، ويقول: صلاح الدين يوسف فَتَحَ السَّاحل، وأظهر الإسلام، وأنتَ يوسف أحييت السنة بالشَّام[٢].

قلت: السُّنَّة التي يشير إليها كون أبي المظفر ـ رحمنا الله وإياه ـ كان كثيراً

---

(١) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٤ هـ).

(٢) المصدر السالف.

ما يورد على المنبر من كلام جَدِّه أبي الفرج وخُطَبِهِ ما يتضمَّن إمرار آيات صفات الباري عَزَّ وجَلَّ، وما جاء في الأحاديث الصِّحاح من ذلك على ما وَرَدَ مِنْ غير ميلٍ إلى تأويل، ولا تشبيه ولا تعطيل، ومشايخُ الحنابلة العلماء هذا مختارهم، وهو جيد، لكنَّ الإكثارَ منه على أسماع العوام ربما يحملُ أكثرَهُمْ على شيء من التشبيه، فإذا قَرَنَ به ما يشرحه وينفي تَوَهُّمَ التَّشبيه كان أَوْلى، والله أعلم.

قال أبو المظفر: ولما كان عشية الأربعاء سادس عشر ذي القعدة صَلَّى العمادُ المغربَ بجامع دمشق، وكان صائماً، وأفطر في داره على شيء يسير، فجاءه الموتُ في الليل، فجعل يقول: يا حيُّ يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام. وتوفي، فغسل وقت السَّحَر، وأُخرجت جِنازتُهُ إلى جامع دمشق، فما وَسِعَ الناسَ الجامعُ، وصلَّى عليه الموفق بحَلْقة الحنابلة بعد جَهْدٍ جهيد، وكان يوماً لم يُرَ في الإسلام مِثْلُهُ، كان أولُ النَّاس عند مغارة الدم ورأسِ الجبل إلى الكهف، وآخرهم بباب الفراديس، ولولا المبارزُ المعتمد رحمه الله وأصحابُهُ لقطَّعوا أكفانه، وما وصل إلى الجبل إلى آخر النهار[1].

١٠٥ قال: وتأملتُ النَّاس من أعلى قاسيون إلى الكهف إلى قريب الميطور لو رمى الإنسانُ عليهم إبرةً لما ضاعت. فلما كان في الليل نمتُ وأنا مفكِّر في جنازته، وذكرتُ أبيات سفيان الثوري التي أنشدها في المنام، [وهي][2]:

نظرتُ إلى ربي كِفَاحاً وقال لي ... هنيئاً رضائي عنكَ يا بنَ سعيدِ
فقد كنتَ قَوَّاماً إذا أقبل الدُّجى ... بعَبْرَةِ مشتاقٍ وقلب عميدِ
فدونَكَ فاخْتَرْ أيَّ قَصْرٍ أَرَدْتَهُ ... وزُرْني فإنِّي منكَ غيرُ بعيدِ

وقلتُ: أرجو أنَّ العماد يرى ربه عز وجل كما رآه سفيان عند نزول حُفْرته،

(١) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٤هـ)..
(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

ونمتُ، فرأيتُ العمادَ في النوم، وعليه حُلَّةٌ خضراء، وعِمامة خضراء، وهو في مكانٍ متَّسع كأنه روضة، وهو يرقى في دَرَجٍ مرتفعة، فقلتُ: يا عمادَ الدين، كيف بِتَّ، فإني والله مفكِّر فيك؟ فنظر إليَّ، وتبسَّم على عادته، وقال:

رأيتُ إلهي حينَ أُنْزِلْتُ حُفْرتي ... وفارقتُ أصحابي وأَهْلي وجِيْرَتي

فقال جُزِيْتَ الخيرَ عَنيّ فإنَّني ... رضيتُ فها عَفْوي لديكَ وَرَحْمَتي

دَأَبْتَ زماناً تأملُ الفوزَ والرِّضى ... فَوُقِّيْتَ نيراني ولُقِّيْتَ جَنَّتي

فانتبهتُ مرعوباً، وكتبتُ الأبيات[1].

سمع ببغداد أبا محمد الخَشَّاب النَّحْوي، وشُهْدَة الكاتبة، وغيرهما. وبالشَّام أبا المكارم عبدَ الواحد بن محمد بن المُسَلَّم، وعبد الله بن صابر، وغيرهما.

ورثاه الصَّلاح موسى بن الشِّهاب[2] بأبياتٍ، منها:

يا شيخَنا يا عمادَ الدِّين قد قَرِحَتْ ... عيني، وقلبي منكَ اليومَ مَتْبُولُ

أَوْحَشْتَ واللهِ رَبْعاً كنتَ تَسْكُنُهُ ... لكنَّه الآنَ[3] بالأحزانِ مَأْهُولُ

كم ليلةٍ بِتَّ تُحييها وتَسْهَرُها ... والدَّمْعُ من خشيةٍ لله مَسْبُولُ

وَسَجْدَةٍ طالما طالَ القنوتُ بها ... قد زانها منكَ تكبيرٌ وتهليلُ[4]

قلتُ: كان ـ رحمه الله ـ كثيرَ الصَّلاة، مطيلاً لأركانها قياماً وركوعاً وسُجُوداً، شاهدته مصلِّياً بالجماعة في حَلْقة الحنابلة مراراً، ولم يكن لهم في حياته هذا المحراب الآن، إنما كان يُصَلِّي بالجماعة هو تارةً والموفق تارةً إلى خزانتين مجتمعتين في موضع المحراب الآن إلى سنة سبع عشرة أو نحوها، فجُدِّدَ لهم هذا المحراب، وسببه أن قاضي دمشق جمال الدين يونس بن بدران

---

(١) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٤ هـ).

(٢) سيأتي ذكره ص ٣٤٧ من هذا الجزء.

(٣) في (ك) و(ع) و(س): اليوم.

(٤) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٤ هـ).

حَسَّنَ للسلطان المُعَظَّم عيسى بن العادل أن يجمعَ خزائن الكُتُب التي في الجامع ١٠٦ إلى مشهد ابن عُروة، فنقلت الخزائن من الزَّاوية الغربية، ومن الكلاسة، ومن أروقة الجامع، فكان من جملة المنقول الخزانتان اللتان بحلقة الحنابلة، فبقي مكانُ صلاة إمامهم مكشوفاً، فتعصَّب لهم الرُّكين الأمير المعظَّمي في عمل هذا المحراب، فركِّبَ في ليلة ذلك اليوم، وصَلَّى فيه الشيخ موفق الدين، ومَنْ بعده، ورُدَّتْ الخزانتان إلى الحلقة، فجعلتا عن يمين المحراب ويساره، والشيخ العماد هو الذي سَنَّ الجماعة في الصَّلوات المقضية، فكان يصلي بالجماعة بحلقتهم بين المغرب والعِشاء ما قدَّره الله تعالى، وبقي ذلك بعده مُدَّة. حضرتُ جِنَازته والصَّلاة عليه، رحمه الله.

وفيها توفي القاضي جمال الدين، أبو القاسم عبد الصَّمد بن محمد بن أبي الفَضْل، الأنصاري، ابن الحَرَسْتاني، شيخ القضاة، العالم العادل، المُعَمَّر الزَّاهد[1].

ولد بدمشق سنة عشرين وخمس مئة في أحد الرَّبيعين، وأصل أبيه من قريةٍ بِقُرْبِ دمشق تسمى حَرَسْتا، قَدِمَ دمشق فنزل منزله بباب توما، وأَمَّ بمسجد الزينبي، ثم أَمَّ فيه ابنُه جمالُ الدين بعده إلى أن انتقل إلى مسكنه بالحُوَيْرة قِبْلي الجامع.

شارك الحافِظَ أبا القاسم عليَّ بنَ الحسن ـ رحمه الله ـ في كثيرٍ من مشايخه

---

(١) له ترجمة في معجم البلدان: ٢/ ٢٤١، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٤ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٤١٥ ـ ٤١٦، مشيخة ابن البخاري: ٢٣١ ـ ٢٤٢، تاريخ الإسلام (ت ٢٢٤، وفيات سنة ٦١٤ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ٨٠ ـ ٨٣، العبر للذهبي: ٥/ ٥٠ ـ ٥١، الوافي بالوفيات: ١٨/ ٤٥١ ـ ٤٥٣، طبقات الشافعية للسبكي: ٨/ ١٩٦ ـ ١٩٩، طبقات الشافعية للإسنوي: ١/ ٤٤٥ ـ ٤٤٦، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١٤ هـ)، السلوك للمقريزي: ج١/ ق١/ ٢٢٣، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٢٠، القضاة الشافعية للنعيمي: ٦٠ ـ ٦٣، شذرات الذهب: ٥/ ٦٠.

الدمشقيين سماعاً، وفي الغرباء إجازةً، سمع بدمشق جمالَ الإسلام أبا الحسن علي بن المسلَّم، وعبد الكريم بن حمزة بن الخضر، وأبا الحسن علي بن أحمد بن قبيس المالكي، وغيرهم. ورَحَلَ إلى حلب، فسمع بها من أبي الحسن عليّ بن سليمان المُرَادي الحافظ أكثر كتب الحافظ البيهقي وغيرها، ثم رَجَعَ إلى دمشق، فأقام بها، وكان آخر من حَدَّث عن عبد الكريم الحَدَّاد، وجمال الإسلام سماعاً، وممن أجاز له من أهل نَيْسابور أبو عبد الله الفَرَاوي، وهبة الله بن سَهْل السيدي، وزاهر بن طاهر الشَّحَّامي، وأبو المعالي الفارسي، وعبد المنعم بن أبي القاسم القُشَيري. ومن أهل بغداد قاضي المارَسْتان، وابن السَّمرقندي، والأنماطي، وغيرهم.

وكان مواظباً للصَّلوات في الجماعات، يصلي في الصفّ الأول بمقصورة الخضر بالجامع قُبالة محرابها دائماً، وهنالك كان يُقرأ عليه الكُتُبَ المسموعة، ويجتمع خَلْقٌ عظيم، مع حُسْنِ سمته، وسكونه وهيبته.

وكان بارعاً في فقهه، حكى لي الفقيه عِزُّ الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام ـ أيَّده الله وهو الآن حيٌّ بالدِّيار المِصْرية[1] ـ أنَّه لم يَرَ أفقه منه، وعليه كان ابتداء اشتغاله، ثم صَحِبَ الشَّيخ فخر الدين ابن عساكر رحمه الله، فسألته عنهما، فرجَّحَ ابنَ الحرستاني، وقال: إنه كان يحفظ «الوسيط» للغزالي.

ولي القضاء قديماً نيابةً بدمشق في أيام شَرَفِ الدين بن أبي عَصْرون، وكان يُكتب له في الأسجال: تقي القضاة، ولما أضرَّ شرفُ الدين بقي هو على نيابته مع ابنه محيي الدين بن أبي عَصْرون، فلما عُزِلَ وولي محيي الدين بن الزكي استقلالاً ـ وهو شابٌّ ـ لم يرِ النيابة عنه، وبقّي منقطعاً في بيته إلى أن ولَّاه العادل المدرسة المجاهدية التي في الرصيف، فبقي مواظباً على التدريس بها،

(١) وذلك سنة (٦٥٩ هـ)، وهي سنة كتابة القسم الأول من «المذيل على الروضتين»، كما سلف مراراً، انظر ص١١ من هذا الجزء.

وإسماع الحديث بمقصورة الخضر التي يصلي بها إلى أن عَزَلَ الملكُ العادلُ سيفُ الدِّين أبو بكر بنُ أيوب رحمه الله عن قضاء دمشق في سابع ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وست مئة قاضي القضاة زكيَّ الدين أبا العَبَّاس الطَّاهر بن قاضي القضاة محيي الدين أبي المعالي محمد بن علي القُرَشي، وأخذ منه مدرسته العزيزية والتقوية، وأعطى التقوية للشيخ فخر الدين ابن عساكر، وأعطى العزيزية مع القضاء لجمال الدين بن الحرستاني، واعتنى به العادلُ اعتناء كثيراً، وأقبل عليه وأكرمه بحيثُ أرسل إليه ما يُفْرَشُ تحته في مجلس الحكم لضعفه وكبره وما يستند إليه، وكان يجلس للحكم بمدرسته المجاهدية، ونابَ عنه بها عمادُ الدين عبد الكريم، وكان يجلس بين يديه، فإذا قام الشَّيخ يستند مكانه، ثم إنَّه منعه من ذلك لشيء بلغه عنه، ونابَ عنه أيضاً أكابر شيوخ القضاة يومئذٍ: ١٠٧ شمسُ الدِّين بن الشِّيْرازي ـ فكان يجلس قُبالته في إيوان المجاهدية ـ وشمس الدين بن سني الدولة ـ وبُنيت له دَكَّةٌ في الزَّاوية القِبْلية بغرب المدرسة ـ وشرف الدين بن المَوْصِلي الحنفي بمجلس المحراب بها، وبقي في القضاء نحواً من سنتين وسبعة أشهر، ثم توفي يوم السبت رابع ذي الحِجَّة، وكانت له جِنازةٌ عظيمة حَفْلَةٌ، ودُفِنَ بجبل قاسيون رحمه الله، حَضَرْتُ الصَّلاة عليه بالجامع، وبمقابر باب الفراديس، وكان له يوم توفي خمس وتسعون سنة، ولغرابة ولاية القضاء لِمَنْ هو في هذا السِّنِّ قال شاعر الشَّام في وقته شهابُ الدِّين فِتْيان الشَّاغوري هذين البيتين:

يا مَنْ تَدَرَّعَ في خَمْلِ الخُمُولِ ويا ... معانِقَ الهَمِّ في سِرٍّ وإعلانِ

لا تيأسَنْ رُوحُ مَنْ نادى لدى مئةٍ: ... قاضي القُضَاةِ الجمالُ بنُ الحَرَسْتاني

على أنَّه ـ رحمه الله ـ امتنعَ من الولاية لَمَّا طُلِبَ لها حتى أُلحَّ عليه فيها، وكان في مُدَّة ولايته صارماً عادلاً، حاكماً بالشَّريعة المُطَهَّرة، جارياً على طريقة السَّلف في لباسه، واقتصاده في أمره، وعِفَّته وصِيانته، وعدم الالتفات إلى

الأكابر في الشَّفاعات في الأحكام، ولقد بلغني أنَّه ثبتَ لديه حقٌ لامرأةٍ على بيت المال، فأحضر الوكيل جمالَ الدين المِصْري، وأمره أنْ يُسَلِّم إليها ما ثبتَ لها، فاعتذرَ بضيق الوقت، وكان في آخر النهار، وقال: في غدٍ أُسلِّم إليها. فقال: ربما أموت أنا الليلة ويتعوق حَقُّها. فقيل: إنها كانت تَدَّعي بُسْتاناً قد وضع النُّوَّاب أيديهم عليه، وقد ثَبَتَ حَقُّها لديه، فأمر الوكيل أن يُسَلِّمَهُ إليها، ويُشْهِدُ عليه بأنه ثَبَتَ حقُّها، ولا دافع له من جهة بيت المال، فاستمهله إلى الغد لدخول المساء، وكان قد أُشعلت القناديلُ وهم بالمدرسة، فقال القاضي: ربما أموت أنا الليلة، وترجع أنت أيها الوكيل ربما تعنِّتُهم، وتطلبُ إعادة البَيِّنة عند الحاكمالذي يقوم بعدي. فوكَّل به مَنْ لا يفارقه حتى يُسَلِّمَ [إليها][1] البُسْتان، ويشهد عليه بذلك، وقام القاضي، وأخذ سَجَّادته على كَتِفِه، ومشى ليصلي بالجامع على عادته بمقصورة الخَضِر، فوافق وصولُه إلى الجامع أذانَ المغرب، فصلَّى، ومضى إلى بيته، وكان أوصى إذا أشهدَ الوكيلُ عليه أن يحملوا الكتاب إليه ليقف على ذلك، فجاءه الكتاب إلى داره، فوقَفَ عليه، فلمَّا عَلِمَ أنه قد استقصى حَقَّ المرأة سَلَّم كتابها إليها. وقيل: إنه كان مالاً بالمخزن، فمازال به حتى أنفذ إلى أُمناء الحَشْرية، فجمعهم، وفتحوا مخزنهم بقيسارية الفرش، ودفعوا إلى المرأة حَقَّها.

قال أبو المُظَفَّر سِبْط ابن الجوزي: كان القاضي جمال الدين بن الحَرَسْتاني زاهداً عفيفاً، عابداً وَرِعاً نَزِهاً، لا تأخذه في الله لومةُ لائم. واتفق أهلُ دمشق على أنه ما فاتته صلاةٌ بجامع دمشق في جماعةٍ إلا إذا كان مريضاً، ينزل من بيته من الحُوَيرة في سُلَّم طويل، فيصلي ويعود إلى داره ومُصَلاه بيده. وكان مقتصداً في ثيابه وعيشه، وما كان يمكِّنُ أحداً من غِلْمان القُضَاة يمشي معه، بل كأَنَّه بعضُ النَّاس[2].

(١) ما بين حاصرتين من (ك) و(ع) و(س).

(٢) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٤ هـ).

قال: وحكى لي ولده قال: كان أحد بني قوام يعامِلُ الملكَ المُعَظَّم عيسى في السُّكَّر، ويتَّجِرُ له، فماتَ ابنُ قوام، فطرح ديوان المعظم يده على تركة ابن قوام، وبعث المعظم إلى القاضي يقول له: هذا الرجل كان يتاجر لي بمالي، والتركة لي، وأريد تسليمها[1]. فأبى عليه إلا بثبوت شرعي.

وحكى لي جماعةٌ من الدماشقة: أَنَّ الملكَ العادل سيفَ الدِّين كَتَبَ لبعض خواصِّه كتاباً يوصيه به في حكومةٍ بينه وبين رَجُلٍ، فجاء إليه، ودفع إليه الكتاب، فقال: أيش فيه؟ قال: وصية بي. قال: أحضِرْ خَصْمَكَ. فأحضره والكتاب بيده لم يفتحه، وادَّعى على الرجل، فَظَهَر الرَّجلُ على حاملِ الكتاب، فقضى عليه، ثم فتح الكتاب، وقرأه، ورمى به إلى حامله وقال: كتابُ الله قد حَكَمَ على هذا الكتاب. فمضى الرَّجلُ إلى العادل، وبكى بين يديه، وأخبره بما قال، فقال العادل: صَدَقَ؛ كتابُ الله أَوْلى من كتابي. وكان يقول للعادل: ما أحكم إلا بالكتاب والسُّنَّة، وأنا ما سألتك القضاء، فإنْ شِئْتَ، وإلا فأبصر غيري[2]. ١٠٨

قال: وحكى لي الشمسُ ابنُ خلدون رحمه الله، قال: أحضر ولدُه القاضي عماد الدِّين بين يديه صحن حلواء مسخنة، وقال: يا سيدي كُلْ منه. فغَضِبَ، وقال: من أين هذا؟ تريد أن تدخلني النَّار؟ ولم يأكل[3].

قلتُ: غَلَبَ على ظنِّه أنه هديةٌ ممن له حكومة. وبلغني أَنَّ ولده هو الذي أَلَحَّ عليه في تولية القضاء على كُرْهٍ منه.

---

(١) في المطبوع: فأرسل إليه القاضي يقول: لا أسلم إليك تركته حتى تحلف أنك تستحقها، فقال المعظم: والله ما أحقق مالي عنده. فقال القاضي: وأنا والله ما أسلم إليك حتى تحلف. فما حلف المعظم، ولا أثبت القاضي له شيئاً.

قلت: وهذه الزيادة هي في «مرآة الزمان»، وقد أغنى عنها ما أجمله أبو شامة بقوله: فأبى عليه إلا بثبوت شرعي.

(٢) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٤ هـ).

(٣) المصدر السالف.

وحكى[(١] لي ولده المذكور قال: جاء إليه شرف الدين بن عُنين، فجلس إلى جانبي قُبالته وقال له: السُّلْطان يُسَلِّم عليك، ويوصي بفلانٍ، فإن له محاكمةً في كذا وكذا. فَغَضِبَ، وقال: الشَّرْعُ ما يكون فيه وصية، لا فرق بين السُّلْطان وغيره في الحق. فقال: يا سيدنا صحيح. فقال: إذا كان صحيحاً، فأيش حاجة إلى قولك، قال السُّلْطان قال! وكان إذا غَضِبَ من رسائل أرباب الحاجات يأخذ سَجَّادته على كتفه، وينهض من المجلس[١)].

وتولى القضاء بعده مَنْ كان القاضي قبله زكي الدِّين الطَّاهر بن محيي الدين، ثم إنَّ ولده تولى نيابة الحُكْم بدمشق عن القاضي شمس الدين أحمد بن الخليل الخُوَيِّي عام حج، ثم تولاه استقلالاً، ثم تولَّى خَطَابةَ جامعِ دمشق، وهو الآن خطيبه[٢]، والله الموفق.

وفيها استُشْهد الأمير بدرُ الدِّين محمدُ بنُ أبي القاسم بنِ محمد الهكَّاري[٣] بالطُّور ـ على ما تقدَّم شَرْحُه[٤] ـ بعد أن أبلى في ذلك اليوم بلاءً حسناً، وكان من المجاهدين، له المواقف المشهورة في قتال الفرنج، وكان من أكابر أمراء المعظَّم، يستشيره، ويَصْدُرُ عن رأيه، ويثقُ به لصلاحه ودينه، وكان سَمْحاً، دَيِّناً، لطيفاً، وَرِعاً، بارًّا بأهله وبالفقراء والمساكين، كثيرَ الصَّدقات، دائم الصَّلات، بنى بالقُدْس مدرسةً للشَّافعية، ووقف عليها الأوقاف، وبنى مسجداً قريباً من الخليل عليه السَّلام عند قبر يونس عليه السَّلام على قارعة الطَّريق، وكان يتمنَّى الشَّهادة دائماً، ويقول: ما أحسنَ وَقْعَ سيوفِ الكُفَّار على وجهي

(١ ـ ١) ما بينهما ليس في (ب).

(٢) يعني سنة (٦٥٩ هـ)، وهو تاريخ كتابة القسم الأول من «المذيل على الروضتين»، انظر ص١١ من هذا الجزء.

(٣) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٤ هـ)، تاريخ الإسلام (ت ٢٥٣، وفيات سنة ٦١٤هـ)، الوافي بالوفيات: ٤/ ٣٥٠ ـ ٣٥١، السلوك: ج١/ ق١/ ٢٢٣، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٢١.

(٤) انظر ص ٢٨٤ ـ ٢٨٦ من هذا الجزء.

وأنفي. فاستجابَ الله دعاءه، ورَزَقَه الشَّهادة، ونُقِلَ من الطُّور إلى القُدْس، فدفن بتربته بمامَلَّه، وهي المقبرة التي تزار بالقدس الشَّريف.

وفيه توفيتْ بدمشق العالمة المعروفة بدهن اللُّوز[١]، وكانت شيخة العالمات بدمشق في ربيع الآخر.

وفيها توفيتْ بنت بورنجان بدمشق، وهي آخر بناته وفاةً، وانتقل ما خلَّفته من الأملاك إلى الوقف المشهور عن أختها الكبرى بنت العضبية[٢].

وفيها توفي الشجاع محمود، المعروف بالدِّماغ[٣] في ذي القَعْدَة، وكان من أصدقاء العادل في زمن الشبيبة، وبقي معه في زمن السلطنة مضحكاً له، وحصلت له ثروة عظيمة، وداره بدمشق جعلتها زوجته عائشة مدرسة للفريقين[٤]: الحنفية والشافعية، بحضرة باب الفرج[٤].

ثم دخلتْ سنةُ خمس عشرة وست مئة

ففيها نزلتِ الفرنج على دِمْياط في ربيع الأول، وكان العادل بمرج الصُّفَّر،

---

(١) ذكرها الصفدي في «الوافي بالوفيات»: ٣/ ٢٦٩ في ترجمة ابنها قاضي الخليل محمد بن عبد القادر بن ناصر بن الخضر بن علي الأنصاري قال: ويعرف بابن العالمة، ثم ذكر أن أمه كانت عالمة تحفظ القرآن، وشيئاً من الفقه والخطب والمواعظ، وتكلمت في عزاء السلطان الملك العادل، وتعرف بدهن اللوز.

قلت: وكلامه لا يستقيم إذا صحت وفاتها في هذا العام، إذ كيف تكلمت في عزاء العادل، وقد توفيت قبله!

ثم ذكر ترجمة أخرى لابن آخر لها سماه أحمد بن أسعد بن حلوان الحكيم البارع، المتوفى سنة ٦٥٢ هـ، انظر «الوافي بالوفيات»: ٦/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧.

(٢) في (ب) و(ك) و(ع): العضبة، وفي (س) خرم مقدار ورقة.

(٣) له ترجمة في تاريخ الإسلام (ت ٢٥٥، وفيات سنة ٦١٤ هـ)، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١٤ هـ)، السلوك: ج١/ق١/ ٢٢٣، الدارس: ١/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧، شذرات الذهب: ٥/ ٦١، منادمة الأطلال: ٩٧، ١٧١.

(٤ ـ ٤) ما بينهما ليس في (ك) و(ع).

وأنفي. فاستجابَ الله دعاءه، ورَزَقَه الشَّهادة، ونُقِلَ من الطُّور إلى القُدْس، فدفن بتربته بمامَلَّه، وهي المقبرة التي تزار بالقدس الشَّريف.

وفيه توفيتْ بدمشق العالمة المعروفة بدهن اللُّوز[١]، وكانت شيخة العالمات بدمشق في ربيع الآخر.

وفيها توفيتْ بنت بورنجان بدمشق، وهي آخر بناته وفاةً، وانتقل ما خلَّفته من الأملاك إلى الوقف المشهور عن أختها الكبرى بنت العضبية[٢].

وفيها توفي الشجاع محمود، المعروف بالدِّماغ[٣] في ذي القَعْدَة، وكان من أصدقاء العادل في زمن الشبيبة، وبقي معه في زمن السلطنة مضحكاً له، وحصلت له ثروة عظيمة، وداره بدمشق جعلتها زوجته عائشة مدرسة للفريقين[٤]: الحنفية والشافعية، بحضرة باب الفرج[٤].

ثم دخلتْ سنةُ خمس عشرة وست مئة

ففيها نزلتِ الفرنج على دِمْياط في ربيع الأول، وكان العادل بمرج الصُّفَّر،

---

(١) ذكرها الصفدي في «الوافي بالوفيات»: ٣/ ٢٦٩ في ترجمة ابنها قاضي الخليل محمد بن عبد القادر بن ناصر بن الخضر بن علي الأنصاري قال: ويعرف بابن العالمة، ثم ذكر أن أمه كانت عالمة تحفظ القرآن، وشيئاً من الفقه والخطب والمواعظ، وتكلمت في عزاء السلطان الملك العادل، وتعرف بدهن اللوز.
قلت: وكلامه لا يستقيم إذا صحت وفاتها في هذا العام، إذ كيف تكلمت في عزاء العادل، وقد توفيت قبله!
ثم ذكر ترجمة أخرى لابن آخر لها سماه أحمد بن أسعد بن حلوان الحكيم البارع، المتوفى سنة ٦٥٢ هـ، انظر «الوافي بالوفيات»: ٦/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧.

(٢) في (ب) و(ك) و(ع): العضبة، وفي (س) خرم مقدار ورقة.

(٣) له ترجمة في تاريخ الإسلام (ت ٢٥٥، وفيات سنة ٦١٤ هـ)، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١٤ هـ)، السلوك: ج١/ق١/ ٢٢٣، الدارس: ١/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧، شذرات الذهب: ٥/ ٦١، منادمة الأطلال: ٩٧، ١٧١.

(٤ ـ ٤) ما بينهما ليس في (ك) و(ع).

فبعثَ بالعساكر التي كانت عنده إلى مِصْر إلى ابنه الكامل في مقابلة الفرنج، وأقام المُعَظَّم بالسَّاحل بعسكر الشَّام في مقابلة الفرنج.

١٠٩ **وفيها** استدعى العادِلُ ولَدَه المُعَظَّم، وقال له: قد بنيتَ هذا الطُّور، وهو يكون سبباً لخراب الشَّام، وقد سَلَّم الله مَنْ كان فيه من أبطال المسلمين والسلاح والذَّخائر، وأرى من المصلحة خرابَهُ ليتوفَّر مَنْ فيه من المسلمين والعُدَد على حِفْظ دمياط، وأنا أعوِّضك. فتوقَّفَ المعظم، وبقي أياماً لا يدخل إلى العادل، فبعث إليه[1] فأرضاه بمالٍ، ووعده في مِصْر ببلادٍ، فأجابه، فبعث، فنقل ما كان فيه من العُدَد والذَّخائر إلى القُدْسِ وعجلون، والكَرَك، ودمشق.

وفيها في يوم الجمعة ثاني عشر ربيع الآخر كَسَرَ الملكُ الأشرفُ ملكَ الرُّوم كيكاوس، وسببه أَنَّ الأشرف جَمَعَ عساكر الشَّرْق وعسكر حلب، ودَخَلَ بلدَ الفرنج ليَشْغَلَهُمْ عن دِمْياط، ونَزَلَ على صافيتا، وحِصْن الأكراد. وكان العادلُ بمرج الصُّفَّر، وتقدم إلى عالقين، فخرج ملكُ الرُّوم، ووصَلَ إلى رَعْبان يريد أن يُلِمَّ بحلب، ونزل إليه الأفضل من سُمَيْساط، وأخذوا رَعْبان وتل باشر، وبلغ الأشرف، فعاد من صافيتا إلى حلب، وقد سبقه ملكُ الرُّوم إلى مَنْبِج، وتقدَّم بعضُ عسكرهم إلى بزاغة، فرحل الأشرف، فنزل باب بزاغة، وقدَّم العربَ بين يديه، فكسروا الرُّوم، ورجعَ صاحِبُ الرُّوم إلى بلاده، وأكثر ما نكى فيهم العرب، ورجَعَ الأفضلُ إلى سُمَيْساط، واستردَّ الأشرف رَعْبان وتل باشر، وأعطاهما لصاحب حلب، وبعثَ الأشرفُ سيفَ الدِّين بن كهدان، والمبارز بن خُطْلخ نجدةً إلى دِمْياط، وخَطَبَ صاحِبُ آمد الصَّالح محمود بن أُرْتُق للرُّومي، وقطع خُطْبَةَ العادل.

وفيها أخَذَ الفرنجُ النَّازلين على دِمْياط بُرْجَ السِّلْسِلة في آخر جُمادى الأولى،

(١) من هنا يبدأ خرم في الأصل، ينتهي بنهاية حوادث سنة (٦١٥ هـ)، وهي آخر هذا الجزء، ويبدأ الجزء الثاني بحوادث سنة (٦١٦ هـ).

فأرسل الكاملُ إلى أبيه العادل شيخَ الشُّيوخ صدرَ الدِّين يُخْبره، ويستصرخ به، فلمَّا اجتمع بالعادل أخبره، فَدَقَّ بيده على صَدْره، ومَرِضَ مَرَضَ الموت.

قلت: وأذكر وأنا بدمشق حين بلغَ النَّاسَ أخذُ بُرْجِ السِّلْسِلَة، وقد شَقَّ على مَنْ يعرفه مشقَّةً شديدة، منهم شيخُنا أبو الحسن السَّخاوي رحمه الله، ورأيته يضرب يداً على يد، ويُعَظِّم أمر ذلك. وسمعتُ الفقيه عِزَّ الدِّين بن عبد السَّلام يسأله عنه، فقال: هو قُفْلُ الدِّيار المِصْرية.

وصَدَقَ رحمه الله، فإني لما رأيته في سنة ثمانٍ وعشرين ـ كما سيأتي ذكره[1] ـ بان لي صِحَّةُ ما أشار الشيخ إليه، وذاك أنه بُرْجٌ عالٍ، مبنيٌّ في وسط النيل، ودمياط بحذائه على حافَةِ النِّيل من شرقه، والجيزة بحذائه على حافة النيل من غربه، وفي ناحيته سِلْسلتان تمتد إحداهما على النيل إلى دمياط، والأُخرى على النِّيل إلى الجيزة، فتَمْنَعُ كلُّ سِلْسلة عبورَ المراكب من ناحيتها إذا أريد ذلك حين قتال العدو، فهو قُفْلُ البلادِ بالدِّيار المِصْرية، إذا أُرتقت السِّلْسِلتان امتنع على المراكب العبورُ إليها، ومتى لم تكن السِّلْسلة عَبَرَتِ المراكبُ، وبلغتْ إلى القاهرة ومِصْر، وإلى قوص وأسوان، والله المستعان.

وفيها في جُمادى الآخرة التقى المُعَظَّم بالفرنج على القيمون، فَنُصِرَ عليهم، وقَتَلَ منهم مقتلةً عظيمة، وأَسَرَ من الدَّاوية مئة فارس، وأدخلهم القُدْسَ منكسةً أعلامُهُمْ.

وفيها وصلَ رسولُ خوارَزْم شاه علاءُ الدِّين محمد بن تُكُش إلى العادل، وهو بمرج الصُّفَّر، فبعث في الجواب الخطيبَ جمال الدين محمد الدَّوْلعي الشَّافعي، خطيبَ جامع دمشق بعد عَمِّه، ونجم الدين خليل بن علي الحنفي قاضي العسكر، فوصلا إلى هَمَذَان، فوجدا الخوارزمي قد اندفع بين يدي ١١٠

(١) ص ٢٣ من الجزء الثاني.

الخطا والتَّاتار[١] قد خامر عليه عسكره، فسارَ إلى حَدِّ بخارى، فاجتمعا بولده جلال الدين، فأخبرهما بوفاة العادل، فرجعا إلى دمشق.

وكان الخطيبُ الدَّوْلعي قد استناب مكانه في الخَطَابة بجامع دمشق ابنه الشمس يونس، ولم يكن له أهلية ذلك، فسعى القاضي زكي الدين وأكابر البلد في عَزْله، وتولية الشيخ الموفَّق عمر بن يوسف خطيب بيت الأبار إلى أن يقدَمَ الدَّوْلعي، فكان يسكُنُ بالمدرسة العزيزية في البيت الأوسط القِبْلي من البيوت السُّفْلى، ويكرِّرُ الخُطَب في بيته ذلك وفي إيوان المدرسة، ويخرج في أوقات الصَّلوات إلى الجامع يُصَلِّي بالنَّاس، ثم يرجع، ويوم الجمعة يكون في بيت الخَطَابة يخرج منه بالأهبة السوداء إلى المنبر، فيخطب ويصلِّي، ثم يرجع، فينزعُ السَّواد، ويمضي إلى بيته بالمدرسة إلى أنْ قَدِمَ الخطيبُ الدَّوْلعي، فَرَجَعَ إلى مكانه ومنصبه.

وفيها توفي داود ابن أبي الغنائم أبو سليمان[٢] المُلْهَمي، من بني مُلْهَم، الضَّرير، كان يسكن رباط المأمونية ببغداد، وكان على رأي الأوائل، وإنما كان يتستر بمذهب الظاهرية، وكان موته في المحرم، ودفن بالشُّونيزية، وقد جاوز السبعين، ومن شِعْره:

إلى الرَّحمن أشكو ما ألاقي ... غداةَ غَدَوْا على هُوْجِ النِّياقِ

نَشَدْتُكُمُ بمَنْ زَمَّ المطايا ... أمَرَّ بكُمْ أمَرُّ من الفِرَاقِ

---

(١) كذا في النسخ الخطية بزيادة: والتاتار، وهي ليست في «مرآة الزمان»، وهو الصحيح، لأن أول ظهور التتار كان سنة (٦١٦ هـ)، كما سيأتي ص ٣٢٥ من هذا الجزء.

(٢) له ترجمة في معجم الأدباء: ١١/ ٩٣ ـ ٩٤، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٥ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٤٢٠، تاريخ الإسلام (ت ٢٨١، وفيات سنة ٦١٥ هـ)، معرفة القراء الكبار: ٣/ ١١٧٨، المختصر المحتاج إليه: ٢/ ٦٤ ـ ٦٥، الوافي بالوفيات: ١٣/ ٤٥٨ ـ ٤٥٩، نكت الهميان: ١٥٠، غاية النهاية: ١/ ٢٧٨، لسان الميزان: ٣/ ٤٠٩.

وهــل داءٌ أشــدُّ مــن الــتَّــنــائــي وهــل عــيــشٌ ألــذُّ مــن الــتَّـلاقــي[١]

وفيها توفي القاضي شرفُ الدِّين، أبو طالب عبد الله بن زين القُضَاة عبد الرحمن بن سُلْطان بن يحيى بن علي، القُرَشي الدِّمَشْقي[٢].

ولي القضاء بدمشق نيابةً عن محيي الدِّين بن الزكي، ثم عن ابنه زكي الدين الطَّاهر، وهو ابنُ عمهما يلتقي نسبُ الجميعِ إلى يحيى بن علي المذكور، وهو أول من دَرَّسَ بالمدرسة الرَّواحية، ثم بالمدرسة الشَّامية الحُسَامية، وكانتْ وفاته في شعبان يوم الأحد ثالث عشر شعبان المذكور، وصُلِّي عليه بجامع دمشق، ودُفِنَ عند مسجد القَدَم، وهو [الذي توجد علامته على الكتب المسجلة: الحمد لله وهو المستعان.

قال أبو][٣] المُظَفَّر: وكان فقيهاً فاضلاً، نَزِهاً، لطيفاً، عفيفاً[٤].

وفيها توفي أبو الحسن علي بن أحمد بن روح، القاضي المعروف بابنِ الغُبَيْري[٥].

---

(١) هذا البيت ليس في (ك) و(ع) و(س).

(٢) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٥ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٤٣٧ ـ ٤٣٨، تاريخ الإسلام (ت ٢٨٨، وفيات سنة ٦١٥ هـ)، الوافي بالوفيات: ١٧/ ٢٥١ ـ ٢٥٢، طبقات الشافعية للإسنوي: ١/ ٥٣٥، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١٥ هـ)، الدارس: ١/ ٢٦٧، ٢٧٩، شذرات الذهب: ٥/ ٦٣.

(٣) ما بين حاصرتين من (ك) و(ع) و(س).

(٤) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٥ هـ).

(٥) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٥ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٤٤٣ ـ ٤٤٤، تاريخ الإسلام (ت ٣١٠، وفيات سنة ٦١٥ هـ)، المختصر المحتاج إليه: ٣/ ١٢٥، الوافي بالوفيات: ٢١/ ١١٠ ـ ١١١، طبقات الشافعية للسبكي: ٨/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥، طبقات الشافعية للإسنوي: ٢/ ٢٥١، توضيح المشتبه: ٦/ ٣٧١، تبصير المنتبه: ٣/ ١٠٢٦.
وقد تابع أبو شامة في اسمه سبط ابن الجوزي في «مرآة الزمان»، واسمه في سائر مصادر ترجمته: علي بن روح بن أحمد.

كان نائباً عن القُضَاة ببغداد، صَحِبَ أبا النَّجيب السُّهْرَوَرْدي، وتفقَّه عليه، وقرأ العربيةَ على ابن العَصَّار، وكان شيخاً كَيِّساً، فاضلاً متواضعاً، وكانت وفاته في رمضان، ومن شِعْره:

وقد كنتُ أشكوك الحوادثَ بُرْهةً واستمرضُ الأيَّامَ وَهْيَ صَحَائحُ

إلى أنْ تَغَشَّتْني وقِيْتَ حوادثٌ تُحَقِّقُ أنَّ السَّالفاتِ مَنَائحُ

وفيها توفي القاضي عمادُ الدِّين بن الدَّامَغاني(١)، الحنفي، قاضي القضاة ببغداد، واسمه أبو القاسم عبد الله بن الحسين. ١١١

ولد في رَجَب سنةَ أربعٍ وستين وخمس مئة، وتفقَّه على مَذْهب أبي حنيفة، وعَرَفَ الفرائض والحساب، وقسمة التَّركات، مع السَّمْتِ والوَقَار، والدِّين والعِفَّة. وأوَّلُ ولايته القضاء في سنة ستٍّ وثمانين وخمس مئة، وعُزِلَ في رجب سنة أربع وتسعين وخمس مئة، فأقام ثماني سنين قاضياً، ثم أعاده ابنُ مهدي في سنة ثلاثٍ وست مئة، ثم عُزِلَ في سنة إحدى عشرة وست مئة، فكانت ولايته الأخيرة تسعَ سنين وشهوراً، وتوفي في ذي القَعْدة، وصُلِّي عليه بالنظامية، ودفن بالشُّونيزية.

سَمِعَ الحديثَ من أبيه أبي المُظَفَّر الحسين بن أبي الحسين أحمد قاضي القضاة، ومن عَمِّه أبي الحسن علي قاضي القضاة، ومن أبي الفتح بن المَنْدَائي، وغيرهم.

---

(١) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٥ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/٤٤٨، تاريخ الإسلام (ت ٢٨٧، وفيات سنة ٦١٥ هـ)، العبر للذهبي: ٥/٥٦، المختصر المحتاج إليه: ٢/١٤٢ ـ ١٤٣، الوافي بالوفيات: ١٧/١٣٧ ـ ١٣٨، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١٥ هـ)، الجواهر المضية: ٢/٣٠١ ـ ٣٠٣، النجوم الزاهرة: ٦/٢٢٣، الطبقات السنية: ٤/١٦٣ ـ ١٦٤، شذرات الذهب: ٥/٦٣.

وقد وصفه المنذري: بالشافعي، وهو خطأ.

وفيها توفي السُّلْطان الملك العادل[١]، سيفُ الدِّين، أبو بكر محمد بن أيوب، وكنيته أشهر من اسمه.

سُئِلَ عن مولده فقال: فتوح الرُّها، يعني لما فتحها الأتابك زَنْكي والد نور الدين سنة تسع وثلاثين وخمس مئة، فيكون عمره ستاً وسبعين سنة. قيل: كانت ولادته ببَعَلَبك لما كان والدُه واليها مِنْ قِبَلِ زَنْكي، ونشأ في خدمة نور الدين بن زنكي مع أبيه وأخوته، وحَضَرَ مع أخيه صلاح الدين في فتوحاته وغزواته. وقام أحسنَ قيامٍ في الهُدْنة مع الإنكلتير ملك الفرنج بعد أخذهم ـ لعنهم الله ـ عكا. وكان صلاحُ الدِّين يعوِّل عليه كثيراً، واستنابه بالدِّيار المِصْرية مُدَّة، ثم أعطاه حلب، ثم الكَرَك وأعماله، ثم حَرَّان وما يتعلَّق بها، ثم جرى بعد وفاة أخيه بينه وبين أولاده أمورٌ سَبَقَ ذِكْرُها إلى أن استقرَّ له المُلْك.

قال أبو المُظَفَّر: امتدَّ مُلْكه من بلاد الكُرْج إلى هَمَذان والجزيرة والشَّام، ومِصْر، والحجاز، واليمن، وكان ثَبْتاً، خليقاً بالمُلْك، حَسَنَ التَّدْبير، حليماً، صَفُوحاً، عادلاً، مجاهداً عفيفاً، دَيِّناً متصدِّقاً، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، طَهَّر جميعَ ولاياته من الخمور والخواطئ والقمار والمخانيث والمكوس والمظالم، وكان الحاصِلُ من هذه الجهات بدمشق على الخصوص مئة ألف دينار، فأبطل الجميع لله تعالى. وكان واليه المبارز المعتمد ـ رحمه الله ـ قد أعانه على ذلك، وأقام رجالاً على عِقاب قاسيون، وجبل

(١) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ٣٥٠ ـ ٣٥٢، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٥ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٤٣٠ ـ ٤٣١، وفيات الأعيان: ٥/ ٧٤ ـ ٧٩، المختصر في أخبار البشر: ٣/ ١١٩ ـ ١٢٠، تاريخ الإسلام (ت ٣٤٠، وفيات سنة ٦١٥ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ١١٥ ـ ١٢٠، العبر للذهبي: ٥/ ٥٨، الوافي بالوفيات: ٢/ ٢٣٥ ـ ٢٣٨، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١٥ هـ)، السلوك للمقريزي: ج١/ق١/ ٢٢٥ ـ ٢٣٠، شفاء القلوب: ٢٠٠ ـ ٢٢٩، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٦٠ ـ ١٧٣، شذرات الذهب: ٥/ ٦٥، ترويح القلوب: ٤٢، وقد سلف كثير من أخباره في «كتاب الروضتين».

الثَّلْج، وحوالي دمشق بالجامكية والجراية، يحرمون أحداً يدخل دمشق بمنكر، فكان أهل الفساد يتحيَّلون ويجعلون زُقاقَ الخَمْرِ في الطُّبول، ويدخلون بها إلى دمشق، فمنع من ذلك[1].

قال: وبلغني أن بعضَ المغنيات دَخَلَتْ على العادل في عُرْسٍ، فقال لها: أين كنتِ؟ قالت: ما قدرت أجيء حتى وفيت ما عليَّ للضَّامن. فقال: وأي ضامن؟ قالت: ضامن القِيان. فقامتْ عليه القيامة، وطلب المعتمد، وأنكر عليه، وقال: والله لئن عاد بلغني مثل هذا لأفعلَنَّ ولأصنعنَّ[2].

قال: ولقد فعل العادل في غلاء مِصْر عقيب موت العزيز ما لم يفعله غيرُه؛ كان يخرج بالليل بنفسه ومعه الأموال يفرِّقُها في أرباب البيوتات والمساكين، ولولاه لمات النَّاس كلُّهم، وكفَّن في تلك الأيام من ماله ثلاث مئة ألف من الغرباء[3]. وكان إذا مَرِضَ أو تشوَّشَ مزاجُه خَلَعَ جميع ما عليه وباعه حتى فرسَه، وتصدَّق به[4].

قلتُ: وكان لما عَزَلَ القاضي زكي الدين الطاهر عن قضاء دمشق، وولاه القاضي جمال الدين بن الحَرَسْتاني تعصَّبَ وكيلُ بيت المال يومئذٍ، وأثبتَ على زكي الدِّين محضراً يتضمَّن عشرين ألف دينار مِصْرية أودَعَها قيمازُ النَّجْمي عند والده محيي الدين برسم فَكَاكِ أسرى، وذلك بعد عَزْله بنحو من شَهْر. وبلغني أنَّ القاضي جمالُ الدِّين بنُ الحرستاني تأنَّى في إثباته، واستقصى في تزكية الشُّهود جَهْدَه وطاقته، ولما عَلَّم عليه بالثبوت، قام الوكيل الجمال المِصْري، فقال القاضي: إلى النار وأنا وراك[5]. وذلك لعِلْمه بأنَّ القضية كانت بطريق

١١٢

(١) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٥ هـ).

(٢) المصدر السالف.

(٣) تعقبه الذهبي في «تاريخ الإسلام» بقوله: هذا خسف من لا يتقي الله فيما يقوله.

(٤) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٥ هـ).

(٥) تركيب عامي يعني: وأنا لاحق بك.

التعصُّب والأغراض، وكان ذلك بثلاثة وقيل بشهادة اثنين: أحدهما ابن عوضه، والآخر أبو محمد الخَشَّاب الأقط، وقد رأيتُهما، وكان كلُّ واحدٍ منهما في قلبه على القاضي حقد بسببِ حكومةٍ حَكَمَ بها عليه. أما ابنُ الخَشَّاب فكان أَقَرَّ ببستانٍ له لأولاد أخيه، وأظنُّه وقَفَهُ عليهم، ثم أراد إبطالَ ذلك، والرجوعَ فيه، فلم يمكنه القاضي، وهذا البُسْتان تحت نهر يزيد قُبالة الجنينة المختصَّة بي مِنْ فوقه، وأخذ خَطَّ الزكي بالمبلغ في ذِمَّته في السَّابع والعشرين من جُمادى الأُولى، وشَرَعَ القاضي في بيع ما يملكه من كُتُبٍ وغيرِها، واستدانَ من النَّاس ما حمله في وفاء ذلك، فذكرتْ بعضُ حظايا العادل أنها رأت النَّبيَّ ﷺ في المنام وهو يوصيه بالقاضي، فأسقطها عنه[1]، وَرَدَّ المالَ عليه على رؤوس الأشهاد؛ أنزل به من القلعة جِهاراً في طَبَقٍ، وأنا رأيته محمولاً إلى دار القاضي صحبة القاضي الأشرف ابن الفاضل والجمال الوكيل وقاضي العسكر وابن التِّنِّبي بين الصَّلاتين من يومِ الأحد الحادي والعشرين من رجب سنة اثنتي عشرة، ثم رَدَّه إلى القضاء بعد موت ابنِ الحرستاني، وبلغني أنَّ القاضي طَلَبَ جَرْحَ الشُّهود، فلم يَجْسُر أحدٌ على ذلك إلا الثِّقَّة عنتر، كان يتولَّى عقود الأنكحة بالمدرسة التقوية، فبلغ ذلك العادل، فتبسَّم، وقال: من عادة عنتر الجَرْح.

قال أبو المُظَفَّر: وسببُ موته انزعاجُهُ من الخبر الذي جاءه من دِمْياط أَنَّ الفرنج استولوا على بُرْجِ السِّلْسِلة، فَدَقَّ بيده على صَدْره، وأقام مريضاً إلى يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة، فتوفِّي بعالقين، وكان المُعَظَّم قد كَسَرَ الفرنج على القيمون خامس جُمادى الآخرة. ولما توفي العادِلُ لم يعلم بموته غير كريم الدِّين الخِلاطي، فأرسل الطَّيرَ إلى المُعَظَّم بنابُلُس، فجاء المُعَظَّم يوم السبت

(١) ذكر ابن أبي أصيبعة نحو هذه القصة في «عيون الأنباء»: ٧٢٩ ـ ٧٣٠، ولكنه جعلها بين العادل ومحيي الدين ابن الزكي والد الطاهر. ورواية أبي شامة أوثق.

إلى عالقين، فاحتاط على الخزائن، وصبَّر العادل، وجَعَله في مِحَفَّةٍ، وعنده خادِمٌ يروِّحُ عليه، وقد رَفَعَ طَرَفَ سِجَافها، وأظهر أنَّه مريضٌ، ودخلوا به دمشق يوم الأحد، والنَّاس يُسَلِّمون على الخادم، وهو يومئُ إلى ناحية العادل؛ أي أنه يُعْلِمُهُ بمن يُسَلِّم، ودخلوا به إلى القلعة، وكتموا موته[1].

قال: ومن العجائب أنهم طلبوا له كفناً، فلم يقدروا عليه، فأخذوا عِمامة الفقيه النَّجيب ابن فارس، فكفَّنوه بها، وأخرجوا قُطْناً من مِخَدَّةٍ، فلفُّوه به، ولم يقدروا على فأس، فسرق كريمُ الدِّين فأساً من الخندق، فحفروا له به في القلعة، وصلَّى عليه وزيرُه ابنُ فارس، ودفنوه في القلعة[2].

قال: وكنتُ قاعداً إلى جانب المُعَظَّم عند باب الدار التي فيها الإيوان، وهو واجِمٌ، ولم أعلم بحاله، فلما دُفِنَ أبوه قام قائماً، وشَقَّ ثيابه، ولَطَمَ على رأسه ووجهه، وكان يوماً عظيماً، وعَمِلَ له العزاء ثلاثة أيام بالإيوان الشَّمالي[3].

قال: ولما رأيتُ المعظم قد بلغ به الحال ما بلغ تكلَّمْتُ في أول يوم، فلمَّا انقضى العَزَاء عتبني المعظم، وقال: يا سُبْحانَ اللهِ، أنتَ صاحبُ العزاء، أيش كان حاجة إلى كلامك مع ابن الحنبلي! وكان النَّاصح قد تكلَّم في ذلك اليوم، فقلتُ: لابُدَّ من الكلام. فقال: إذا كان ولابُدَّ فليكن في اليوم الثَّالث، ولا يتكلَّم معك أحد. فامتثلتُ ما أمره، وعُمِلَ له العزاء في جميع البلاد، ونودي ببغداد: مَنْ أراد الصَّلاة على الملك العادل الغازي المجاهد في سبيل الله فليحضر إلى جامع القَصْر. فحَضَرَ النَّاسُ، ولم يتخلَّفْ سوى الخليفة، وصَلُّوا عليه صلاة الغائب، وترحَّموا عليه، وتقدَّم إلى خطباء الجوامع بأسرهم، ففعلوا ذلك بعد صلاة الجمعة[4]. ١١٣

---

(١) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٥ هـ).

(٢) المصدر السالف.

(٣) المصدر السالف.

(٤) المصدر السالف.

قال: وفوَّضَ إليَّ المُعَظَّمُ تُرْبَةَ بدرِ الدِّين حسن في اليوم الثَّالث[١].

قلتُ: هو بدر الدِّين حسن أحدُ أولاد الدَّاية، هو وأخوتُهُ من أكابر أمراء نور الدين بن زَنْكي رحمه الله، وتربتُه هي التي على نهر ثورا عند جسر كحيل في طريق الجبل، قريب المدرسة الشِّبْلية، فكان أبو المُظَفَّر ـ رحمه الله ـ يسكنها، ويدرِّس بالمدرسة الشِّبْلية، ومنها يَصْعَدُ إلى الجبل، وينزل إلى دمشق كلَّ يوم سَبْت لمجلس الوعظ[٢]، وما أكثرَ ما كنتُ أراه جالساً في شُبَّاك التُّرْبة أو في الصُّفَّة الخارجة في النهر، ومعه كتابٌ يطالع فيه أو ينسخ منه، فما أطيبَ ما كانت تلك الأيام، وما أرغدَ عيشَ تلك الأعوام.

قال أبو المظفر: وكان للعادل عِدَّةُ أولادٍ، منهم: شمس الدين مودود والد الجَوَاد يونس، والكامل محمد، والأشرف موسى، والمُعَظَّم عيسى، والأوحد أيوب، والفائز إبراهيم، والمُظَفَّر شهاب الدين غازي، والعزيز عثمان، والأمجد حسن؛ وهما شقيقا المُعَظَّم، والمغيث محمود، والحافظ رسلان، والصَّالح إسماعيل، والقاهر إسحاق، ومجير الدين يعقوب، وقُطْب الدِّين أحمد، وخليل أصغرهم، وتقي الدِّين عَبّاس[٣].

قلتُ: وهو آخر مَنْ بقي منهم، وهو الآن في سنةِ تسع وخمسين وست مئة حيٌّ بدمشق.

قال: وكان الصَّالح إسماعيل وقُطْب الدِّين أحمد بدمشق لمَّا مات العادل، فأمر المعظم الصَّالحَ فتوجَّه إلى بُصْرى، وأحمدَ فتوجَّه إلى مِصْر. وكان للعادل عِدَّةُ بناتٍ أجلُّهنَّ ضيفة خاتون صاحبة حلب أم الملك العزيز بن الظاهر[٤].

---

(١) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٥ هـ).

(٢) انظر وصف أبي شامة لمجالس وعظه، ص ١٦٠ من هذا الجزء.

(٣) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٥ هـ).

(٤) المصدر السالف.

قال: ولما دخل رَجَب رَدَّ المُعَظَّم المكوسَ والخمور، وما كان أبوه أبطله. فقلتُ له: قد خَلَفْتَ سيفَ الدِّين غازي ابن أخي نور الدين، فإنَّه كذا فَعَلَ لمَّا ماتَ نورُ الدِّين. فاعتذر بقِلَّة المال، وَدَفْعِ الفرنج[١].

قال: وسارَ المُعَظَّم إلى بانياس، وأرسل الصَّارم التِّبْنيني وهو بتبنين في تسليم الحصون، فأجابه، فأخرب بانياس، وسار إلى تبنين فأخربها وهَدَمها، وكانت قُفْلاً للبلاد، وملجأً للعباد، وأعطى جميعَ بلاد شركس لأخيه العزيز عثمان، وزوَّجه ابنةَ شركس، ونَزَلَ الصَّارمُ وولدُه وأصحابُهُ من الحصون، فأكرمهم المعظم، وأحسنَ إليهم، وأظهرَ أنه ما أخرب بانياس وتبنين إلا خوفاً من استيلاء الفرنج عليهما[٢].

قال: وبَعَثَ الكامِلُ إلى المُعَظَّم بالخِلَع، وقال: أدركني. وجاءتِ الفرنج متجاوزين دمياط، فنزلوا على شِرْمَسَاح، وأخلى لهم المسلمونَ الخيام، فطَمِعُوا، ثم رَجَعَ عليهم الكامل، فكسرهم، وقتلَ منهم خلقاً كثيراً، فعادوا إلى دِمْياط[٣].

وفيها توفي ملكُ الرُّوم عز الدين كِيْكَاوس[٤]، وكان جباراً، ظالماً، سفَّاكاً للدِّماء، ولما عاد إلى بلده من كسرة الأشرف له بحلب اتَّهم أقواماً من أمراء دولته أنَّهم قَصَّروا في قتال الحلبيين، فَسَلَقَ بعضَهم في القُدُور، وجعل آخرين في بيتٍ وأحرقهم، فأخذه الله تعالى بغتة، فماتَ فجأةً سكران، وقيل: ابتلي

---

(١) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦١٥هـ)

(٢) المصدر السالف.

(٣) المصدر السالف.

(٤) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ٣٤٧ ـ ٣٥٠، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٥ هـ)، مفرج الكروب: ٣/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤، تاريخ الإسلام (ت ٣٢١، ٤٠٠، وفيات سنة ٦١٥ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ١٣٧ ـ ١٣٩، الوافي بالوفيات: ٢٤/ ٣٨٤، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤.

في بدنه، فتقطَّع. وكان أخوه علاء الدين كَيْقُباذ محبوساً في قلعةٍ وقد أمر بقتله، فبادر الأمراءُ فأخرجوه، وأقاموه في الملك، وكانت وفاة كيكاوس في شَوَّال، وهو الذي أطمع الفرنج في دمياط.

وفيها توفي نجمُ الدولة نجاح بن عبد الله، شرابي[1] الخليفة، مملوك الإمام الناصر.

وكان جَوَاداً، سَمْحاً، عاقلاً، دَيِّناً، كثيرَ الصَّدقات، حَسَنَ المحضر، مُحْسِناً إلى النَّاس، يحبُّ المساكين، ويُعَظِّمُ أهلَ الدِّين، ويأخذ للضَّعيف من القوي، وكان يسمَّى سلمان دار الخلافة، وكان ملازماً للخليفة، لا يغيبُ عنه ساعةً واحدةً، وكان أسمر اللَّوْنِ، جميلَ الصُّورة، فحلاً، ولما توفي في هذه السَّنة أمر الخليفة أن لا يتخلَّف عن جِنازته أحدٌ؛ لا وزير ولا غيرُه، وصلَّى الخليفة عليه تحت التَّاج، وحَزِنَ عليه حُزْناً كثيراً، وأُخرج تابوتُهُ من البَدْرية، ومشى العالم بين يديه إلى جامع القَصْر، وكان بين يدي جِنازتِهِ مئةُ بقرة وألفُ شاةٍ، ومئة قوصرة تمراً، ومئة حمَّال على رؤوسهم الخبز، وعشرون حمالاً على رؤوسهم ماء الوَرْد، ومماليكه قد جَزُّوا شُعورهم، ولَبِسُوا المسوحَ، والضَّجيجُ والبكاءُ قد ملأ بغداد، ولم يُرَ في الإسلام مِثْلُ ذلك اليوم، وعَبَروا به إلى الجانب الغربي إلى تُرْبة أم الخليفة، ودُفِنَ بين يدي القُبَّة التي فيها أم الخليفة، وتصدَّق عنه الخليفة من مال نجاح بعشرة آلاف دينار على المشاهد: مشهد علي، والحسين، وموسى بن جعفر، رضي الله عنهم، وبَعَثَ بمثلها إلى مكَّة والمدينة، وأعتقَ الخليفةُ مماليكه، وكانت له خمس مئة مجلَّدة، فوقفها في تُرْبة أم الخليفة، وكتَبَ عليها اسم الشَّرابي[2]. ١١٤

---

(١) له ترجمة في الكامل: ١٢/٣٥٣، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٥ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٤٤٠ ـ ٤٤١، تاريخ الإسلام (ت ٣٣٦، وفيات سنة ٦١٥ هـ)، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١٥ هـ).

(٢) في (ك) و(ع) و(س) زيادة: ذكر الشيخ عز الدين بن الأثير في تاريخه الكبير [١١/ ٤١٠] في =

وفيها توفي القاهر صاحبُ المَوْصِل[١]، وتَرَكَ ولداً صغيراً اسمه محمود، وكان طفلاً، فأخرج بدر الدين لؤلؤ زَنْكياً أخا القاهر من المَوْصِل، واستولى عليها.

واسم القاهر عِزُّ الدِّين مسعود بن نور الدين أرسلان شاه بن عِزِّ الدين مسعود بن مودود بن زَنْكي، ثم ثَبَتَ مُلْك بلادِ المَوْصِل لبدر الدين لؤلؤ، فَسُمِّي بالملك الرَّحيم، ثم أولاده من بعده إلى الآن[٢]، وبلغني أنَّ لؤلؤاً سقى القاهر سُمّاً، فمات. ثم أدخل ابنه محموداً بعد ذلك حماماً حامياً، وأغلقَ عليه البابَ، واشتدَّ كَرْبُه وعَطَشُه، فاستغاثَ: أخرجوني، واسْقُوني ماءً، ثم اقتلوني، فأخرج وقد تغيَّرتْ خِلْقَتُه، وكانَ مِنْ أحسن النَّاس صورةً، فأُسقي ماء، ثم خُنِقَ بوتر[٣].

= حوادث سنة تسع وستين وخمس مئة أنَّ الأمير أبا العباس أحمد بن الخليفة يعني المستضيء، وأحمد هو الإمام النَّاصر لدين الله، قال ابن الأثير: وهو الذي صار خليفة بعده، سقط من قُبَّة عالية إلى أرض التاج ومعه غلام له اسمه نجاح، فألقى نفسه بعده، وسَلِمَ ابنُ الخليفة ونجاح، فقيل لنجاح: لم ألقيت نفسك؟ فقال: ما كنت أريد البقاء بعد مولاي. فرعى له الأمير أبو العباس ذلك، فلما صار خليفة جعله شرابياً، وصارت الدولة جميعها بحكمه، ولقبه الملك الرحيم عز الدين، وبالغ في الإحسان إليه، والتقديم له، وخدمه جميع أمراء العراق والوزراء وغيرهم.

قلت: وهذه الزيادة ليست من أبي شامة، ولا تشبه أسلوبه في اقتباساته، ثم إن زيادات هذه النسخ لا يوثق بها، وانظر حاشيتنا رقم ٣ ص ٥٩ من هذا الجزء.

(١) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ٣٣٣ ـ ٣٣٥، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٥ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٤٢٨، المختصر في أخبار البشر: ٣/ ١١٨، تاريخ الإسلام (ت ٣٣٣، وفيات سنة ٦١٥ هـ)، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١٥ هـ)، السلوك للمقريزي: ج١/ ق١/ ٢٣٦، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٢٥، شذرات الذهب: ٥/ ٦٢.

(٢) يعني سنة (٦٥٩ هـ) كما نص على ذلك أبو شامة مراراً، وانظر ص ٣٠٧ من هذا الجزء.

(٣) في (ك) و(ع) و(س) زيادة: قلت: كان اسم ولده الذي ولي بعده نور الدين أرسلان شاه، وكان قد سماه أبوه علياً، فلما مات جده نور الدين أرسلان شاه في سنة سبع وست مئة، سموه باسمه أرسلان شاه، وأقام قليلاً، ومات في سنة خمس عشرة أيضاً، وتولى أخوه محمود، =

قال أبو المظفر: وفيها قَدِمَ الصَّاحب صفي الدِّين عبد الله بن علي المعروف بابن شُكْر وزير العادل. كان العادل قد نَقَمَ عليه، فنفاه إلى الشَّرْق، فمضى إلى آمد، فأقام بها، فلما ماتَ العادل كَتَبَ ابنهُ الكامل من مِصْر إليه يطلبه، فَقَدِمَ دمشق في هذه السنة، ونزل بظاهرها ببيت رانس[١] في دار المُؤَيَّد العقرباني، فخدمه المؤيَّد، وكان قد قَلَّ نظره، فأقام أياماً، ثم توجَّه إلى مِصْر[٢].

قلتُ: وقيل: إنَّ قدومه من الشَّرْق كان بعد هذه السنة، وقرأ بهاءُ الدِّين بن أبي اليُسْر بين يديه ببيت رانس مقامةً في مدحه من إنشاء الشيخ أبي الحسن السَّخاوي ـ رحمه الله ـ سمَّاها «محاضرة الفقهاء ومحاورة الفهماء في أوحد الكبراء وسَيِّد الوزراء»، وهي مقامة جليلة، حسنة لفظاً ومعنى. ١١٥

وكان خليقاً بالوزارة لم يأتِ بعده فيها مثله، وكان متواضعاً يسلِّم على النَّاس الذين يمرُّ بهم وهو راكب، ويكرم الفقهاء، ويحترمهم، ويعمِّر أوقافهم ويثمِّرها، ويوسِّع لهم في الجامكيات. وفي أيامِهِ بُنيت العِمارة بفوَّارة جيرون والمسجد والبركة والشَّاذروان وغير ذلك، رحمه الله، وتوفي سنة ثلاثين وست مئة، كذا ذكر سِبْط ابنُ الجوزي، وهو وَهَم، وإنما توفي سنة اثنتين وعشرين كما سنذكره[٣].

= وكان تقدير عمره يوم مات عشر سنين، واستمر محمود والأمير بدر الدين لؤلؤ أتابكه إلى أن مات جده لأمه السلطان مظفر الدين صاحب إربل في شهر رمضان سنة ثلاثين وست مئة، فانقطع خبر محمود، واستولى بدر الدين بالأمر.

قلت: ظاهر سياق الخبر يدل أنه ليس من أبي شامة، وإنما هو استدراك من قارئ عليه، وتفصيل ما أجمل.

(١) بيت رانس أو أرانس، قرية كانت عامرة، وهي قريب عقربا، ذكر ابن عبد الهادي مسجدها، انظر غوطة دمشق لمحمد كرد علي: ص ١٦٤.

(٢) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦١٥ هـ).

(٣) انظر ص ٣٨٤ من هذا الجزء.

وذكر العِزُّ بن تاج الأُمناء: أن في سنة تسع وست مئة عُزِلَ الوزير الصَّفي بن شُكْر وزير السُّلْطان بمصر في مضمون غضبٍ أظهَره إدلالاً على السُّلْطان، وسعى الكامل فيه وتحرير أمره وإلزامه بيته، ثم وَرَدَ كتابُ الكامل من مِصْر إلى أخيه المُعَظَّم بدمشق بالحوطة على أملاك الوزير ابن شُكْر بها سابع جُمادى الأُولى من السنة.

قال: وفي سابع وعشرين رمضان من السنة عُزِلَ ابن الوزير بن شُكْر من ديوان دمشق، وقد كان مستمرًّا به في نيابة والده، وتولاه الشَّمْسُ بنُ النَّفيس مستقلاً بأموره بكتاب عادليٍّ وَصَلَ من مِصْر.

قال: وفي رابع شعبان وَرَدَ الخبرُ مِنْ مِصْر بإخراج الصَّفي بن شُكْر من القاهرة موكلاً به، واعتقاله بظاهر بِلْبِيس في دار الجاولي المُعَظَّمي، ثم إرساله إلى دمشق.

قال: ووصل عاشر ربيع الآخر من سنة أربع عشرة منفياً من الدِّيار المِصْرية إلى الكسوة، فأقامَ بها بقدر ما قُضِيَت له أشغاله بدمشق، وتولَّى المعتمد القيام بها، وكان تقدَّم من العادل كتابٌ إلى المعتمد بأن لا يمكنه من المقام بدمشق أكثر مما يقضي أشغاله، فلما تحقَّق ذلك لم يدخل البلد، ورحل من الكسوة نهار الأحد سادس عشر الشَّهر، فباتَ بزِبْدِين من الغوطة، ورحَلَ منها إلى القُصَيْر في الغد، ومن القصير إلى جهة الفُرَات على طريق البريَّة، وخَرَجَ إليه جماعةٌ من أعيان البلد جهراً وسِرّاً إلى الكسوة وإلى القُصَيْر، ولمَّا قَطَعَ الفُرات لم يمكِّنه الأشرفُ من المقام ببلاده، فرجع إلى سَلَمْيه، والتجأ إلى صاحب حماة، فآواه وأحسن إليه، فأنكر السُّلْطان ذلك عليه، وأمره بإبعاده عنه، فلم يُمْكِنْه مخالفته، وتولَّى قاضي العسكر خليل الرِّسالة في إخراجه من حماة، فأُخرج موكلاً به إلى أن عاد قطع الفرات قاصداً صاحِبَ آمد، فتلقَّاه بنفسه، وبالغ في إكرامه[1].

---

(١) إلى هنا ينتهي الخرم في نسخة الأصل، انظر حاشيتنا رقم ١ ص ٢٩٨ من هذا الجزء.

ثم دخلَتْ سنةُ ست عشرة وست مئة

ففي أوَّل المُحَرَّم - وقيل في سابع المحرَّم - أخرب المُعَظَّم أبراجَ القُدْس وسوره خوفاً من استيلاء الفرنج عليه، فاضطربَ النَّاس، وخرجوا منه متفرِّقين في البلاد، وهانَ عليهم مفارقةُ ديارهم وضَياعُ أموالهم، وقد كان القُدْس يومئذٍ على أتمِّ الأحوال من العمارة، وكثرة السكان.

قال أبو المُظَفَّر: كان المُعَظَّم قد توجَّه إلى أخيه الكامل إلى دمياط، وبلغه أنَّ طائفةً من الفرنج على عَزْمِ القُدْس، فاتَّفق الأُمراء على خرابه، وقالوا: قد خلا الشَّام من العساكر، فلو أخذه الفرنج حكموا على الشَّام. وكان بالقُدْس أخوه العزيز عثمان، وعِزُّ الدِّين أيبك أستاذ الدار، فكتَبَ المُعَظَّم إليهما بخرابه، فتوقَّفا، وقالا: نحن نحفظه. فكتب إليهما المعظم: لو أخذوه لقتلوا كلَّ مَنْ فيه، وحكموا على دمشق وبلاد الشَّام، فألجأتِ الضَّرورةُ إلى خَرَابه، فشرعوا في السُّور أول يوم من المحرم، ووقع في البلد ضَجَّةٌ مثل يوم القيامة، وخَرَجَ النِّساءُ المخدَّرات والبنات، والشُّيوخ والعجائز، والشُّبَّان والصِّبيان إلى ١١٦ الصَّخْرة والأقصى، فقطَّعوا شُعُورهم، ومزَّقوا ثيابهم بحيثُ امتلأتِ الصَّخرةُ ومِحْرابُ الأقصى من الشُّعور، وخرجوا هاربين، وتركوا أموالهم وأثقالهم، وما شكُّوا أنَّ الفرنج تصبِّحهم، وامتلأتْ بهم الطُّرقات، فبعضهم إلى مِصْر، وبعضهم إلى الكَرَك، وبعضهم إلى دمشق، وكانت البنات المخدَّرات يمزِّقْنَ ثيابَهُنَّ، ويربطنها على أرجلهن من الحفا، وماتَ خَلْقٌ كثير من الجوع والعَطَش، وكانت نوبةٌ لم يكن في الإسلام مثلها، ونُهبتِ الأموالُ التي كانت لهم في القُدْس، وبلغ قنطار الزّيت عشرة دراهم، ورطل النحاس نصف دِرْهم، وأكثرَ الشعراءُ في ذم دولة المعظم، ودعوا عليها، فقال بعضهم:

فــي رَجَــبٍ حَــلَّــلَ الــمُــحــرَّمْ وخَــرَّبَ الــقُــدْسَ فــي الــمُـحَـرَّمْ[1]

(١) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦١٦ هـ)، وكان المعظم قد رد المكوس والخمور، انظر ص ٣٠٨ من هذا الجزء.

قال: وأنشدني قاضي الطُّور مجدُ الدِّين محمد بن عبد الله الحَنَفي لنفسه:

مَرَرْتُ على القُدْسِ الشَّريفِ مُسَلِّماً   على ما تبقَّى مِنْ رُبوعٍ كأنْجُمِ
ففاضَتْ دموعُ العينِ منِّي صَبَابةً   على ما مضى مِنْ عَصْرنا المتقدِّمِ
وقد رامَ عِلْجٌ أنْ يُعَفِّي رُسُوْمَهُ   وشَمَّرَ عن كَفَّيْ لئيمٍ مُذَمَّمِ
فقلتُ لهُ شَلَّتْ يمينُك خَلِّها   لِمُعْتَبِرٍ أو سائلٍ أو مُسَلِّمِ
فلو كان يُفْدى بالنُّفوسِ فَدَيْتُهُ   بنفسي وهذا الظَّنُّ في كلِّ مُسْلمِ[1]

وفيها نفى الملكُ المُعَظَّم الأميرَ عمادَ الدِّين بن المَشْطُوب من مِصْر إلى الشَّرْق، وكان قد اتَّفَقَ مع الملك الفائز بن العادل على أخيه الملك الكامل، واستحلف للفائز العساكر، وعَرَفَ الكاملَ، فَرَحَلَ إلى أُشمون، وعَزَمَ على التوجُّه إلى اليمن، ويئس من البلاد، وعَلِمَ أخوهما المعظم، فقال الكامل: لا بأس. وركب آخر النهار، وجاء إلى خيمة ابن المشطوب، وقال: قولوا لعماد الدِّين يركب حتى نسير. فأخبروه، فخرج من الخيمة بغير صباغات، ولَحِقَ المُعَظَّم، فأبعدَ به عن العَسْكر، وقال له: أخي الملك الأشرف قد طلبك، وهو محتاجٌ إليك، فتسير إليه السَّاعة. فقال: ما في رجليَّ صباغات، ولا معي أحدٌ من غِلْماني ولا قُماشي. فَوَكَلَ به جماعةً، وأعطاه خمس مئة دينار، وقال: كلُّ مالِكَ يَلْحَقُك، والله ما يضيعُ لك خيطٌ واحد. وسار به الموكَّلون، ورَجَعَ المعظم إلى خيمته، فوقف حتى جهز خيله وغلمانه، وثَقَله، وساروا خلفه، وعاد المعظم إلى خيمته، وجاء إليه الكامل، فَقَبَّل الأرضَ بين يديه، وخاف الفائز خوفاً عظيماً.

وأما ابنُ المَشْطوب، فاجتازَ بدمشق، ومضى إلى حماة، فأقام بها، فبعث إليه الأشرف منشوراً بأَرْجيش من بلاد خِلاط مع الخِلَع، فسار إلى الأشرف،

(١) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦١٦هـ).

فأكرمه وأحسنَ إليه، فصار يركب بالشَّبابة، ويعمل له سلطنة أعظم من الأشرف، وتجبَّر وطغى وبغى، وخامر على الأشرف، وكاتَبَ صاحبَ الرُّوم، فبعث له مئة ألف وأربعين ألف دِرْهم، وطلع إلى ماردِين، ثم قَصَدَ ناحية سِنْجار، ثم جَرَى عليه ما سنذكره[1] إلى أن مات في حبس الأشرف بحرَّان هو وابن خشترين الأزكجي.

وفيها في سَحَر يوم الثّلاثاء الخامس والعشرين من شعبان استولى الفرنج ـ لعنهم الله ـ على دِمْياط، وكان المُعَظَّم قد جَهَّز إليها ابنَ الجرخي النَّاهض في خمس مئة راجل، فهجموا على الخنادق، فَقُتِلَ ابنُ الجَرْخي وَمَنْ كان معه، وصَفُّوا رؤوس القتلى على الخنادق، وكانوا قد طمُّوا الخنادق، وضَعُفَ أهلُ دِمْياط، ووقع فيهم الوباء والفناء، وعَجَزَ الكاملُ عن نُصْرتهم، فراسلوا الفرنج على أن يُسَلِّموا إليهم البلد، ويخرجوا منه بأهاليهم وأموالهم، واجتمع الأقساء، وأحلفوهم على ذلك، فركبوا في المراكب، وزحفوا في البحر والبر، وفَتَحَ لهم أهلُ دِمْياط الأبوابَ، فدخلوا، ورفعوا أعلامهم على السُّور، وغدروا بأهلها، ووضعوا فيهم السيف قتلاً وأسراً، وباتوا تلك الليلة يَفْجُرون بالنِّساء، وأخذوا المنبر ـ وكان من أبنوس ـ والمصاحف، ورؤوس القتلى، وبعثوا بها إلى الجزائر، وجعلوا الجامع كنيسةً. ١١٧

وكان الشيخ أبو الحسن بن قُفْل بدمياط، فَسَلَّمه الله تعالى منهم، فسألوا عنه، فقيل: هذا رجلٌ صالح من مشايخ المسلمين، يأوي إليه الفقراء. فما تعرَّضوا له، وقد رأيتُهُ أنا بعد ذلك بثغر دمياط في سنة ثمانٍ وعشرين وست مئة، وهو يحكي للنَّاس صورةَ ما جرى على البلد من الفرنج[2]، خذلهم الله تعالى.

---

(١) انظر ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨ من هذا الجزء.

(٢) ذكر ابن دقماق في «نزهة الأنام» ١٩٠ أبا الحسن بن قفل، وذكر أن وفاته سنة (٦٤٧ هـ)، وقال: ومولده سنة خمس أو ست وخمس مئة!
قلت: لا يفهم من كلام أبي شامة أنه كان من المعمرين، فالله أعلم.

ووقع على المسلمين كآبةٌ عظيمة، وبكى الكامل والمعظم بكاء شديداً، ثم تأخرتِ العساكر عن تلك المنزلة، ثم قال الكامل للمُعَظَّم لمَّا رأى أعلامَ الفرنج على دمياط، وقد سُقِط في يده: قد فاتَ ما ذُبِحَ، وجرى القَدَرُ بما هو كائن، وما في مقامك هنا فائدة، والمصلحة أن تنزِلَ إلى الشَّام تشغل خواطر الفرنج، وتستجلِبَ العساكرَ من الشَّرْق.

قال أبو المظفر سِبْط ابن الجوزي: فكتَبَ إليَّ المُعَظَّمُ وأنا بدمشق: قد جرى على دمياط ما جرى، وأريد أن تحرِّضَ النَّاسَ على الجهاد، فإني كَشَفْتُ ضِيَاع الشَّام، فوجدتُها ألفي قرية: منها ألف وست مئة أملاك لأهلها، وأربع مئة سُلْطانية، وكم مقدار ما تقوم هذه الأربع مئة من العساكر! وأريد أن يخرج الدماشقة ليذبُّوا عن أملاكهم. فجلستُ بجامع دمشق، وقرأت كتابه عليهم، فتقاعدوا، فكان تقاعُدُهُمْ سبباً لأخذه الثُّمْن والخُمْس من أموالهم، وكتب إليَّ: إذا لم يخرجوا، فَسِرْ أنتَ إلينا. فخرجتُ إلى السَّاحل، وهو نازِلٌ على قيسارية، فأقمنا حتى فتحَها عَنْوَةً، ثم سرنا إلى الثغر، ففتحه، وهدمه، وعاد إلى دمشق[1].

وفيها في يوم الأربعاء السَّابع والعشرين من شهر ربيعٍ الأول ألبسَ المُعَظَّمُ قاضي القُضَاة زكيَّ الدِّين أبا العَبَّاس الطَّاهر بن محيي الدِّين القَبَاء والكلوتة بمجلس الحُكْم من داره بباب البريد.

قال أبو المظفر: كان في قلبه منه حَزَازاتٌ كان يمنعه من إظهارها حياؤه من والده العادل، وخوفه من الشَّناعات، وكان يشكو إليَّ من القاضي مراراً، ويقول: إنه لا ينفِّذُ الأحكام، ولا يقيمُ معالمَ الإسلام. واتَّفقَ موتُ العادلِ ومَرَضُ أُخته سِتِّ الشَّام عمَّةِ المُعَظَّم، وكانت قد أوصتْ بدارِها مدرسةً، وأحضرتِ القاضي الزَّكيَّ والشُّهود، وأشهدتهم عليها، وأوصَتْ إلى القاضي. وبلغَ المعظم، فَعَزَّ

(١) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦١٦ هـ).

عليه، وقال: يحضُرُ إلى دارِ عَمَّتي من غير إذْني، ويسمعُ كلامَها هو والشُّهود! ثم اتفق أنَّ القاضي أحضر جابي المدرسة العزيزيَّة، وطلبَ منه حِسَابَها، فأغلظَ له في القول، فأمر بضَرْبه، فَضُرِبَ بين يديه كما يفعلُ الولاة، فوَجَدَ المُعَظَّمُ سبيلاً إلى إظهار ما كان في نفسه، وكان الجمالُ المِصْري وكيلُ بيتِ المال عدوّاً للقاضي، فجاء، فجلس عند القاضي في مجلس الحكْمْ، والشهودُ حاضرون والنَّاسُ، فبعث المُعَظَّمُ بقجةً فيها قَبَاء وكلوتة، وأمره أنْ يَحْكُمَ بين النَّاس وهما عليه، فقامَ مِنْ خوفه فلبسهما، وحَكَمَ بين اثنين[1].

١١٨ قلتُ: جابي المدرسة المضروب هو السَّديد، خطيبُ عقربا، واسمه سالم بنُ عبد الرَّزَّاق بن يحيى بن عمر بن كامل أخو الجمال والمؤَيَّد العقرباني، وكانت الخِلْعةُ إشارةً إلى أنك تفعل فِعْلَ والي الشرطة، فالبِسْ لُبْسَ مَنْ يفعلُ ذلك. وسمعتُ الذي ألبسه الخِلْعة ـ وهو بعضُ أجنادِ الأمير عماد الدين بن موسك يعرف بالشَّمْس صادق ـ عقيبَ إلباسه إياها في ذلك اليوم، فإنَّه دخل الجامع، وجاء يسلِّم على شيخنا عَلَم الدِّين السَّخاوي رحمه الله، وحدثَّه بالقضيَّة، فتأوَّه الشيخُ، وضَرَبَ بإحدى يديه على الأُخرى، وكان مما حكى أنْ قال: أمرني السُّلْطان أنْ أقولَ له: السُّلْطان يسلِّمُ عليك، ويقول لك: الخليفةُ ـ سلام الله عليه ـ إذا أراد أنْ يُشَرِّفَ أحداً من أصحابه خَلَعَ عليه من ملابيسه، ونحن نسلك طريقه، وقد أرسل إليك من ملابيسه، وأمر أنْ تَلْبَسَها في مجلسك هذا وأنت تحكم بين النَّاس ـ وكان المعظم أكثرَ ما يَلْبَس قَبَاء أبيضَ وكلوتة صَفْراء ـ قال: وفتحت البقجة، فلمَّا نَظَرَ إليها وَجَمَ، فأعدْتُ الكلامَ بأن يَلْبَسَها، وأمرته بتَرْكِ التوقُّفِ في ذلك، وكنتُ قد أُمرت بأن أُلبسه إيَّاها بيدي إنِ امتنعَ أو توقَّفَ، فمدَّ يده، ووضَعَ القَبَاء على كتفيه، ونزعَ عِمامته، ووضَعَ الكلوتة على رأسه، ثم قام، ودخل بيته.

---

(١) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦١٦هـ)

قلتُ: ومِنْ لُطفِ الله تعالى أنْ كان مجلسُ الحُكْمِ في داره، وإلا ـ والعياذ بالله ـ لو كان في مكانٍ آخر لتكلَّفَ المرورَ في الطُّرُقات بذلك الزِّي الشَّنيع في حقِّ مثلِهِ إلى بيته، اللهم عَفْوَك وعافيتَك.

ثم إنَّ القاضي لَزِمَ بيته بعدها، ولم تَطُلْ مُدَّةُ حياته، فَمَرِضَ مرضةً رمى كبدَه منها قِطَعاً، وماتَ في الثَّالث والعشرين من صَفَر سنةَ سبعَ عشرة وست مئة، ودفن في مقبرة أبيه بالجبل[1]، وتأسَّفَ النَّاس لما جرى عليه. وكان ـ رحمه الله ـ يحبُّ أهل الخير، ويزور الصَّالحين في أماكنهم، «والمرءُ مع مَنْ أحبَّ»[2].

وقد ذكره القُوصي في «معجمه»، وقال: كان متورِّعاً، متثبتاً، ناظراً في مصالح اليتامى:

وإذا رأيتَ أسى امرئٍ أو صَبْرَهُ   يوماً فقد عايَنْتَ صُورةَ عَقْلِهِ

ولم يخرج عن الرِّضا والتَّسليم في حالتَيْ ولايته وعَزْله رحمه الله، وبقي نوابُهُ يحكمون بين النَّاس، منهم شمسُ الدِّين بن الشِّيرازي، وكان يجلس بالجامع في حافة الرِّواق الملاصق لخزانة الزيت موضع المقصورة الغربية، وتارةً يجلس في شُبَّاك مشهد عليّ رضي الله عنه، ومنهم شمسُ الدِّين بن سني الدولة، وكان يجلس بشُبَّاك الكلَّاسة المحاذي للتُّرْبة الصَّلاحية، ومنهم شَرَفُ الدِّين المَوْصِلي الحنفي بالمدرسة الطرخانية بجيرون، ثم بعد مديدة انضاف

(١) ذكر أبو شامة ص ١٢٤ من هذا الجزء. أنه عاش كأبيه ثمانياً وأربعين سنة.
وله ترجمة في مرآة الزمان (حوادث سنة ٦١٦ هـ)، والتكملة للمنذري: ٣/ ٨ ـ ٩، تكملة إكمال الإكمال لابن الصابوني: ٢٥٠ ـ ٢٥١، تاريخ الإسلام (ت ٤٥١، وفيات سنة ٦١٧هـ)، الوافي بالوفيات: ١٦/ ٤٠٨ ـ ٤٠٩، طبقات الشافعية للسبكي: ٨/ ١٥٣ ـ ١٥٤، قضاة الشافعية للنعيمي: ٥٥ ـ ٥٩، شذرات الذهب: ٥/ ٧٣.

(٢) أخرجه البخاري (٦١٦٨) ومسلم (٢٦٤٠) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وهو في مسند الإمام أحمد (٣٧١٨).

إليهم الجمال المِصْري، فكان يجلسُ بالشُّبَّاك الكمالي؛ وهو الذي يُصَلِّي فيه القُضَاة الجُمَع في هذه الأزمان.

قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي: وكانت حركة شنيعة، وواقعة قبيحة، لم يجرِ في الإسلام أقبح منها، وكانت من غَلَطات المعظَّم، ولقد قلتُ له: ما فعلتَ إلا بصاحب الشَّرْع، ولقد وَجَبَتْ عليك دِيَةُ القاضي. فقال: هو الذي أحوجني إلى هذا، ولقد نَدِمْتُ[1].

واتفق أنَّ المُعَظَّم بعثَ إلى الشَّرَف ابن عُنين الشَّاعر حين تزهَّد خمراً ونَرْداً، وقال: سَبِّحْ بهذا، إشارةً إلى أن زُهْدَه ليس له صِحَّة، فكتَبَ إليه ابنُ عُنين:

يا أيُّها الملكُ المُعَظَّم سُنَّةٌ أَحْدَثْتَها تبقى على الآبادِ
تجري الملوكُ على طريقِكَ بعدَها خَلْعُ القُضاةِ وتُحْفَةُ الزُّهَّادِ[2]

قلتُ[3]: وأخبرني الشَّرف بنُ كلاب، قال: كنتُ حاضراً ذلك المجلس، ١١٩ وكان القَبَاء والكلوتة لوناً واحداً أحمر ملطي، ومن أعجب الأمور أنَّ الذي أتاه بالخِلْعة طلبَ من غِلْمان القاضي ما جَرَتْ به العادة مِنْ إعطاء مَنْ يأتي بخِلْعة سُلْطانية إلى حاكمٍ أو غيره، فأخرجوا له من دار القاضي خمسين دِرْهماً، ومازال قاعداً على باب القاضي بعد دخوله بالخِلْعة حتى أخرجوا له الدَّراهم، فَقَبَضَها.

وحجَّ بالنَّاسِ في هذه السنة من العراق أقباش الناصري. ومن الشَّام مملوك المعظم يقال له شقيفات.

---

(١) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦١٦ هـ).

(٢) المصدر السالف، وانظر «ديوان ابن عنين»: ص ٩٣.

(٣) في (ك) و(س): قال، والمثبت من الأصل و(ع)، والخبر ليس في (ب)، وفي النفس من نسبة هذا الخبر إلى أبي شامة شيء. والله أعلم.

وفي هذه السنة حَجَّ والدي رحمه الله، وأبو المُظَفَّر سِبْط ابن الجَوْزي، وعِزُّ الدين بن القَيْسَراني، والصَّفي بن مرزوق.

وفيها توفي الشَّيخ أبو البركات داود بن أحمد بن محمد بن ملاعب، البغدادي، الملقَّب بالرَّبيب[1].

سمع الكثير ببغداد من أبي الوقت، وأبي الفَضْل الأرموي، وأبي الكرم بن الشَّهْرزوري وغيرهم. وسكن دمشق، وأسمع بها الكثير، وتوفي بها في جُمادى الآخرة، ودفن بجبل قاسيون، وكان أحدَ الوكلاء بمجلس الحكم، سمعتُ عليه «صحيح البخاري»، وغيره، وكان ثِقَةً متحرِّزاً[2]، وولد ببغداد في منتصف المحرَّم سنة اثنتين وأربعين وخمس مئة[2].

وفيها في ذي القعدة توفيت بدمشق سِتُّ الشَّام بنت أيوب بن شاذي[3].

أختُ الملوكِ صلاح الدين والعادل[4] وغيرهما من بني أيوب بن شاذي، وكانت شقيقة المعظم تُورانشاه بن أيوب.

(١) له ترجمة في التكملة للمنذري: ٢/ ٤٧١ ـ ٤٧٢، بغية الطلب: ٧/ ٣٤٣٥ ـ ٣٤٣٧، مشيخة ابن البخاري: ٢٧٠ ـ ٢٨٤، تاريخ الإسلام (ت ٣٥٨، وفيات سنة ٦١٦ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ٩٠ ـ ٩١، المختصر المحتاج إليه: ٢/ ٦٢ ـ ٦٣، الوافي بالوفيات: ١٣/ ٤٥٨، غاية النهاية: ١/ ٢٧٨، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٤٦، شذرات الذهب: ٥/ ٦٧.
وقد أعيدت ترجمته في (ك) و(ع) و(س)، وفيها زيادات، وستأتي ص ٣٢٦ من هذا الجزء.

(٢ ـ ٢) ما بينهما ليس في (ب) و(ك) و(ع) و(س).

(٣) لها ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٦ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٤٨٥، وفيات الأعيان: ٣/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥، تاريخ الإسلام (ت ٣٦٣، وفيات سنة ٦١٦ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ٧٨ ـ ٧٩، العبر للذهبي: ٥/ ٦١، الوافي بالوفيات: ١٥/ ١١٩ ـ ١٢٠، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١٦ هـ)، شفاء القلوب: ٢٢٩ ـ ٢٣٠، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٤٦، الدارس: ١/ ٢٧٧ ـ ٣١٣، شذرات الذهب: ٥/ ٦٧، منادمة الأطلال: ١٠٤ ـ ١٠٩.

(٤) في (ك) و(ع) و(س) زيادة: ذكر الحافظ زكي الدين أنها توفيت في سادس عشر ذي القعدة من السنة، وزاد غيره: آخر نهار الجمعة. =

وهي التي تنسب إليها المدرستان بدمشق: إحداهما قِبْلي البيمارَسْتان النُّوري، والأخرى ظاهر دمشق بمحلة العُوَيْنة، وتعرف أيضاً بالحسامية، نسبةً إلى ابنها حسام الدين بن لاجِين، وكانت دفنته بها، ودفنت هي في القبر الذي هو فيه؛ وهو الذي يلي باب القبو من القبور الثلاثة، والقِبْلي هو قبرُ أخيها تورانشاه المذكور، والأوسط قبرُ ابنِ عمِّها ناصر الدين محمد بن شِيركُوه بن شاذي، وكان تزوَّجها بعد لاجِيْن.

قال أبو المُظَفَّر سبط ابن الجوزي: كانت سيِّدةَ الخواتين، عاقلة، كثيرةَ البِرِّ والصِّلات، والإحسان والصَّدَقات، وكان يُعْمَل في دارِها من الأشربة والمعاجين والعقاقير في كلِّ سنة بألوفٍ من الدنانير، وتفرِّقُها على النَّاس. وكان بابها ملجأ للقاصدين، ومفزعاً للمكروبين، ووقفتْ على المدرستين أوقافاً كثيرة، وكانت لها جِنَازةٌ عظيمة[1].

قلتُ: والملوك بنو أيوب إلى آخر مَنْ ولي منهم السَّلْطنة في بلدٍ من البلاد المشهورة كلُّهم محارمها، لأنهم إما إخوتها، وإما بنو إخوتها، وهم إلى الآن نحو خمسة وثلاثين ملكاً، إخوتها الأربعة: المُعَظَّم، وصلاح الدين، والعادل، وسيف الإسلام، وأولاد صلاح: العزيز، ثم ابنه المنصور، والأفضل، والزَّاهر، والظَّاهر، وابنه العزيز، وابن ابنه النَّاصر يوسف، وأولاد العادل: الكامل، وأولاده الثلاثة المسعود، والصَّالح، والعادل، وأبناء الصَّالح المُعَظَّم المقتول بمصر، والموحّد صاحب الحِصْن[2]، وابن العادل بن الكامل المغيث صاحب الكَرَك الآن. والمُعَظَّم بن العادل الأكبر، وابنه النَّاصر داود. والأشرف بن العادل، والصَّالح بن العادل، والأوحد، والحافظ، والعزيز، وابنه السَّعيد،

= قلت: وهذه الزيادة ليست من أبي شامة، بل هي من قارئ للكتاب، والدليل على ذلك أن إحدى هذه الزيادات عن المنذري فيها رد على أبي شامة، انظر ص ٣٣٣ من هذا الجزء.

(١) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٦ هـ).

(٢) يفهم من سياق أبي شامة أن الموحد هو ابن الصالح بن الكامل، وقد ذكر الذهبي أن الموحد عبد الله هو ابن المعظم بن الصالح بن الكامل، وهو الأشبه، انظر «ترويح القلوب» ٦٥ .

وشهاب الدِّين غازي؛ وابنه الكامل محمد، وابن سيف الإسلام إسماعيل الذي ادَّعى الخلافة باليمن، وفَرُّخْشاه ابن شاهنشاه بن أيوب، وابنه الأمجد صاحب بعلبك، وتقي الدين، وابنه المنصور، ثم ذريته ملوك حماة إلى اليوم[١].

وفيها في ربيع الآخر توفي ببغداد الشيخ أبو البقاء العُكْبَراوي[٢] الضرير، النَّحْوي، الحنبلي، واسمه عبد الله بن الحسين بن عبد الله.

ولد سنةَ ثمانٍ وثلاثين وخمس مئة، وقرأ القرآن على أبي الحسن البطائحي، والنحو على أبي محمد بن الخَشَّاب، واللغة على ابن العَصَّار، ١٢٠ وسمع الحديث منهم ومن غيرهم، وقرأ الفِقْه والأصولين، وصنف عِدَّة مصنَّفات، منها «إعراب القرآن»، و«اللباب في النحو»[٣]، وحواشي على «المقامات»، و«ديوان المتنبي»[٤]، و«مفصَّل الزَّمَخْشَري»، و«مقدِّمات في

---

(١) يعني سنة (٦٥٩ هـ) كما ذكر أبو شامة مراراً.

(٢) له ترجمة في معجم البلدان: ٤/ ١٤٢، الكامل: ١٢/ ٣٥٧، إنباه الرواة: ٢/ ١١٦ ـ ١١٨، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٦ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٤٦١، وفيات الأعيان: ٣/ ١٠٠ ـ ١٠٢، المختصر في أخبار البشر: ٣/ ١٢٤، تاريخ الإسلام (ت ٣٧٠، وفيات سنة ٦١٦ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ٩١ ـ ٩٣، العبر للذهبي: ٥/ ٦١، المختصر المحتاج إليه: ٢/ ١٤٠ ـ ١٤٢، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: ٢٦٥ ـ ٢٦٧، الوافي بالوفيات: ١٧/ ١٣٩ ـ ١٤٢، نكت الهميان: ١٧٨ ـ ١٨٠، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١٦ هـ)، ذيل طبقات الحنابلة: ٢/ ١٠٩ ـ ١٢٠، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٤٦، المقصد الأرشد: ٢/ ٣٠، بغية الوعاة: ٢/ ٣٨ ـ ٤٠، المنهج الأحمد: ٤/ ١٣٠ ـ ١٣٦، شذرات الذهب: ٥/ ٦٧ ـ ٦٩.

وللدكتور يحيى مير علم دراسة في سيرته ومصنفاته، نشرتها دار العروبة في الكويت ١٩٩٣م.

(٣) هو «اللباب في علل البناء والإعراب»، مازال مخطوطاً، لم ينشر بعد.

(٤) ذهب العلامة مصطفى جواد في حاشيته على المختصر المحتاج إليه: ٢/ ١٤١ إلى أن شرح ديوان المتنبي قد نسب إليه خطأ، وهو لعفيف الدين علي بن عدلان الموصلي، المتوفى سنة (٦٦٦ هـ)، وكان ابن عدلان من تلامذته، وقد طبع هذا الشرح باسم «التبيان في شرح الديوان»، وقد أقام البرهان على ذلك في مقال نشره في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد ٢٢، الجزء الأول: ٣٧ ـ ٤٧، والجزء الثاني: ١١٠ ـ ١٢٠.

النَّحْو»، و«الحساب»، وغير ذلك، ودفن بباب حَرْب رحمه الله، وكان صالحاً دَيِّناً.

وفيها توفي بحلب الشَّريف افتخار الدِّين، عبد المطلب بن الفَضْل العلوي البَلْخي[١]، المدرِّس بمدرسة الحلاويين.

كان عارفاً بمذهب أبي حنيفة، وشَرَح «الجامع الكبير»، وغيره، وكان يروي كتاب «الشَّمائل» للتِّرْمِذِي وغيره، وكان سَيِّداً، فاضلاً، ورعاً، دَيِّناً.

وفيها توفي ببغداد عمادُ الدِّين عليٌّ[٢] بن الحافظ أبي محمد القاسم ابن الحافظ الكبير أبي القاسم علي ابن الحسن العساكري.

قَدِمَ بغداد، وسَمِعَ بها، ثم توجَّه إلى خُرَاسان، وسَمِعَ بها، واستجاز لطائفةٍ كثيرة من الدِّمشقيين وغيرهم، ولعموم مَنْ أدرك ذلك الوقت مِنْ جميعِ مَنِ اجتمعَ به من مشايخ تلك البلاد ـ شَكَرَ الله سعيه ـ ثم عاد إلى بغداد، فوقع عليه قُطَّاع الطَّريق، فأخذوا ما كان معه، وجرحوه، فأقام ببغداد يعالج الجِرَاحات، فماتَ بها يوم السبت ثالث جُمادى الآخرة، ودُفِنَ بالشُّونيزية[٣] رحمه الله، ومولده في ربيع الآخر سنة إحدى وثمانين وخمس مئة[٣]، وخلَّف ولدين ماتا

---

(١) له ترجمة في الكامل: ١٢/٣٥٧، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٦ هـ)، تاريخ الإسلام (ت ٣٨٤، وفيات سنة ٦١٦ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/٩٩ ـ ١٠٠، العبر للذهبي: ٥/٦٢، الجواهر المضية: ٢/٤٦٧، تاج التراجم: ١٣٠ ـ ١٣١، الطبقات السنية: ٤/٣٨٩، إعلام النبلاء للطباخ: ٢/٦٤ ـ ٦٥.

(٢) له ترجمة في الكامل: ١٢/٣٥٧، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٦ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/٤٦٣ ـ ٤٦٤، المختصر في أخبار البشر: ٣/١٢٤، تاريخ الإسلام (ت ٣٩٤، وفيات سنة ٦١٦ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/١٤٥ ـ ١٤٦، العبر للذهبي: ٥/٦٢ ـ ٦٣، الوافي بالوفيات: ٢١/٣٩١، طبقات الشافعية للسبكي: ٨/٢٩٦ ـ ٢٩٧، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١٦ هـ)، النجوم الزاهرة: ٦/٢٤٦، شذرات الذهب: ٥/٦٩ ـ ٧٠.

وسيعيد أبو شامة ذكره ص ٣٢٦ من هذا الجزء.

(٣ ـ ٣) ما بينهما ليس في (ب) و(ك) و(ع) و(س)، والمثبت من الأصل.

بعده، أحدهما المسمَّى باسمِ جَدِّه بهاء الدين القاسم، كان في صحبته، فرجع إلى دمشق بعد موت أبيه، والآخر أبو حامد الحسين، ولم يبق من نَسْله إلا ولدٌ صغير من ابنه الأصغر أبي حامد.

وفيها توفي ببغداد محمد بن جميل[1]، صاحب مخزن الخليفة، ومولده بهِيْت، وكان فاضلاً بارعاً.

وقدم علينا دمشق ابنُ ابنته، وهو شابٌّ فاضل يلقب فخر الدين، له خَطٌّ حسن، وصورةٌ جميلة، ونَزَلَ عندنا بالمدرسة العزيزية، ثم توجَّه إلى الحجاز مع جماعةٍ فضلاء: شرف الدِّين المرسي، ومحبّ الدِّين بن هلال، وشَرَف الدِّين بن الزَّيَّات، وفخر الدِّين بن المالكي وغيرهم، فجاوروا.

وفيها توفي صاحِبُ سِنْجار المنصور محمد بن عماد الدين زَنْكي بن مودود بن زَنْكي[2].

وأبوه كان خَتَنَ نور الدين محمود بن زَنْكي على ابنته، وكان هذا المنصور ملكاً عادلاً، وهذا الذي حَصَرَه العادِلُ أبو بكر بن أيوب، ثم رَحَلَ عنه بشفاعة الخليفة الإمام النَّاصر، وخلَّف المنصور عِدَّةَ أولاد: سلطان شاه، وزَنْكي، ومُظَفَّر الدِّين وغيرهم، وحَجَّ بعضُهم معنا في سنة إحدى وعشرين وست مئة.

وفيها توفي محمد بن محمد بن محمود الكُشْمِيْهَني[3]، وكان صالحاً

(١) له ترجمة في معجم البلدان: ٢/ ٩٧، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٦ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٤٧٣.

(٢) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ٣٥٥ ـ ٣٥٦، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٦ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٤٥٧ ـ ٤٥٨، المختصر في أخبار البشر: ٣/ ١٢٢، تاريخ الإسلام (ت ٤٠٧، وفيات سنة ٦١٦ هـ)، الوافي بالوفيات: ٣/ ٧٨، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٤٦، شذرات الذهب: ٥/ ٧٠.

(٣) له ترجمة في التكملة للمنذري: ٢/ ٤٧٥ ـ ٤٧٦، تاريخ الإسلام (ت ٤١٦، وفيات سنة ٦١٦ هـ)، الوافي بالوفيات: ١/ ٢١٢، واسمه عند المنذري والذهبي: محمد بن محمود بن محمد.

صاحِبَ مجاهدات ورياضات، وأوصى أن يكتب على كفنه هذا البيت طلباً لإصلاح حاله:

يكونُ أُجاجاً دونكُمْ فإذا انتهى إليكُمْ تَلَقَّى طِيْبَكُمْ[1] فَيَطِيْبُ[2]

وفيها توفي ببغداد في رمضان أبو زكريا يحيى بن القاسم بن المفرّج، التَّكْريتي[3].

ولي القضاء بتكريت، ثم ولي تدريس النِّظامية ببغداد، ودفن بالشُّونيزية، وكان فاضلاً، وأنشد أبو المُظَفَّر من شِعْره:

١٢١ كَمْ يَأْمُلُ المَرْءُ آمالاً وتُخْلِفُهُ وكم يُرَى آمناً والموتُ يُرْدِفُهُ

وطالما سَلَكَ الإنسانُ شاكلةً يظنُّ فيها نجاةً وَهْيَ تُتْلِفُهُ

وفي[4] هذه السنة كان [أول][5] ظهور التَّاتار خذلهم الله[4].

وفيها يوم الأحد ثاني شعبان توفي إمام المالكية بدمشق برهان الدين علي بن علوش بن عبد الله المغربي، ودُفِنَ بجبل قاسيون، وكان عالماً بالأصول

---

(١) في هامش الأصل: نَشْركم، نسخة.

(٢) قال الصفدي: وهذا البيت من أبيات مختلف فيها، والصحيح أنها للعباس بن الأحنف، والله أعلم.
قلتُ: هي في ديوانه: ص ٤٥ (ط. دار صادر) من جملة أبيات في غاية العذوبة، هي:

جرى السَّيْلُ فاستبكانيَ السَّيْلُ إذْ جرى وفاضت له من مقلتيَّ سُروبُ

وما ذاك إلا حيث أيقنت أنَّه يمرُّ بوادٍ أنتِ منه قريبُ

يكونُ أُجاجاً دونكُمْ فإذا انتهى إليكُمْ تَلَقَّى طِيْبَكُمْ فَيَطِيْبُ

أيا ساكني شرقي دِجْلةَ كلكم إلى النفس من أجل الحبيب حبيبُ

(٣) له ترجمة في معجم الأدباء: ٢٠/ ٢٩ ـ ٣٠، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٦ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٤٧٨، تاريخ الإسلام (ت ٤٢٩، وفيات سنة ٦١٦ هـ)، طبقات الشافعية للسبكي: ٨/ ٣٥٦ ـ ٣٥٧، طبقات الشافعية للإسنوي: ١/ ٣١٣، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١٦ هـ)، توضيح المشتبه: ٢/ ٥٢، بغية الوعاة: ٢/ ٣٣٩.

(٤ ـ ٤) ما بينهما ليس في الأصل، والمثبت من بقية النسخ.

(٥) ما بين حاصرتين من (ب).

والفروع والعربية، ونشأ له ابنٌ فاضل في عِلْم الطِّبِّ يُلَقَّب بناصر الدِّين منصور بن علي، توفي أيضاً وهو شابٌّ، رحمهما الله تعالى.

وفيها توفي في رجب تقي الدين عبد الرحمن بن أبي منصور بن نسيم بن الحسين بن علي المقدسي، أبو الوحش.

سمع الكثير من الشيخ الحافظ أبي القاسم ابن عساكر، وأكثرُ طِباق السَّماع عليه في الأجزاء وغيرها موجودةٌ بخطِّه.

[**وفيها** في جُمادى الآخرة توفي زين الدين، أبو البركات، داود بن أحمد بن محمد بن ملاعب، البغدادي، المدبر بمجالس الحكام بدمشق، وكان شيخاً مُعَمَّراً، مولده ببغداد منتصف المحرم سنة اثنتين وأربعين وخمس مئة، يروي عن أبي الوقت وغيره. سمعتُ عليه «صحيح البخاري» سنةَ أربعَ عشرة وست مئة، ويروي أيضاً هو وأخته حفصة عن أبي الفَضْل محمد بن عمر بن يوسف الأرموي، رحمهما الله][1].

وفيها توفي الشيخ عتيق بن[2] .. الأندلسي.

ومولده سنة ست عشرة وخمس مئة، عاش مئة سنة، ودفن بمقابر الصُّوفية على حَافةِ الطَّريق، وكان شيخاً صالحاً مشهوراً، زرتُهُ في مرضه مع شيخنا أبي الحسن السَّخَاوي رحمه الله، وطلب لي منه الدعاء، فدعا لي، ووجدتُ بركةَ دعائه، وكانت له جنازة حَفْلَة.

[**وفيها** يوم السبت ثالث عشر جمادى الأُولى توفي الحافظ عماد الدين أبو القاسم علي بن الحافظ بهاء الدين أبي محمد القاسم، ابن الحافظ الكبير أبي القاسم علي بن الحسن الدمشقي، خرج عليه قومٌ، فجرحوه بالقُرْب من

---

(١) ما بين حاصرتين من (ك)و(ع) و(س)، ويبدو أن أبا شامة قد كتبها في جزازة طيارة، في ترجمته، وأضافها ناسخ في هذا الموضع، والله أعلم. وقد سلفت ترجمته ص ٣٢٠ من هذا الجزء.

(٢) في النسخ الخطية ما عدا (س): بياض، وفي (س): عتيق بن سلامة بن [بياض].

خانقين في توجهه للسَّماع بتلك البلاد، ثم حمل إلى بغداد، فتوفي بها، ودُفِنَ بالجانبَ الغَرْبي منها بمقبرة الشُّونيزية، رحمه الله، ومولده في ربيع الآخر سنة إحدى وثمانين وخمس مئة.

قال: أنشدنا الخُشُوعي، أنشدنا ابنُ الأكْفاني في المَرْوَحة:

ومَـــرْوَحَـــةٍ تـــروِّحُ كـــلَّ هَـــمٍّ ثـــلاثـــةَ أَشْـــهُـــرٍ لابُـــدَّ مـــنـــهـــا
حـــــزيــــرانٍ وتــــمُّــــوزٍ وآبٍ وفـي أيـلـولَ يـغـنـي الـلـهُ عـنـهـا][1]

ثم دخلت سنة سبع عشرة وست مئة

ففيها نافقَ الأميرُ عماد الدين بن المشطوب على الملك الأشرف، وعاث في أرض سِنْجار، وساعده صاحِبُ ماردين، فسار إليه الأشرف، فدخل ابنُ المَشْطُوب إلى تل أعفر، فأنزله بدر الدين لؤلؤ صاحب المَوْصِل بالأمان، وحمله معه إلى الموصل، ثم قَيَّده، وبعثَ به إلى الأشرف، فألقاه الحاجبُ عليّ في الجُبِّ، فماتَ بالقَمْل والجوع[2].

وكان نورُ الدِّين بن عماد الدين صاحب قَرْقِيسيا مع الأشرف، فكاتَبَ عليه، واتفق مع ابنِ المَشْطوب، فاعتقله الأشرف، وبَعَثَ به مع العَلَم قيصر المعروف ١٢٢

(١) ما بين حاصرتين من (ك) و(ع) و(س)، وفي الأصل: وفيها يوم السبت ثالث عشر جمادى الأولى توفي الحافظ عماد الدين أبو القاسم علي بن عساكر، وقد تقدم ذكر وفاته، وقال: إنه مات يوم السبت ثالث جمادى الآخرة، وقال الحافظ: أنشدنا الخشوعي، أنشدنا ابن الأكفاني في المروحة:

ومــروحــة تــروِّح كــل هــم ثــلاثــة أشــهــر لابــد مــنــهــا
حــزيــران وتــمــوز وآب وفـي أيـلـول يـغـنـي الـلـه عـنـهـا

قلت: وهذه الزيادة ليست في (ب)، ويبدو أن أبا شامة أعاد ترجمته في جزازة طيارة، واختصرها ناسخ الأصل، والله أعلم. وانظر ص ٣٢٣ من هذا الجزء.

(٢) كانت وفاته سنة (٦١٩ هـ)، انظر ترجمته في الكامل لابن الأثير: ١٢/ ٣٤٢ ـ ٣٤٣، وفيات الأعيان: ١/ ١٨٠ ـ ١٨٢، مفرج الكروب: ٤/ ٧١ ـ ٧٢، الوافي بالوفيات: ٧/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

خانقين في توجهه للسَّماع بتلك البلاد، ثم حمل إلى بغداد، فتوفي بها، ودُفِنَ بالجانبَ الغَرْبي منها بمقبرة الشُّونيزية، رحمه الله، ومولده في ربيع الآخر سنة إحدى وثمانين وخمس مئة.

قال: أنشدنا الخُشُوعي، أنشدنا ابنُ الأكْفاني في المَرْوَحة:

ومَـرْوَحَـةٍ تـروِّحُ كـلَّ هَـمٍّ ثـلاثـةَ أَشْـهُـرٍ لابُـدَّ مـنـهـا

حـزيـرانٍ وتـمُّـوزٍ وآبٍ وفـي أيـلـولَ يـغـنـي الـلـهُ عـنـهـا][1]

ثم دخلت سنة سبع عشرة وست مئة

ففيها نافقَ الأميرُ عماد الدين بن المشطوب على الملك الأشرف، وعاث في أرض سِنْجار، وساعده صاحِبُ ماردين، فسار إليه الأشرف، فدخل ابنُ المَشْطُوب إلى تل أعفر، فأنزله بدر الدين لؤلؤ صاحب المَوْصِل بالأمان، وحمله معه إلى الموصل، ثم قَيَّده، وبعثَ به إلى الأشرف، فألقاه الحاجبُ عليّ في الجُبِّ، فماتَ بالقَمْل والجوع[2].

وكان نورُ الدِّين بن عماد الدين صاحب قَرْقِيسيا مع الأشرف، فكاتَبَ عليه، واتفق مع ابنِ المَشْطوب، فاعتقله الأشرف، وبَعَثَ به مع العَلَم قيصر المعروف ١٢٢

(١) ما بين حاصرتين من (ك) و(ع) و(س)، وفي الأصل: وفيها يوم السبت ثالث عشر جمادى الأولى توفي الحافظ عماد الدين أبو القاسم علي بن عساكر، وقد تقدم ذكر وفاته، وقال: إنه مات يوم السبت ثالث جمادى الآخرة، وقال الحافظ: أنشدنا الخشوعي، أنشدنا ابن الأكفاني في المروحة:

ومـروحـة تـروِّح كـل هـم ثـلاثـة أشـهـر لابـد مـنـهـا

حـزيـران وتـمـوز وآب وفـي أيـلـول يـغـنـي الـلـه عـنـهـا

قلت: وهذه الزيادة ليست في (ب)، ويبدو أن أبا شامة أعاد ترجمته في جزازة طيارة، واختصرها ناسخ الأصل، والله أعلم. وانظر ص ٣٢٣ من هذا الجزء.

(٢) كانت وفاته سنة (٦١٩ هـ)، انظر ترجمته في الكامل لابن الأثير: ١٢/ ٣٤٢ ـ ٣٤٣، وفيات الأعيان: ١/ ١٨٠ ـ ١٨٢، مفرج الكروب: ٤/ ٧١ ـ ٧٢، الوافي بالوفيات: ٧/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

بتعاسيف إلى قَرْقيسيا وعانة، فَعَلَّق نورَ الدين برجليه تحت القلعتين وعَذَّبه، فَسُلِّمت إلى تعاسيف جميعُ بلاده، وأراد الأشرف أن يرميه في الجُبّ، فتشَفَّع إلى أخيه الملك المعظم، فَشَفَّع فيه، فأطلقه الأشرف، وسار نورُ الدِّين إلى دمشق، وأحسنَ المعظَّمُ إليه، فاشترى بُسْتان ابن حَيُّوس بنواحي العُقَيبة، وبنى فيه، وأقام به.

وفيها قَتَلَ صاحبُ سِنْجار أخاه، فسار الأشرفُ إليها، فأخذها، وعوَّضَ صاحِبَها الرَّقَّة.

وفيها في رجب كانت وقعة البُرلس بين الكامل والفرنج، وكانت وقعةً عظيمة، قَتَلَ الكامِلُ منهم عشرة آلاف، وغَنِمَ خيولَهم وسلاحَهُمْ، ورَجَعوا إلى دِمْياط مهزومين.

وفيها عَزَلَ المعظَّم المبارز المعتمد عن ولاية دمشق، وولَّى الغرز[1] خليلاً.

وحَجَّ المعتمد بالنَّاس من الشَّام في هذه السنة. ولم يحجَّ أحدٌ من العَجَم بسبب خروج التَّاتار في البلاد. وحَجَّ من بغداد أقباش النَّاصري، وقُتِلَ بمكة، وعاد حاجُّ العراق على طريق الشَّام.

واستفحل أمر التَّاتار في هذه السنة.

ومات فيها خوارزم شاه محمد بن تُكُش، وقد ذكرنا صفةَ موته وما تَمَّ له مع التَّاتار في هذه السنة وقبلها في الكتاب الذي اختصرت فيه سيرة الدَّوْلتين العلائية والجلالية[2].

وذكر أبو المُظَفَّر سِبْط ابن الجوزي: أنه توفي في سنة خمس عشرة، وَوَهِمَ في ذلك[3]، وقال: قَصَدَ العراق في أربع مئة ألف، ووصل إلى هَمَذَان يريد

---

(١) ويرسم كذلك الغرس، انظر ص ١٣٧ من الجزء الثاني.

(٢) انظر حاشيتنا رقم ٣ ص ٨٩ من هذا الجزء.

(٣) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٥ هـ)، وانظر ترجمته في الكامل: ١٢/ ٣٥٨، وسير أعلام النبلاء: ٢٢/ ١٣٩ ـ ١٤٣.

بغداد، وقيل: كان معه ست مئة جَتْر[١]، تحتَ كلِّ جَتْر ألف، وكان قد أفنى ملوك خُرَاسان وما وراء النهر، وقَتَلَ صاحِبَ سمرقند، وكان حسنَ الصُّورة، وأخلى البلادَ من الملوك واستقلَّ بها، وكان ذلك سبباً لهلاكه[٢].

وقال: ولما نزل هَمَذَان كان في عسكره سبعون ألفاً من الخطا، فكاتَبَ القُمِّي - يعني وزير بغداد - عساكِرَه، ووعدَهم بالبلاد، فاتَّفقوا مع الخطا على قَتْله، وبعثَ القُمِّيُّ إليهم بالأموال والخيول والخِلَع سِرًّا، فكان ذلك سبباً لوَهْنه. ولما عَلِمَ خوارزم شاه بذلك سار من هَمَذَان طالباً خراسان، فنزل مرو، والتقى في طريقه الخيلَ والخِلَع والكُتُبَ المنفَّذة إلى الخطا، فلم يمكنه الرجوع لفساد عسكره، وكان خاله من الخطا، وقد حلَّفوه أن لا يطلعه على ما دَبَّروا عليه، فجاء إليه في الليل، وكتَبَ في يده صورة الحال، ووقف بإزائه، فنظر إلى السطور وفهمها، وهو يقول: خُذْ لنفسك، فالسَّاعة تقتل. فقام، وخرج من تحت ذيل الشُّقَّة، ومعه ولداه جلال الدين وآخر، فركب، وسار بهما. ولمَّا خرج من الخيمة دَخَلَ الخطا والعساكِرُ من بابها ظنّاً منهم أنه فيها، فلم يجدوه، فنهبوا الخزائن والخيول والجواري، فيقال: إنه كان في خزانته عشرةُ آلاف ألف دينار؛ وألفُ حِمْل قُماش أطلس وغيره، وعشرون ألف فَرَسٍ وبغل، وكان له عشرةُ آلاف مملوك مثل الملوك، فتمزَّق الجميع ونُهِبَ. وأما خوارزم شاه فَهَرَبَ إلى البحر، وركب في مركب صغير إلى جزيرة، وبها قلعةٌ ليتحصَّن بها، فأدركه الموتُ دون صعود القلعة، فدفنوه على ساحل البحر، وهرب ولدُهُ جلالُ الدين وأخوه إلى الهند، وجاء الخطا، فَدُلُّوا عليه، فنَبَشُوه، وقَطَعوا رأسه، وأخذوه وعادوا، وتفرَّقَتِ الممالكُ بعده، وأُخذتِ البلاد[٣].

---

(١) الجتر في الأصل: قبة على هيئة خيمة على رأس عمود كالمظلة تحمل على رأس الخليفة عند ركوبه، ويبدو أنها هنا تحمل على رأس القواد الذين يقودون ألفاً من الجنود، والله أعلم، انظر «صبح الأعشى»: ٣/ ٤٦٩.

(٢) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٥ هـ).

(٣) المصدر السالف.

وفيها توفي الملك الفائز سابق الدِّين إبراهيم بن العادل أبي بكر بن أيوب[١]، وكان قد حالف ابنَ المشطوب[٢] والأمراء بمصر على الكامل لما مَلَكَ الفرنج دمياط، ولولا أخوهما المُعَظَّم يمسك ابنَ المَشْطُوب، وينفيه إلى الشَّرْق ـ على ما سَبَقَ ذِكْرُه ـ لتمَّ لهم ما أرادوا. ١٢٣

ولمَّا كانت وقعة البرلس، قال الكامل للفائز: هؤلاء الفرنج قد استولوا على البلاد، وقد أبطأ علينا الملك المُعَظَّم، وما لملوك الشرق غيرك، فَقُمْ وتوجَّه إلى الأشرف، وَعَرِّفْه ما نحن فيه من الضَّائقة. فسار إلى الشرق، وكان الأشرف على المَوْصِل، فَمَرِضَ الفائز بين سِنْجار والمَوْصِل. وقيل: إنه سُمَّ، فماتَ، فرَدُّوه إلى سِنْجار، فدُفِنَ عند تُرْبة عماد الدين زَنْكي رحمه الله[٣] . قيل: إنه ماتَ في شعبان من السنة[٣].

وفيها توفي أبو عزيز قَتَادة بن إدريس، أمير مكَّة، الشَّريف العلوي الحسني الزَّيدي[٤].

كان عادلاً مُنْصِفاً، نِقْمَةً على عبيد مكَّة والمفسدين، والحاجُّ في أيامه

---

(١) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٧ هـ)، التكملة للمنذري: ٣/ ٢٩ ـ ٣٠، تاريخ الإسلام (ت ٤٣٦، وفيات سنة ٦١٧ هـ)، الوافي بالوفيات: ٦/ ١٢٥، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١٧ هـ)، المقفى للمقريزي: ١/ ١١٨، شفاء القلوب: ٢٧٥، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٤٩، ترويح القلوب: ٥٠، ٥٦، وكان أسن أولاد أبيه كما قال المقريزي.

(٢) يعني عماد الدين ابنَ المشطوب، انظر حاشيتنا رقم ٢ ص ٣٢٧ من هذا الجزء.

(٣ ـ ٣) ما بينهما ليس في الأصل، وهو في بقية النسخ.

(٤) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ٤٠١ ـ ٤٠٤، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٧ هـ)، التكملة للمنذري: ٣/ ١٧، مفرج الكروب: ٤/ ١٢١ ـ ١٢٣، تاريخ الإسلام (ت ٤٧٢، وفيات سنة ٦١٧ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ١٥٩ ـ ١٦٠، العبر للذهبي: ٥/ ٦٩، الوافي بالوفيات: ٢٤/ ١٩٣، العقد الثمين: ٧/ ٣٩ ـ ٦١، شفاء الغرام: ٢/ ١٩٨ ـ ١٩٩، السلوك للمقريزي: ج١/ ق١/ ٢٤٢، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠، شذرات الذهب: ٥/ ٧٦.

وفي «الكامل» و«مفرج الكروب» وفاته سنة (٦١٨ هـ)، وضعفها المنذري.

مطمئنون آمنون على أنفسهم وأموالهم، وكان شيخاً مهيباً طُوالاً، وما كان يلتفتُ إلى أحدٍ من خَلْقِ الله، ولا وطئ بساط الخليفة ولا غيره، وكان يُحمل إليه في كلِّ سنة من بغداد الخِلَعُ والذَّهب وهو في داره بمكة، وكان يقول: أنا أحقُّ بالخلافة. ولم يرتكب كبيرةً على ما قيل، وكان في زمانه يُؤَذَّن في الحَرَم بحيّ على خير العَمَل، على مذهب الزَّيْدية. وكتبَ إليه الخليفةُ يستدعيه، ويقول: أنت ابنُ العَمِّ والصَّاحب، وقد بلغني شهامتك، وحِفْظُك للحاجّ، وعَدْلُك وشَرَفُ نَفْسِك، وعِفَّتُك ونزاهتك، وقد أحببتُ أنْ أراكَ وأشاهِدَك وأُحْسِنَ إليك. فكتَبَ إليه[1]:

ولي كَـفُّ ضِـرْغـامٍ أُذِلُّ بِـبَطْـشِـهـا وأشْـري بـهـا بـيـنَ الـوَرَى وأبـيـعُ
وكـلُّ مـلـوكِ الأرْضِ تَـلْـثِـمُ ظَـهْـرَها وفـي وَسْـطِـهـا لِـلْـمُـجْـدِبـيـنَ رَبـيـعُ
أأجْعَـلُـها تـحـتَ الرَّحَى ثـم أبـتـغي خـلاصـاً لـهـا إنِّـي إذاً لـرقـيـعُ
ومـا أنـا إلا الـمِسْـكُ فـي كـلِّ بُـقْـعةٍ يَـضُـوعُ وأمَّـا عِـنْـدَكُـمْ فَـيَـضِـيْـعُ[2]

وكانت وفاته في جمادى الأولى بمكة.

وفيها توفي أقباش بن عبد الله النَّاصري[3].

---

(١) قال التقي الفاسي في «العقد الثمين»: ٧/ ٥٨: وذكر ابن الجوزي في كتاب «الأذكياء» ما يقتضي أن بعض هذه الأبيات لغير قتادة.
قلت: انظر «الأذكياء» ص ٤٥.

(٢) ذكر في هامش الأصل بخط مغاير الأبيات برواية أخرى، وفيها زيادة بيت:

بـلادي وإن جـارت عـلـيَّ عـزيـزةٌ ولـو أنـنـي أعـرى بـهـا وأجـوعُ
ولي كفُّ ضِرْغامٍ إذا ما بطشتها بـهـا أشـتـري يـوم الـوغـى وأبـيـعُ
مـعـوَّدة لـثـم الـمـلـوك لظهـرهـا وفـي بـطـنـهـا لـلـمـجـدبـيـن ربـيـعُ
أأتـركـهـا تـحـت الرِّهـان وأبـتـغـي لـهـا مـخـرجـاً إنـي إذاً لـرقـيـعُ
وما أنا إلا المِسْكُ في غير أرضكم أضـوعُ وأمـا عـنـدكـم فـأضـيـعُ

(٣) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ٤٠١، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٧ هـ)، تاريخ الإسلام (ت٤٣٨، وفيات سنة ٦١٧ هـ)، الوافي بالوفيات: ٩/ ٣٠٣، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٤٩.

كان مملوكاً للخليفة النَّاصر بن المستضيء، اشتراه وهو ابنُ خمس عشرة سنة بخمسة آلاف دينار، ولم يكن بالعراق أجمل صورةً منه، ثم قَرَّبه الخليفة ولم يكن يفارقه. فلمَّا كَبِرَ ولَّاه إمرة الحاجِّ، وكان عاقلاً متواضعاً محبوباً إلى القلوب، وحَجَّ في هذه السنة ومعه خِلَعٌ وتقليدٌ من الخليفة لحسن بنِ قَتَادة، وكان قتادة قد مات كما ذكرنا، فلمَّا وصل أقباش إلى عرفات جاءه راجحُ بنُ قتادة أخو حسن، وسأله أنْ يوليه إمارة مكَّة، وقال: أنا أكبرُ ولدِ قَتَادة. فلم يُجِبْه، وظَنَّ حَسَن أنَّ أقباش قد ولاه، فأغلقَ أبوابَ مكَّة، وجاء أقباش، فنزل بعد أيامِ مِنىً بالشُّبيكة، ووقعتِ الفتنةُ بين حسن وأخيه، ومَنَعَ حسنٌ النَّاسَ من الدُّخول إلى مَكَّة، فركب أقباش ليسكِّن الفِتْنة، ويُصْلِحَ بين الأخوين، فخرج عبيدُ مكَّة وأصحابُ حسن من بابِ المُعلَّى يقاتلونه، فقال: ما قَصْدي القتال. فلم يلتفتوا إليه، وانهزمَ أصحابه، وبقي وحدَه، وجاء عبدٌ، فَعَرْقَبَ فرسَه، فوقعَ إلى الأرض، فقتلوه، وحملوا رأسه إلى حسن بن قتادة على رُمْحٍ، فنصبه بالمسعى عند دار العَبَّاس، ثم رُدَّ إلى جسده، ودفن بالمُعلَّى، وأراد حسن نَهْبَ الحاجِّ العراقي، فمنعه أميرُ حاجِّ الشَّام المبارز، وخوَّفه من الأخوين الكامل والمعظم ملكي مِصْر والشَّام، فأجابه، وكفَّ عن ذلك، ووصل الخبر إلى بغداد، فحزن الخليفةُ حُزْناً عظيماً، ولم يخرج الموكب للقاء الحُجَّاج. وأُدخل الكوس والعَلَم في الليل، وكان قَتْلُهُ سادسَ عشر ذي الحِجَّة. ١٢٤

قلت: وكان في حاجِّ الشَّام في هذه السنة شيخُنا فخر الدين أبو منصور ابن عساكر، فأخبرني بعضُ الحجاج في ذلك العام أنَّ حسن بن قتادة أمير مكة جاء إليه، وهو نازِلٌ داخلَ مكة، فقال له: قد أُخبرتُ أنك خيرُ أهلِ الشَّام، فأريد أن تصير معي إلى داري، فلعل ببركتك تزول هذه الشِّدَّة عنا. فصار معه إلى داره مع جماعةٍ من الدمشقيين، فأكلوا شيئاً، فما استتمَّ خروجُهم حتى قُتِلَ أقباش، وزال ذلك الاستيحاش.

وفيها ماتَ الوزير ناصر بن مَهْدِي[1] الذي كان وزيرَ الخليفة ببغداد، وقُبِضَ عليه كما ذكرنا في سنة أربع وست مئة[2]، واعتقل بدار طاشْتِكين، وبها مات في جُمادى الأُولى، وفُتِحَ له جامع القَصْر، ومشى بين يديه أربابُ الدَّولة، ودفن بمقبرة موسى بن جعفر، وكان جبَّاراً قاسياً، وكان يدَّعي أنه شريفٌ عَلَوي، وقد طُعِنَ في نَسَبه.

وفيها توفي الملكُ المنصور، صاحبُ حماة، واسمه محمد بن تقي الدِّين عمر بن شاهنشاه بن أيوب[3].

وكان شجاعاً، محبّاً للعلماء والفُضَلاء، وكان عنده جماعةٌ منهم لهم الرَّواتب، وصنَّف كتاباً سماه «المضمار»[4] جَمَعَ فيه جُمْلةً من التواريخ، وأسامي مَنْ وَرَدَ عليه وأقام عنده في عشر مجلدات، وكان حَفِظَ المسلمين لمَّا هَجَمَ الفرنجُ حماة في سنة [إحدى وست مئة][5]، ووقف وثبت.

وكانت وفاته بحماة في شَوَّال، ودفن عند أبيه، وقام بعده ولده الأكبر

(١) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ٤٠٠، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٧ هـ)، التكملة للمنذري: ٣/ ١٢، مفرج الكروب: ٤/ ٩١، تاريخ الإسلام (ت ٥٠٠، وفيات سنة ٦١٧ هـ)، شذرات الذهب: ٥/ ٧٨.

(٢) انظر ص ١٨٤ من هذا الجزء.

(٣) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٧ هـ)، التكملة للمنذري: ٣/ ٣٠، وفيات الأعيان: ٣/ ٤٥٧، المختصر في أخبار البشر: ٣/ ١٢٥ ـ ١٢٦، مفرج الكروب: ٤/ ٧٧ ـ ٨٦، تاريخ الإسلام (ت ٤٨٨، وفيات سنة ٦١٧ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ١٤٦ ـ ١٤٧، العبر للذهبي: ٥/ ٧١، فوات الوفيات: ٤/ ١٢ ـ ١٣، الوافي بالوفيات: ٤/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠، السلوك للمقريزي: ج١/ ق١/ ٢٤١، شفاء القلوب: ٣٣٧ ـ ٣٣٩، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٥٠، شذرات الذهب: ٥/ ٧٧ ـ ٧٨، ترويح القلوب: ٤٥.

(٤) هو «مضمار الحقائق وسر الخلائق» نشرت منه قطعة فيها حوادث سنوات (٥٧٥ ـ ٥٨٢). بالقاهرة سنة ١٩٦٨ م، بتحقيق د. حسن حبشي.

(٥) ما بين حاصرتين من (س)، وانظر ص ١٦٥ من هذا الجزء.

النَّاصر قَلِيْج رسلان، ثم أخذ الكامِلُ منه حماة وأعطاها لأخيه المُظَفَّر بن المنصور، واعتقل قليج رسلان في الجُبِّ بمصر، فمات به على أقبح حالٍ.

وفيها توفي صاحِبُ آمِد الملكُ الصَّالح، ناصر الدِّين، محمود بن محمد بن قرا رسلان بن أُرْتُق[1].

وكان شجاعاً، عاقلاً، جَوَاداً، محبّاً للعلماء، وكان الأشرف بن العادل يُحِبُّه، وجاء غير مرَّة إلى خدمة الأشرف إلى دُنَيْسَر وغيرِها، وماتَ بآمِد في صَفَر، وقام بعده ولدُه المسعود، وكان بخيلاً فاسقاً؛ وهو الذي أخذ منه الكامل آمِد، وحَمَلَه إلى مِصْر، فحبسه في الجُبِّ مُدَّة، ثم أطلقه، فمضى إلى التَّاتار ومعه أموالٌ، فأُخذت[2].

وفيها توفي أبو عبد الله بن الخِيَاري[3]، واسمه الحسين بن أحمد بن الحسين، من أهل باب البَصْرة.

---

(١) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ٤١٢، ومرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٧ هـ)، التكملة للمنذري: ٣/ ٩١، مفرج الكروب: ٤/ ١٠٧، المختصر في أخبار البشر: ٣/ ١٣٠، تاريخ الإسلام (ت٤٩٥، ٥٧٨، وفيات سنة ٦١٧، ٦١٨ هـ)، الوافي بالوفيات: ٢٥/ ٢٠٦، السلوك للمقريزي: ج١/ ق١/ ٢٤٨.

وقد اختلف في سنة وفاته، فذكرها في هذه السنة سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان، وتابعه أبو شامة، والذهبي، وقال: وقيل توفي سنة ٦١٨ هـ، وهو ما ذهب إليه أبو الفداء في «المختصر»، وابن واصل في «مفرج الكروب»، والمقريزي في «السلوك». أما ابن الأثير في «الكامل» والمنذري في «التكملة»، فذكروا أنها كانت سنة (٦١٩ هـ).

(٢) في (ك) و(ع) و(س) زيادة من قارئ الكتاب، قال: قلت: ذكر الحافظ زكي الدين بن عبد العظيم المنذري رحمه الله تعالى في كتاب «الوفيات» أن صاحب آمد المذكور توفي سنة تسع عشرة وست مئة، وهو الصحيح، وقد تصحف على صاحب هذا التاريخ: سبع عشرة من تسع عشرة، والله أعلم، ولقد رأيت بخط الشيخ زكي الدين أيضاً من كتاب «الفوائد السفرية» أن الملك المسعود سلمان بن محمد، وهو أخو الصالح المذكور كان متولي آمد، وسقط من سطح، فمات سنة ست وتسعين وخمس مئة، وتولى مكانه أخوه الصالح محمود إلى أن مات.

قلت: وهذا القارئ ربما كان هو صاحب الزيادات التي ترد في هذه النسخ، والله أعلم.

(٣) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٧ هـ)، التكملة للمنذري: ٣/ ٢٤ ـ ٢٥، تاريخ =

ولد سنة خمسٍ وثلاثين وخمس مئة، وسَمِعَ الحديث، وكان حُفَظَةً للحكاياتِ والأشعار والمُلَح.

قال أبو المُظَفَّر: وكان يتردَّد إلى جَدِّي، ويُعْجِبُهُ كلامُه، وسمعه يوماً يُحكى له أنَّ ابنَ عقيل سُئِلَ، فقيل له: إنَّ الحمار يبرد له[1] في السنة في ليلةٍ واحدة، فإنما هي هذه الليلة؟ فقال ابنُ عقيل: ما يعرف هذه الليلة إلا مَنْ قد كان حماراً[2].

١٢٥ قال: ودخَلَ رجلٌ إلى الكَرْخ، فلقيته امرأةٌ، فقالتْ له: أبو بكر، كيف أنتَ؟ فقال: أهلاً يا عائشة. قالتْ: فأنا اسمي عائشة! قال: فأقتل أنا وَحْدِي!

وكانت وفاته في شهر رمضان، سمع شُهْدة وطبقتها، وكان ثِقَةً[3].

وفيها توفي شيخ الشيوخ، صدرُ الدِّين، أبو الحسن محمد بن شيخ الشيوخ عماد الدِّين عمر بن حَمُّوية[4].

والد أولاد شيخ الشُّيوخ الذين اشتهروا بالإمرة والوزَارة بمِصْر في أيَّام العادلِ أبي بكر بن أيوب، وابنه الكامل محمد وذُرِّيَّته، وكان أبوه عمر قد ولَّاه نورُ الدِّين بن زَنْكي ـ رحمه الله ـ خوانك الشَّام، وكان يحترمه ويحبه، ومات

= الإسلام (ت ٤٤٧، وفيات سنة ٦١٧ هـ)، المختصر المحتاج إليه: ٢/ ٣٣ ـ ٣٤، توضيح المشتبه: ٢/ ٤٦٢، ٣/ ٤٧٧.

(١) تعبير عامي يعني: يصيبه البرد.

(٢) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٧هـ).

(٣) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٧ هـ).

(٤) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ٤٠٠، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٧ هـ)، التكملة للمنذري: ٣/ ١٥ ـ ١٦، مفرج الكروب: ٤/ ٩١، المختصر في أخبار البشر: ٣/ ١٢٧، تاريخ الإسلام (ت ٤٨٧، وفيات سنة ٦١٧ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ٧٩ ـ ٨٠، العبر للذهبي: ٥/ ٧٠ ـ ٧١، الوافي بالوفيات: ٤/ ٢٥٩، طبقات الشافعية للسبكي: ٨/ ٩٦ ـ ٩٧، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١٧هـ)، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٥١، شذرات الذهب: ٥/ ٧٧.

في سنة سبعٍ وسبعين وخمس مئة. وصدر الدِّين بدمشق عند أبيه، فولاه صلاح الدين المشيخة مكان أبيه، وزوَّجه الشيخ قطب الدين مسعود النيسابوري ابنته، فأَوْلَدَها ابنَه شمسَ الدين ـ توفي قديماً ـ ثم تزوَّج ابنةَ[1] ابنِ أبي عَصْرُون، وأَوْلَدَها أولادَه الأربعة المشهورين: عماد الدين عمر، وفخر الدِّين يوسف، وكمال الدين أحمد، ومعين الدِّين حَسَن، وسيأتي ذِكْرُ كلٍّ منهم.

وكان صدرُ الدِّين قد ناب عن القطب النَّيسابوري في التدريس بالزَّاوية الغربية بجامع دمشق، وبمدرسة جاروخ، وانتفع بصُحْبته.

وكان قد تفقَّه في بلاد العجم، ثم ولاه العادل بمِصْر التَّدْريس بالشَّافعي رضي الله عنه، ومشهد الحسين رضي الله عنه، والنظر في الخانقاه الكبرى بدار سعيد السُّعداء بين القَصْر ودار الوزارة.

وكان فاضلاً فقيهاً، لا يتكلَّم فيما لا يعنيه، وكانت له الحُرْمة الوافرة عند العادل بن أيوب وأولاده، ولما استولى الفرنج على دِمْياط بَعَثَه الكامل إلى الخليفة النَّاصر يستنجده على الفرنج، فمرض بين حَرَّان والمَوْصِل، ووَصَلَ إلى المَوْصِل في منتصف جُمادى الآخرة، فتوفِّي بها بعِلَّة الذَّرَب في الرَّابع والعشرين منه، ودُفِنَ إلى جانب قضيب البان، وعمره ثلاث وسبعون سنة، رحمه الله تعالى.

وفيها في العَشْر الأول من ذي الحِجَّة توفي الشيخ عبد الله اليوناني، أسدُ الشَّام[2].

أصله مِنْ قريةٍ من قُرَى بَعْلَبَكَّ يقال لها يُونين[3]، وكان صاحبَ رياضاتٍ ومجاهدات، وكراماتٍ وإشارات، وقد رأيتُهُ بجامع دمشق.

---

(١) بياض في النسخ الخطية، وفي مرآة الزمان: ابنة شهاب الدين بن أبي عصرون.

(٢) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٧ هـ)، تاريخ الإسلام (ت ٤٥٢، وفيات سنة ٦١٧هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ١٠١ ـ ١٠٣، العبر للذهبي: ٥/ ٦٧ ـ ٦٨، الوافي بالوفيات: ١٧/ ٣١٦، شذرات الذهب: ٥/ ٧٣ ـ ٧٥.

(٣) وينسب إليها: يونيني، كذلك.

قال سبط ابنُ الجوزي: كان لا يقومُ لأحدٍ من النَّاس تعظيماً لله تعالى، ويقول: لا ينبغي القيام إلا لله تعالى. صَحِبْتُه مُدَّة، وما كان يدَّخِرُ شيئاً، ولا يَمَسُّ بيده ديناراً ولا دِرْهماً. كان زاهداً، وَرِعاً، عفيفاً، وما لبس طول عمره سوى الثَّوب الخام وقَلَنْسُوة من جِلْد المَعْز تساوي نصف درهم، وفي الشتاء يبعثُ له بعضُ أصحابه فروةَ قرظ يَلْبَسها، ثم يُؤْثر بها في البَرْد، وكان إذا لَبِسَ الثَّوب يقول: هذا لفلان، وهذا لفلانة.

وقال لي يوماً: يا سيد، أنا أبقى أياماً في هذه الزَّاوية ـ وكنا ببعلبك ـ ما آكل شيئاً. فقلتُ له: أنتَ صاحب القَبُول، فكيف تجوع؟ فقال: لأنَّ أهلَ بَعْلَبَكَّ يتَّكِلُ بعضُهم على بعض، فأجوعُ أنا.

قال: وحدَّثني عبد الصَّمد خادمه، قال: كان يأخذ وَرَقَ اللَّوْز، فَيَفْرُكُهُ ويستفُّه، وكان الملكُ الأمجد صاحبُ بعلبك يزوره ويحبُّه، وكان الشيخ يُهينه، فما قام له يوماً قط، وكان يقولُ له: يا مجيدُ، أنتَ تظلم وتفعل وتصنع، وهو يعتذر إليه.

وكان العادل قد أظهر بدمشق ضَرْبَ قراطيس سود، فقال الشيخ عبد الله: يا مسلمين، انظروا إلى هذا الشَّيخ الفاعل الصَّانع يُفْسِدُ على النَّاس معاملاتِهم. وبلغ العادل، فأبطلها.

وكان يقول لصاحبه الفقيه محمد الحنبلي[1]: فيَّ وفيك نزل: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾[2] أنا من الرُّهْبان، وأنت من الأحبار.

وكان يستوحِشُ من النَّاس، فتارةً يكون بجبل لبنان، وتارة بالغسولة، وتارةً بثنيَّة العقاب، وتارةً بضمير.

---

(١) سترد ترجمته ص١٤٨ من الجزء الثاني.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٤.

١٢٦ وكان يأتي في الشتاء إلى عيون الفاسريا، وهي ظاهر دمشق بسفح الجبل المُطِلّ على قرية دُومة لأجل سخونةِ الماء بها، وبنى له على رأس العين مسجداً صغيراً يأوي إليه، وكان الدماشقة يخرجون من دمشق إلى زيارته، قال: فحكت لي امرأةٌ صالحة، قالت: خَرَجْتُ من دمشق بعد العَصْر، فوصلتُ إلى العيون بعد العِشاء الآخرة، فتوضَّأتُ، وطلعتُ إلى زيارة الزَّاوية، وكانت ليلةً مُقْمرةً، وإذا بالسَّبُع نائمٌ على باب الزَّاوية، ورأسُهُ على عتبتها، فَيَبِسْتُ، ولم أقدر أتحرَّك، فَسَحَبْتُ رُكَبي إلى نحو القرية، فلما كان وقت السَّحَر هرول السَّبُع ومضى، وخرج الشَّيخ، فرآني، فقال: ويلكِ، وأيش كان عليكِ منه[1].

قال: وكان شجاعاً؛ لا يبالي بالرِّجال قَلُّوا أو كثروا، وكان قوسُهُ ثمانين رطلاً، وما فاتته غَزَاةٌ بالشَّام قط، وكان يتمنَّى الشهادة، ويُلْقي نفسه في المهالك؛ حكى لي عنه خادِمُهُ عبدُ الصَّمد، قال: لما دَخَلَ العادِلُ إلى بلاد الفرنج، ووصل إلى صافيتا والعُرَيمة كان الشيخ في الزاوية ببعلبك، فقال لي: يا صُمَيْد، انزل إلى الثقة عبد الله، اطلبْ لي بغلته. قال: فأحضرتُ البغلة، فركبها، وخرجتُ معه، فبتنا في يونين، وقمنا نصف الليل، فجئنا إلى المحدثة قُبيل الفجر، فقلتُ له: لا تتكلَّم ها هنا، فهذا مكمن الفرنج. قال: فرفع صوته وقال: الله أكبر. فجاوبته الجبال، فمتُّ أنا من الفَزَع، ونزل، فصلَّى الفَجْر، ورَكِبَ، وطلعتِ الشمس والطَّير لا يطير في تلك الأرض، وإذا قد لاحَ من ناحية حِصْن الأكراد طُلْبٌ أبيض، فظَنَّهم الأسبتار. فقال: الله أكبر، ما أبركك من يوم، اليوم أمضي إلى صاحبي. وساق إليهم وقد شَهَرَ سيفه، فقلتُ في نَفْسي: شيخ وتحته بَغْلَةٌ وبيده سيفٌ يسوق إلى طُلْب إفرنج! فلما كان بعد ساعة، وإذا بهم قد قربوا منا، وهم عانة حمير وحش. قال: فانكسرَ قلبه، وفترتْ هِمَّته، فقلتُ له: احمد رَبَّك، فإنَّ الله قد نَظَرَ إليك، أنت واحد تريد

(١) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٧ هـ).

تلاقي مئة على بغلة! قال: وجئنا إلى حِمْص، فجاءنا صاحِبُها أسدُ الدِّين، وقدَّم له حصاناً من خيله، فركبه، ودَخَلَ معهم، فَعَمِلَ العجائب[١].

قال أبو المظفر: وحدَّثني القاضي جمال الدين بن يعقوب، قاضي كَرَك البِقاع ببعلبك، قال: كنتُ يوماً عند الجسر الأبيض في مسجدٍ هناك وقتَ الحَرّ، وإذا بالشَّيْخ عبد الله قد جاء، فنزل نهر ثُورا يتوضَّأ، وإذا بنَصْرَاني عابر على الجسر، ومعه بغلٌ عليه حِمْلُ خمر، فَعَثَرَ البغلُ عند الجسر، وَوَقَعَ حِمْلُ الخمر، وليس في الطريق أحدٌ، فَصَعِدَ الشيخ من النهر، وصاح بي: يا فُقَيِّه، تعال. فجئتُ، فقال: عاوني. فعاونته حتى رَفَعْنا الحِمْلَ على البغل، وراح النَّصْراني. فقلتُ في نفسي: مثل هذا الشيخ يفعل كذا! ثُمَّ مشيتُ خَلْفَ البغل إلى العُقَيبة، فجاء إلى دُكَّان الخَمَّار، فَحَطَّ الحِمْلَ، وفَتَحَ الزُّقاق، وقَلَبَ لِيَكِيْلَه، وإذا به قد صار خَلاًّ، فقال له الخَمَّار: ويحك، هذا خَلٌّ. فبكى، وقال: والله ما كان إلا خمراً من ساعة، وإنما أنا أعرف العِلَّة. ثم رَبَطَ البغل في الخان، وعاد إلى الجبل، وكان الشيخ قد صَلَّى الظُّهْر في المسجد الذي عند الجسر، وقَعَدَ يُسَبِّح، فدخل عليه النَّصْراني، وقال: يا سيدي، أنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأَسْلَمَ، وصار فقيراً[٢].

قال أبو المُظَفَّر: وحكى لي جماعةٌ من أهل بَعْلَبَكَّ أنه كان جالساً يوماً في زاويته، وإذا بامرأةٍ طالعة، وبين يديها دابَّةٌ تسوقها، عليها نحاسٌ وثياب، فربطتها، وجاءت إليه، فَسَلَّمَتْ عليه، فقال لها: من أين أنتِ؟ قالت: نصرانية من جُبَّة المُنَيْطرة. قال: وما الذي جاء بك إلى عندي؟ قال: رأيتُ السيدة مريم في المنام فقالت: اذهبي، فاخدمي الشيخ عبد الله اليوناني إلى أن تموتي.

(١) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٧ هـ).

(٢) المصدر السالف.

قالت: فقلت لها: يا ستي، فذاك مسلم. فقالت: والك[1] صحيح إنه مسلم، ولكنْ قلبه نَصْراني. فقال لها الشيخ: أجادت مريم، ما عرفني غيرها. فأعطاها بيتاً في الزَّاوية، فأقامت تخدمه ثمانية أشهر، فمرضت، فقال لها الشَّيخ: أيش تشتهين؟ فقالت: أموتُ على دين السيِّدة مريم. فقال: صيحوا بالقسيس. فجاء؛ فقال: خذ هذه إليك، وخذ قُماشها. وكان يساوي خمس مئة دِرْهم، فماتت عند القسيس. قال: وحكى بعضُ أهل بعلبك أنها ما ماتت إلا مسلمة عند الشيخ، وتصدَّقَ بما خَلَّفت[2]. ١٢٧

قال أبو المظفر: كنتُ قد اجتمعتُ به في الشَّام من سنة ست مئة إلى سنة ثلاث وست مئة، وكان له تلميذٌ اسمه توبة، وكان من الصَّالحين الأجواد، وسافرتُ إلى العراق في سنة أربع وست مئة، وحججتُ، فلمَّا كان يوم عَرَفة صَعِدْتُ جَبَل عرفات، وإذا بالشيخ عبدِ الله قاعدٌ على الجبل مستقبلٌ الكعبة، وعليه الثَّوب الخام، وعلى رأسه القَلَنْسُوة السَّوداء، فَسَلَّمْتُ عليه، فرحَّبَ بي، وسألني عن طريقي، وقعدتُ عنده إلى قريب الغروب، ثم قلتُ له: ما تقوم نروح إلى المُزْدَلفة؟ قال: اسبقني أنتَ، فلي رِفاقٌ. فنزلتُ من الجبل، وأتيتُ المُزْدَلِفة، ووقفتُ بها، وجئتُ إلى مِنًى، فدخلتُ مسجِدَ الخَيْف، وإذا بالشيخ توبة خارجٌ من المسجد، فَسَلَّم عليَّ، فقلتُ له: أين نَزَلَ الشيخ؟ ظنّاً مني أنه قد حَجَّ معه. فقال: أيما شيخ؟ قلتُ: عبد الله. قال: خَلَّفته ببعلبك. فَفَطِنْتُ، فقلت: مبارك. ففهم، فلزم بيدي، وبكى، وقال: بالله حَدِّثني أيش معنى هذا؟ فقلتُ: رأيته البارحة على عَرَفات، وحَدَّثته الحديث. ورجعتُ أنا على بغداد، وجاء توبة إلى دمشق، وحدَّث الشيخَ عبدَ الله الحديث، فحدثني توبة قال: قال لي الشيخ: ما هو صحيح منك، فلان فتى، والفتى ما يكون غمَّازاً، فلما عُدْتُ

---

(١) كلمة عامية لا تزال مستعملة في الشَّام، تعني تنبيه المخاطب مع زجره، وفصيحها: ويلٌ لك.

(٢) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٧ هـ).

إلى الشَّام عَتَبني الشيخ، فقلت: توبة تلميذُك. فقال: لا تَعُدْ إلى مِثْلها. كأنه كَرِهَ أنْ يُتَحَدَّثَ له بكرامةٍ في حال حياته[١].

قال: حكى لي عبدُ الصَّمد خادِمُهُ، قال: لمَّا كان يومُ الجُمُعة في العَشْر الأول من ذي الحِجَّة نزل، فَصَلَّى الجمعة بجامع بعلبك، وهو صحيح ليس به شيءٌ، ودخَلَ الحمَّام قبل الصَّلاة، واغتسل، وكان عليه ثوبان قد سمَّاهما لامرأتين، وجاءه داود المؤذن، وكان يغسل الموتى، فقال له: ويحك يا داود، انظر كيف غداً. فما فَهِمَ داود، وقال: يا سيدي كلُّنا غداً في خِفارتك. ثم صَعِدَ الشيخ إلى المغارة، وكان قد أمر الفُقَراء أن يقطعوا صخرةً عند اللوزة التي كان ينام تحتها، ويقعد عندها، وعندها قُبِرَ، وكان في نهار الجمعة قد نَجزَتِ الصَّخْرة، وبقي منها مقدارُ نصفِ ذِرَاع، فقال لهم: لا تطلُعُ الشَّمْسُ إلا وقد فَرَغْتُم منها. قال: وباتَ طول اللَّيل يذكُرُ أصحابَهُ ومعارفه، ويدعو لهم، ويقول: يا سيِّدي، فلانة اجتزت بها في الموضع الفلاني أعطتني شَرْبةً من الماء، فَشَرِبْتُها، وقليلَ ماءٍ، فتوضَّأتُ به، اغفِر لها. وفلان أحسنَ إليَّ، فأحسِنْ إليه. وطلع الصُّبْح، فَصَلَّى بي، وخرج إلى صخرةٍ كان يجلس عليها، فجلس عليها، وبيده سُبْحته، وقام الفقراء يتمِّمون الصَّخْرة، وطلعتِ الشَّمسُ وقد فَرَغوا منها، والشيخُ قاعِدٌ نائم، والسُّبْحة بيده، وجاء خادِمٌ من القلعة إليه في شُغْلٍ، فرآه نائماً قاعداً بحاله، فما تجاسَرَ أن يوقِظَه، فقعد ساعةً، وطال عليه، فقال: يا عبدَ الصَّمد، ما أقدر أقعد أكثر من هذا. قال: فتقدَّمْتُ إليه وقلتُ: سيِّدي سَيِّدي. فما تكلَّم، فحرَّكْتُهُ، فإذا به مَيْتٌ، وقد فرغوا من الصَّخْرة، وعَمِلُوا فيها ساعةً وهو مَيْتٌ، فارتفع الصِّياح، وكان صاحبُ بَعْلَبَكَّ في الصَّيْدِ، فأرسلوا وراءه، فجاء، فرآه على تلك الحال؛ لا وَقَعَ ولا وَقَعَتِ السُّبْحة من يده، وهو كأنَّه نائم. فقال: دعونا نبني عليه بُنْياناً وهو على حاله، ليكون أعجوبةَ الدُّنيا أنَّ

---

(١) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٧هـ).

الإنسان يموت، وهو قاعد ولا يتغيَّر. فقالوا: اتِّباع السُّنَّة أولى. وطلع داود، فَغَسَله، ودفَعَ الثَّوبين إلى المرأتين، ولما ألحدوه قال له الحفار: يا شيخ عبد الله، اذكُرْ ما عاهدتنا عليه. قال: ففتح عينيه، ونظر إليَّ شَزْراً، ودفن عند اللوزة يوم السبت، وقد جاوز ثمانين سنة، رحمة الله عليه[1]. ١٢٨

ثم دخلتْ سنةُ ثماني عشرة وست مئة

ففيها توجَّه المُعَظَّم عيسى إلى أخيه الأشرف موسى، واجتمعا على حَرَّان، وكتبَ صاحِبُ ماردين ناصر الدِّين إلى الأشرف يسأله أن يُصْعِدَ المعظم إليه، فسأله، فسار إلى ماردين، فَنَزَلَ صاحِبُها، والتقاه في دُنَيْسر، وأصعده إلى القلعة، وخَدَمه خدمةً عظيمة، وقدَّم له التُّحَف والجواهر، وتحالفا واتفقا على ما أرادا، وزوَّج المُعَظَّمُ إحدى بناته ناصِرَ الدِّين صاحب ماردين. وزوَّج ابنَ ناصرِ الدين ابنته الأُخرى، وخَلَعَ على جميع أصحابه، وأعطاهم الأموال، ورَجَعَ المُعَظَّم إلى حَرَّان.

وفيها وصلتِ الأخبارُ بوصول التَّاتار إلى كَرْماشاهان قريباً من بغداد، فانزعج الخليفة، وأمر النَّاسَ بالقنوت في الصَّلوات، وحَصَّنَ بغداد، واستخدمَ العساكر.

وفيها في جمادى الآخرة استردَّ المسلمون دِمْياط من الفرنج، وكان المُعَظَّم عيسى من أَحْرَصِ النَّاس على خلاص دِمْياط وعلى الغَزَاة، وكان مُصَافياً لأخيه الكامل، وكان أخوهما الأشرف مقصِّراً في حَقِّ الكامل، وكان مبايناً له في الباطن، فلما اجتمعتِ العساكِرُ على حَرَّان، قَطَعَ بهم المُعَظَّم الفُرَات، وسار الأشرف في آثاره، وجاء المُعَظَّم، فنزل حِمْص، ونزل الأشرف سَلَمِيَّة.

قال أبو المظفر: وكنتُ قد خرجت من دمشق إلى حِمْص لطَلَبِ الغَزَاة،

(١) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٧ هـ).

الإنسان يموت، وهو قاعد ولا يتغيَّر. فقالوا: اتِّباع السُّنَّة أولى. وطلع داود، فَغَسَله، ودفَعَ الثَّوبين إلى المرأتين، ولما ألحدوه قال له الحفار: يا شيخ عبد الله، اذكُرْ ما عاهدتنا عليه. قال: ففتح عينيه، ونظر إليَّ شَزْراً، ودفن عند اللوزة يوم السبت، وقد جاوز ثمانين سنة، رحمة الله عليه[1]. ١٢٨

ثم دخلتْ سنةُ ثماني عشرة وست مئة

ففيها توجَّه المُعَظَّم عيسى إلى أخيه الأشرف موسى، واجتمعا على حَرَّان، وكتبَ صاحِبُ ماردين ناصر الدِّين إلى الأشرف يسأله أن يُصْعِدَ المعظم إليه، فسأله، فسار إلى ماردين، فَنَزَلَ صاحِبُها، والتقاه في دُنَيْسر، وأصعده إلى القلعة، وخَدَمه خدمةً عظيمة، وقدَّم له التُّحَف والجواهر، وتحالفا واتفقا على ما أرادا، وزوَّج المُعَظَّمُ إحدى بناته ناصِرَ الدِّين صاحب ماردين. وزوَّج ابنَ ناصرِ الدين ابنته الأخرى، وخَلَعَ على جميع أصحابه، وأعطاهم الأموال، ورَجَعَ المُعَظَّم إلى حَرَّان.

وفيها وصلتِ الأخبارُ بوصول التَّاتار إلى كَرْماشاهان قريباً من بغداد، فانزعج الخليفة، وأمر النَّاسَ بالقنوت في الصَّلوات، وحَصَّنَ بغداد، واستخدمَ العساكر.

وفيها في جمادى الآخرة استردَّ المسلمون دِمْياط من الفرنج، وكان المُعَظَّم عيسى من أحْرَصِ النَّاس على خلاص دِمْياط وعلى الغَزَاة، وكان مُصَافياً لأخيه الكامل، وكان أخوهما الأشرف مقصِّراً في حَقِّ الكامل، وكان مبايناً له في الباطن، فلما اجتمعتِ العساكِرُ على حَرَّان، قَطَعَ بهم المُعَظَّم الفُرَات، وسار الأشرف في آثاره، وجاء المُعَظَّم، فنزل حِمْص، ونزل الأشرف سَلَمِيَّة.

قال أبو المظفر: وكنتُ قد خرجت من دمشق إلى حِمْص لطَلَبِ الغَزَاة،

---

(١) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٧ هـ).

فإنَّهم كانوا على عَزْمِ الدُّخول إلى طَرَابُلُس، فاجتمعتُ بالمُعَظَّم على حِمْص في ربيع الآخر، فقال لي: قد سَحَبْتُ الأشرف إلى هنا بأسناني، وهو كاره، وكل يوم أعتبه في تأخُّره، وهو يكاشر، وأخاف من الفرنج أن يستولوا على مِصْر وهو صديقك، فأشتهي تروح إليه، فقد سألني عنك مراراً. ثم كتَبَ إلى أخيه كتاباً بخطِّه نحو ثمانين سطراً، فأخذته، ومضيتُ إلى سَلَمِيَّة، وبلغ الأشرفَ وصولي، فخرج من الخيمة، والتقاني، وعاتبني على انقطاعي عنه، وجرى بيني وبينه فضول، وقلت له: المسلمون في ضائقة، وإذا أخذ الفرنج الدِّيار المِصْرية ملكوا إلى حَضْرَمَوْت، وعَفُّوا آثار مكة والمدينة والشَّام، وأنتَ تلعب! قُمِ السَّاعةَ وارحل. فقال: ارمُوا الخيام والدِّهليز. فَسَبَقْتُهُ إلى حِمْص، والمُعَظَّم عينُه إلى الطَّريق، فلما قيل له: وَصَلَ فلان. رَكِبَ والتقاني، وقال: ما نمت البارحة، ولا أكلت اليوم شيئاً. فقلت: غداً بُكْرَةً يصبِّحُ أخوك على حِمْص. فدعا لي، ولما كان من الغد أقبلتِ الأطلاب، وجاء طُلْبُ الأشرف، والله ما رأيتُ أجملَ ولا أحسنَ رجالاً ولا أكملَ عُدَّة، فَسُرَّ المُعَظَّمُ سروراً عظيماً، وجلسوا تلك الليلة يتشاورون، فاتفقوا على الدُّخول في السَّحَر إلى طرابلس يشوِّشون على الفرنج، وكانوا على حالٍ، فأنطق الله الأشرفَ من غير قَصْدٍ، وقال للمُعَظَّم: يا خوند، عِوَض ما ندخل السَّاحل ونضعِّف خيلنا وعساكرنا، ونضيِّع الزمان، ما نروح إلى دِمْياط، ونستريح؟ فقال له المعظم: قول رُماة البُنْدُقِ؟ قال: نَعَمْ. فقبَّل المُعَظَّمُ قدَمَه، ونام الأشرف، فخرج المُعَظَّم من الخيمة كالأسد الضَّاري يصيح: الرَّحيلَ الرحيل إلى دمياط. وما كان يظنُّ أنَّ الأشرف يسمح بذلك، وساق المُعَظَّم إلى دمشق، وتَبِعَتْهُ العساكر، ونام الأشرف في خيمته إلى قريب الظُّهر، وانتبه، فدخل الحَمَّام، فلم يَرَ حول خيمته أحداً؛ فقال: وأين العساكر؟ ١٢٩ فأخبروه الخبر، فسكت، وساق إلى دمشق، فَنَزَلَ القُصَيْر يوم الثلاثاء رابع عشر جمادى الأولى، فأقام إلى سَلْخ جُمادى، وعَرَضَ العساكر تحتَ قلعة دمشق،

وكان هو وأخوه المعظم في الطَّيَّارة[١] في القلعة، وساروا إلى مصر غُرَّة جُمادى الآخرة[٢].

قلتُ: كنتُ حاضراً تحت القلعة، وتلك العساكر تمرُّ أميراً بعد أميرٍ، والنَّاسُ يتضرَّعون، ويدعون لهم بالنَّصْرِ، فاشتدَّتْ قُوى المسلمين، وأيقنوا بالظَّفَر.

ولأجلِ ما كان للملكِ المُعَظَّم من الآثار الجميلة في سَفَرِهِ إلى الشَّرْق لجَمْعِ هذه العساكر، والوصولِ بها إلى مِصْر قال شيخُنا أبو الحسن ـ رحمه الله ـ من جُمْلة قصيدةٍ له عند فَتْحِ دِمْياط:

سَرَى المَلِكُ المولى المُعَظَّم في الدُّجى ... فأطْلَعَ نَجْمَ النَّصْرِ بعدَ مَغِيْبِهِ

وَرَدَّ على الإسلامِ بعد كآبةٍ ... سُروراً وداوى الدِّينَ بعدَ شُحُوبِهِ

تَجَلَّى بعيسى غَمُّها واغْتَدَى بها ... فريداً وأضحى فَخْرُها مِنْ نَصِيْبِهِ

وسمعتُ ممن يوثق به[٣] في مجلس شيخنا أبي الحسن السَّخاوي رحمهما الله يقول: إنه رأى في منامه في بعض تلك الليالي كأنَّ هاتفاً يقول له:

لا تيأسَنَّ لِعُسْرَةٍ فوراءَها ... يُسْرانِ وَعْدٌ ليسَ فيه خِلافُ

كَمْ كُرْبَةٍ قَلِقَ الفتى لنزولها ... للهِ في أعْطافِها ألْطافُ

قلتُ: والبيتان لأبي الفَتْح البُسْتي[٤].

قال أبو المُظَفَّر: وأما الفرنج الذين كانوا بدِمْياط فإنهم خرجوا بالفارس والرَّاجل، وكان البحر زائداً جداً، فجاؤوا إلى تُرْعةٍ، فأرسوا إليها، وفَتَحَ

---

(١) بناها المعظم في قلعة دمشق عند باب السر المشرفة على دار الطُّعم العتيقة، انظر «مرآة الزمان» (وفيات سنة ٦٢٤ هـ) ترجمة المعظم.

(٢) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦١٨ هـ).

(٣) في (ب): أبو ثوبة!

(٤) البيتان في «ديوانه» ص ١٢٢ مع اختلاف في اللفظ.

المسلمون عليهم التُّرَع من كلِّ مكان، وأحدقتْ بهم عساكرُ الكامل، فلم يبقَ لهم وصولٌ إلى دِمْياط، وجاء أُسطول المسلمين، فأخذوا مراكبهم، ومنعوهم أن تصل إليهم مِيْرَةٌ من دمياط، وكانوا خَلْقاً عظيماً، وانقطعت أخبارُهم عن دمياط، وكان فيهم مئة كند، وثماني مئة من الخَيَّالة المعروفين، وملك عكا والدوك، واللوكات نائب البابا، ومن الرَّجَّالة مالا يُحصى، فلما عاينوا الهلاكَ أرسلوا إلى الكامل يطلُبون الصُّلْح والرّهائن، ويسلِّمونَ دمياط، فمن حِرْصِ الكامل على خلاص دمياط أجابهم، ولو أقاموا يومين أخذوا برقابهم، فبعثَ إليهم الكامل ابنَه الصَّالح أيوب، وابن أُخته شمس الملوك، وجاءت ملوكهم إلى الكامل، فالتقاهم، وأنعم عليهم، وضَرَبَ لهم الخيام، ووصَلَ المعظَّم والأشرف في تلك الحال إلى المنصورة في ثالث رجب، فجلس الكامل مجلساً عظيماً في خيمةٍ كبيرة عالية، ومدَّ سِماطاً عظيماً، وأحضرَ ملوك الفرنج والخيَّالة، ووقف في خدمته إخوتُهُ المعظم والأشرف وغيرُهما، وقام راجح الحِلِّي الشَّاعر، فأنشد:

هنيئاً فإنَّ السَّعْد راحَ مخلَّداً ... وقد أَنْجَزَ الرَّحمنُ بالنَّصْرِ مَوْعِدا

حَبَانا إلهُ الخَلْقِ فَتْحاً بَدَا لنا ... مُبيناً وإنعاماً وعِزًّا مُؤَبَّدا ١٣٠

تهلَّلَ وَجْهُ الدَّهْرِ بعد قُطُوبِهِ ... وأَصْبَحَ وَجْهُ الشِّرْكِ بالظُّلْمِ أسودا

ولمَّا طَغَى البَحْرُ الخِضَمُّ بأهله الـ ... ـطُّغاةِ وأضحى بالمَرَاكِبِ مُزْبدا

أقامَ لهذا الدِّينِ مَنْ سَلَّ عَزْمَهُ ... صقيلاً كما سُلَّ الحُسَامُ مُجَرَّدا

فلم يَنْجُ إلا كلُّ شِلْوٍ مُجَدَّلٍ ... ثَوَى منهمُ أو مَنْ تراه مُقَيَّدا

ونادى لسانُ الكَوْنِ في الأرض رافعاً ... عَقِيْرَتَهُ في الخافِقَيْنِ ومُنْشِدا

أَعُبَّادَ عيسى إنَّ عيسى وحِزْبَهُ ... وموسى جميعاً يَخْدُمونَ محمَّدا[1]

(١) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦١٨ هـ).

قلتُ: وبلغني أنه وقت الإنشاد أشارَ عند قوله عيسى إلى المُعظَّم، وعند قوله موسى إلى الأشرف، وعند قوله محمداً إلى الكامل، وهذا من أحسنِ شيءٍ اتُّفِقَ.

قال أبو المُظَفَّر: ووقع الصُّلح بين الكامل والفرنج يوم الأربعاء تاسع عشر رجب، وسار بعضُ الفرنج في البر، وبعضهم في البحر إلى عكا، وتَسَلَّم الكامِلُ دمياط، ووصلتِ العساكرُ الشَّرْقية والشَّامية وقد أخذ الكامل دمياط، وعاد المُعَظَّم إلى الشَّام، وأقام الأشرف بمِصْر عند الكامل، فغيَّر الله سبحانه القلوب، وصارا متصافيين، واتَّفقا على المُعَظَّم[1].

وفيها حَجَّ بالنَّاس من الشَّام أميرٌ يقال له شقيفات، وحَجَّ أبي إسماعيلُ معه تلك السنة. وحَجَّ بالنَّاس من العراق ابنُ أبي فراس، ومعه كتابُ الخليفة إلى مكة والمدينة بإعادة ولي العهد أبي نَصْر محمد إلى العهد، وكتَبَ إلى الآفاق بذلك.

وفيها[2] ولَّى المُعَظَّمُ جمالَ الدِّين المِصْري الوكيل قضاءَ الشَّام، فكان يُكْتَبُ له في الأسجال: قاضي قضاة الشَّام، وذلك في رجب[2].

وفيها توفي الشَّيخ الشِّهاب محمدُ بنُ خَلَف بن راجح، المقدسي الحنبلي[3].

---

(١) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦١٨هـ).

(٢ ـ ٢) هذا الخبر ليس في (ك) و(ع). وهو الصواب.
وكان جمال الدين المصري قد انضاف إلى نواب القاضي زكي الدين الطاهر بن محيي الدين سنة ٦١٦ هـ، وذلك أثناء لزوم الطاهر بيته إثر محنته، وحتى وفاته في ٢٣ صفر سنة ٦١٧ هـ. ثم سيذكر أبو شامة ص ٣٥٣ (في حوادث سنة ٦١٩ هـ) أنه استقل بالقضاء يوم الثلاثاء ٢٨ رجب سنة (٦١٩ هـ)، فما ذكر هنا من أن ولايته القضاء كانت سنة (٦١٨ هـ)، هو خطأ، لا أدري كيف وقع، وقد أهملت (ك) و(ع) ذكره، وهو الصواب. ومما يؤيد أنه استقل بالقضاء سنة (٦١٩ هـ) ما ذكره أحد قراء «المذيل» من أنه نقل ذلك أيضاً عمن له عناية بالتاريخ، انظر ص ٣١٩، وحاشيتنا رقم ٢ ص ٣٨٨ من هذا الجزء.

(٣) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٨ هـ)، التكملة للمنذري: ٣/ ٣٦ ـ ٣٧، مشيخة ابن =

أحد شيوخ الصَّالحيين السَّاكنين بالدَّير بسفح جبل قاسيون، وكنت أراه يومَ الجمعة قبل الزَّوال يجلس على دَرَج المنبر السُّفْلي بجامع الجبل، وبيده كتابٌ من كُتُبِ الحديث أو أخبار الصَّالحين يقرؤه على النَّاس إلى أن يؤذِّن المؤذن للجمعة.

قال أبو المُظَفَّر: وكان زاهداً عابداً، وَرِعاً، فاضلاً في فنونِ العلوم، وسافر إلى بغداد، وسمع الكثير من شُهْدَة وابن البطي، ومشايخ الشَّام، وغيرهم. وحفظ «مقامات» الحريري في خمسين ليلة، فتشوَّشَ خاطره، وكان ممَّا يغسل باطن عينيه قد قلَّ نظره، وكانت وفاتُه يوم الأحد سَلْخ صَفَر، ودُفِنَ بقاسيون عند أهله، وكان سليمَ الصَّدْر، من الأبدال، ما خالف أحداً قط، رأيتُهُ يوماً وقد خَرَجَ من جامع الجبل، فقال له إنسان: ما تروح إلى بَعْلَبَكَّ. فقال: بلى. فمشى من ساعته إلى بَعْلَبَكَّ بالقَبْقاب[1].

قلتُ: وسيأتي ذِكْرُ ولديه القاضي نجم الدِّين أحمد[2]، والصَّلاح موسى[3].

١٣١ وفيها توفي صاحِبُنا ضياءُ الدِّين عليُّ بن عبد السيد بن ظافر القوصي[4]، ابنُ أُخت الشِّهاب القوصي.

= البخاري: ٣٠٢ ـ ٣١٠، تاريخ الإسلام (ت ٥٦١، وفيات سنة ٦١٨ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ١٥٦ ـ ١٥٨، المختصر المحتاج إليه: ١/ ٤٤ ـ ٤٥، الوافي بالوفيات: ٣/ ٤٥، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١٨ هـ)، ذيل طبقات الحنابلة: ٢/ ١٢٤ ـ ١٢٥، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٥١، المقصد الأرشد: ٢/ ٤٠٥، المنهج الأحمد: ٤/ ١٤٠ ـ ١٤١، القلائد الجوهرية: ٢/ ٤٠٠، ٤٦٣ ـ ٤٦٤، شذرات الذهب: ٥/ ٨٢.

(١) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٨ هـ).

(٢) ص ٥٥ من الجزء الثاني.

(٣) توفي سنة (٦٤٣ هـ)، وقد سها أبو شامة عن ترجمته كما وعد، وانظر ترجمته في سير أعلام النبلاء: ٢٣/ ٧٦، وذيل طبقات الحنابلة: ٢/ ٢٣٥، والمقصد الأرشد: ٣/ ١٠، والمنهج الأحمد: ٤/ ٢٥١. وقد سلف ذكره ص ٢٩٠ من هذا الجزء.

(٤) له ترجمة في الوافي بالوفيات: ٢١/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧.

كان من أصحاب شيخنا السَّخاوي، وشيخنا فخر الدين ابن عساكر، وله شِعْرٌ حَسَن، ومولده بقوص سنة تسعين وخمس مئة، وإجازتي من الشيخ عَلَم الدِّين في القراءات عندي بخطِّه.

وفيها في ليلة الجمعة الحادي والعشرين من رجب توفي خطيبُ بيت الأَبار الشيخ موفَّق الدِّين أبو عبد الله عمر بن يوسف بن يحيى بن كامل المَقْدِسي. وكان شيخاً صالحاً، وخَطَبَ على منبر دمشق مُدَّة غيبة الخطيب جمال الدين محمد الدَّوْلعي في الرِّسالة العادلية إلى بلاد الشَّرْق، رحمهما الله تعالى[(١)].

وفيها أو في السَّنة التي بعدها ـ في ثالث عَشَر رجب توفي الحافظُ المحدِّث، تقي الدِّين أبو طاهر إسماعيل بن عبد الله بن عبد المحسن المِصْري، المعروف بابن الأنماطي[(٢)].

كان في زمانه أحذقَ النَّاسِ بقراءة الحديث وكتابته، وإفادة الشيوخ، وحُسْنِ كتابة طبقات السَّماع، وحَصَّل كتباً كثيرة، وكتب بخطِّه أجزاء عديدةً، وكان سريعَ الكتابة والقراءة جِدًّا، مع معرفة بعلم الحديث، واطِّلاعٍ على دقائق فَنِّه، وكانتْ كُتُبُه تكون في البيت الغَرْبي بالكلَّاسة الذي كان بيد الملك المحسن أحمد بن صلاح الدِّين قبله، ثم انتقل منه لمَّا أُريد إسكان الشيخ عبد الصَّمد الدُّكَّالي الزَّاهد به، ثم بقي بيد أصحاب عبد الصَّمد إلى الآن[(٣)]. وسمعتُ

---

(١) انظر ص ٣٠٠ من هذا الجزء.

(٢) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٨ هـ)، التكملة للمنذري: ٣/ ٧٩ ـ ٨٠، طبقات علماء الحديث: ٤/ ١٨٦ ـ ١٨٧، تاريخ الإسلام (ت ٦٠٠، وفيات سنة ٦١٩ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ١٧٣ ـ ١٧٤، تذكرة الحفاظ: ٤/ ١٤٠٣ ـ ١٤٠٥، العبر للذهبي: ٥/ ٧٦، الوافي بالوفيات: ٩/ ١٤٦ ـ ١٤٧، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١٨ هـ)، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٥١، ٢٥٤، حسن المحاضرة: ١/ ٣٥٥، شذرات الذهب: ٥/ ٨٤.

وسيعيد أبو شامة ذكره ص ٣٥٤ في وفيات سنة (٦١٩ هـ). وهو الصحيح في وفاته، كما جزم بذلك الذهبي وغيره.

(٣) يعني سنة (٦٥٩ هـ) كما ذكر ذلك أبو شامة مراراً.

الشيخ تقي الدين عثمان بن الصَّلاح رحمه الله يثني عليه بعد مَوْته في معرفة الحديث، ويتأسَّف لفقده على فوائِدَ كانت تحصل من عنده.

قال أبو المُظَفَّر: سَمِعَ الكثير، ولقي الشيوخ، وكانت وفاته بدمشق، ودُفِنَ بمقابر الصُّوفية في طريق المُنَيْبع، وصلَّى عليه الموفق الحنبلي بجامع دمشق، والفخر ابن عساكر بباب النَّصْر، والجمال المِصْري قاضي القضاة عند قبره، وكان سَمِعَ بمصر من البُوصيري، وابن المقدسي، وبدمشق من بركات بن إبراهيم الخُشُوعي، ورحل إلى العراق، فسمع أبا الفتح بن المَنْدَائي؛ وابن عبد السَّميع الهاشمي، وابن طَبَرْزَد، وابن سُكينة، وابن الأخضر، وحنبلاً. وقرأ على الشيخ تاج الدين الكِنْدي بدمشق «تاريخ» الخطيب، و«طبقات» ابن سَعْد، وشيئاً كثيراً، وكان ثِقَةً[1].

قلت: وقرأ على القاضي جمال الدين أبي القاسم بن الحَرَسْتاني من كُتُبِ البيهقي كثيراً مثل «السُّنَن الكبير» و«معرفة السُّنَن والآثار»، و«دلائل النبوَّة»، و«الآداب»، و«الدَّعوات».

ثم دخلت سنة تسع عشرة وست مئة

ففيها ظهر بالشَّام جَرَادٌ كثير لم يُعهد مثله، فأكل الزَّرْعَ والشَّجَر والثمر، فأظْهَرَ المعظمُ أن ببلاد العَجَم طيراً يقال له السمرمر يأكلُ الجَرَاد، فأرسل الصَّدْرَ البكري محتسب دمشق، ورَتَّب معه صوفية، وقال: تمضي إلى العَجَم، فهناك عينٌ يجتمع فيها السمرمر، فتأخذ من مائها في قوارير، وتعلِّقه على رؤوس الرِّماح، فكلما رآه السمرمر تَبِعَك، وما كان مقصوده إلا أن يبعث البكري إلى جلال الدِّين خوارزم شاه ليتفق معه لما بلغه اتفاق أخويه الكامل والأشرف عليه، فاجتمع البكري بالخوارزمي، وقررَّ معه الأمور، وجعله سَنَداً

---

(١) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٨ هـ).

الشيخ تقي الدين عثمان بن الصَّلاح رحمه الله يثني عليه بعد مَوْته في معرفة الحديث، ويتأسَّف لفقده على فوائِدَ كانت تحصل من عنده.

قال أبو المُظَفَّر: سَمِعَ الكثير، ولقي الشيوخ، وكانت وفاته بدمشق، ودُفِنَ بمقابر الصُّوفية في طريق المُنَيْبع، وصلَّى عليه الموفق الحنبلي بجامع دمشق، والفخر ابن عساكر بباب النَّصْر، والجمال المِصْري قاضي القضاة عند قبره، وكان سَمِعَ بمصر من البُوصيري، وابن المقدسي، وبدمشق من بركات بن إبراهيم الخُشُوعي، ورحل إلى العراق، فسمع أبا الفتح بن المَنْدَائي؛ وابن عبد السَّميع الهاشمي، وابن طَبَرْزَد، وابن سُكينة، وابن الأخضر، وحنبلاً. وقرأ على الشيخ تاج الدين الكِنْدي بدمشق «تاريخ» الخطيب، و«طبقات» ابن سَعْد، وشيئاً كثيراً، وكان ثِقَةً[١].

قلت: وقرأ على القاضي جمال الدين أبي القاسم بن الحَرَسْتاني من كُتُبِ البيهقي كثيراً مثل «السُّنَن الكبير» و«معرفة السُّنَن والآثار»، و«دلائل النبوَّة»، و«الآداب»، و«الدَّعَوات».

ثم دخلت سنة تسع عشرة وست مئة

ففيها ظهر بالشَّام جَرَادٌ كثير لم يُعهد مثله، فأكل الزَّرْعَ والشَّجَر والثمر، فأَظْهَرَ المعظمُ أن ببلاد العَجَم طيراً يقال له السمرمر يأكلُ الجَرَاد، فأرسل الصَّدْرَ البكري محتسب دمشق، ورَتَّب معه صوفية، وقال: تمضي إلى العَجَم، فهناك عينٌ يجتمع فيها السمرمر، فتأخذ من مائها في قوارير، وتعلِّقه على رؤوس الرِّماح، فكلما رآه السمرمر تَبِعَك، وما كان مقصوده إلا أن يبعث البكري إلى جلال الدِّين خوارزم شاه ليتفق معه لما بلغه اتفاق أخويه الكامل والأشرف عليه، فاجتمع البكري بالخوارزمي، وقررَّ معه الأمور، وجعله سَنَداً

---

(١) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٨ هـ).

له. وكان الجراد قد قَلَّ، فلما عاد البكري كَثُرَ الجراد، وقال الناس في ذلك أشعاراً، وظهر فِعْلُ المعظَّم للنَّاس، وعَلِمَ الكاملُ والأشرف، وشاع الحديث، فقيل للمعظم: لو كنتَ بعثتَ رسالةً مع بعض التُّجَّار الذين يسافرون إلى خُرَاسان كان أَوْلى. ولما عاد البكري من الرِّسالة ولاه المُعَظَّم مشيخةَ الشُّيوخ مضافةً إلى الحِسْبة. ١٣٢

وفيها حَجَّ من العراق ابنُ أبي فراس مستقلاً، ومن الشَّام كريمُ الدِّين الخِلاطي، ومعه الرُّكْن الفَلَكي، وخَلْقٌ كثير، وكانت وقفة الجمعة، وازدحم النَّاس في المسعى، فمات جماعة.

قال أبو المظفر: وكنتُ على عَزْمِ الحجِّ، فخرجتُ على هجينٍ إلى مسجد القَدَم، فجاء حورانيٌّ عليه فَرْوَةٌ ليصافحني، فَنَفَرَ بيَ الهجينُ، [فرماني][1]، فأقمتُ شهرين أداوي ظهري.

وحَجَّ بالنَّاس من اليمن أقسيس بن الكامل، ولقبه الملك المسعود في عسكر عظيم، فجاء إلى الجبل وقد لَبِسَ هو وأصحابُهُ السِّلاح، ومَنَعَ عَلَمَ الخليفة أن يُصْعَدَ به إلى الجبل، وأصعد عَلَمَ أبيه الكامل وعَلَمَه، وقال لأصحابه: إنْ أطلعَ البغاددة عَلَمَ الخليفة فاكسروه، وانهبوهم. ووقفوا تحت الجبل من الظُّهْر إلى غروب الشمس يضربون الكوسات ويتعرَّضون للحاجِّ العراقي، وينادون: يا ثارات ابن المُقَدَّم[2]. فأرسلَ ابنُ أبي فراس أباه، وكان شيخاً كبيراً إلى أقسيس، وأخبره بما يجبُ من طاعة الخليفة، وما يلزمه في ذلك من الشَّناعة. فيقال: إنه أَذِنَ في صعود العَلَم قُبيل الغروب. وقيل: لم يأذن.

قال: وبدا من أقسيس في تلك السنة جبروتٌ عظيم، حكى لي شيخُنا

---

(١) ما بين حاصرتين من «مرآة الزمان» (حوادث سنة ٦١٩ هـ).

(٢) كان شمس الدين بن المقدم قد قتل في عرفات سنة (٥٨٣ هـ)، قتله طاشتكين أمير الحاج العراقي وقتئذٍ، انظر «كتاب الروضتين»: ٣/٤٢٣ ـ ٤٢٦.

جمال الدِّين الحصيري، رحمه الله، قال: رأيتُ أقسيس قد صَعِدَ على قُبَّة زمزم، وهو يرمي حَمَام مكَّة بالبُنْدُق. قال: ورأيت غِلْمانه في المسعى يضربون النَّاس بالسيوف في أرجلهم، ويقولون: اسعوا قليلاً قليلاً، فإنَّ السلطان نائمٌ سكران في دار السَّلْطنة التي في المسعى. والدَّمُ يجري من ساقات النَّاس[1].

قلتُ: واستولى أقسيس على مكَّة وأعمالها، وأَذَلَّ المفْسِدين فيها، وشتَّت شَمْلَهم، وهو بنى القُبَّة على مقام إبراهيم عليه السَّلام، وكَثُرَ الجَلَبُ إلى مكَّة من مِصْر واليمن في أيامه، فَرَخُصَتِ الأسعار، ولعِظَمِ هيبته قَلَّتِ الأشرار، وأمِنَتِ الطُّرُق والدِّيار.

وفيها نُقِلَ تابوتُ العادل بن أيوب من قلعة دمشق إلى تُرْبته المقابلة لدار العقيقي؛ أخرجوا جِنازَتَه من القلعة، والتابوتُ مُغَشى بمرقعة، وأربابُ الدولة حوله، ومَرُّوا به على دار الحديث إلى باب البريد إلى الجامع، ووُضِعَ في صحن الجامع قُبَالة حائط النَّسْر، وصُلِّي عليه هناك، وأمَّهم في الصَّلاة عليه خطيبُ الجامع جمالُ الدِّين الدَّوْلعي، ثم حملوا الجِنازة، وخرجوا بها من باب النَّاطفانيين شمالي الجامع خوفاً من زحمة النَّاس في الطُّرق، ولم يصل إلى تربته إلا بعد جُهْدٍ لضيق السِّكك، وبقي القُرَّاء والفُقَهاء يتردَّدون إلى التربة غُدْوةً وعَشِيَّة كلَّ يوم يقرؤون القرآن إلى أن رُتِّبَ الوَقْفُ عليها، وعُيِّنَ لها قُرَّاء مخصوصون، ولم تكن المدرسة كملت عِمارَتُها.

وألقى الدَّرس فيها في هذه السنة القاضي جمال الدين المِصْري، وحَضَرَ دَرْسَه أعيانُ الشُّيوخ والقُضَاة والفقهاء، وحضر السُّلْطان الملك المُعَظَّم عيسى بن العادل، وتكلَّم في الدَّرْس مع الجماعة، وكان الاجتماعُ بإيوان المدرسة، وجلس عن يمين السُّلْطان إلى جانبه شيخُ الحنفية جمال الدين الحَصِيْري، ويليه شيخ الشَّافعية شيخُنا فخر الدِّين ابن عساكر، ثم القاضي

(١) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦١٩ هـ).

شمس الدين ابن الشِّيرازي، ثم القاضي محيي الدِّين يحيى بن الزكي. وجلس عن يسار السُّلْطان إلى جانبه مدرِّس المدرسة قاضي القُضَاة جمال الدين المِصْري، وإلى جانبه شيخُنا سيف الدين الآمِدِي، ثم القاضي شمس الدِّين ١٣٣ يحيى بن سني الدولة، ثم القاضي نجم الدين خليل قاضي العسكر، ودارت حَلْقةٌ صغيرة والنَّاس وراءهم متصلون مِلْءَ الإيوان، وكان في دور تلك الحلقة أعيانُ المدرسين والفقهاء. وقُبَالةَ السُّلْطان فيها شيخُنا تقي الدين ابن الصَّلاح وغيره، وكان مجلساً جليلاً لم يقع مِثْلُه إلا في سنة ثلاثٍ وعشرين وست مئة كما سيأتي[١]، ولكن كان قد فُقِدَ من الشُّيوخ الشَّافعية أجلُّهم وأكبرهم فخرُ الدِّين ابنُ عساكر، رحمه الله.

وفيها توفي قُطْبُ الدِّين بن العادل[٢] بالفَيُّوم، ونقل إلى القاهرة[٣].

وفيها توفي إمام الحنابلة بمكة نصر بن أبي الفرج المعروف بابنِ الحُصْري[٤].

---

(١) كأن أبا شامة قد نسي ذلك، فلم يورده في حوادثها.

(٢) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٩ هـ)، التكملة للمنذري: ٣/ ٨٠، مفرج الكروب: ٣/ ٢٧٥، تاريخ الإسلام (ت ٥٩٦، وفيات سنة ٦١٩ هـ)، الوافي بالوفيات: ٧/ ٣٦١، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١٩ هـ)، شفاء القلوب: ٢٧٥، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٥٤، ترويح القلوب: ٤٩، ٥٤.

(٣) في (ك) و(ع) و(س) زيادة: قرأت على عمود قبره بتربة شمس الدولة توران شاه بن أيوب ظاهر القاهرة خارج باب النصر، أنه الملك المفضل قطب الدين أبو العباس أحمد بن الملك العادل بن أيوب، توفي يوم الثلاثاء رابع عشر رجب من السنة المذكورة، رحمه الله تعالى.
قلت: وهذه الزيادة ليست من أبي شامة، وشمس الدولة توران شاه بن أيوب، توفي بالإسكندرية سنة ٥٧٦ هـ، ونقلته شقيقته ست الشام إلى تربتها بدمشق، انظر «كتاب الروضتين»: ٣/ ٦٣ ـ ٦٥ فلعله بنى تربة بالقاهرة، فظلت تحمل اسمه، والله أعلم.

(٤) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٩ هـ)، والتكملة للمنذري: ٣/ ٦٩ ـ ٧٠، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: ٤١٠ ـ ٤١٢، تاريخ الإسلام (ت ٦٤٣، وفيات سنة ٦١٩ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ١٦٣ ـ ١٦٥، معرفة القراء الكبار: ٣/ ١١٧٦ ـ ١١٧٧، العبر للذهبي: ٥/ ٧٧،

أقام بمكة مجاوراً مُدَّة، ثم خَرَجَ إلى اليمن، فمات بالمَهْجَم، ودُفِنَ به. سمع أبا الوقت، وابن البَطِّي، وابن المقرِّب وغيرهم.

قال أبو المُظَفَّر: (١ سمعتُ منه الحديثَ بمكة في سنة أربعٍ وست مئة١)، وكان متعبِّداً لا يفتر من الطَّواف، صالحاً ثِقَةً[٢].

وفيها في ربيع الأول توفي بدمشق الشِّهاب عبدُ الكريم بنُ نجم الدين الحنبلي[٣].

أخو البهاء والنَّاصح، وهو أصغرهم، والبهاء هو الأكبر، بين كلِّ واحدٍ والذي قبلَه في الولادة تسعُ سنين، وكان الشِّهابُ أبرعَهم في الفِقْه والمناظرة والمحاكمات، بصيراً بما يجري عند القضاة في الدعاوي والبينات، لكنَّه كان تعصَّب على شيخنا أبي الحسن في إخراج مسجد الوزير المَزْدقاني من يده، وجَرَتْ أمورٌ ربما نذكر بعضها في ترجمته[٤]، رحم الله الجميع وإيانا، فهو ذو رحمةٍ واسعة.

قلتُ: وفي يوم الثلاثاء ثامن عشري رجب من هذه السنة استقلَّ القاضي جمالُ الدين أبو الفضائل يونس بن بدران بن فيروز الشافعي المعروف بالمِصْري

= المختصر المحتاج إليه: ٣/ ٢١٤ ـ ٢١٥، الوافي بالوفيات: ٢٧/ ٨٤، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١٩ هـ)، ذيل طبقات الحنابلة: ٢/ ١٣٠ ـ ١٣٢، العقد الثمين: ٧/ ٣٣٢ ـ ٣٣٥، غاية النهاية: ٢/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩، توضيح المشتبه: ٣/ ٢٤٥، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٥٣، المقصد الأرشد: ٣/ ٦٧ ـ ٦٨، المنهج الأحمد: ٤/ ١٤٥ ـ ١٤٦، شذرات الذهب: ٥/ ٨٣.

(١ ـ ١) ما بينهما ليس في نسخ «مرآة الزمان» التي بين يدي، وهي مختصر له كما بينتُ في مقدمته.

(٢) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٩ هـ).

(٣) له ترجمة في التكملة للمنذري: ٣/ ٧١، تاريخ الإسلام (ت ٦١٣، وفيات سنة ٦١٩هـ)، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١٩ هـ)، ذيل طبقات الحنابلة: ٢/ ١٣٢ـ١٣٣، المقصد الأرشد: ٢/ ١٩٢، الدارس: ٢/ ٧١، المنهج الأحمد: ٤/ ١٤٧، القلائد الجوهرية: ٢/ ٤٢٧، ٤٦٤ـ٤٦٥، شذرات الذهب: ٥/ ٨٥، وانظر ص ٣٧ من الجزء الثاني.

(٤) آثر أبو شامة الصمت، فلم يذكر في ترجمة السخاوي شيئاً من ذلك.

بالقضاء في دمشق وما معها من البلاد الشَّامية، وصار يدعى قاضي القضاة، وقد تقدَّم ذكره في سنة ست عشرة وست مئة[١].

وفيها توفي المحدِّث أبو طاهر إسماعيل بن عبد الله بن عبد المحسن الأنْماطي[٢] ليلةَ الاثنين ثالث عشر رجب بدمشق، ودُفِنَ من الغد بمقابر الصُّوفية خارج باب النَّصْر، رحمه الله.

ثم دخلت سنة عشرين وست مئة

ففيها عاد الأشرف بن العادل من مِصْر إلى الشَّام قاصداً بلاده بالشرق، والتقاه أخوه المُعَظَّم ملك الشام، وعَرَضَ عليه النزول بالقلعة، فامتنع، ونزل بجوسق أبيه، وبدتِ الوَحْشة بين الإخوة الثلاثة: الكامل والأشرف والمعظم، وأصبح الأشرف في وقت السَّحَر، فساق، ونَزَلَ ضمير، ولم يعلم المُعَظَّم برحيله، وسار يطوي البلاد إلى حَرَّان.

وكان الأشرف قد استناب أخاه شهابَ الدِّين غازي صاحب مَيَّافارقين على خِلاط لما سافر إلى مِصْر، وجَعَلَه وليَّ عهده بعد عينه، ومكَّنه في جميع بلاده، فسوَّلَتْ له نَفْسُه العِصْيان، وأعانه عليه قومٌ آخرون؛ أخوه المُعَظَّم، وابن زين الدِّين صاحب إربل، والمشارقة، وقالوا: نحن من ورائك. ١٣٤

ولـمَّا وصل الأشرف إلى حَرَّان سار إلى سِنْجار، وكَتَب إلى أخيه شهاب الدين غازي يطلبه، فامتنع من المجيء إليه، فكتَبَ إليه: يا أخي، لا تفعل، أنتَ وليُّ عهدي، والبلاد والخزائن بحكمك، فلا تخرب بيتك بيدك، وتسمع كلام الأعداء، فوالله ما ينفعونك. فأظهر العِصْيان، فجمع الأشرفُ عساكر الشَّرْقِ وحلب، وتجهَّز للمسير إلى خِلاط، وكان صاحب حمص قد مال

(١) انظر حاشيتنا رقم ٢ ص ٣٤٦ من هذا الجزء.

(٢) انظر حاشيتنا رقم ٢ ص ٣٤٨ من هذا الجزء.

بالقضاء في دمشق وما معها من البلاد الشَّامية، وصار يدعى قاضي القضاة، وقد تقدَّم ذكره في سنة ست عشرة وست مئة[١].

وفيها توفي المحدِّث أبو طاهر إسماعيل بن عبد الله بن عبد المحسن الأنْماطي[٢] ليلةَ الاثنين ثالث عشر رجب بدمشق، ودُفِنَ من الغد بمقابر الصُّوفية خارج باب النَّصر، رحمه الله.

ثم دخلت سنة عشرين وست مئة

ففيها عاد الأشرف بن العادل من مِصر إلى الشَّام قاصداً بلاده بالشرق، والتقاه أخوه المُعَظَّم ملك الشام، وعَرَضَ عليه النزول بالقلعة، فامتنع، ونزل بجوسق أبيه، وبدتِ الوَحْشة بين الإخوة الثلاثة: الكامل والأشرف والمعظم، وأصبح الأشرف في وقت السَّحَر، فساق، ونَزَلَ ضمير، ولم يعلم المُعَظَّم برحيله، وسار يطوي البلاد إلى حَرَّان.

وكان الأشرف قد استناب أخاه شهابَ الدِّين غازي صاحب مَيَّافارقين على خِلاط لما سافر إلى مِصْر، وجَعَلَه وليَّ عهده بعد عينه، ومكَّنه في جميع بلاده، فسوَّلَتْ له نَفْسُه العِصْيان، وأعانه عليه قومٌ آخرون؛ أخوه المُعَظَّم، وابن زين الدِّين صاحب إربل، والمشارقة، وقالوا: نحن من ورائك. ١٣٤

ولـمَّا وصل الأشرف إلى حَرَّان سار إلى سِنْجار، وكَتَب إلى أخيه شهاب الدين غازي يطلبه، فامتنع من المجيء إليه، فكتَبَ إليه: يا أخي، لا تفعل، أنتَ وليُّ عهدي، والبلاد والخزائن بحكمك، فلا تخرب بيتك بيدك، وتسمع كلام الأعداء، فوالله ما ينفعونك. فأظهر العِصْيان، فجمع الأشرفُ عساكر الشَّرْقِ وحلب، وتجهَّز للمسير إلى خِلاط، وكان صاحب حمص قد مال

(١) انظر حاشيتنا رقم ٢ ص ٣٤٦ من هذا الجزء.

(٢) انظر حاشيتنا رقم ٢ ص ٣٤٨ من هذا الجزء.

إلى الأشرف، فسار المُعَظَّم إلى حِمْص، ووصل إلى حماة، ونزل على نقيرين ـ قرية على بابها ـ باتفاقٍ كان بينه وبين صاحبها، فلم ينزل إليه، ولا فَتَحَ له البابَ، فأقطع بلاد حماة، وعاد إلى حمص، وخرج إليه العسكر، فظهروا عليه، ونهبوا أصحابه، فعاد إلى دمشق، ولم يظفر بطائل.

وفيها حَجَّ بالنَّاس من العراق ابنُ أبي فراس، ومن الشَّام شرف الدين يعقوب صاحب شركس.

وفيها توفيت والدتي رحمها الله، ودَفَنْتُها بالجبل في طريق الكهف، قريب الأماج والمُغُر إلى جانب الوادي، وأرجو أن أدفن عندها، وكانت وفاتُها يوم السبت سادس رجب، وكانت دَيِّنَةً صالحةً، رضي الله عنها.

وفيها توفي الأمير مبارز الدين سُنْقُر الحلبي الصَّلاحي[1]؛ والد الظهير بن سُنْقُر.

قال أبو المظفر: كان مقيماً بحلب، ثم انتقل إلى مارِدِين، فخاف الأشرف منه، فبعث إلى أخيه المُعَظَّم، وقال: ما دام المبارز في الشرق ما آمن على نفسي. فأرسل المعظم ابنه الظَّهيرِ غازي بن سُنْقُر إلى أبيه، وقال: أنا أعطيه نابُلُس وأي شيء أراد. فجاء الظَّهير إلى ماردين، وعَرَّفَ المبارز رغبةَ المعظم فيه، وأنه يقطعه من الشَّام أي شيء أراد. فقال له صاحِبُ مارِدِين: لا تفعل، فهذه خديعة. فأبى، وسار إلى الشَّام في سنة ثماني عشرة، ووصل إلى دمشق، وخرج المعظَّم للقائه ولم يُنْصِفه، وجاء، فنزل في دار شِبْل الدولة الحُسامي التي انتقلت إلى الصُّوفية عند مدرسته بجسركحيل، فأقام بها والمُعَظَّم مُعْرِضٌ عنه، ويُماطله باليوم وغد حتى تفرق عنه أصحابه، وكان معه جُمْلة من المال، والخيل العربية المنسوبة، والجمال، والبغال، والسِّلاح والمماليك شيء كثير، ففرَّق الجميع في الأمراء والأكابر[2].

---

(١) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٠ هـ)، تاريخ الإسلام (ت ٦٦٥، وفيات سنة ٦٢٠هـ)، الوافي بالوفيات: ١٥/ ٤٨٨ ـ ٤٨٩.

(٢) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٠ هـ).

قال: وكان جاري؛ لأني كنتُ مقيماً بتربة بدر الدين حسن على ثورا[١]، وكان يزورني وأزوره، ويشكو إليَّ إعراضَ المُعَظَّم عنه، وما فَعَلَ به ولده الظهير، وكيف خدعه، وأنا أسليه، وأهوِّن عليه، ووَقَعَ لي كتابٌ فيه حديثُ ملوك اليمن، فبينا أنا قاعد أقرؤه، دخل فقال: أيش تقرأ؟ قلتُ: أخبارَ ملوك اليمن. فقال: اقرأ عليَّ. فقرأت فلان الملك عاش ألف سنة ومات بالغَمِّ، وفلان عاش سبع مئة سنة وماتَ بالغَمِّ. وذكرتُ من هذا الجِنْس، فقال: وأنا أموت بالغم. وكان طول النهار يجلس مغموماً مهموماً، وما يفيد فيه العَذْل حتى انقطع أكله، فأقام عشرين يوماً لا يدخل في فِيْه إلا الماء، وماتَ كمداً في شعبان في دار شِبْل الدولة كافور، فقام كافور بأمره أحسنَ قيامٍ، وجهَّزه أجمل جهاز - وكان صديقَه من أيام شمس الدَّوْلة أخي ستّ الشَّام لأبويها، ويقال: إنَّ المبارز كان مملوك شمس الدَّولة - اشترى له كافور تُرْبةً على رأس زقاق شبل الدولة عند المصنع بألف دِرْهم، وحَضَرَ جِنازته خَلْقٌ عظيم لأنه كان مُحْسناً إلى النَّاس، ولم يكن في زمانه من الصَّلاحية وغيرهم أكرم منه ولا أشجع، وكانت له مواقف مشهورة مع صلاح الدين وغيره، ولما مات وجدوا في صندوقه دستوراً فيه جملة ما أنفق في نِعال الخيل؛ وذلك ثمانية عشر ألف دِرْهم، فسألتُ كاتِبَهُ عن ذلك، فقال: ما يتعلَّق هذا بنعال دوابِّه، وإنما كان يستعرض الفرس الثمين بخمس مئة دينار وأكثر، فَيُنْعِلُه أولاً قبل أن يركبه، ثم يركبه، فإن صَلُحَ أعطى صاحبه ثمنه، وخَلَعَ عليه، وإنْ لم يَصْلُحْ أعطى صاحبه مئتي دِرْهم، واعتذر إليه. ١٣٥

قال أبو المظفر: وجَرَتْ عقيبَ ذلك واقعةٌ؛ اعترض بعض الأمراء فرساً وأنعله، ثم ركبه، فلم يصلح، وجاء صاحِبُهُ يطلبه، فقال الأمير لغلامه: اقلع نعاله، وأعطه صاحبه[٢].

---

(١) انظر ص ٣٠٧ من هذا الجزء.

(٢) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٠ هـ).

قال: وما كانت الدُّنيا تساوي عند المبارز قليلاً ولا كثيراً. ولقد حكى لي ابنُ الظَّهير، قال: وَصَلَ مع أبي إلى الشَّام ذَهَبٌ وجمال وخيل وغيرها ما قيمته مئة ألف دينار، ومات وليس له كَفَنٌ، ما كفَّنه إلا شِبْلُ الدَّولة[١].

وفيها توفي عِزُّ الدِّين المُظَفَّر بنُ أسعد بن حمزة التميمي، المعروف بابن القلانسي[٢].

من رؤساء دمشق، وجَدُّه أبو يعلى حمزة هو صاحب ذيل التَّاريخ لملوك الشام إلى آخر زمنه[٣].

سَمِعَ عِزُّ الدين المذكور الحافظَ أبا القاسم ابنَ عساكر وغيره، وكان يصحب الشيخ تاجَ الدِّين الكِنْدِي ملازماً له، وانتفع به، وكان كَيِّساً متواضعاً، وتوفي في شهر رمضان، ودفن بجبل قاسيون.

وفيها توفي محمد بن سَلْمان بن قُتُلْمِش بن تركانشاه، أبو منصور السَّمَرْقَنْدِي[٤].

ولد سنة ثلاثٍ وأربعين وخمس مئة، وبَرَعَ في عِلْم الأدب، وولي حِجْبة الباب للخليفة، ومن شِعْره:

---

(١) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٠هـ).

(٢) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٠ هـ)، تاريخ الإسلام (ت ٧٠٧، وفيات سنة ٦٢٠ هـ).

(٣) هو «مذيل التاريخ الدمشقي» كما سماه أبو شامة في «كتاب الروضتين»: ١/ ٢٨، وقف فيه مؤلفه عند حوادث سنة (٥٥٥ هـ)، وهي سنة وفاته، وقد نشره المستشرق الإيطالي أمدروز، وطبع في بيروت سنة ١٩٠٨ م، ثم أعاد نشره د. سهيل زكار، وطبع في دمشق ١٩٨٣م.

(٤) له ترجمة في معجم الأدباء: ١٨/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦، معجم البلدان: ٤/ ١٨٨، المحمدون من الشعراء للقفطي: ٤٨٧ ـ ٤٨٩، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٠ هـ)، التكملة للمنذري: ٣/ ٩٨، تلخيص مجمع الآداب: ج٤/ ت ٢٣٥٨، تاريخ الإسلام (ت ٦٩٤، وفيات سنة ٦٢٠ هـ)، فوات الوفيات: ٣/ ٣٦٩ ـ ٣٧١، الوافي بالوفيات: ٣/ ١٢٥ ـ ١٢٧، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٢٠ هـ)، بغية الوعاة: ١/ ١١٥ ـ ١١٦، شذرات الذهب: ٥/ ٩٣.

سَئِمْتُ تكاليفَ هذي الحياةِ ... وكَرَّ الصَّباحِ بها والمساءِ

وقد صِرْتُ كالطِّفلِ في عَقْلِهِ ... قليلَ الصَّوابِ كثيرَ الهُرَاءِ

أنامُ إذا كنتُ في مجلسٍ ... وأسْهَرُ عندَ دخولِ الفِنَاءِ

وقَصَّرَ خَطْويَ قَيْدُ المشيبِ ... وطالَ على ما عَنَاني عَنَائي

وغُودِرْتُ كالفَرْخِ في عُشِّهِ ... وخَلَّفْتُ حِلْمي ورائي ورائي

وما جَرَّ ذلك غيرُ البقاءِ ... فكيفَ ترى سوءَ فِعْلِ البقاءِ

وكانت وفاته في ربيع الآخر، ودفن بالشُّونيزية.

وفيها توفي الضِّياء بنُ الزَّرَّاد الدِّمشقي[1].

وكان قارئاً طَيِّبَ النَّغْمة، صَيِّتاً، عالماً بالقراءات، وكان فقيراً؛ سافر من دمشق إلى مَيَّافارقين، واتَّصل بصاحبها شهاب الدِّين بن العادل، وأقام عنده، ثُمَّ اتَّصل بالأشرف بن العادل.

قال أبو المُظَفَّر: واجتمعنا بخِلاط في سنة ثلاث عشرة وست مئة، وكان يتردَّد إلينا، ويقرأ طَيباً صحيحاً، ثم خَلَّط، ودخل معهم فيما هم فيه؛ جاءني يوماً وهو نادِمٌ حزين يبكي، فسألته عن حاله، فقال: البارحة حَضَرْتُ عند الأشرف، وناولني قَدَحاً من الخمر، فامتنعت من شُرْبه والأشرف ساكتٌ ينظر إليَّ، ومازالوا بي حتى شَرِبْتُه، فلمَّا حَصَلَ في جوفي عَضَّ الأشرف على يده بحيث كاد يقطعُ أصابعه، وقال لي: والك[2] فَعَلْتَها! حطَّيت الخمر على مئة وأربع عشرة سورة! والله لو خُيِّرْتُ بين أن أحفظ القرآن كما تحفظه وأدع مُلْكي لاخترتُ حِفْظَ القرآن.

ثم نزلتْ حُرْمَتُهُ بعد ذلك، فكان يدور البلاد على أصحاب القلاع لرسوم

---

(١) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٠ هـ)، تاريخ الإسلام (ت ٦٦٨، وفيات سنة ٦٢٠ هـ).

(٢) انظر حاشيتنا رقم ١ ص ٣٤٠ من هذا الجزء.

كانت له عليهم، فخرج من حَرَّان في هذه السنة قاصداً السويداء، ومعه غِلْمانٌ مُرْدان ثلاثة، فنام في وادٍ وقتَ الظَّهيرة، فقتلوه، وأخذوا خيله وقُمَاشه وماله، وبلغ الحاجب علياً، فأرسل خلفهم، فجيء بهم، فقتلهم[١].

١٣٦

وفيها توفي الشَّرف محمد[٢] بن عُرْوة المَوْصِلي[٣].

المنسوب إليه المشهد بغربي الجامع بدمشق، وإنما نُسِبَ إليه لأنه كان مخزناً فيه آلاتٌ تتعلَّق بالجامع، فعزَّله وبيَّضه، وجَدَّد في قِبْلته المحراب والخزانتين عن يمينه وشماله، ووقف فيها كُتُباً، وجعله دارَ حديثٍ، ووقف على الشيخ المسمع به وعلى السَّامعين وقفاً، وذلك قبل سنة عشرين وست مئة، ثم بعد ذلك أُمر[٤] بجمع الخزائن المفرَّقة في الجامع، فَنُقِلَ ما فيها من الكتب الموقوفة إلى المشهد المذكور، وبُني لها خزائن في شَرْقه وغربه، وجدَّد ابنُ عروة في المشهد المذكور بِركةً على يمين الدَّاخل إليه.

قال أبو المظفر: كان ابنُ عروة مقيماً في القُدْس، ويُدَاخل المعظم وأصحابه ويعاملهم، ويؤذي الفقراء والمشايخ، وخصوصاً الشيخ عبد الله الأرمني، فإنه انتقل عن القدس بسببه، ولما خُرِّب القُدْس نَزَلَ ابنُ عروة إلى دمشق، فأقام بها يسيراً، ومات، فدفن عند قِباب أتابك طُغْتِكِين[٥].

وفيها توفي في المُحَرَّم الشيخ عبد الرحمن اليمني[٦] الذي كان مقيماً في

(١) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٠ هـ).

(٢) في (ب) و(ك) و(ع) بياض، ولعل عروة هو جده لا أبوه.

(٣) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٠ هـ)، تاريخ الإسلام (ت ٦٩٧، وفيات ٦٢٠ هـ)، الوافي بالوفيات: ٤/ ٩٤، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٢٠ هـ)، الدارس: ١/ ٨٢.

(٤) كان ذلك سنة (٦١٧ هـ) أو نحوها، انظر ص ٢٩٠ من هذا الجزء.

(٥) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٠ هـ).

(٦) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٠ هـ)، تاريخ الإسلام (ت ٦٨١، وفيات سنة ٦٢٠هـ)، والصحيح في وفاته سنة (٦٢١ هـ) كما ذكر أبو شامة ص ٣٧٧ من هذا الجزء.

المنارة الشرقية بجامع دمشق، وكان أحد المشايخ القوَّالين للحق عند الملوك وغيرهم، على وجهه أنوارُ الخير، ولقد بلغني أنه سنة خرجتِ الفرنجُ على بلاد المسلمين[١] حَضَرَ عند السلطان العادل بن أيوب للإنكار عليه في عدم حِفْظِ ثغور المسلمين؛ هذا اليمني والشيخان فخر الدين ابن عساكر وجمال الدين الحصيري، فكان هذا اليمنيُّ أبلغَ الجماعة كلاماً في ذلك.

قال أبو المظفر: كان زاهداً ورعاً فاضلاً، منقطعاً عن الناس، وكان العادل يبعث إليه بالمال فلا يقبله، ودفن بمقابر الصُّوفية، رحمه الله تعالى[٢].

وفيها[٣] في ربيع الآخر توفي الشيخ أبو الحسن[٤] الرُّوزبهاري[٥] المدفون خارج باب الفراديس الأول في البُرْج المستجد، رحمه الله[٣].

وفيها فُجِعَ النَّاسُ بوفاة إمامين كبيرين، شيخي مذهبي الشَّافعية والحنابلة عِلْماً وعملاً.

أما شيخُ الشَّافعية فهو فخر الدِّين أبو منصور عبدُ الرحمن بنُ محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين، الدِّمشقي، المعروف بابنِ عساكر[٦]، وليس في أجداده من اسمه عساكر، وإنما هي تسمية اشتهرت في بيتهم، ولعله من قِبَلِ أُمّهات بعضهم.

---

(١) لعله يشير إلى سقوط بيروت سنة (٥٩٣ هـ)، انظر ص ٧٢ من هذا الجزء.

(٢) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٠ هـ).

(٣ ـ ٣) ما بينهما ليس في (ب).

(٤) في الأصل و(ع) بيض المصنف لاسمه.

(٥) له ترجمة في تاريخ الإسلام (ت ٧١٣، وفيات سنة ٦٢٠ هـ) ـ وقال: المدفون بالبرج الذي عن يمين باب الفراديس بالخانكاة الروزبهارية ـ والبداية والنهاية (وفيات سنة ٦٢٠ هـ)، الدارس: ٢/ ١٥٠ ـ ١٥١، منادمة الأطلال: ٢٧٦، وفيهما الروزنهارية ـ بالنون ـ وإخالها تصحيفاً.

(٦) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ٤١٨، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٠ هـ)، التكملة للمنذري: ٣/ ١٠٢ ـ ١٠٣، وفيات الأعيان: ٣/ ١٣٥، تلخيص مجمع الآداب: ٤/ت ٢١٦٢، تاريخ =

وهذا البيت بيتٌ جليل كبير من الدِّمشقيين، كثير الفُضَلاء والحُفَّاظ والأُمناء، جَمَعَ هذا البيت رياسة الدِّين والدُّنيا، وأَجَلُّهم في زمانه ديناً وعِلْماً هذا الفخر ابن عساكر، وفي القرن الذي قبله عَمَّاه الصَّائن هبة الله، والحافظ أبو القاسم، ثم ابنُ عَمِّه الحافظ أبو محمد بن أبي القاسم، وابنه العماد بن القاسم.

وأخو الفخر تاجُ الأمناء أحمد، وزين الأمناء حسن.

وأم الفخر وأخويه أسماء بنتُ محمد بن الحسن بن طاهر القُرَشية المعروف والدها بأبي البركات بن الرَّان؛ وهو الذي جَدَّد عمارة مسجد القَدَم في سنة سبع عشرة وخمس مئة، وبه قبره، وقبر الواعظ أبي الحسن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن الرَّان، وبهذا السبب كان الشيخ الفخر كثيراً ما يكون زائراً بمسجد القَدَم؛ لأن به قبرَ جَدِّه لأمه، وَمَنْ سَلَفَ من بيته، ودُفِنَ به أيضاً أخوه تاج الأُمناء.

وأسماء المذكورة هي أُخت آمنة أم القاضي محيي الدِّين محمد بن علي بن الزكي، فهو ابنُ خالتهم.

اهتمَّ الشيخ فخرُ الدِّين ـ رحمه الله ـ من صِغَره بالعِلْم، فاشتغل بالفِقْه على شيخه قطب الدين مسعود النَّيْسابوري حتى بَرَعَ في ذلك، وانفرد بعِلْم الفتوى حتى كانت الفتاوى ترسل إليه من الأقطار، وكان عند شيخه كالولد، وزوَّجه ابنته، فأولدها ابنا سماه باسم جَدِّه قُطْب الدين مسعود، ولو عاشَ خَلَفَ جَدَّه ووالده؛ لأنه كان مهتماً بالعِلْم وتحصيله، وبَرَّزَ فيه، لكنَّه توفي قبل والده بزمان. ١٣٧

= الإسلام (ت ٦٧٩، وفيات سنة ٦٢٠ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/١٨٧ ـ ١٩٠، العبر للذهبي: ٥/٨٠ ـ ٨١، فوات الوفيات: ٢/٢٨٩ ـ ٢٩٠، الوافي بالوفيات: ١٨/٢٣٥، طبقات الشافعية للسبكي: ٨/١٧٧ ـ ١٨٧، طبقات الشافعية للإسنوي: ٢/٢١٩ ـ ٢٢٠، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٢٠ هـ)، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: ٢/٦٧، النجوم الزاهرة: ٦/٢٥٦، الدارس: ١/٨٢ ـ ٨٥، الأنس الجليل: ٢/١٠٣ ـ ١٠٤، شذرات الذهب: ٥/٩٢ ـ ٩٣.

ودرَّس فخرُ الدِّين مكان قُطْب الدِّين بالمدرسة الجاروخية، وبنى لها قاعتين، إحداهما التي كان هو ساكناً بها، وبها توفي، وهي التي لها باب في الحائط الغربي من إيوان المدرسة. والأخرى لزيقها، بابُها من الزُّقاق لزيقُ باب المدرسة، كان يسكنها ولده المتوفَّى، ووقفهما بعد نَسْله على المدرسة.

ثم تولَّى التدريس بمدرسة القُدْس النَّاصرية، فكان يقيم بدمشق أشهراً وبالقُدْس أشهراً، ويطوف تلك الزِّيارات بالأرض المقدسة إلى عسقلان ونحوها.

ثم ولاه العادل بن أيوب التَّدريس بالمدرسة التقوية، فكان عنده بها فضلاء الوقت من الفقهاء لجلالته، حتى كانت تسمَّى نِظامية الشَّام، وكان إذ فَرَغَ من التدريس يظلُّ بجامع دمشق في البيت الصَّغير بمقصورة الصحابة يخلو فيه للعبادة، ومطالعة الكُتُب والفتاوى، ومتى احتاج إلى الطهارة خَرَجَ منه إلى المئذنة الشَّرقية، فقضى حاجته بمكان الطَّهارة المجدَّد بها خارج حائطها القِبْلي، وبها الماءُ الجاري، ثم يرجع إلى مكانه، والنَّاسُ منعكفون عليه، منتفعون به، ولا يُمَلُّ من النَّظر إليه لحُسْنِ سَمْته، واقتصاده في لباسه، ولُطْفه، ونورِ وجهه، وكان لا يخلو لسانه مِنْ ذكر الله تعالى في قيامه وقعوده ومشيه، وكان يحضُرُ تحت النَّسْر بالجامع بعد العَصْر في كل يوم اثنين ويوم خميس لسماع الحديث عليه، وهو المكان الذي كان يجلس فيه عَمُّه الحافظ أبو القاسم إلى أن توفي، ثم ابنه الحافظ أبو محمد إلى أن توفي، ثم ابنه العماد علي إلى أن سافر إلى العراق وخُرَاسان، فكان الشيخ الفخر يجلس فيه بعده، وثَمَّ سمعتُ عليه معظم كتاب «دلائل النبوة» للحافظ أبي بكر البهقي[(١] وغيره، وكان ـ رحمه الله ـ رقيقَ القلب، سريعَ الدَّمعة[١)]، فكنتُ أشاهده في أثناء قراءة تلك الأحاديث عليه يبكي عند سماع ما يتلى منها، ويردِّدُ مواضعَ المواعظ منها، نحو الشِّعْر المنسوبِ إلى قُسِّ بنِ ساعدة:

(١ ـ ١) ما بينهما ليس في الأصل، والمثبت من بقية النسخ.

فـي الـذَّاهـبـيـنَ الأوَّلـيـنَ مِـنَ الـقُـرونِ لـنـا بـصـائِـرْ
لـمَّـا رأيـتُ مـوارداً لـلـموتِ لـيس لـهـا مَـصَـادِرْ
ورأيـتُ قـومـي بـعـدَهـا تـمـضـي الأصـاغِـرُ والأكـابِـرْ
أيـقـنـتُ أنـي لا مـحـالـةَ حـيـثُ صـارَ الـقَـوْمُ صـائِـرْ

فكان ـ رحمه الله ـ يردِّدُها ويبكي.

سألته مسائل من الفقه، وكتبتُ إليه أبياتاً أطلب منه فيها إجازةَ روايةِ ما يجوز له وعنه روايته، وذلك في سنةِ ستَّ عشرة وست مئة، فأجابني أيضاً نظماً بثلاثة أبياتٍ، وجدتُ بَرَكة دعائه لي فيها، وما أعلمه فَعَلَ ذلك مع غيري، وكتبها بخطِّه، وهي:

أَجَزْتُ له قَوْلي وفَّقَ اللهُ قَصْدَهُ[1] وأسْعَدَه بالعِلْم يَوْمَ مَعَادِهِ
روايةَ ما أرويه عن كلِّ عالمٍ بصيرٍ بما فيه طريقَ سَدَادِهِ
فهنَّاه ربي بالعُلُومِ وجَمْعِها وبلَّغه فيها سَنيَّ مُرَادِهِ

وكان يُسْمِعُ الحديث أيضاً بدار الحديث النُّورية، وبمشهد ابن عروة أوَّل ما فُتِحَ.

وكان السلطان العادل أبو بكر بن أيوب لما عَزَلَ القاضي زكي الدِّين الطَّاهر بن محيي الدِّين عن قضاء دمشق أرسل إليه أن يتولَّاه، فأبى، فطلب حضوره عنده ليلاً، فجاء، فالتقاه، وأقعده إلى جانبه، فجلس محتبياً مستوفزاً، فأُحضر الطَّعام، فلم يَمُدَّ يدَه إليه، ولم يأكل منه شيئاً، فسأله أن يتولَّى القضاء، وكثَّر عليه من القول في ذلك، فقال: حتى استخير الله تعالى. فأخبرني من كان ١٣٨

(١) في هذا الشطر خلل في الوزن، والله أعلم، ويبدو أنه خلل قديم، فقد جاء في نسخة المتحف البريطاني في التأليف الأول لهذا الكتاب: أجزت له وفق الله قصده، ووضعت ضبة فوق «له»، وذكر فيها: وفي البيت الأول زحاف، انظر ص ٢٥ من مقدمة هذا الكتاب.

معه ملازماً له، قال: فلمَّا رجع إلى بيته جدَّد الوضوء، ووقف يصلِّي ويتضرَّعُ ويبكي إلى الفجر، فلمَّا أصبح خَرَجَ إلى الجامع، فصَلَّى الصُّبْح بالكلاسة، ثم مضى إلى مقصورة الصَّحابة، فصلى بها على عادته، ثم دخل بيته الصَّغير الذي في الحائط.

وهو الباب الذي كان يخرج منه خُلَفاء بني أميَّة وأمراؤها إلى الصَّلاة من لدن معاوية بن أبي سفيان إلى زمن الوليد بن عبد الملك بن مروان، فلما أخذ الوليد من النَّصارى جهتهم الغربية، وبنى القُبَّة والنَّسْر جَعَلَ المحراب في وسط ذلك، فهو الذي بمقصورة الخطابة اليوم. والباب الأصغر فيها الذي بين المحراب وخزانة مُصْحَف عثمان ـ رضي الله عنه ـ هو الباب الذي كان يخرج منه الوليد، ومَنْ بعده من الخلفاء والأمراء إلى الصَّلاة بالنَّاس، وأما الباب الكبير الخارج عن المقصورة الذي يخرج منه الخطباء، فهو كان لعموم الدَّاخلين إلى دار الخلافة بالخضراء لمن يؤذن لهم في ذلك من جهة الجامع، وقد بيَّنَّا ذلك أيضاً في مختصرنا لتاريخ دمشق.

فلما استقرَّ الشيخ بذلك البيت جَلَسَ يذكر الله تعالى، فلما طلعتِ الشَّمْسُ إذا رُسُلُ السُّلْطان قد جاؤوا في كَشْفِ ما فارقهم الشيخ عليه: الجمال المِصْري، والنَّجْم خليل وغيرهما، فرَدَّهم، وأَصَرَّ على الامتناع، وأشار بتولية الشيخ جمال الدِّين بن الحَرَسْتاني، فَوُلِّي، وكان قد خافَ أن يتأذَّى من جهة السلطان[1]، فجهَّز أهله للسَّفَر، وخرجت المحاير[2] إلى ناحية حلب، فَرَدَّها العادل، وعَزَّ عليه ما جرى، فقيل له: احمُدِ الله تعالى أنَّ في بلادك وفي

---

(١) في النسخ الخطية ما عدا الأصل: السلطنة.

(٢) المحاير: هي ما يصنع من الخشب على صفة السرير تحمل على ظهر الجمل حين السفر، وتسمى الواحدة «محارة»، وهي شقتان، كل شقة بطرف، وقد بقيت تستعمل حتى زمن متأخر، انظر «قاموس الصناعات الشامية»: للقاسمي: ٤٢٠، وانظر ص ١٧٨ من الجزء الثاني.

زمانك من امتنع من ولاية القضاء، واختار الخروج من بلده على التولية ديناً وزُهْداً.

وكان ـ رحمه الله ـ كثيراً إذا قام من الليل يؤذِّن للفجر بنفسه، كان في مدرسته أو خارج البلد من بُسْتانٍ وغيره.

وبلغني أنه كان لا يأكل وحدَه، وإذا قُدِّمَ له غداؤه استدعى من أهل المدرسة ممن حَضَرَ مَنْ يأكل معه.

وكان يتورَّع من المرور في رواق الجامع الذي فيه حَلْقة الحنابلة خوفاً من أن يأثموا بالوقيعة فيه؛ وذلك أنَّ الجُهَّال منهم والعوام كانوا يبغضون شيوخ بني عساكر، لأنهم كانوا أعيان الشَّافعية الأشعرية، فكان إذا جاء إلى الجامع من ناحية باب البريد يمرُّ في صحن الجامع أو في الرواق الأوسط إلى المقصورة، وكذا إذا خرج من المقصورة، أو قام من إسماع الحديث تحت النَّسْر ينعطف ويخرج من باب البرادة، ويقول لمن يسأله عن ذلك: يا ولدي، أخاف أن يأثموا بسببي.

وبلغني عنه أنه كان يقول: مَنْ طَلَبَ من غيره مالا يعطيه من نَفْسه فهو داخل في جملة المطفِّفين الذين إذا اكتالوا على النَّاس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون. وهذا كلامٌ في غاية الجودة.

وكان السلطان العادل لما أمر ببناء مدرسته المشهورة قد عَزَمَ على أنها تكون للشيخ الفَخْر، فاتَّفق أنَّ العادل توفي قبل كمال عمارتها، وكان ابنه المُعَظَّم حنفيَّ المذهب، وكان في نفسه من الشيخ الفخر لما أنكر عليه إظهار الخمور وتضمينَها[1]، فتركه حتى حَجَّ في ولايته[2]، فأخذ منه المدرسة التَّقوية، وأُخذت منه قبل ذلك النَّاصرية التي بالقدس، ولم يبقَ بيده إلا المدرسة

---

(١) كان ذلك سنة (٦١٥ هـ)، انظر ص ٣٠٨ من هذا الجزء.

(٢) كان ذلك سنة (٦١٧ هـ)، انظر ص ٣٣٢ من هذا الجزء.

الجاروخية على قِلَّة جاريها، ونَزْر ما فيها، ثم لما تكاملتِ المدرسةُ العادلية[١]، فوَّضها إلى قاضيه الجمال المِصْري وتركه، فسبحان مَنْ جعل فيه أفضل أسوة وعمدة، لمن ظُلِمَ من المشايخ والفضلاء بعده.

قال أبو المظفر سِبْط ابن الجوزي: ولد فخر الدين في سنة خمسين وخمس مئة، وكان زاهداً، عابداً، ورعاً، منقطعاً إلى العِلْم والعبادة، شيخاً[٢] حَسَنَ الأخلاق، قليلَ الرَّغْبة في الدُّنيا، وكانت وفاته يوم الأربعاء عاشر رجب، ودفن على الشَّرَف القِبْلي عند مقابر الصُّوفية، وكانت له جِنازة عظيمة، وقبره ظاهرٌ يزار، وصَلَّى عليه الملك العزيز بنُ العادل، ولم يتخلَّف عن جنازته إلا القليل، سمع عَمَّيه أبا القاسم الحافظ، والصائن هبة الله، والقُطب النَّيسابوري، وغيرهم. ١٣٩

قلتُ: أخبرني مَنْ حَضَرَ وفاته، قال: صَلَّى الظُّهْر يوم توفي، ثم جعل يسأل عن العَصْر، فقيل له: لم يقرب وقتُها. فدعا بماءٍ، فتوضأ، ثم تشهد وهو جالس، وقال: رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمَّدٍ ﷺ نبياً، لقنني الله حُجَّتي، وأقال عَثْرتي، ورَحِم غُرْبتي، وآنس وَحْدَتي، ثم قال: وعليكم السَّلام. فعلمنا أنه حضرته الملائكة حينئذٍ، وسلَّموا عليه، ثم انقلبَ على قفاه عقيبَ قوله: وعليكم السلام ميّتاً، رحمه الله تعالى.

وغَسَّله فخرُ الدِّين بنُ المالكي، ومعه ابنُ أخيه عبد الوهَّاب بن زين الأمناء وغيره، وكان قد اجتهدَ في مرضه في تملُّك المكان الذي دُفن فيه من مستحقيه، وحُفِرَ له القبر وهو حيٌّ، وكان مرضه بالإسهال، وكانت وفاته آخر يوم الأربعاء عاشر شهر رجب، واحتشد النَّاس من الغد لجنازته، وخَرَجوا به من المدرسة الجاروخية على باب البريد إلى الجامع، وإذا النَّاسُ في الجامع كهيئتهم يوم

---

(١) كان ذلك سنة (٦١٩ هـ)، انظر ص ٣٥١ من هذا الجزء.

(٢) كذا في النسخ الخطية، وفي «مرآة الزمان» (وفيات سنة ٦٢٠ هـ): سخياً.

الجمعة، فوضعت الجِنازة ملاصقةً للحائط القِبْلي قُرْب اللازوردة[1]، وتقدَّم للصَّلاة عليه أخوه لأبويه أبو البركات الحسن بن محمد بن هِبَة الله المعروف بزين الأمناء، ثم خرجوا بالجِنازة إلى ناحية الميدان الأخضر بالشَّرف القِبْلي، وقد امتلأتِ الطُّرُق بالنَّاس، وَمَنِ الذي قدر على الوصول إلى حمل سريره! ولولا الأمير عِزُّ الدين أيبك صاحب صَرْخد أستاذ دار المُعَظَّم مع أصحابه وأجناد الملك العزيز ابن العادل دائرين حول سريره بالدَّبابيس والعصي يمنعون النَّاسَ من قُرْبه لتعذَّرَ وصولُه إلى حُفْرته في يومه، وقَبْرُه على يسار المار مغرِّباً في طريق الشرف القبلي مقابل لرأس الميدان الأخضر قبل الوصول إلى قبر شيخه قُطْب الدِّين مسعود النَّيسابوري بقليل، وجُعِلَ على قبره بلاطة فيه اسمهُ وتاريخُ وفاته، يقرؤها مَنْ كان خارج الشُّبَّاك، رحمه الله تعالى.

وأما شيخُ الحنابلة فهو أبو محمد، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قُدَامة، المَقْدِسي[2]، الملقَّب بموفَّق الدِّين، أخو الشيخ أبي عمر[3].

كان إماماً من أئمة المسلمين، وعَلَماً من أعلام الدِّين في العلم والعمل، صنَّف كتباً كثيرةً حِساناً في الفقه وغيره، ولكنْ كلامُهُ فيما يتعلق بالعقائد في

(١) كانت عن يمين باب الخطابة، انظر ص ٢٠٢ من الجزء الثاني.

(٢) له ترجمة في معجم البلدان: ٢/ ١٦٠، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٠ هـ)، التكملة للمنذري: ٣/ ١٠٧، مشيخة ابن البخاري: ٣٢٧ ـ ٣٤٤، تاريخ الإسلام (ت ٦٦٩، وفيات سنة ٦٢٠هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ١٦٥ ـ ١٧٣، العبر للذهبي: ٥/ ٧٩ ـ ٨٠، المختصر المحتاج إليه: ٢/ ١٣٤ ـ ١٣٥، فوات الوفيات: ٢/ ١٥٨ ـ ١٥٩، الوافي بالوفيات: ١٧/ ٣٧ ـ ٣٩، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٢٠ هـ)، ذيل طبقات الحنابلة: ٢/ ١٣٣ ـ ١٤٩، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٥٦، المقصد الأرشد: ٢/ ١٥، المنهج الأحمد: ٤/ ١٤٨ ـ ١٦٥، القلائد الجوهرية: ٢/ ٣٤٠ ـ ٣٤٤، شذرات الذهب: ٥/ ٨٨ ـ ٩٢.

وللدكتور عبد العزيز بن عبد الرحمن السعيد كتاب «ابن قدامة وآثاره الأصولية»، نشرته جامعة الإمام محمد بن سعود ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩ م.

(٣) وقد حضر معركة حطين مع صلاح الدين، انظر «كتاب الروضتين»: ٣/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨.

مسائل الصِّفات والكلام هو على الطَّريقة المشهورة عن أهل مذهبه، فسبحان مَنْ لم يوضِّحِ الأمرَ له فيها، على جلالته في العِلْم، ومعرفته بمعاني الأخبار والآثار.

وسمعتُ عليه «مسند الإمام الشَّافعي» رحمه الله، وفاتني منه نحو ورقتين عند باب استقبال القِبْلة بسماعه من أبي زُرْعة، وسمعتُ عليه كتاب «النصيحة» لابنِ شاهين، وغير ذلك.

١٤٠ ومولده في شعبان سنة إحدى وأربعين وخمس مئة بأرض نابُلُس، ووَهِمَ ابنُ الدُّبيثي في ذِكْر مولده[1]، وقال: سمع ببغداد سَعْد الله بن نَصْر بن الدَّجاجي، وأبا الفضل أحمد بن صالح بن شافع، وأبا الحسن علي بن عبد الله بن تاج القُرَّاء، والكاتبة شُهْدَة، وغيرهم، وحصَّل طرفاً صالحاً من الفِقْه والأصول، وعاد إلى دمشق، وتوفَّر على الاشتغال بالفِقْه وتدريسه، وحدَّث بشيء من مسموعاته.

قال أبو المُظَفَّر: ولد في شعبان سنة إحدى وأربعين وخمس مئة، وسافَرَ إلى بغداد مرَّتين، إحداهما مع الحافظ عبد الغني سنة إحدى وستين، والأخرى: سنة سبعٍ وستين، وحَجَّ سنة ثلاثٍ وسبعين، وسمع خلقاً كثيراً، وتفقَّه على مذهب الإمام أحمد، وعاد إلى دمشق، وكان إماماً في فنونٍ، ولم يكن في زمانه بعد أخيه أبي عمر والعماد أزهدَ ولا أورع منه، وكان كثيرَ الحَيَاء، عَزُوفاً عن الدُّنيا وأهلها، هيِّناً ليناً متواضعاً، محباً للمساكين، حَسَنَ الأخلاق، جَوَاداً سخيّاً، مَنْ رآه كأنَّما رأى بعضَ الصَّحابة، وكأنَّ النورَ يخرجُ من وَجْهه، كثيرَ العبادة، يقرأُ كل يوم وليلة سُبْعاً من القُرْآن، ولا يصلِّي ركعتي

---

(١) الوهم الذي يشير إليه أبو شامة هو قول ابن الدبيثي في ترجمته: الدمشقي المولد، وانظر «المختصر المحتاج إليه»: ٢/ ١٣٤ ـ ١٣٥.

السُّنَّة في الغالب إلا في بيته اتِّباعاً للسُّنَّة، وكان يحضرُ مجالسي دائماً في جامع دمشق وقاسيون[١].

وحكى أبو عبد الله بن فَضْل الأعناكي، قال: قلتُ في نفسي: لو كان لي قُدْرة لبنيت للموفَّق مدرسةً، وأعطيته كل يوم ألف دِرْهم، قال: ثم جئتُ بعد أيام، فسلَّمْتُ عليه، فنظر إليَّ وتبسَّم، وقال: إذا نوى الشخص نيةً كُتِبَ له أجْرُها[٢].

وحكى أبو الحسن عليُّ بن حَمْدان الجرائحي، قال: كنتُ أُبغض الحنابلة لما شاع عنهم من سوء الاعتقاد، فمرضتُ مرضاً شنَّج أعضائي، وأقمتُ سبعة عشر يوماً لا أتحرَّك، وتمنيتُ الموت، فلمَّا كان وقت العشاء جاءني الموفق، وقرأ عليَّ آياتٍ ورقاني، وقال: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[٣] ومَسَحَ على ظهري، فأحسستُ بالعافية، وقام. فقلتُ يا جارية: افتحي له الباب. فقال: أنا أروح مِنْ حيثُ جئت. وغابَ عن عيني، فَقُمْتُ من ساعتي إلى بيت الوضوء، فلما أصبحتُ دخلتُ الجامع، فصليتُ الفَجْر خَلْفَ الموفَّق، وصافحته، فَعَصَر يدي، وقال: احذر أن تقول شيئاً. فقلتُ: أقول، وأقول[٤].

وقال قوَّام جامعِ دمشق: كان ليلةَ يبيتُ بالجامع تُفْتَحُ له الأبوابُ فيخرج، ويعود فَتُغْلَق على حالها[٥].

قلتُ: كان الموفَّق بعد موت أخيه أبي عمر هو الذي يؤم بالجامع

(١) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٠ هـ).

(٢) المصدر السالف.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

(٤) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٠ هـ).

(٥) المصدر السالف.

المُظَفَّري، ويخطُبُ يومَ الجمعة إذا حَضَرَ، فإنْ لم يحضُر، فابنُهُ عبدُ الله بنُ أبي عمر هو الخطيبُ والإمام، وأما في محرابِ الحنابلة بجامع دمشق فيصلِّي فيه الموفَّق إذا كان في البلد، وإذا مضى إلى الجبل صَلَّى العماد أخو عبد الغني، وبعد موتِ العماد كان يصلِّي فيه أبو سليمان عبد الرحمن بن الحافظ عبد الغني ما لم يحضُرِ الموفَّق، وكان بين العِشاءين يتنفَّل حذاءَ المحراب، وجاءه مرَّةً الملكُ العزيز بن العادل يزوره، فصادفه يصلي، فجلس بالقُرْب منه إلى أن فَرَغَ من صلاته، ثم اجتمع به، ولم يتجوَّز في صلاته، وكان إذا فَرَغَ من صلاة العشاء الآخرة يمضي إلى منزله بدرب الدَّوْلعي بالرَّصيف، ويمضي معه من فقراء الحَلْقة من قَدَّره الله تعالى، فيقدِّمُ لهم ما تيسَّر يأكلونه معه.

ومن أظرف ما حُكي لي عنه أنه كان يجعل في عِمامته ورقةً مصرورة فيها رمل؛ يُرَمِّلُ به ما يكتُبُه للنَّاس من الفتاوى والإجازات وغيرها، فاتُّفقَ ليلاً خُطِفَتْ عِمامَتُهُ، فقال لخاطفها: يا أخي، خُذْ من العِمامة الورقةَ المصرورة بما فيها، وَرُدَّ العِمامة أغطي بها رأسي، وأنت في أوسع الحِلِّ مما في الورقة. فَظَنَّ الخاطِفُ أنَّها فِضَّة، ورآها ثقيلةً، فأخذَها وَرَدَّ العمامة، وكانت صغيرةً عتيقة، فرأى أَخْذَ الورقة خيراً منها بدرجات، فخلَّصَ الشيخُ عمامته بهذا الوجه اللطيف.

١٤١ وكانت وفاتُهُ يوم السبت يوم عيد الفطر أول شوال، ودفن من الغد بجبل قاسيون خلف الجامع المُظَفَّري في مقبرتهم المشهورة، وكانت له أيضاً جِنازةٌ عظيمة ذات جَمْعٍ وافر؛ امتدَّ النَّاسُ في طُرُقِ الجبل، فملؤوها.

قال أبو المُظَفَّر: حكى إسماعيل بنُ حماد الكاتب البغدادي، قال: رأيتُ ليلة عيد الفطر كأنَّ مُصْحَف عثمان ـ رضي الله عنه ـ قد رُفِعَ من جامع دمشق إلى السماء، فلحقني غَمٌّ شديد، فتوفي الموفَّق يوم العيد[١].

---

(١) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٠ هـ).

قال: ورأى أحمد بن سَعْد؛ أخو محمد بن سَعْد الكاتب المقدسي، قال: وكان أحمد من الصَّالحين، قال: رأيتُ ليلة العيد ملائكة ينزلون من السماء جُمْلَةً، وقائلٌ يقول: انزلوا بالنوبة. فقلت: ما هذا؟ قال: يتلقَّون روح الموفق الطَّيِّبة في الجسد الطَّيِّب[1].

قال: وقال عبدُ الرحمن بن محمد العَلَوي: رأيتُ كأنَّ النبيَّ ﷺ ماتَ وقُبِرَ بقاسيون يوم عيد الفطر، قال: وكُنَّا بجبل بني هلال، فرأينا على قاسيون ليلة العيد ضوءاً عظيماً، فظننَّا أن دمشق قد احترقت، وخَرَجَ أهلُ القرية ينظرون إليه، فوصل الخبر بوفاة الموفَّق يوم العيد، ودفن بقاسيون[2].

وقال: وكانت وفاته بدمشق، وحُمِلَ إلى قاسيون، وكان له جَمْعٌ عظيم، سمع الشيخ عبد القادر، وأبا الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سَلْمان، وأبا زُرْعة طاهر بن محمد بن طاهر المَقْدِسي، وأبا بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن النَّقُّور، وأبا محمد ابن الخَشَّاب، وجَدِّي - يعني أبا الفَرَج بنَ الجوزي - وغيرهم ببغداد. وسمع بمكة أبا محمد المبارك بن الطَّبَّاخ، وبالمَوْصِل أبا الفَضْل عبد الله بن أحمد الطُّوسي الخطيب. وبدمشق والده أحمد، وأبا المكارم عبد الواحد بن المسلم بن هلال، وأبا المَعَالي عبدَ الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن صابر السُّلَمي، وخَلْقاً كثيراً[3].

وأنشدني لنفسه، رحمه الله:

أبعدَ بياضِ الشَّعْرِ أعْمُرُ مَسْكَناً ... سوى القَبْرِ إني إنْ فَعَلْتُ لأَحْمَقُ
يُخَبِّرُني شَيْبي بأنِّيَ مَيِّتٌ ... وَشِيْكاً وينعاني إليَّ فَيَصْدُقُ
تخرَّقَ عُمْري كلَّ يومٍ وليلةٍ ... فهل مستطيعٌ رَفْوَ ما يتخرَّقُ

(١) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٠هـ).

(٢) المصدر السالف.

(٣) المصدر السالف، وقد اختصر فيه أسماء بعض شيوخه.

كأنّي بجسمي فوق نَعْشي مُمَدَّداً فمِنْ ساكتٍ أو مُعْوِلٍ يتحرَّقُ
إذا سألوا عنّي أجابوا وأعْوَلُوا وأدْمُعُهُمْ تَنْهَلُّ هذا المُوَفَّقُ
وغُيِّبْتُ في صَدْعٍ من الأرضِ ضَيِّقٍ وأُوْدِعْتُ لَحْداً فَوْقَهُ الصَّخْرُ مُطْبِقُ
ويحثو عليَّ التُّرْبَ أوْثَقُ صاحِبٍ ويُسْلِمُني للقَبْرِ مَنْ هو مُشْفِقُ
فيا رَبِّ كنْ لي مُؤنساً يومَ وَحْشَتي فإنّي بما أنْزَلْتَهُ لمصدِّقُ
وما ضَرَّني أني إلى الله صائِرٌ ومَنْ هُوَ مِنْ أهلي أبَرُّ وأَوْثَقُ[1]

قال: وكان له أولاد: أبو الفَضْل محمد، وأبو العِزّ يحيى، وأبو المجد عيسى، ماتوا كلُّهم في حياته، ولم أدرك منهم غير عيسى، وكان من الصَّالحين، وأُمُّ الجميع مريم بنت أبي بكر بن عبد الله بن سَعْد المقدسي، وكان له منها بنات: صفية، وفاطمة، ولم يُعْقِبْ من ولد الموفَّق سوى عيسى، خلَّف ولدين صالحين، وماتا، وانقطع عَقِبه[2].

قلت: ونقلت من خطِّه، رحمة الله عليه:

لا تَجْلِسَنَّ بباب مَنْ يأبى عليكَ دخولَ دارهْ
١٤٢ وتقولُ حاجاتي إليـ ـه يَعُوقُها إنْ لم أدارهْ
واتركْهُ واقْصِدْ رَبَّها تُقْضى وَرَبُّ الدَّارِ كارهْ[3]

(١) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٠هـ)، وفيه: أبر وأشفق.

(٢) المصدر السالف.

(٣) الأبيات للشاعر مَجْبَر بن محمد الصِّقِلّي، طرأ على مصر وأقام فيها، وكان له ديوان كبير فيه بضعة عشر ألف بيت، توفي قبل الأربعين والخمس مئة، وقد أوقفني على ترجمته صديقي المحقق الثبت الشيخ محمد نعيم العرقسوسي، حفظه الله ورعاه، وانظر ترجمته في «خريدة القصر» قسم شعراء مصر: ٢/ ٨٢ ـ ٨٩ والأبيات فيه، والوافي بالوفيات: ٢٥/ ١٣٨ ـ ١٤١، وتوضيح المشتبه: ٨/ ٥١.

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وست مئة

ففيها استردَّ الملكُ الأشرف خِلاط من أخيه شهاب الدِّين غازي، وسلَّمها إلى مملوكه أيبك، وإلى الحاجب علي، ونَزَلَ غازي إلى مَيَّافارقين.

وفيها ظهر جلال الدِّين خُوارَزْم شاه في أذربيجان، واستولى عليها، فبعثَ إليه الملكُ المُعَظَّم عيسى رجلاً صوفياً من خانقاه السُّمَيْساطي يقال له الملقّ في رسالةٍ، واتَّفَقَ المُعَظَّم ومظفر الدِّين بن زين الدين صاحب إربل مع الخُوارَزْمي على الأشرف، وبعث المعظَّم ولده النَّاصر داود إلى ابن زين الدِّين رهينةً، وعَبَرَ الفرات عند الحديثة، ومضى إلى إربل.

وفيها استولى بدرُ الدِّين لؤلؤ على المَوْصِل، وأظهر أنَّ محمودَ بنَ القاهر قد مات، وكان قد أمر بخنقه كما سبق ذكره[1].

وفيها بنى الملكُ الكاملُ دارَ الحديث التي بين القَصْرين بالقاهرة، وجعلها بيد الشيخ الحافظ أبي الخَطَّاب ابن دِحْية، وقد اجتمعتُ به فيها في سنة ثمانٍ وعشرين كما سنذكره[2].

وفيها قَدِمَ الملكُ المسعود أقسيس من اليمن على أبيه الكامل بالقاهرة، طامعاً في أخذ الشَّام من عَمِّه المعظَّم، وكان معه من الهدايا شيءٌ عظيم؛ من جُمْلة ذلك ثلاثة من الفيلة، أحدهما كبير، ويدعى بالملك، وعليه مِحَفَّة بدرابزين يقعد فيها عشرة أنفس، وفيَّالُهُ راكبٌ على رقبته، وبيده كُلَّاب حديدٌ يضربه به كيفما أراد. وخَرَجَ الكامل للقاء ولده، فلمَّا قَرُبَتِ الفيلةُ من الكامل أَمَره سُوَّاسُها، فوضعَتْ رؤوسها على الأرض بين يدي الكامل خدمةً له، وكان في الهدية مئتا خادم، وأحمال عود، ونَدٌّ ومِسْكٌ وعَنْبر، وتُحَف اليمن.

---

(١) انظر ص٣١٠ من هذا الجزء.

(٢) سها أبو شامة عن ذكر اجتماعه به في حوادث سنة (٦٢٨هـ)، وذكر إجازته منه في سنة وفاته، انظر ص٣٥ من الجزء الثاني.

وفيها جَرَتْ بالعراق واقعةٌ عجيبة؛ ببغداد قريةٌ يقال لها بَعْقُوبا، فيها نخلٌ كثير، وليها ناظرٌ متشيِّع، وكان بها رجلٌ من أهلها له نخلٌ، فصادره النَّاظر، وأخذ منه ألفي نخلة، فجعل يَسُبُّ النَّاظِرَ، ويدعو عليه، وبلغ النَّاظر، فأحضره، وأمر بضربه، فقال له: بالله عليك، أنصفني. فقال: قُلْ. قال: أنتم تَسُبُّون أبا بكر رضي الله عنه، وتقولون أخذ فدَك من فاطمة، وإنما في فَدَك نُخيلاتٌ يسيرة. تأخذ أنت مني ألفي نخلة وأسكت؟! فضحك الناظر، وَرَدَّ عليه نخله.

وفيها حَجَّ بالنَّاس من العراق ابنُ أبي فراس، ومن الشَّام شجاع الدِّين علي بن السَّلار.

وفيها حَجَجْتُ من الشَّام مع والدي ـ رحمه الله ـ على طريق تبوك والعُلا، وهي أوَّل السنين الأربع المتصلة التي وُجِدَ الحجُّ فيها هنيئاً مريئاً من رُخْص الأسعار، والأمن في الطَّريق الشَّامية، وبالحَرَمين: أما في المدينة فبسبب أنَّ أميرها كان من أتباع صاحبِ الشَّام الملك المُعَظَّم عيسى، فكان يدير الحَرَسَ على الحاجِّ الشَّامي ليلاً، وأما بمكة فبسبب أنها صارت في المملكة الكامليَّة المسعودية، فانقمع بها المفسد، وسَهُلَ على الحاجِّ أمرُ دخول الكعبة، فلم يزل بابُها مفتوحاً ليلاً نهاراً مُدَّة مُقَام الحاجِّ فيها؛ وكان الكامل قد أرضى بني شيبة سَدَنَةَ الكعبة بمالٍ أطلقه لهم، عِوَضاً عما كانوا يأخذونه بإغلاق الباب وفتحه لمن أرادوا، وكان النَّاس ينالون من ذلك شِدَّة، ويزدحمون عند فَتْحِ الباب، ويتسلَّقُ بعضُهم على رقاب بعض، لأنَّ الباب مرتفعٌ عن الأرض بنحو قامةِ رجلٍ، فيقعُ بعضُهم على بعضٍ، فيموت بعض، وينكسر بعض، ويُشَجُّ بعض، فزال ذلك عن النَّاس تلك السنة وما بعدها مُدَّة بقاء مكة في المملكة الكاملية، وكان قد بلغني صعوبةُ ذلك، وكنت حاملاً هَمَّه، فلمَّا دَخَلْتُ من باب بني شيبة، ووقَعَ نظري على البيت ـ شَرَّفه الله تعالى ـ إذ البابُ مفتوحٌ، والسُّلَّم منصوب، والنَّاس طالعون إليه ونازلون من غير ازدحام، فمن فَرَحي بذلك وخوفي من أنه لا يدوم

١٤٣

عجَّلتُ في طواف القُدوم، ودخلتُ البيت ـ عظَّمه الله تعالى ـ وقضيتُ منه وَطَري اللائق بذلك الوقت، وعندي من الشوق المُبَرِّحِ ما كفى، ثم كرَّرْتُ الدُّخول إليه ليلاً ونهاراً، فكنتُ أصادف فيه نحو العشرة وما دونها.

ومن أعجبِ ما سمعتُ من بعض الحُجَّاج أنَّه قال: دَخَلْتُهُ ليلةً، فوجدت فيه امرأتين قاعدتين تتحدَّثان كأنَّهما في بيت لهما، قد أمِنَتَا ممن يزعجهما عن ذلك؛ لا مِنْ سادنٍ ولا من زحمةٍ.

واجتمعتُ في هذه السنة بمكة بالشيخ الحُجَّة أبي طالب عبد المحسن بن أبي العميد بن خالد بن عبد الغفار الخَفِيفي، الأبهري، وسمعتُ عليه وعلى غيره بالمسجد الحرام، وكان يقدمُ كلَّ عامٍ من بغداد على بعض سُبلانات الخليفة، ثم بلغني أنه تولَّى إمامة المقام بمكة، وتوفي بها، رحمه الله[1].

واجتمعتُ بها أيضاً بالشيخ المقرئ عثمان بن أحمد بن بَذَّال الإِرْبلي الحنبلي، وأنشدني بالمسجد الحرام:

أيا نائماً في ظلامِ الدُّجى تَيَقَّظْ فَصُبْحُ الدُّجى قد أَضَا

أتاكَ المشيبُ ولوعاتُهُ وولَّى شبابُكَ ثُمَّ انقضى

فلو كُنتَ تَذْكُرُ ما قد جَنَيْتَ لَضَاقَ عليكَ اتِّساعُ الفَضَا

ونظمتُ في طريقي في تلك السفرة قصيدةً ميميةً ذكرتُ فيها المنازل من دمشق إلى عَرَفات، ووصفتُ بها ما أمكن من أماكن الزِّيارات، أوَّلها:

---

(١) توفي سنة (٦٢٤ هـ)، انظر ترجمته في التكملة للمنذري: ٣/ ١٩٩ ـ ٢٠٠، تاريخ الإسلام (ت ٢٥٣، وفيات سنة ٦٢٤ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠، العبر للذهبي: ٥/ ٩٩ ـ ١٠٠، المختصر المحتاج إليه: ٣/ ٨٨ ـ ٨٩، طبقات الشافعية للسبكي: ٨/ ٣١٤، العقد الثمين: ٥/ ٤٩٣ ـ ٤٩٥، شذرات الذهب: ٥/ ١١٥.

وقد تحرف الخَفِيفي إلى الحنفي، فظنه القرشي حنفي المذهب، فترجم له في «الجواهر المضية»: ٢/ ٤٦٦، وتصحف عليه كذلك سنة وفاته، فقال: سنة أربع وست مئة!

مازلتُ أشتاقُ حَجَّ البيتِ والحَرَمِ وأنْ أزُورَ رسولَ اللهِ ذا الكَرَمِ

وهي طويلة، أقول فيها تعبيراً عن فَتْحِ باب الكعبة للحجيج مطلقاً:

وأسرعوا نحوَ ذاكَ البيتِ حاسِرَةً رؤوسُهُمْ بين مِطْوَافٍ ومُسْتَلِمِ

والبابُ قد أطلقوه للحجيجِ فلم يَرَوْا بِهِ مانعاً طُولَ مُقَامِهِمِ

وفيها توفي ببغداد أحمد بن محمد بن علي، القادسي الضَّرير الحنبلي[1]؛ والد صاحب «الذيل على تاريخ أبي الفَرَج بن الجوزي».

قال أبو المظفر: كان حنبلياً خَشِناً، طَلَبَ الخليفةُ المستضيء مَنْ يصلّي به التراويح في رمضان، فأحضروا القادسي، وقالوا: أيش مذهبك؟ قال: حنبلي. قالوا: ما يمكن أن يصلي بدار الخلافة حنبلي. فقال القادسي: أنا حنبلي، وما أريد أن أصلي بكم. وسمعه الخليفة، فصاح: صَلِّ على مذهبك[2].

قال: وكان ملازماً لمجالس جدِّي، ويزهزه[3] كثيراً، ويستحسنُ الكلامَ، وكلما ذَكَرَ جدِّي شيئاً يصيح: والله إن ذا مليح. فبعثَ إليه جدِّي يستقرضُ منه عشرةَ دنانير، فاعتذر، وقال: ما هي عندي. وصار يحضر المجالس ولا يزهزه، ١٤٤

(١) له ترجمة في «معجم البلدان»: ٤/ ٢٩٣، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢١ هـ)، التكملة للمنذري: ٣/ ١٣٠ ـ ١٣١، تاريخ الإسلام (ت ٢، وفيات سنة ٦٢١ هـ)، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٢١ هـ)، توضيح المشتبه: ٧/ ١١، شذرات الذهب: ٥/ ٩٤.

وابنه محمد، كان له اعتناء بالتواريخ، وصنف كتابين: «ذيل المنتظم» وصل فيه إلى سنة (٦١٦هـ) ـ وقد استفاد منه أبو شامة في «كتاب الروضتين» ـ والكتاب الآخر «أخبار الوزراء»، وكلا الكتابين لم يصل إلينا، وتوفي سنة (٦٣٢ هـ) ببغداد.

انظر ترجمته في «التكملة» للمنذري: ٣/ ١٣١، و«وفيات الأعيان»: ١/ ٣٢٩، و«الوافي بالوفيات»: ٢/ ١١٧.

(٢) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢١ هـ).

(٣) كلمة عامية بمعنى: يشرق وجهه وتنبسط أساريره استحساناً لما يسمع، وهي مازالت دارجة عندنا في الشام، وقد تكون معربة عن زِهْ، وهي كلمة فارسية تدل على شدة الاستحسان. انظر «معجم عطية» ص ٧٤، و«شفاء الغليل» ص١٤١ ـ ١٤٢ .

فسمعتُ جَدِّي يقول في داره: هذا القادسي ما يقرضنا شيئاً، ولا يقول: والله إن ذا مليح[١].

وكانت وفاته في شوَّال، ودُفِنَ بباب حَرْب.

وفيها توفي بدمشق الشيخ عبد الرحمن بن[٢] اليمني في المحرَّم، ودفن بمقابر الصُّوفية، وقد سَبَقَ ذِكْرُنا له في سنة عشرين متابعةً لأبي المظفر سِبْط ابن الجوزي، وإنما كانت وفاتُهُ في سنة إحدى وعشرين، رحمه الله[٣].

ثم دخلتْ سنةُ اثنتين وعشرين وست مئة

ففيها في ربيع الأول وَصَلَ خوارزم شاه جلالُ الدِّين إلى دقوقا، ففتحها عَنْوَةً، وأوقعَ السَّيفَ في أهلها، ونَهَبَ أموالهم، وسبى حريمهم، وهَتَكَ نساءهم، وأحرقَ البلد، وهَدَمَ سوره، وكانوا قد عَصَوْا عليه، وسَبُّوه من الأسوار، وبالغوا في شَتْمه. وعَزَمَ على قَصْد بغداد، فانزعجَ الخليفةُ، وأخرج المال، وفرَّق في العساكر ألفَ ألفِ دينار، ونَصَبَ المجانيق على الأسوار، وفرَّق السِّلاح، وفتح الأهراء.

قال أبو المظفر: وحكى لي المعظَّم عيسى ـ رحمه الله ـ قال: كتب إليَّ يقول: تحضر أنت ومن عاهدني، واتفق معي حتى نقصد الخليفة، فإنَّه كان السبب في هلاك أبي، ومجيء الكُفَّار إلى البلاد، ووجدنا كُتُبَه إلى الخطا، وتواقيعه لهم بالبلاد والخيل والخِلَع. قال المعظم: فكتبتُ إليه: أنا معك على كلِّ أحدٍ إلا الخليفة، فإنه إمامُ المسلمين. قال: وبينا هو على قَصْدِ بغداد، وكان قد جَهَّزَ جيشاً إلى الكُرْج إلى تفليس، فكتبوا إليه: أدركنا فما لنا بالكُرْج طاقة،

(١) هذا الخبر مما استفدناه من أبي شامة مما نقله عن «المرآة»، وقد حذفه مختصره.

(٢) بيض أبو شامة لاسم أبيه، ولم يسدَّه.

(٣) انظر ص ٣٥٩ من هذا الجزء.

فسمعتُ جَدِّي يقول في داره: هذا القادسي ما يقرضنا شيئاً، ولا يقول: والله إن ذا مليح[١].

وكانت وفاته في شوَّال، ودُفِنَ بباب حَرْب.

وفيها توفي بدمشق الشيخ عبد الرحمن بن[٢] اليمني في المحرَّم، ودفن بمقابر الصُّوفية، وقد سَبَقَ ذِكْرُنا له في سنة عشرين متابعةً لأبي المظفر سِبْط ابن الجوزي، وإنما كانت وفاتُهُ في سنة إحدى وعشرين، رحمه الله[٣].

ثم دخلتْ سنةُ اثنتين وعشرين وست مئة

ففيها في ربيع الأول وَصَلَ خوارزم شاه جلالُ الدِّين إلى دقوقا، ففتحها عَنْوَةً، وأوقعَ السَّيفَ في أهلها، ونَهَبَ أموالهم، وسبى حريمهم، وهَتَكَ نساءهم، وأحرقَ البلد، وهَدَمَ سوره، وكانوا قد عَصَوْا عليه، وسَبُّوه من الأسوار، وبالغوا في شَتْمه. وعَزَمَ على قَصْد بغداد، فانزعجَ الخليفةُ، وأخرج المال، وفرَّق في العساكر ألفَ ألفِ دينار، ونَصَبَ المجانيق على الأسوار، وفرَّق السِّلاح، وفتح الأهراء.

قال أبو المظفر: وحكى لي المعظَّم عيسى ـ رحمه الله ـ قال: كتب إليَّ يقول: تحضر أنت ومن عاهدني، واتفق معي حتى نقصد الخليفة، فإنَّه كان السبب في هلاك أبي، ومجيء الكُفَّار إلى البلاد، ووجدنا كُتُبَه إلى الخطا، وتواقيعه لهم بالبلاد والخيل والخِلَع. قال المعظم: فكتبتُ إليه: أنا معك على كلِّ أحدٍ إلا الخليفة، فإنه إمامُ المسلمين. قال: وبينا هو على قَصْدِ بغداد، وكان قد جَهَّزَ جيشاً إلى الكُرْج إلى تفليس، فكتبوا إليه: أدركنا فما لنا بالكُرْج طاقة،

(١) هذا الخبر مما استفدناه من أبي شامة مما نقله عن «المرآة»، وقد حذفه مختصره.

(٢) بيض أبو شامة لاسم أبيه، ولم يسدَّه.

(٣) انظر ص ٣٥٩ من هذا الجزء.

وبغداد ما تفوت. فسار إلى تِفْليس، فخرج إليه الكُرْج، فَضَرَبَ معهم مصافَّ، فَقَتَلَ منهم سبعين ألفاً، وفَتَحَ تفليس عَنْوةً، وقتل منهم ثلاثين ألفاً، فصار مئة ألف، وذلك في سَلْخ ذي الحِجَّة[١].

وفيها صَلَبَ المعظَّمُ في سوق الغنم العتيق في طريق المَيْدَان الأخضر شمسَ الدِّين بن الكعكي ورفيقاً له مُنَكَّسين على رؤوسهما، وكان ابن الكعكي رأسَ حزب، وخلفه جماعة، فكانوا ينزلون على النَّاس في البساتين، ويقتلون وينهبون، والمُعَظَّمُ في الكَرَك، وبلغه أنَّ ابنَ الكعكي قال لأخي المعظم الصَّالح إسماعيل؛ وكان صاحِبَ بُصْرى: أنا آخذ لك دمشق. فكتب إلى والي دمشق بأن يَصْلِبَ ابن الكعكي ورفيقه منكَّسين، فَصَلَبهما في العَشْر الأواخر من رمضان، فأقاما أياماً في حَرِّ الشمس، يَسْفي الرِّيحُ التُّرابَ على وجوهِهما ورؤوسهما، ولا يَقْدُرانِ على طَعَامٍ ولا شَرَاب إلى أن ماتا، ماتَ ابنُ الكعكي أولاً، وكان يستغيثُ كثيراً ويتقلَّقُ، وكان رفيقهُ أجلدَ منه وأصبر، وكان رجلاً خيَّاطاً، آدَمَ اللَّوْن، وقيل: إنه كان بريئاً مما رُميَ به، فمات بعد ابن الكعكي بيومٍ أو نحوه. وكان ابنُ الكعكي من المترفين ذوي الثروة، وله أملاكٌ كثيرة ظاهر باب الجابية، وغير ذلك.

قال أبو المُظَفَّر: وقَدِمَ المعظَّم دمشق بعدما ماتا، فَمَرِضَ مرضاً عظيماً أشفى منه، ثم أبَلَّ، ولم يزل ينتقِضُ عليه حتى مات[٢].

وفيها حَجَّ بالنَّاسِ من العراق ابنُ أبي فراس، ومن الشَّام الشجاع علي ابن السَّلَّار.

وفيها حججتُ أيضاً راكباً في المحمل السُّلْطاني المُعَظَّمي، وكان أيضاً حجاً مباركاً، كثيرَ الخير والأمن في الطَّريق والحرمين، وبابُ الكعبة مفتوحُ

---

(١) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦٢٢ هـ).

(٢) المصدر السالف.

للحاجِّ مُدَّة مُقَامهم ليلاً ونهاراً. وخرجتُ يوم التروية إلى مِنى، ولم أوافق الركب في التوجُّه إلى عرفات في ذلك اليوم، وبتُّ أنا ورفيقي الشهاب غازي النَّاسخ الفقير ـ رحمه الله ـ ليلةَ يوم عرفة بمسجد الخَيْف بمِنى، ثم أصبحنا، وتوجَّهنا حين طلعتِ الشَّمْس إلى نحو عرفات، فمررنا على تلك الآثار بمِنى والمُزْدلفة، وحدود الحرم، وحدود عرفة، والمسجد الذي بعضه من أرض عُرَنَة، وبعضه من أرض عَرَفَة، ثم توجَّهنا إلى الموقف ـ شَرَّفه الله تعالى ـ فنحن بعرفات وقد جاءنا الخبر مع حاجِّ العراق بوفاة الخليفة النَّاصر أحمد بن المستضيء في أواخر شهر رمضان[1]، وأقام في الخلافة ما لم يقم أحدٌ قبله من أهل بيته سبعاً وأربعين سنة إلا قليلاً، وتولَّى بعده ولدُه وليُّ عهده أبو نصر محمد، ولقِّبَ بالظاهر بأمر الله، فأظهر العدل، وأحسَنَ السِّيرة، ثم لم تطل مُدَّتُه، فمات بعد تسعة أشهر، كما سيأتي ذكره[2]. ١٤٥

ولما دخلنا مكَّة لطوافِ الإفاضة، وقد أُلبستِ الكعبةُ الكُسْوة السَّوداء التي يرسلها الخليفة كلَّ سنة من بغداد، وفي أعلاها الطِّراز الأبيض المكتوب فيه اسم الخليفة الذي نُسجت في أيامه، فتأمَّلتُ الطِّراز، فوجدتُ فيه اسم النَّاصر في جانبين من جوانب الكعبة الأربعة، وفي الجانبين الآخرين اسمَ الظَّاهر، فعلمتُ أنهم كانوا قد فرغوا من نسج الجانبين عند وفاة النَّاصر، ثم استأنفوا ما بقي باسم الظَّاهر.

---

(١) له ترجمة في رحلة ابن جبير: ٢٨١ ـ ٢٨٢، الكامل: ١٢/ ٤٣٨ ـ ٤٤٠، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٢ هـ)، التكملة للمنذري: ٣/ ١٦٠ ـ ١٦١، مختصر التاريخ لابن الكازروني: ٢٤٢ ـ ٢٥٣، مفرج الكروب: ٤/ ١٥٨ ـ ١٧١، الفخري: ٣٢٢ ـ ٣٢٨، المختصر في أخبار البشر: ٣/ ١٣٥ ـ ١٣٦، تاريخ الإسلام (ت ٦٧، وفيات سنة ٦٢٢ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ١٩٢ ـ ٢٤٣، العبر للذهبي: ٥/ ٨٧ ـ ٨٨، المختصر المحتاج إليه: ١/ ١٧٩ ـ ١٨٠، فوات الوفيات: ١/ ٦٦ ـ ٦٨، الوافي بالوفيات: ٦/ ٣١٠ ـ ٣١٦، نكت الهميان: ٩٣ ـ ٩٦، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٢٢ هـ)، العقد الثمين: ٣/ ٣٠ ـ ٣١، السلوك للمقريزي: ج١/ ق١/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٦١ ـ ٢٦٢، شذرات الذهب: ٥/ ٩٧ ـ ٩٩.

(٢) انظر ص٣٩٢ من هذا الجزء.

ونظمتُ في هذه السنة أيضاً قصيدة على قافية الهمزة وَصَفْتُ فيها أمرَ الحَجِّ، ومنازل الطَّريق التبوكية أيضاً، أولها:

يــا حــبَّــذا وَطَــنُ الــحــبــيــبِ الــنَّــائــي

قال أبو المُظَفَّر: مولد النَّاصر عاشر رجب سنة ثلاثٍ وخمسين وخمس مئة، وبويع بالخلافة غُرَّة ذي القَعْدة سنةَ خمسٍ وسبعين وخمس مئة، وكان له خادمٌ اسمه رشيق قد استولى على الخلافة، وأقام مُدَّة يوقع عن الخليفة، وكان قد قَلَّ بصره، وقيل: ذَهَبَ جُمْلة، وكانت به أمراض مختلفة، منها: عسر البول، والحصى، ولقي منه شِدَّةً، وشَقَّ ذَكَرَه مراراً، ومازال يعتريه حتى قتله. وغسله خالي أبو محمد يوسف، وكان قد عَمِلَ له ضريحاً عند موسى بن جعفر، فأمر الظَّاهر بحمله إلى الرُّصافة[١]، فَحُمِلَ في تابوت، ودُفِنَ عند أهله[٢].

وكان قد خُطِبَ للظَّاهر بولاية العهد في سنة خمسٍ وثمانين وخمس مئة، وعمره إذ ذاك أربعَ عشرة سنة، لأنَّ مولده في المحرَّم سنة سبعين وخمس مئة، ثم عُزِلَ عن العهد في سنةٍ إحدى وست مئة، ثم أعيد إلى العهد في سنة ثماني عشرة وست مئة، ولما ماتَ أبوه استدعى الأعيانَ إلى البَدْرية، فشاهدوا النَّاصر مَيْتاً مُسَجًّى، فبايعوا أبا نصر، ولقَّبوه بالظَّاهر. وكان جميل الصُّورة، أبيضَ، مُشْرَباً حُمْرَةً، حُلْوَ الشَّمائل، شديدَ القُوَى، أفضتِ الخلافةُ إليه وله اثنتان وخمسون سنة إلا شهوراً، فقيل له: ألا تتفسَّح؟ فقال: قد قاش الزَّرْع. فقيل له: يبارك الله في عُمُرك. فقال: مَنْ فَتَح دُكَّاناً بعد العَصْر، أيش يكسب؟ ولما بُويع أحسنَ إلى النَّاس، ولم يؤاخذ أحداً ممن سعى في خَلْعِهِ، فقابل الإساءة

---

(١) رصافة بغداد، وهي بالجانب الشرقي منها، وفيها مقابر الخلفاء من بني العباس. «معجم البلدان»: ٣/ ٤٦.

(٢) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٢ هـ).

بالإحسان، وصلّى على أبيه بالتّاج، وفرّقَ الأموال، وأبطل المكوس، وأزال المظالم[١].

وفيها توفي الملكُ الأفضل، عليُّ بنُ صلاح الدِّين يوسف بن أيوب[٢].

الذي كان وليَّ عهد أبيه، ومملكته دمشق وأعمالها، والأرض المقدَّسة وأعمالها.

ومولده بمصر سنة خمسٍ وستين وخمس مئة، وكان فاضلاً، شاعراً، حَسَنَ الخَطِّ، تقلَّبَتْ به الأحوال إلى أن ألقاه الدَّهْر في سُمَيْساط، وبها توفي في ربيع الأول، ونُقِلَ إلى حلب، فدفن بظاهرها، رحمه الله.

وفيها توفي بحلب في أواخر جُمادى الأولى الأمير سيفُ الدِّين عليُّ بن عَلَم الدِّين سليمان بن جَنْدَر[٣].

١٤٦ وكان من أكابر أمراء حلب، كثيرَ الخيرِ والصَّدَقات الدَّارَّة، والبِرِّ الوافر، وبنى بحلب مدرستين: إحداهما للشافعية داخل حلب، والأخرى لأصحاب أبي حنيفة بظاهر حلب، ووقف عليهما الأوقاف، وبنى الخانات في الطُّرُقات، وله الغَزَوات المشهورة، والمواقف المذكورة، رحمه الله.

وفيها توفي عليٌّ الكُرْدِي المُوَلَّه[٤].

---

(١) مرة الزمان (وفيات سنة ٦٢٢هـ).

(٢) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٢ هـ)، التكملة للمنذري: ٣/ ١٤٠، وفيات الأعيان: ٣/ ٤١٩ ـ ٤٢١، مفرج الكروب: ٤/ ١٥٥ ـ ١٥٨، المختصر في أخبار البشر: ٣/ ١٣٥، تاريخ الإسلام (ت ١٢٢، وفيات سنة ٦٢٢ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٢٩٤ ـ ٢٩٦، العبر للذهبي: ٥/ ٩١، الوافي بالوفيات: ٢٢/ ٣٤٢ ـ ٣٤٧، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٢٢ هـ)، العقد الثمين: ٦/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦، السلوك للمقريزي: ج١/ ق١/ ٢٥٢ ـ ٢٥٤، شفاء القلوب: ٢٥٦ ـ ٢٦٥، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٦٢، شذرات الذهب: ٥/ ١٠١، ترويح القلوب: ٦٩.

(٣) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٢ هـ).

(٤) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٢ هـ).

الذي كان مقيماً ظاهر باب الجابية بدمشق، واختلفوا فيه؛ فبعض الدَّماشقة يزعم أنه كان صاحبَ كرامات، وأنكر ذلك آخرون، وقالوا: ما رآه أحدٌ يصلِّي ولا يصوم ولا لبس مداساً، بل كانَ يدوس النَّجاسات، ويدخل المسجد على حاله. وقال آخرون: كان له تابعٌ من الجن يتحدَّثُ على لسانه.

قال أبو المظفر: وحكت لي امرأةٌ صادقة، قالت: ماتت أُمي باللاذقية، ولم أصدق، وجاء قوم فقالوا: ماتت، وجاء آخرون فقالوا: ما ماتت. قالت: فخرجتُ إلى باب الجابية، وهو قاعد عند المقابر، فوقفتُ عنده، فرفع رأسه، وقال: ماتت، ماتت، أيش تعملي؟ وكان كما قال[1].

قال: وحكى لي عبد الله صاحبي، قال: جعت يوماً، وما كان معي شيء، فاجتزت به، فدفع إليَّ نصفَ درهم، وقال: يكفي هذا للخبز والقَنْبَريس.

قال: ودخل يوماً على جمال الدِّين محمد الدَّوْلعي ـ خطيبِ دمشق ـ المقصورة، وكان يغشاه، فقال له: يا شيخ علي، قد أكلتُ اليوم كسيرات يابسة، وشربتُ عليها الماء، وكفتني. فقال له: وما تطلب نفسك شيئاً آخر؟ قال: لا. قال: يا مسكين، مَنْ يقنع بكِسَرٍ يابسة يَحْبِسُ نَفْسَه في هذه المقصورة، ولا يقضي ما فَرَضَه الله عليه من الحج[2]؟!

وفيها توفي خطيبُ حَرَّان الفَخْرُ ابنُ تيميَّة[3].

---

(١) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٢هـ).

(٢) قال سبط ابن الجوزي في «مرآة الزمان» في ترجمة الدولعي (وفيات سنة ٦٣٥ هـ): كان حريصاً على المنصب، ولم يحج حجة الإسلام خوفاً على المحراب.

(٣) له ترجمة في معجم البلدان: ١/٣١٣ (وفيه وفاته سنة ٦٢١ هـ)، تاريخ إربل: ق١/٩٦ ـ ١٠٠، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٢ هـ)، التكملة للمنذري: ٣/١٣٨ ـ ١٣٩، وفيات الأعيان: ٤/٣٨٦ ـ ٣٨٨، تلخيص مجمع الآداب: ٤/ت ٢٣٥٠، تاريخ الإسلام (ت ١٣٤، وفيات سنة ٦٢٢ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/٢٨٨ ـ ٢٩٠، العبر للذهبي: ٥/٩٢، الوافي بالوفيات: ٣/٣٧ ـ ٣٨، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٢٢ هـ)، ذيل =

وهو أبو عبد الله، محمد بن أبي القاسم بن محمد، الحَرَّاني، فقيه حَرَّان، بها ولد، وقَدِمَ بغداد، وتفقَّه بها على أبي الفَتْح بن المَنِّي، ووعظ في رباط محمود النَّعَّال. وسَمِعَ الحديث الكثير ببغداد على شيوخ ذلك العَصْر، وصنَّف الخُطَب والتفسير، وغير ذلك. وكان فاضلاً، فصيحاً، سمع شُهْدَة، وابن المقرِّب، وابن البَطِّي، وغيرهم.

قال أبو المظفر: وكان ضنيناً[1] بحَرَّان؛ متى نَبَغَ فيها أحدٌ لا يزال وراءه حتى يخرجَهُ منها، ويبعدَه عنها[2].

وماتَ في خامس صفر، وسمعتُهُ ينشد في جامع حَرَّان يوم الجمعة بعد الصَّلاة على المنبر:

أحبابَنا قد نَذَرَتْ مُقْلَتي ... ما تلتقي بالنَّوْمِ أو نلتقي

رِفْقاً بقَلْبٍ مُغْرَمٍ واعْطِفوا ... على سَقَامِ الجَسَدِ المُغْرَقِ

كم تَمْطُلوني بليالي اللِّقا ... قد ذَهَبَ العُمْرُ ولم نلتقِ[3]

وفيها توفي عبدُ المنعم بن علي بن عبد الغني، القُرَشي الصِّقِلِّي.

كان رجلاً صالحاً خَيِّراً، كان مقرئاً حَسَناً، قد قرأ على تاج الدِّين الكِنْدِي، وعلم الدين السَّخاوي، وغيرهما، وكان الشيخُ فخر الدِّين ابنُ عساكر ـ رحمه الله ـ كثيراً ما يطلبه ليصلي به من عقيدته في صلاحه.

وكان قد حجَّ معي في سنة إحدى وعشرين، فلما رَجَعَ إلى دمشق توفي عقيب قدومه من الحج، ودُفِنَ بجبل قاسيون. وهو أخو الزين[4] الضَّرير؛ كان

= طبقات الحنابلة: ٢/ ١٥١ ـ ١٦٢، النجوم الزاهرة: ٦/ ٣٦٢ ـ ٣٦٣، المنهج الأحمد: ٤/ ١٦٧ ـ ١٧٧، طبقات المفسرين للداودي: ٢/ ١٣٩ ـ ١٤١، شذرات الذهب: ٥/ ١٠٢ ـ ١٠٣.

(١) في النسخ الخطية: ظنيناً، والمثبت من «وفيات الأعيان»: ٤/ ٣٨٧ وهو ينقل عن سبط ابن الجوزي كذلك.

(٢) هذا الخبر مما استفدناه من أبي شامة مما نقله من مرآة الزمان، وقد حذفه مختصره.

(٣) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٢ هـ).

(٤) في الأصل و(ع): بيض أبو شامة لاسمه، ولم يسدَّه.

أخوه على غيرِ طريقته، مشتغلاً بعلوم الأوائل.

١٤٧ وفيها في شعبان توفي بمِصْر الوزير صفي الدِّين، عبدُ الله بن علي بن عبد الخالق بن شُكْر، أبو محمد[1].

ومولده بالدَّمِيْرة؛ بلدة بين مِصْر والإسكندرية في سنة أربعين وخمس مئة[2]، ودفن بتربته التي أنشأها جوار مدرسته بالقاهرة، حكى عنه القوصي في «معجمه»، وقد سبق من أخباره في حوادث سنة خمس عشرة وست مئة[3]؛ وهي سنة نكبته بعد وزارته، وله بدمشق آثارٌ حسنة، منها: بناء مُصَلَّى العيدين، وتبليط الجامع، وعمارة مسجد الفَوَّارة، وتجديد مسجد حَرَسْتا، وجامع المِزَّة، وغير ذلك.

وبلغني أنه قال: أنشدنا الحافظ السِّلَفي لنفسه:

مهما تهاونَ في أمري امرؤٌ وغَدَا مُصَارِماً لا أرى إلَّا مُبَجِّلَهُ

---

(١) له ترجمة في معجم البلدان: ٢/ ٤٧٢، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٣٠ هـ) ـ وهو وهم ـ تاريخ الإسلام (ت ٩٦، وفيات سنة ٦٢٢ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥، العبر للذهبي: ٥/ ٩٠، فوات الوفيات: ٢/ ١٩٣ ـ ١٩٦، الوافي بالوفيات: ١٧/ ٣٢٧ ـ ٣٣٠، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٢٢ هـ)، الديباج المذهب: ١/ ٤٥٠ ـ ٤٥١، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٦٣، خطط المقريزي: ٣/ ٣٢٨ ـ ٣٣١، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٨٠، الدارس: ٢/ ٤٣٢، شذرات الذهب: ٥/ ١٠٠، شجرة النور الزكية: ١٦٦.

وقد وهم سبط ابن الجوزي في ذكره في وفيات سنة (٦٣٠ هـ)، نبه على ذلك أبو شامة ص٣١١ من هذا الجزء، وقد تابعه على وهمه ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٨٠.

(٢) تابع أبو شامة سبطَ ابن الجوزي في ذكر ولادته سنة (٥٤٠ هـ)، وقال المنذري: وسمعته يقول: مولدي في تاسع صفر سنة ثمان وأربعين وخمس مئة. قال الذهبي في «تاريخ الإسلام»: وقول المنذري أصح.

وقال المقريزي: مات أبوه، فتزوجت أمه بالقاضي الوزير الأعز فخر الدين مقدام بن القاضي الأجل أبي العباس أحمد بن شكر المالكي، فرباه، ونوه باسمه لأنه كان ابن عمه، فعرف به، وقيل له: ابن شكر.

(٣) انظر ص٣١١ من هذا الجزء.

وإنْ أساءَ مسيءٌ فوقَ طاقَتِهِ   أحسنتُ مُجتهداً حتى أُخَجِّلَهُ

وقال: أنشدَنا الحافظُ السِّلفي لابن رشيق، وقد قيل له: لم لا تركبِ البَحْرَ للحَجِّ؟ فقال معتذراً:

البَحْرُ صَعْبُ المَرَامِ هَوْلٌ   لا جُعِلَتْ حاجتي إليهِ

أليسَ ماءٌ ونحنُ طِيْنٌ   فَهَلْ ترى صَبْرَنا عليهِ

ولعبد الجَبَّار الكاتب:

لا أركبُ البحرَ خَوْفاً   عليَّ منه المَعَاطِبْ

طينٌ أنا وَهْوَ ماءٌ   والطِّيْنُ في الماءِ ذائِبْ

ولأبي الفتح البُسْتي:

إنَّ ابنَ آدمَ طِيْنٌ   والبَحْرُ ماءٌ يُذِيْبُهْ

لولا الذي فيه يُتْلَى   ما جازَ عندي رُكُوبُهْ

وله أيضاً:

وأخضر لولا آيةٌ ما رَكِبْتُهُ   ولله تصريفُ القَضاءِ بما شاءَ

أقول حِذَاراً مِنْ ركوبِ عُبابِهِ   أيارَبُّ إنَّ الطِّينَ قد رَكِبَ الماءَ[1]

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وست مئة

ففيها قَدِمَ من بغداد محيي الدِّين يوسف بن الجوزي رسولاً إلى المُعَظَّم، ومعه الخِلَع لأولاد العادل من عند الخليفة الظاهر، ومضمونُ رسالته طلبُ رجوعِ المُعَظَّم عن موالاة الخوارزمي.

قال أبو المُظَفَّر: وحكى المُعَظَّم صورةَ الرِّسالة، قال: قال لي خالك: المصلحة رجوعُك عن هذا الخارجي إلى إخوتك، ونُصْلح بينكم. وكان المعظم

(١) الأبيات التي نسبت لأبي الفتح البُسْتي لم أجدها في ديوانه المطبوع.

وإنْ أساءَ مسيءٌ فوقَ طاقتِهِ   أحسنتُ مُجتهداً حتى أُخَجِّلَهُ

وقال: أنشدَنا الحافظُ السِّلفي لابن رشيق، وقد قيل له: لم لا تركبِ البَحْرَ للحَجِّ؟ فقال معتذراً:

البَحْرُ صَعْبُ المَرَامِ هَوْلٌ   لا جُعِلَتْ حاجتي إليهِ
أليسَ ماءٌ ونحنُ طِيْنٌ   فَهَلْ ترى صَبْرَنا عليهِ

ولعبد الجَبَّار الكاتب:

لا أركبُ البحرَ خَوْفاً   عليَّ منه المَعَاطِبْ
طينٌ أنا وَهْوَ ماءٌ   والطِّيْنُ في الماءِ ذائِبْ

ولأبي الفتح البُسْتي:

إنَّ ابنَ آدمَ طِيْنٌ   والبَحْرُ ماءٌ يُذِيْبُهْ
لولا الذي فيه يُتْلَى   ما جازَ عندي رُكُوبُهْ

وله أيضاً:

وأخضر لولا آيةٌ ما رَكِبْتُهُ   ولله تصريفُ القَضَاءِ بما شاءَ
أقول حِذَاراً مِنْ ركوبِ عُبابِهِ   أيارَبٌ إنَّ الطِّينَ قد رَكِبَ الماءَ[1]

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وست مئة

ففيها قَدِمَ من بغداد محيي الدِّين يوسف بن الجوزي رسولاً إلى المُعَظَّم، ومعه الخِلَع لأولاد العادل من عند الخليفة الظاهر، ومضمونُ رسالته طلبُ رجوعِ المُعَظَّم عن موالاة الخوارزمي.

قال أبو المُظَفَّر: وحكى المُعَظَّم صورةَ الرِّسالة، قال: قال لي خالك: المصلحة رجوعُك عن هذا الخارجي إلى إخوتك، ونُصْلح بينكم. وكان المعظم

---

(١) الأبيات التي نسبت لأبي الفتح البُسْتي لم أجدها في ديوانه المطبوع.

قد بَعَثَ مملوكه الرَّكين إلى الخوارزمي، فرحَّله من تفليس، فأنزله على خِلاط، والأشرف بحرَّان. قال: فقلتُ لخالك: إذا رجعتُ عن الخوارزمي، وقَصَدني إخوتي، تُنْجِدُوني؟ قال: نَعَمْ. قلتُ: ما لكم عادة تنجدون أحداً، هذه كُتُبُ الخليفة النَّاصر عندنا، ونحن على دِمْياط، ونحن نكتُبُ نستصرخ به، ونقول: أنجدونا. فيجيء الجوابُ بأنْ قد كتبنا إلى ملوك الجزيرة، ولم يفعلوا، وقد اتَّفقَ ١٤٨ إخوتي عليَّ، وقد أنزلتُ الخوارزميَّ على خِلاط، إنْ قَصَدَني الأشرفُ منعه الخوارزمي، وإنْ قصدني الكامل كان فيَّ له[1].

وفيها قَدِمَ الأشرف دمشق، وأطاع المُعَظَّمَ، وسأله أن يسألَ الخوارزميَّ أن يَرْحَلَ عن خِلاط، وقال: نحن مماليكك، وما أنبتَ الشَّعْرَ على رؤوسنا إلا أنتَ. فبعث المُعَظَّمُ، فرحل الخوارزمي عن خِلاط، وكان قد أقام عليها أربعين يوماً، ونَزَلَ الثَّلْج، وأقام الأشرف عند المُعَظَّم بدمشق. وكان المعظم يَلْبَس خِلْعة الخوارزمي، ويركبُ فرسه، وإذا جلسوا على تلك الحال يحلف المعظم برأس خوارزم شاه، وعند الأشرف من هذا المُقْعِد المُقيم، وهو ساكت[2].

قال: وتوجَّه خالي إلى مِصْر إلى الكامل، وهذه أوَّلُ سَفْرَةٍ سافرها خالي إلى الشَّام ومِصْر[3].

قال: وفيها حَجَّ بالنَّاسِ من العراق ابن أبي فراس، ومن الشَّام علي بن السَّلَّار[4].

---

(١) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦٢٣ هـ).

وقوله: كان فيَّ له، تعبير عامي، مازال في عامية أهل الشام، ويعني: أستطيع أن أتصدى له وحدي.

(٢) المصدر السالف.

(٣) المصدر السالف.

(٤) المصدر السالف.

وفيها فوَّض إليَّ المُعَظَّمُ تدريس مدرسة شِبْل الدَّوْلة بقاسيون[١].

قلتُ: وفي يوم جلوسه للتدريس بها توفي شمسُ الدين محمد بن شيخنا عَلَم الدِّين السَّخاوي رحمه الله بدمشق، ودُفِنَ بالجبل.

وفيها في آخر ربيع الأول توفي بدمشق قاضي قُضَاتها جمالُ الدِّين يونس بن بَدْران بن فيروز المِصْري[٢]، ودُفِنَ في داره بدَرْب الرَّيحان.

وكان فقيهاً، كثير الاشتغال، واختصر كتابَ «الأم» للشَّافعي رحمه الله، وصنَّف فرائض كثيرة تحتوي على مسائل كثيرة، وكان قد اعتنى به الوزير صفيُّ الدِّين ابن شُكْر، فجعله وكيلَ بيتِ المال، وفوَّض إليه التدريس بالمدرسة الأمينية بعد تقي الدِّين الضَّرير[٣]، ثم صار يترسَّل عن العادل إلى الخليفة، وإلى الملوك بالرُّوم، وبلاد الشَّرْق، وحلب، وغيرها، ثم ولاه المُعَظَّم بعد الزكي الطاهر قضاء قُضَاة الشَّام، وفوَّض إليه التدريس بالمدرسة العادلية، فهو أوَّلُ من ذَكَرَ الدَّرْس بها، فكان يذكر بها قبل درس الفِقْه درساً من تفسير القرآن طويلاً، ويجري فيه مباحث حَسَنة، فإنه كان يحضُره معنا جماعةٌ من الفُضَلاء، فاتَّفق أنْ

---

(١) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٣هـ).

(٢) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٣ هـ)، التكملة للمنذري: ٣/ ١٧٣ ـ ١٧٤، مفرج الكروب: ٤/ ١٧١ ـ ١٧٣، (وفيه وفاته ٦٢٢ هـ)، وهو خطأ، تاريخ الإسلام (ت ٢١٦، وفيات سنة ٦٢٣ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ٢٥٧، العبر للذهبي: ٥/ ٩٧، الوافي بالوفيات: ٢٩/ ٣٧٧ ـ ٣٧٨، طبقات الشافعية للسبكي: ٨/ ٣٦٦، طبقات الشافعية للإسنوي: ٢/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٢٣ هـ)، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٦٦، حسن المحاضرة: ١/ ٤١١، الدارس: ١/ ١٨٦ ـ ١٨٨، القضاة الشافعية للنعيمي: ٦٤ ـ ٦٥، شذرات الذهب: ٥/ ١١٢.

وفي مفرج الكروب: وكان شديد السمرة، يلثغ بالقاف ويجعلها همزة، وكذلك ذكر الذهبي في السير: ٢٢/ ٢٥٧، وسينعته أبو شامة بلثغته هذه في قصيدته الفلاحة الرائية ص ١٨٥ من الجزء الثاني.

(٣) سلفت وفاته سنة (٦٠٢ هـ)، انظر ص ١٧٤ من هذا الجزء.

فَرَغَ مِنْ ذكر التفسير من أول القرآن إلى آخره، فلما تَمَّ له ذلك توفي بعده بقليل، رحمه الله.

وكان في ولايته عفيفاً في نفسه، نَزِهاً، ملازماً لمجالس الحكم بالشُّبَّاك الكمالي بالجامع وغيره، وكان إذا جَلَسَ فيه بعد العَصْر لا يزال إلى أن يُصَلِّي المغرب، وفي بعض اللَّيالي يصلِّي العِشاء الآخرة، فكان إذا فَرَغَ من الحكم بين الخصوم تجري بحضرته المذاكرة في العِلْم إلى حين انفصاله.

ويجلس بُكْرَة كلِّ يومِ جُمُعة ويوم الثُّلاثاء بإيوان المدرسة العادلية لإثبات الكُتُب، ويصطفُّ شهودُ البلد في جوانب الإيوان، فكان مجلساً عليه جلالة، ولـم يكن يضيع فيه الزَّمان في غير ما هو بصدده، بل هو ملازِمٌ لما ذكرنا في الأيام كلِّها السبت وغيره.

ولـم يُنْقَم عليه شيءٌ في ولايته سوى أنه كان إذا ثَبَتَ عنده وراثة شخص لما وَضَعَ نُوَّابُ بيتِ المال أيديهم عليه يأمره بمصالحة بيت المال، فيقتطع منه قطعةً لبيت المال، وأما لنفسه فلم يشتهر عنه شيء من ذلك. ونُقِمَ عليه أيضاً استنابته لولده التَّاج محمد، ولـم تكن طريقته مستقيمة، وكان يذكر أنه قُرَشي، فتكلَّم النَّاسُ في ذلك.

وتولى القضاءَ بعده شمسُ الدِّين أحمد بن الخليل[(١] بن سعادة بن جعفر بن عيسى[١)] الخُوَيِيّ والمدرسةَ العادلية، والله أعلم[(٢)].

(١ ـ ١) ما بينهما ليس في (ب) و(ك) و(ع) و(س).

(٢) في (ب) و(ك) و(ع) و(س): زيادة: قلت: شمس الدين الخويي هو أبو العباس أحمد بن خليل ابن سعادة بن جعفر بن عيسى، باشر الحكم بدمشق يوم الأحد سادس شهر ربيع الآخر [في (ك) و(ع) و(س) الأول، وهو خطأ] سنة ثلاث وعشرين وست مئة.
وفي (ك) و(ع) و(س) زيادة أخرى وهي: نقلت من خط بعض من له عناية بجمع التاريخ أن جمال الدين المصري المذكور باشر الحكم مع بقية النواب لما انفصل الزكي المذكور، ثم استقل بالحكم في يوم الثلاثاء ثامن عشري رجب سنة تسع عشرة وست مئة. =

١٤٩ وفيها في شهر رجب ـ أو شعبان ـ توفي الشيخ تقي الدِّين خَزْعَل[١] بن عسكر بن خليل، الشنائي المِصْري النَّحْوي، ودُفِنَ بباب الصَّغير.

وكان ـ رحمه الله ـ شيخاً حسناً، فاضلاً، مفنَّناً متواضعاً، قاضي الحاجة لكلِّ من يقصده، أقام بالقُدْس الشَّريف زماناً يقرئ النَّاسَ به، حتى كان يُعرف بنَحْوي القُدْس، ثم قَدِمَ دمشق سنة خَرَّبَ القُدْس المُعَظَّم، وهي سنةُ خمس عشرة[٢]، فأُعطي إمامة مشهد علي بن الحسين ـ رضي الله عنهما ـ بالجامع.

وأُنزل في المدرسة العزيزية، فكان يقرئُ بها، ويتولَّى عقودَ الأنكحة، وكنتُ إذ ذاك ساكناً بالمدرسة، وأتردَّد إليه، فقرأتُ عليه بها عَرُوض النَّاصح بن الدَّهَّان المَوْصِلي؛ أخبرني به عن مصنفه، وقرأتُ أيضاً عليه جدل الكمال الأنباري، وأخبرني به أيضاً عن مصنِّفه، وأنشدني لنفسه قصيدة ميمية في حَصْر أقسام الواو[٣]، وغير ذلك.

= قلت: وهذه الزيادات ليست من أبي شامة، يدل على ذلك سياقها، ويعرفها من له إلمام بأسلوب أبي شامة في سرد الأخبار، والله أعلم.

ولاستقلال جمال الدين المصري بالقضاء سنة (٦١٩ هـ)، انظر حاشيتنا رقم ٢ ص ٣٤٦ من هذا الجزء.

(١) له ترجمة في إنباه الرواة: ١/ ٣٥٣ـ ٣٥٤ ـ وأساء القفطي الرأي فيه كعادته في معاصريه ـ والتكملة للمنذري: ٣/ ١٨٤ ـ ١٨٥، بغية الطلب: ٧/ ٣٢٤١ـ٣٢٤٣، تاريخ الإسلام (ت ١٧٤، وفيات سنة ٦٢٣ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ١٨١، الوافي بالوفيات: ١٣/ ٣٠٩ـ٣١٠، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٦٦، بغية الوعاة: ١/ ٥٥٠ـ ٥٥١.

(٢) يعني في أواخرها، لأن المعظم باشر تخريب أبراجها وسورها في أول محرم سنة ٦١٦ هـ، انظر ص ٣١٣ من هذا الجزء.

(٣) هي في «بغية الطلب»: ٧/ ٣٢٤١، وقد رواها ابن العديم بإسناده إلى الشيخ خزعل، وقد أتى التصحيف والتحريف في المطبوع منه على معالمها، فأحببتُ أن أثبتها هنا خوفاً عليها من الضياع، وهي:

وممتحنٍ يوماً ليهضمني هَضْما ... عن الواو كم قسماً فقلتُ له نَظْما

فَقِسْمَتُها عشرون ضرباً تتابعتْ ... فدونكها إني لأرْسُمها رَسْما =

وكان يحثُّني على حِفْظ الحديث والتفقُّه فيه خصوصاً «صحيح مُسْلم»، ويقول: إنه أسهل من حِفْظ كُتُب الفِقْه وأنفع. وصَدَقَ رحمه الله.

وحثَّ على مَسْح جميعِ الرأس في الوضوء احتياطاً، وبحث في دليله، فأعجبني، واستقرَّ في نفسي، فما أعلم أني تركتُهُ من ذلك الزمان إلى الآن، والله المستعان فيما بقي لنا من الزَّمان.

وكنت أرى منه مروءةً تامة في توليه عقود الأنكحة، وفي فَسْخِها، وفي فِعْله فيما يحصِّلُ منها، فكان إذا غَلَبَ على ظَنِّه فَقْرَ أهلِ الواقعة لا يأخذ منهم شيئاً، وأما عند الطَّلاق والفِرَاق فلا يأخذ شيئاً أصلاً سواء كانوا فقراء أو أغنياء، وكان ما يتحصَّل له من ذلك يتصدَّق بجُمْلة منه، فلا يَرُدُّ سائلاً. وربما جاءه من يطلُبُ منه شيئاً، وليس عنده، فيقول: اقعد، فما يأتي فهو لك. فأوَّلُ شُغْل يأتيه يعطي ذلك القاصد ما يحصل منه كائناً ما كان، ومن مروءته أنه فُوِّض إليه المسجد الذي قِبْلي قيسارية الفرش، وكان لصاحبنا شمس الدِّين محمد بن عبد الجليل، واتَّفق أنَّه فارقه، وسافَرَ عنه متزهِّداً إلى العراق، ثم اتَّفق رجوعُه، فَنَزَلَ له عن المسجد، ورَدَّه إليه، فاستُحْسِنَ ذلك منه، وحُمِدَ عليه، رحمه الله.

وفيها توفي في رجب زكي الدِّين، أبو القاسم، هبة الله بن[1] المعروف بابنِ رواحة[2].

= فأضلٌ وإضمارٌ وجمعٌ وزائدٌ — وعطفٌ وواو الرَّفْعِ في الستة الأسْما
ورُبَّ ومعْ قد نابت الواو عنهما — واوك في الأيْمان فاستمعِ العِلْما
واوك للإطلاق والواو الحقتْ — وواو بمعنى إذْ فدونك والحَزْما
وواو أتتْ بعد الضمير لغائبٍ — وواوك في الجمع الذي يورث السُّقْما
وواو الهجا والحال واسم لما له — سناماان من دون الجمال به يُسْمى
وواوك في تكسير دارٍ وواو إذْ — وواو ابتداءٍ ثم عَدِّي بها تمَّا

(١) بيض له أبو شامة واسمه كما في «التكملة» للمنذري: هبة الله بن محمد بن عبد الواحد الأصبهاني الحموي العدل، ابن رواحة.

(٢) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٣ هـ)، التكملة للمنذري: ٣/ ١٥١ ـ ١٥٢، وفيات =

من أكابر العدول والتُّجَّار أُولي الثروة، وبنى بحلب مدرسةً للشَّافعية، وبدمشق مثلها داخل باب الفراديس، ووقَفَ عليهما أوقافاً حسنة، وقَنِعَ بعد ذلك باليسير، وكان يسكُنُ في بيتٍ بالمدرسة الدمشقية، وهو الذي في إيوانها من الشَّرْق، ويقابله من الغَرْب خزانة الكتب التي وقفها؛ وهي كتُبٌ جليلة.

وكان ـ رحمه الله ـ تامَّ الخِلْقة طويلاً وعريضاً إلا أنه كان لا لحية له أصلاً، وكان مُبَجَّلاً عند القُضاة، وكان قد أَسْنَدَ النَّظَرَ في مدرسته التي بدمشق إلى الشيخ تقي الدين عثمان بن الصَّلاح، ثم إنه بعد موته شَهِدَ عليه بالعَزْل له الشَّيخان تقي الدِّين خَزْعَل ـ المقدَّم ذكره[1] ـ ومحيي الدين محمد بن العربي ـ وكانا ساكنين قريباً من المدرسة ـ فزعما أنه استدعى بهما ليلاً، وأشهدهما عليه بعزل ابنِ الصَّلاح عن نظر المدرسة، وجَرَتْ في ذلك فصول لا حاجة إلى ذكرها، وكأنه كان قد ألهمه الله تعالى المصلحة في ذلك، فإنَّ ابنَ الصَّلاح أسند النظر إلى شخصٍ[2]، أسنده ذلك الشَّخْصُ إلى ولدٍ له، فَغَلَبَ على وقف المدرسة وتدريسها بغير أهليَّة ولا استحقاق، ولا أمانة ولا عدل ولا إشفاق، والأمر على ذلك إلى الآن[3]، والله المستعان. ودفن الزكي ابن رواحة بمقابر الصُّوفية، رحمه الله تعالى.

= الأعيان: ٣/ ٢٤٥، تاريخ الإسلام (ت١٤٨، وفيات سنة ٦٢٣ هـ)، الوافي بالوفيات: ٢٧/ ٣٢٥، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٢٣ هـ)، الدارس: ١/ ٢٦٥ـ٢٦٧، شذرات الذهب: ٥/ ١٠٤.

وقد تابع سبطَ ابنَ الجوزي في ذكره في وفيات سنة ٦٢٣ هـ أبو شامة، وابن كثير في البداية والنهاية، أما بقية من ترجم له فذكر أن وفاته سنة (٦٢٢ هـ)، بل إن الذهبي قال في «تاريخ الإسلام»: وغلط من قال إنه مات في سنة ثلاث.

(١) انظر ص ٣٨٩ من هذا الجزء.

(٢) هو شمس الدين عبد الرحمن بن نوح، وسترد ترجمته في وفيات سنة (٦٥٤ هـ)، ص ١٠٧ من الجزء الثاني.

وولده هو الناصر محمد بن عبد الرحمن، كان سيِّئ السيرة، وتوفي سنة (٦٨٦ هـ)، انظر ترجمته في الدارس: ١/ ٢٦٧.

(٣) يعني بذلك سنة (٦٥٩ هـ)، كما ذكر ذلك أبو شامة مراراً.

وفيها توفي في رجب أيضاً الخليفةُ الظَّاهر بأمر الله، محمد بن النَّاصر أحمد[1].

وولي تسعة أشهر وأياماً، قام فيها بالعَدْل حَسَب طاقته، وغسله محمد الخَيَّاط الشَّاعر.

قال أبو المُظَفَّر: وحكى لي أنه دخل يوماً إلى الخزائن، فقال له خادم: في أيامك تمتلئ. فقال له: ما جُعِلَتِ الخزائنُ لتمتلئ، بل لتفرغ وتنفق في سبيل الله، فإنَّ الجمعَ شُغْلُ التُّجَّار[2]. ١٥٠

وولي بعدَه ابنُهُ أبو جعفر منصور بن محمد، ولقبه المستنصر بالله، فبنى المدرسة المستنصرية ببغداد للمذاهب الأربعة، وتوفي سنة أربعين، وسيأتي ذكره[3].

وفيها في رجب أيضاً توفي شِبْل الدَّوْلة كافور الحُسَامي[4]؛ نُسِبَ إلى حسام الدِّين محمد بن لاجِيْن[5]، ولد ستِّ الشَّام بنت أيوب.

---

(١) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ٤٥٦ ـ ٤٥٧، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٣ هـ)، التكملة للمنذري: ٣/ ١٨٢ ـ ١٨٣، مفرج الكروب: ٤/ ١٩١ ـ ١٩٦، تاريخ الإسلام (ت ٢٠٠، وفيات سنة ٦٢٣ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ٢٦٤، العبر للذهبي: ٥/ ٩٥ ـ ٩٦، الوافي بالوفيات: ٢/ ٩٥ ـ ٩٧، نكت الهميان: ٢٣٨ ـ ٢٣٩، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٢٣هـ)، السلوك للمقريزي: ج١/ق١/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٦٥، شذرات الذهب: ٥/ ١٠٩ ـ ١١٠.

(٢) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٣ هـ).

(٣) ص ٦٠ من الجزء الثاني.

(٤) له ترجمة في التاريخ المنصوري: ١٢٨، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٣ هـ)، وفيات الأعيان: ١/ ٣٠٧، تاريخ الإسلام (ت ١٩٩، وفيات سنة ٦٢٣ هـ)، العبر للذهبي: ٥/ ٩٥، الوافي بالوفيات: ٢٤/ ٣١٠، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٢٣ هـ)، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٦٤، الدارس: ١/ ٥٣٠ ـ ٥٣١، شذرات الذهب: ٥/ ١٠٩، منادمة الأطلال: ١٧٦ ـ ١٧٨.

(٥) اختلف في اسمه، فهو محمد بن عمر بن لاجين، وقيل: عمر بن محمد بن لاجين، وقد حضر مع خاله صلاح الدين موقعة حطين سنة (٥٨٣ هـ)، وأرسله مع فرقة من العسكر إلى نابلس، =

كان خادماً، عاقلاً، دَيِّناً، صالحاً، مهيباً، له حُرْمةٌ وافرة في الدَّولة، ومنزلةٌ عالية عند الملوك، اعتمدَتْ عليه سَيِّدَتُهُ ستُّ الشَّام في بناء تُرْبتها ومدرستها الشَّافعية بمحلَّة العُوَيْنة.

وكان هو حنفيَّ المذهب، فبنى مدرسةً لأصحابِ أبي حنيفة عند جسر كحيل في طريق الجبل، ولصيقها تُرْبته والخانقاه، ووقفَ عليها أوقافاً جليلة، وبنى المصنع قُبالة ذلك، والقناة، والسَّاباط المظلِّل للطَّريق، والمصنع الآخر الذي برأس الزُّقاق الطَّويل، وفَتَحَ للنَّاس طريقاً إلى الجبل من عند المَقْبُرة التي هي غربي المدرسة الشامية تفضي إلى عين الكرش[1]، ولم يكن إليها طريقٌ قبل ذلك إلا من جهة مسجد الصَّفي المجاور لمقبرة باب الفراديس، وله صدقاتٌ دارَّة، وإحسان كثير. ودفن بتربته إلى جانب مدرسته المذكورة. وكان قد سمع الحديث على الشَّيخ تاج الدِّين الكِنْدي وغيره، رحمه الله.

وفيها توفي المبارز إبراهيم بن موسى، المعروف بالمعتمد، والي دمشق[2].

ولد بالمَوْصِل؛ وقَدِمَ الشَّام، فَخَدَمَ فَرُّخشاه بن شاهنشاه بن أيوب، وتقلَّبت به الأحوال، واستنابه أخو فَرُّخشاه لأُمِّه بدرُ الدِّين ممدود[3] الشِّحْنة بدمشق، ثم ولاه العادل الشِّحْنِكيَّة استقلالاً، فأَحْسَنَ السِّياسة، ولَطَفَ

= ففتحها بالأمان، فولاه عليها حتى وفاته بدمشق ليلة الجمعة تاسع عشر رمضان (٥٨٧ هـ)، ودفن بالتربة الحسامية المنسوبة إليه، وهي من بناء والدته ست الشام بنت أيوب في القبر الشمالي فيها، وهي قرب المدرسة الشَّامية البرانية، انظر «كتاب الروضتين»: ٣/ ٦٥، ٢٧٦، ٣١٥، ٣١٦، ٤/ ٢٩١.

(١) عين الكرش كانت حتى خمسينيات القرن العشرين عيناً ثرة تسقي بساتين كثيرة، أما الآن فهي منطقة سكنية ما تزال تحمل اسمها، ولا أثر للعين فيها.

(٢) له ترجمة في التاريخ المنصوري: ١٢٩، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٣ هـ)، تاريخ الإسلام (ت ١٦١، وفيات سنة ٦٢٣ هـ)، الوافي بالوفيات: ٦/ ١٥١ ـ ١٥٢، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٢٣ هـ).

(٣) في النسخ الخطية: مودود وهو سبق قلم، وقد سلفت ترجمته ص ١٧٢ من الجزء الأول.

بالرَّعية، وكان بين يديه نقيبٌ له يعرف بسويد، مِنْ أحذقِ النَّاس، وأعرفهم بتدبير وقائع الولاية.

وكان المعتمد دَيِّناً وَرِعاً، عفيفاً نَزِهاً، اصْطَنَعَ عالماً عظيماً من النِّساء والرِّجال، وسَتَرَ عليهم كبائر الأحوال، وكانت دمشق وأعمالها في أيام ولايته لها حُرْمةٌ ظاهرة، وهي حُرَّة طاهرة.

قال أبو المُظَفَّر: ومما جَرَى له أنه كان في دمشق رجلٌ فاتك، وإلى جانب بيته قومٌ لهم ولدٌ صغير، في آذانه حَلَقٌ من ذَهبٍ، فاغتاله الرجل يوماً، فخنقه، وأخذ الحَلَقَ من أُذُنه، وأخرجه في قُفَّةٍ، ودفنه في باب الصَّغير، وفقدته أُمه، فاتَّهمتِ الرَّجلَ به، فعذَّبه المبارز عذاباً أليماً، فلم يُقِرَّ، وأطلق، وفي قلبِ المرأة النَّار من [فَقْدِ][1] ولدها، فطلَّقَتْ زوجَها، وتزوَّجَتِ الرَّجُلَ القاتل، وأقامت معه مُدَّة، فقالت له يوماً، وهي تداعبه: قد مضى الابن وأبوه، وكان منهما ما كان ـ وكان الزوج قد مات ـ أنت قتلت الصغير؟ فقال: نَعَمْ، وأخذْتُ الحلق، ودفنته بالباب الصَّغير. فقالت: قم، فأرني قبره. فأخذها، وخَرَجَ بها إلى المقابر، وحَفَرَ القبر، فرأت ولدَها، فلم تتمالك، وضَرَبَتِ القاتلَ بسكِّين أعدَّتها له، فشقَّتْ بَطْنَه، ودفعته، فألقته في القبر. وجاءت إلى المبارز، فحكتْ له الحكاية، فقامَ، وخَرَجَ معها إلى القبر، فكشَفَتْهُ له. فقال لها: أحسنتِ والله، ينبغي لنا كلنا أنْ نَشْرَبَ لك فتوَّةً[2].

قال: وحكى لي ـ رحمه الله ـ قال: لمَّا حَرَّمَ العادل الخمور ركبتُ يوماً، وخرجتُ من باب الفَرَج، وإذا برجلٍ في رقبته طَبْلٌ، وهو يتمايلُ تحته، فقلت: أمسكوه، وشقُّوا الطَّبْل. فَشَقُّوه، وإذا فيه زُكْرة خمر[3]، فبدَّدْتُها، وضَرَبْتُهُ الحَدَّ،

---

(١) ما بين حاصرتين من «مرآة الزمان».

(٢) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٣ هـ)، قلت: كان من تقاليد الفتوة شرب كأس الفتوة، وهو يحتوي على الماء والملح، انظر «مفرج الكروب»: ٣/٢٠٦ حاشية رقم ٢.

(٣) الزُّكْرة: زق الخمر.

قال: فقلتُ له: مِنْ أين علمتَ؟ قال: رأيتُ رجليه وهي تلعب، فعلمتُ أنه قد حَمَلَ شيئاً ثقيلاً[١].

قال: وكان لداره بابان: الباب الكبير عليه الغِلْمان والنوّاب، وباب السِّرِّ في زُقاقٍ آخر، فكان النواب إذا مسكوا في الليل امرأةً من بيتٍ معروف، وحملوها إليه على حالها، يقول لهم: انزلوا حتى أقرِّرَها. ثم يقول لها: يا بنتي، أنتِ من بيتٍ كبير، وأهلك رجال معروفين[٢]، فما الذي حداك[٣] على هذا؟ فتقول: يا سيدي، قضاء الله. فيقول لها: سَتَرَ الله عليك. ويبعث معها الخادم من باب السِّرِّ إلى بيتها. فأقام على هذا نحواً من أربعين سنة[٤]. ١٥١

قال: وكان في قلب المُعَظَّم له شحناء، لأنه كان يُشْفِقُ عليه ويحفظه في أماكن يدخل إليها بدمشق في الليل وهو شابٌّ، فيأمر غِلْمانَه أن يتبعوه من بعيد، وكان العادل من مِصْر يكتب إليه بذلك. فلما ماتَ العادل أظهر ما كان في قلبه منه، فاعتقله مُدَّة في القلعة، فلم يظهر عليه ولا على أحدٍ من أولاده وحاشيته أنه أخذ من الرعية ما مقداره مِثْقال حبَّةٍ من خَرْدل، ولا غَيَّر ما كان عليه من العِفَّة والأمانة، والصَّلاح، والدِّيانة، ثم أنزله من القلعة إلى داره، وحَجَرَ عليه فيها، وبالَغَ في التشديد عليه، وكانت وفاته يوم السبت الحادي والعشرين من ذي القعدة عن ثمانين سنة، ودفن بجبل قاسيون في التربة التي أنشأها بالجبل[٥].

قال: وحكى لي أنه ولي دمشق نيابةً عن بدر الدِّين الشِّحْنة أول ولاية صلاح الدين، ثم استقلَّ بالولاية إلى أن عُزِل في سنة سبع عشرة وست مئة،

---

(١) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٣هـ).

(٢) كذا، على اللفظ العامي.

(٣) في (ك) و(ع) و(س): حملك.

(٤) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٣ هـ).

(٥) المصدر السالف.

وكانت ولايته نيابةً واستقلالاً قريباً من خمسين سنة[١].

قال: ولم يؤخذ على المبارز شيء إلا أنه كان يحبس وينسى، فعوقب بمثلِ ذلك؛ أقام محبوساً خمس سنين إلا أياماً[٢].

قال: وجَرَتْ لي معه واقعةٌ عجيبة؛ كنتُ في كلِّ ليلةِ جُمُعةٍ أزوره، وانقطعت عنه مُدَّة بسبب إغلاق باب داره في بعض الأوقات، فرأيتُ في المنام كأن قبره في روضةٍ خضراء، والقبر معمول بالفَصِّ الأخضر، وليس هو من جنس فصوص الدُّنيا، فطَرِبْتُ لحُسْنه ورونق المكان، فَهَتَفَ بي هاتِفٌ: لو رأيتَ ما في باطن القبر. قلتُ: وما في باطنه؟ قال: الدُّرُّ والياقوت والمَرْجان، وما يستغني عن قراءة كتاب الله تعالى. فانتبهتُ وفهمت الإشارة، فأنا في كلِّ ليلةٍ أقرأ ما تيسَّر من القُرْآن، وأهديه إليه، وإلى أهلي وأصحابي ومعارفي[٣]، رحمهم الله وإيانا.

وفيها توفي البدر الجَعْبري[٤] والي قلعة دمشق، أقام واليها مُدَّة في أيام المُعَظَّم، وخَدَمَ الظَّاهر بحلب وغيره، وحُمل إلى بالس، فَدُفِنَ عند أهله.

ثم دخلت سنةُ أربعٍ وعشرين وست مئة

ففيها قَدِمَ رسولُ الإنبرور ملك الفرنج البحرية على المُعَظَّم بعد اجتماعه بالكامل، يطلبُ منه البلاد التي كان فتحَها عَمُّه صلاحُ الدِّين رحمه الله، فأغلظ له، وقال: قل لصاحبك ما أنا مثل الغير، ما له عندي سوى السَّيْف.

وفيها في آخر شعبان سافرتُ أنا إلى بيتِ المقدس صحبةَ الفقيه عِزِّ الدِّين

---

(١) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٣هـ).

(٢) المصدر السالف.

(٣) المصدر السالف.

(٤) له ترجمة في التاريخ المنصوري: ١٢٨، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٣ هـ).

وكانت ولايته نيابةً واستقلالاً قريباً من خمسين سنة[١].

قال: ولم يؤخذ على المبارز شيء إلا أنه كان يحبس وينسى، فعوقب بمثلِ ذلك؛ أقام محبوساً خمس سنين إلا أياماً[٢].

قال: وجَرَتْ لي معه واقعةٌ عجيبة؛ كنتُ في كلِّ ليلةِ جُمُعةٍ أزوره، وانقطعت عنه مُدَّة بسبب إغلاق باب داره في بعض الأوقات، فرأيتُ في المنام كأن قبره في روضةٍ خضراء، والقبر معمول بالفَصِّ الأخضر، وليس هو من جنس فصوص الدُّنيا، فطَرِبْتُ لحُسْنه ورونق المكان، فَهَتَفَ بي هاتِفٌ: لو رأيتَ ما في باطن القبر. قلتُ: وما في باطنه؟ قال: الدُّرُّ والياقوت والمَرْجان، وما يستغني عن قراءة كتاب الله تعالى. فانتبهتُ وفهمت الإشارة، فأنا في كلِّ ليلةٍ أقرأ ما تيسَّر من القُرْآن، وأهديه إليه، وإلى أهلي وأصحابي ومعارفي[٣]، رحمهم الله وإيانا.

وفيها توفي البدر الجَعْبري[٤] والي قلعة دمشق، أقام واليها مُدَّة في أيام المُعَظَّم، وخَدَمَ الظَّاهر بحلب وغيره، وحُمل إلى بالس، فَدُفِنَ عند أهله.

ثم دخلت سنةُ أربعٍ وعشرين وست مئة

ففيها قَدِمَ رسولُ الإنبرور ملك الفرنج البحرية على المُعَظَّم بعد اجتماعه بالكامل، يطلبُ منه البلاد التي كان فتحَها عَمُّه صلاحُ الدِّين رحمه الله، فأغلظ له، وقال: قل لصاحبك ما أنا مثل الغير، ما له عندي سوى السَّيْف.

وفيها في آخر شعبان سافرتُ أنا إلى بيتِ المقدس صحبةَ الفقيه عِزِّ الدِّين

(١) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٣هـ).

(٢) المصدر السالف.

(٣) المصدر السالف.

(٤) له ترجمة في التاريخ المنصوري: ١٢٨، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٣ هـ).

عبد العزيز بن عبد السَّلام وغيره على سبيل الزِّيارة للأقصى والخليل، وما بتلك الدِّيار من الآثار، ورجعنا إلى دمشق بعد أربعةَ عَشَرَ يوماً.

وفيها حَجَّ بالنَّاس من الشَّام الشُّجاع بن السَّلَّار، وهي آخر إمرته على الحاج، وآخر السنين التي كان الحَجُّ فيها رخيّاً طَيِّباً، وانقطع رَكْبُ الحَجِّ بعدها مُدَّةً بسببِ ما وَقَعَ بالشَّام من الاختلاف والفِتَن.

وفيها حَجَّ من مَيَّافارقين سُلْطانُها شهاب الدِّين غازي بن العادل.

قال أبو المُظَفَّر: وكان ثَقَلُه على ست مئة جملٍ، ومعه خمسون هجيناً، على كلِّ هجين مملوك، وجهَّزه الأشرف جَهَازاً عظيماً، وسار غربي الفُرَات، على قَرْقيسيا والرَّحبة وعانة والكبيسات والغمر والعين وشفاثا، وكلُّها قرًى فيها عيون جارية، ونخلٌ كثير، ومنها يجلب التمر إلى الشَّام. وعَبَرَ على كربلاء، فزار المشهد، ثم دخل الكوفة، وزار مشهد أمير المؤمنين، وحج بالنَّاس من ١٥٢ العراق شمس الدين قيران مملوك الخليفة، وبَعَثَ الخليفة لشهاب الدِّين فرسين وبغلة وألفي دينار، وقال: هذه من مِلْكي، أَنْفِقْها في طريق الحجِّ. وأوصى أميرَ الحاجِّ بخدمته، وتصدَّق في مكة والمدينة، وعاد على العراق، ولم يَصِلِ الكوفة، بل سارَ غربي الطَّريق التي سَلَكها، فكاد يَهْلِكُ هو ومَنْ معه عَطَشاً حتى وصَلَ إلى حَرَّان[1].

وفيها توفي بدمشق سُلْطانُها الملك المُعَظَّم عيسى بن أبي بكر بن أيوب[2].

---

(١) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٤ هـ).

(٢) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ٤٧١ ـ ٤٧٢، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٢٤ هـ)، التكملة للمنذري: ٣/ ٢١٢، عيون الأنباء: ٦٩٩، وفيات الأعيان: ٣/ ٤٩٤ ـ ٤٩٦، مفرج الكروب: ٤/ ٢٠٨ ـ ٢٢٤، المختصر في أخبار البشر: ٣/ ١٣٨، تاريخ الإسلام (ت ٢٥٧، وفيات سنة ٦٢٤ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ١٢٠ ـ ١٢٢، العبر للذهبي: ٥/ ١٠٠، تحفة ذوي الألباب للصفدي: ٢/ ١٠٨ ـ ١١٤، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٢٤ هـ)، الجواهر المضية: ٢/ ٦٨٢ ـ ٦٨٤، السلوك للمقريزي: ج١/ ق١/ ٢٦١ ـ ٢٦٢، شفاء القلوب: ٢٧٦ ـ ٢٩٠، النجوم =

مَلَكَ الشَّامَ بعد أبيه من العريش إلى حِمْص، وما بين الأرض المقدسة ومدينة النَّبيّ ﷺ من الكَرَك والشَّوْبك، وتبوك، والعُلا. وكان قد سَيَّر في سنة اثنتين وعشرين وست مئة ـ وهي السنة التي حججتُ فيها ثانياً[1] ـ منْ مَسَحَ الأرض من باب الجابية إلى جبل عَرَفات، وكَتَبها له منزلةً منزلةً، وسَهَّل في طريق الحج مواضعَ كانت وَعْرةً كثنية الصوان، وكثَّر المِيَرَ لهم في أراضي الكَرَك والشَّوْبك وتبوك والعُلا والمدينة ـ على ساكنها السلام ـ فكان الحجاج يجدون بذلك رفقاً عظيماً، وبالجملة تفرَّد من بين الملوك بالجمع بينَ مواظبة الغزو والاشتغال بأنواع العلوم، والحج إلى الحَرَمين بنفسه، وإعانة غيره عليه.

وكان عديمَ الالتفات إلى ما يرغب فيه الملوك من الأبهة والتعظيم والمدح وغير ذلك، فكان ينهى نوَّابه على إمرة الحاجّ الشَّامي من مزاحمة الملوك في إطلاع الأعلام إلى رأس جبل عرفات؛ فكنتَ ترى علمه مركوزاً إلى جانب محمله تحت الجبل.

وكان يركبُ وحدَه مراراً كثيرةً، ثم يتبعه مَنْ شاء مِنْ غِلْمانه طاردين خلفه.

وكان إذا كان بدمشق يأتي كلَّ جُمُعة في السَّاعة الرَّابعة أو نحوها إلى تُرْبة والده قُبالة دار العقيقي، يجلسُ فيها هو ومَنْ معه من أُمرائه وخواصِّه إلى أن يؤذِّن المؤذِّن لصلاة الجمعة، فيخرجُ حينئذٍ ماشياً إلى تربة عَمِّه صلاح الدِّين ـ رحمه الله ـ المجاورة للكلَّاسة، فيصلِّي الجمعة بها مع النَّاس، أقام على ذلك زماناً.

وكان جميلَ الصُّحْبة، مُكْرِماً لأصحابه، مُنْصِفاً لهم، كأنه واحدٌ منهم.

= الزاهرة: ٦/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨، تاج التراجم: ١٧١ ـ ١٧٢، حسن المحاضرة: ١/ ٤٦٥، الدارس: ١/ ٥٧٩ ـ ٥٨١، القلائد الجوهرية: ١/ ٢١٩، شذرات الذهب: ٥/ ١١٥ ـ ١١٦، ترويح القلوب: ٥١، الفوائد البهية: ١٥١ ـ ١٥٣.

وقد توفي الملك المعظم آخر ذي القعدة سنة ٦٢٤ هـ كما ذكر أبو شامة في ترجمته الأولى له، انظر ص (٢٨) من مقدمة هذا الكتاب.

(١) انظر ص ٣٧٨ من هذا الجزء.

أنشدني المحبُّ بن أبي السعود البغدادي الحجازي ـ وكان من الملازمين خدمته ـ قال: نظمتُ فيه لما توفي رحمه الله تعالى:

لئنْ غُودِرَتْ تلك المحاسِنُ في الثَّرى بَوَالٍ فما وَجْدِي عليكَ ببالِ
ومُذْ غِبْتَ عني ما ظَفِرْتُ بصاحبٍ أخي ثِقَةٍ إلا خَطَرْتَ ببالي[1][2]

* * *

(١) دفن في القلعة، ثم أخرج بعد ذلك في ليلة الثلاثاء مستهل محرم سنة (٦٢٧ هـ)، إلى جبل قاسيون، فدفن في قبة عند تربة والدته، وهي المعروفة بالمقبرة المعظمية، انظر «وفيات الأعيان»: ٣/ ٤٩٥، وص ١٧٣، ٢٠٤ من هذا الجزء.

(٢) جاء هنا في نسخة المتحف البريطاني ونسختي كوبنهاجن وعارف حكمة المقدمة الأولى التي كتبها أبو شامة لتاريخه هذا في تأليفه الأول له، مع السنوات الأربع ٦٢٠ ـ ٦٢٤ مختصرة قبل تعديلها في تأليفه الثاني له.
وانفردت نسخة كوبنهاجن وعارف حكمة بذكر مرثيات وأشعار لأبي شامة قبل هذه المقدمة، وقد أثبت ذلك كله في مقدمة الكتاب، وانتزعتها من موضعها هنا حفاظاً على تسلسل وقائع هذا الكتاب على السنين، واقتداءً بما جاء في نسختي برلين وباريس، وانظر المقدمة ص (٢٣).